الجزء الأول 		المجلد الثالث والأربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



كانون الثاني «يناير» سنة ١٩٦٨ م

رمضان سنة ١٣٨٧ هـ

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

وإذا طُلِب إرسال المجلة بالبريد الجوي تُضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

ملاحظات شتى على معجمات حديثة

من المعروف أن في بيروت حركة تأليف وترجمة ونشر كبيرة ، وأن هذه الحركة قد أنتجت كتباً أدبية وعلمية ولغوية مختلفة ، وأن في جملة الكتب اللغوية معجمات حديثة بحث زميلنا الدكتور عدنان الخطيب فيها أجمل بحث في محاضراته التي ألقاها سنة ١٩٦٧ ، في معهد البحوث والدراسات العربية ، بعنوان « المعجم العربي بين الماضي والحاضر » .

وقد تصفحت بعض تلك المعجمات فأوحت إليّ بملاحظات شتى كنت ذكرتها في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » منها :

الملاحظة الأولى : لا يستطيع الفرد في بلادنا أن يضع معجماً أعجمياً عربياً في مصطلحات علوم مختلفة ، ما لم تزلّ قدمه ، وذلك لاتساع العلوم الحديثة واختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد .

وهذه الملاحظة يمكن أن نذكرها للأستاذ الفاضل الشيخ عبد الله العلايلي الذي ألّف معجماً وسيطاً سماه « المرجع » ، وأصدر منه جزءاً واحداً حمّل نفسه فيه حملاً ثقيلاً جداً ، فزلت قدمه مرات ، وكثرت أخطاؤه . ولست في سبيل ذكر الطريقة التي اتبعها في تصنيف هذا المعجم . فقد ظن أن من الأمور السهلة ذكر مادة لغوية بتلك الطريقة ، وذكر كونها صحيحة أو عامية أو مولدة قديماً أو حديثاً ، وذكر اسمها الفرنسي واسمها الإنكليزي واسمها العلمي ، « وإذا بكتابه خمسة معاجم في معجم واحد » على حد قول « الأستاذ فؤاد أفرام البستاني » الذي كتب تمهيداً للمعجم .

ومع أن الأستاذ العلايلي نقل عن الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية (من دون أن يشير إليه) معظم المصطلحات الزراعية، ومعظم الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات والحشرات وفصائلها فقد جاءت أخطاء النقل كثيرة هاكم بعضها على سبيل التمثيل :

الصفحة في المعجم

٢٠ مما جاء في « المرجع » في مادة أبَرَ : أبَرَ الزرعَ — أصلحه.
وأبَرَ الشجرَ — ألقحه وبالفرنسية Féconder و Greffer .

قلت الصحيح بالفرنسية Polliniser و Féconder . أما Greffer فهو التطعيم والتركيب .

٣٨ مادة إثايَة . جاء فيها ما يلي : (عامي مفصح) جنس نبات من الفصيلة القستاسية « لحية التيس » اسمه العلمي Cistus salvilius .

قلت أولاً لا وجود للإثاية ولا أدري من أين أتى بها . ثانياً لا وجود لاسم Cistus salvilius بل يوجد نوع نباتي (لا جنس) هو Cistus salvifolius وهو بالفرنسية Ciste à feuilles de sauge وبالعربية قَسْتُوس ناعِمِيُّ الورق . ثالثاً اسم الفصيلة هو الفصيلة اللاذَنية ، واللاذَن هو القستوس . رابعاً لحية التيس هو نبات آخر من الفصيلة المركبة اسمه الفرنسي Salsifis و Barbe de bouc ، واسمه العلمي Tragopogon porrifolius ، واسمه في المفردات طَراغُوبُوغُن وفُومي . أما لحية التيس فهي ترجمة الفرنسية الثانية .

٤٥١ مادة بَلُّوط : جنس شجر من الفصيلة الكاسية أو البلوطيات .

قلت الصحيح من الفصيلة البلوطية . ولا وجود لفصيلة اسمها الفصيلة الكاسية .

الصفحة في المعجم

١٨١ مادة أصَف : نبات معمر من الفصيلة القَبَّارية ... ويسمى أيضاً الكَبَر ، اللَّصَف ، القَبَّار ، الكَبَّار .

قلت الصحيح الفصيلة الكَبَرية . والأسماء الصحيحة هي الأصَف واللَّصَف والكَبَر . أما القَبَّار والكَبَّار فعاميتان ، الأولى في الشام ، والثانية لم نسمع بها .

٦ جاء أن كلمة آر Are الفرنسية قياسها ١٠٠ متر مربع وعربيتها الجريب .

قلت أين الآر من الجريب . فالجريب لا يقل عن عشرة أمثال الآر . وقد حسبه المرحوم الشيخ أحمد رضا في معجمه « متن اللغة » بالأمتار المربعة إما ١٤٧٤،٥٦ وإما ٢٣٠٤ . والدونم الذي ورثناه من الدولة العثمانية والذي يبلغ نحو ألف متر مربع كان وضع على أساس الجريب .

٤٤٥ جاء في مادة سماها بلِسْكاء نبات ينشب في الثياب ، منه الأبيض والأصفر ويسمى أيضاً : عَمّي خذني معك ، وهو بالإنكليزية Burdock ، وبالفرنسية Baradane ، وعلمياً Galium .

قلت مادة بلسكاء لم أذكرها في الطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية ، بل ذكرتها في الطبعة الثانيـــة . وهاكم ما جاء في « المرجع » من أخطاء .

أولاً الكلمة هي بَلَسَكاء أو بِلِسِكاء أي بباء وسين مفتوحتين أو مكسورتين بينهما لام ساكنة ثم ألف وهمزة . وترد الكلمة بالفتح مقصورة أي بَلَسَكَى . ثانياً يسمى هذا النبات أيضاً الشُّصَيْقَى وحشيشة الأفعى . ثالثـــاً اسم النبات العلمي Galium aparine وهو اسم هذا النوع ، أما Galium وحدها فهي اسم الجنس أي

غاليون وأنواعه كثيرة . رابعاً الاسم الفرنسي هو Gaillet gratteron وليس Bardane وهذا الأخير هو الأرقطيون وقد ذكره مصنف « المرجع » في مكانه . والإنكليزية Burdock هي أيضاً الأرقطيون لا البَلَسْكاء . خامساً لا أدري من أين أتى بجملة عمي خذني معك .

أكتفي بهذه الأمثلة الستة . وقد عثرت على عدد كبير من الأخطاء وأنا أقلب بعض صفحات « المرجع » ممعناً النظر في ألفاظ الزراعة والنبات . وليس من الغريب أن يكون في هذا المعجم أخطاء كثيرة في مصطلحات علوم أخرى ؛ فالأستاذ العلايلي قد وضع على عاتقه حملاً ثقيلاً لا يقوى الفرد في بلادنا على حمله . ولو كنتُ مكانه لأحجمت عن مثل هذا العمل ولقلتُ لنفسي لا يحمّلك الله إلا وسعك . ومع هذا ففي المعجم فوائد كثيرة . وقد صدر الجزء الأول هذا منه في سنة ١٩٦٣ في بيروت ، وانتهى عند كلمة جَخْدَل . ولا علم لي بصدور جزء ثانٍ أو أكثر .

* * *

الملاحظة الثانية :

يجب في معجمات اللغة ، ولا سيما في التي تكون ألفاظها موضوعة على حسب حروف الهجاء ، أن يشير مصنفو تلك المعجمات إلى الكلمات غير الصحيحة فيها .

فمعجم « الرائد » الذي أصدره الأستاذ جبران مسعود في بيروت سنة ١٩٦٤ ، ورتب كلماته على حسب حروف الهجاء ، قد خلا من ذكر صحة الألفاظ أو عدم صحتها ، فلا يدري من يراجع كلمة في المعجم المذكور أهي صحيحة أم مولدة قديماً أو حديثاً ، أم هي عامية ، أم دخيلة معربة . وهاكم بضع كلمات على سبيل التمثيل :

رقم الصفحة

٣٢٢ جاء في المعجم : البَسْطُرْما : لحم قديد مضغوط خُلط به الثوم والتوابل.
قلت : كان يجب أن يذكر المؤلف الفاضل أن هذه الكلمة عامية .
ومن المفيد أن يضيف إلى ذلك أنها تركية النجار .

٣٢٢ جاءت كلمة البيسْكويت : أقراص من الحلوى تصنع من الطحين والحليب والبيض والسكّر وغيرها .
قلت هذه الكلمة معرّبة ، وهي من الفرنسية .

١٢٥٥ الكَمَر : ١ — كل بناء فيه عقد ، كبناء الجسور والقناطر .
٢ — زنار توضع فيه الدراهم .
قلت الكلمة من الدخيل ، وهي من أصل فارسي . أما معناها الثاني فهو عامي .

٧٨٦ الزّنْزَلَخْت : شجر جيد الخشب يُزرع للزينة .
الزنزلخت عامية ، والكلمة الصحيحة أزَدِرَخْت (وأزادِرَخْت) وهما معربتان قديماً من الفارسية .

٣١٩ البرواز : إطار يحيط بالشيء . ج بَراويز .
قلت كلمة برواز عامية من أصل فارسي .

٨٦٧ شَحَّلَ تَشْحيلاً . الكَرْمَ : ر . قَضَّب .
التشحيل في لبنان عامية من أصل سرياني وهي تطلق فيه على التقليم أو التقضيب أو الحِطاب .

١١٨٤ القَضَامِيّ . حمّص يُبَلّ ثم يحمّص فيتقضّم . ومنه ما يملّح .
القضامي عامية شامية .

٨٣ الأرْضِيّ شَوْكي . نبات يُسلق ويُطبخ .

رقم الصفحة

الاسم الصحيح هو الحَرْشَف . أما الأرضي شوكي فعامية شامية من Artichaut الفرنسية . وهذه من حَرْشَف العربية . فتأملوا كيف ترد العامة إلينا كلماتنا العربية مشوهةً ، وذلك كتسمية بعض دور السينما باسم الهمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .

٦١٩ الخُرْشُوف . نبات الأرضي شوكي .

كلمة الخرشوف تستعمل في مصر على الأخص . وهي غير صحيحة . والكلمة الصحيحة هي الحَرْشَف ، على ما ذكرته في المادة السابقة .

أكتفي بهذه الأمثلة . وأشباهها في المعجم كثيرة . والمعجم عمل كبير بلغت صفحاته ١٦٣٧ صفحة ، وتم طبعه سنة ١٩٦٥ . ومما يستوقف النظر أن مصنفه الفاضل لم يهمل ذكر أصول الكلمات التي سردها على حسب حروف الهجاء ، فهو عندما يذكر مثلاً كلمة المِنْحَت يضع إلى جانبها (ن ح ت) أي انها من نَحَتَ الثلاثي ، وعندما يأتي بفعل أَوْغَلَ إيغالاً يضع إلى جانبه (و غ ل) أي أنه من وَغَلَ . وعندما تُذكر أصول المشتقات على هذا الشكل لا تنقطع الصلة بينها وبين أصولها في معجماتنا القديمة والحديثة وإن وردت هذه المشتقات أحياناً بعيدة جداً عن أصولها في مثل هذا المعجم المرتب على حسب حروف الهجاء .

* * *

الملاحظة الثالثة : يجب في المعجمات العلمية تحري المصطلحات التي ذكرها الثقات أو أقرتها المجامع اللغوية والعلمية ، وعدم جعل الصحيح وغير الصحيح من المواد في مرتبة واحدة .

وهذه الملاحظة لاحظتها على معجم كبير أصدره في بيروت المهندس الزراعي ادوار غالب في مجلدين صدر أحدهما سنة ١٩٦٥ والثاني سنة ١٩٦٦ ،

وسمّاه « الموسوعة في علم الطبيعة » ، وهو معجم يبحث على الأخص في ألفاظ العلوم الزراعية وما إليها من نبات وحيوان وحشرات واقتصاد زراعي وأمراض فطرية وغير ذلك . وله ملحق في الفهارس .

والمعجم مطبوع طبعاً متقناً ومحلى برسوم كثيرة جميلة ، ككل ما يصدر عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت . وقد ذكر المؤلف الفاضل لكثير من النباتات أسماءها العلمية والفرنسية والإنكليزية والألمانية والإيطالية . واقتصر على الاسم العلمي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعض العلوم ، وعلى الاسم الفرنسي والاسم الانكليزي في بعضها . ولم يهمل ذكر أسماء المراجع المديدة التي استقى منها فذكرها في أمانة . ومما ذكره الطبعة الأولى لمعجم الألفاظ الزراعية التي صدرت سنة ١٩٤٣ فنقل منها كثيراً من المصطلحات . وكنت أود لو أنه راجع طبعته الثانية التي صدرت سنة ١٩٥٧ في القاهرة فهي أوسع وأصلح من الطبعة الأولى . وكذلك كنت أود لو كان راجع البحوث المديدة التي كتبتها في موضوعات سفره النفيس في مجلات المجمع العلمي العربي ، وفي كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » الذي طبعه مجمعنا بدمشق طبعة ثانية ، إذن لكان تجنب كثيراً من المصطلحات غير الصحيحة أو المعدلة التي نقلها من مراجع أخرى مختلفة . وإليكم مثالاً واحداً في ذلك وهو مادة « تصنيف » أي تصنيف الأحياء : فقد ذكرت في مقدمة الطبعة الثانية لمعجم الألفاظ الزراعية أنني كنت اتفقت أنا وأعضاء لجنة الأحياء والزراعة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة على مصطلحات قدمتها فأقرها المجمع اللمع إليه بعدئذ نهائياً بدلاً من مصطلحات قديمة كان وضعها :

المصطلح الذي ذكره الأستاذ ادوار غالب	المصطلح الذي أقره مجمع اللغة العربية	المصطلح الفرنسي
مملكة	عالَم	Reigne
قسم	شعبة	Embranchement
صف	طائفة	Classe
رتبة	رتبة	Ordre
فصيلة	فصيلة	Famille
سبط ، قبيلة ، ردف	قبيلة	Tribu
جنس	جنس	Genre
نوع	نوع	Espèce
ضرب	صنف ، ضرب	Variété
سلالة ، عرق	سلالة	Race

أما الأقسام الصغيرة التي تكون بين قسمين من أقسام التصنيف المذكورة فقد أقر المجمع جعلها بصيغة التصغير مثل عُوَيلم Sous - reigne ، وشُعَيبة Sous - embranchement ، وطُوَيئِفة Sous - classe وهلم جرا .

هذا مثال واحد ذكرته وهو مادة « التصنيف » وعندي أمثال عديدة تدل على أن الأستاذ ادوار غالب كان في وسعه أن يقلل الأخطاء اللغوية والاصطلاحية الكثيرة في معجمه .

ثم إن ألفاظ الأجناس النباتية ، في الأسماء العلمية المؤلفة من اسم للجنس النباتي واسم للنوع ، لا توضع ولا تنقل إلى العربية على هوى الواضع أو الناقل ، بل هناك قواعد يجب مراعاتها سواء فيما يعرَّب أو فيما يترجم من تلك الألفاظ على حسب أصولها . وكذلك الألفاظ التي تدل على الأنواع

النباتية فإن معظمها نعوت وصفات قابلة للترجمة ولهذا فهي تترجم بالعربية ، ويجب أن تكون الترجمة صحيحة (١) .

ومما حداني أيضاً على ذكر الملاحظة الثالثة أن مؤلف هذا المعجم قد جعل كلمات مواده الأساسية في مرتبة واحدة وحروف واحدة من دون أن يميز الصحيح من غير الصحيح ، سواء في نوع الحروف أو في الشروح . فمادة سرطان مثلاً تجدها على الصورة الآتية :

سَرَطان، سَلْطَعان، سَلْطَعُون، خُمْخُم Cancer(s). Crabe(F). Crabe(E)

فلا يدري المطالع أن السلطان والسلطعون هما عاميتان .

وخذ مادة الجعفيل المشهور عند الفلاحين Orobanche تجد أسماءها العربية على ما يلي :

جَعْفيل ، سَبْع ، حَامُول ، هالوك .

وهنا أيضاً لم يُميَّز الاسم العربي الصحيح من غير الصحيح . وهكذا سائر مواد المعجم .

ولاحظت في المعجم أغلاطاً في النقل وأغلاطاً في الطبع كثيرة مثل كلمة الشُقَّران المنقولة عني فقد شُدِّدت راؤها غلطاً ، ومثل أصابع القَيْنات فقد وردت أصابع القَنْيات ؛ وأشباه هذه الأخطاء كثيرة .

---

(١) تراجع الطبعة الثانية لكتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » (ص ٨٧ ـ ٩٠) و (ص ١٥٨ ـ ١٩٠) ؛ وتراجع مجلة المجمع العلمي العربي هذه (الجزء الثاني من المجلد ٣٥ ص ١٧٧) .

وكنت قدمت إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة بحثاً يشتمل على ترجمة عربية لسبعمائة لفظة لاتينية من ألفاظ الأنواع النباتية ، وهي أهم تلك الألفاظ ، فاتباعها يسهل كثيراً عمل الأستاذ ادوار غالب وعمل واضعي كتب النبات المستهبة . وهذا البحث منشور في المجلد ٣٦ من هذه المجلة (ص ١) بعنوان : « ألفاظ الأنواع النباتية » .

ومهما يكن من أمر ففي هـذا المعجم جهد يستحق المهندس الزراعي ادوار غالب عليه الثناء الجميل. ولا بد أن يمر على لغتنا زمن طويل قبل أن نجد فيها معجماً علمياً خالياً من الهنات والشوائب ، ولا سيما في المصطلحات العربية الصحيحة أو الراجحة .

* * *

الملاحظة الرابعة : إن لتعريفات المواد في المعجمات حدوداً يجب مراعاتها .

كنت لاحظت في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة أن بعض مواد المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع معرّفة تعريفاً طويلاً لا يناسب نوع هذا المعجم، فقدمت إلى المجمع الملاحظة الآتية :

« من المهم جداً أن يجيء تعريف الألفاظ والمصطلحات ، في المعجمات ، تعريفاً علمياً يناسب نوع كل معجم وحجمه . ولنضرب التعريف العلمي لأسماء النباتات مثلاً حسب الخطة التي يتبعها الأوربيون في معجماتهم ، فهم يبدأون بذكر اسم النبات في لغاتهم ، وذكر الاسم العلمي لجنسه ولنوعه أو لأنواعه المهمة ، ثم يذكرون أنه شجرة ، أو جَنْبة (شجيرة) ، أو جُنَيبة ، أو عُشْبة ؛ وهل هو حَوْلي أم مُحْوِل أم مُعَمَّر ، وهل هو بري أم زراعي ، ويذكرون اسم فصيلته النباتية ، وشيئاً من تحلية أعضائه أحياناً ، ومن فوائده أو مضاره . وكل ذلك يمكن تلخيصه في سطرين لكل نبات في مثل المعجم الوسيط ، وفي بضعة أسطر في مثل المعجم الكبير ، وفي أكثر من ذلك في مثـــل الموسوعات الزراعية أو النباتية . والكلام على

الحيوانات شبيه بالكلام على النباتات . والمهم في كل ذلك معرفة حد التعريف العلمي الذي يناسب نوع كل معجم وحجمه » .

وهذه الملاحظة تصح أيضاً في معجم (موسوعة) المهندس الزراعي الفاضل ادوار غالب ، فقد عرّف مثلاً مادة تعاوُنيّة في أقل من سطر ، ومادة تعاونيّة زراعية في أقل من سطرين ، بينما عرّف القنفذ والقطا وبعض الحشرات التي لا كبير شأن لها وغير ذلك بسطور عديدة .

مصطفى الشهابي



مهمة رجال اللغة

أحتفظ في جملة ما أحتفظ به من الأوراق التي كنت أطالعها من سنين بقطع من جريدة « الآداب الفرنسية » ؛ في هذه القطع طائفة من مقالات في باب من أبواب اللغة الفرنسية ؛ صاحب هذه المقالات « ألبر بايه » . لست أعرف شيئاً عن منزلته ، إلاّ أنّ مقالاته كانت تقع الموقع الحسن ، وعنوانها : الألفاظ والحياة ، فهو لم يبحث في مقالاته عن ميلاد الألفاظ وحياتها أو موتها ، فلم يُفض في شيء من العوامل النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي يكون لها في معظم الأوقات الأثر الأبلغ في اللغـــة ؛ وإنما بحثه في مقالاته الوجيزة كانت له صلة بطائفة من ألفاظ كان يرى فيها خطأً أو صواباً فينبّه على هذا الخطأ أو على هذا الصواب مستعيناً في بعض الأوقات بأقوال فريق من كبار الشعراء والكتّاب في عصور فرنسة الأدبية .

كلّ ما تقدمت الإشارة إليه لا يهمّ رجال لغتنا ، وإنما المهمّ على ما أعتقد إنّما هو مقال كتبه « ألبر بايه » وعنوانه : على هامش معجم المجمع الفرنسي ؛ في هذا المقال أشياء كثيرة قد يجد فيها رجال اللغة سبيلاً إلى الأخذ والردّ ، ولا بأس بالإشارة إليها .

أعلن المجمع الفرنسي من سنين أنّ طبعة معجمه قد شُرع فيها سنة ١٩٣٧ وإذا جرت الأمور مجراها فان هذه الطبعة قد يفرغ منها سنة ٢٠٨٥ . وقد جاء في إعلان المجمع أنه اطّرح جملةً من الألفاظ وقبل جملةً أخرى .

لم يعترض كاتب المقال على ما قرّره المجمع الفرنسي في هذا الباب ، وإنما سأل هذا السؤال : من أين جاء المجمعَ الحقُّ في قبول طائفة من

الألفاظ واطراح طائفة ثانيـــة . في الأصل جاءه هذا الحق من الملك وهو يعني بذلك الملك لويس الرابع عشر الذي عهد إلى المجمع أن يضع مفرداتٍ للطبقة المصطفاة من الشعب ، غير المفردات التي تستعملها العامّة في لغتها ، فاطّرح المجمع دون شيء من الشفقة ألفاظاً أكل الدهر عليها وشرب وألفاظاً عامية وألفاظاً فنية وألفاظاً تظهر عليها آثار التكلّف ، وهكذا فقد حُدّدت لغة خاصّة لطبقة من الأشراف ، وقد أضاف الكاتب إلى قوله المتقدّم أن هذا العمل كان مقبولاً في حين تقريره لأنّ القرن السابع عشر قد جاء بآياتٍ بيّنات في الأدب ، إلاّ أنّ الأحكام تختلف على اختلاف الأزمان ، فالقرن العشرون غير القرن السابع عشر ، ثم أشار الكاتب إلى ألفاظ اطّرحها المجمع الفرنسي لعاميّتها واعترض على هذا العمل بانياً اعتراضه على أنّ « هوغو » و « بلزاك » كانا يستعملان في لغتها ألفاظاً عاميّة وقد كثر في هذا العصر الكتّاب الذين يستعملون هذا النوع من الألفاظ .

لقد ألقى المجمع الفرنسي الألفاظ الجافّة والألفاظ القذرة فكان مثله في ذلك مثل المتقدّمين من العلماء الذين كانوا يأنفون من فحص مواد تتقزّز النفوس منها ، ثم إنّ المجمع إذا قرّر أنّ هذا اللفظ إنما هو قديم وغير مستعمل فانه لا يستطيع أن يأتي ببرهانٍ على قراره ، فبناءً على كل ما تقدّم إن الطبعة التي ستتمّ سنة ٢٠٨٥ ستكون طبعة باطلة فان الناس ينتظرون العمل المطابق لروح العلم الحديث ، والذين يدركون روح العصر يعلمون أن الألفاظ ليس فيها ما هو شريف وما هو غير شريف ؛ لا مفاضلة بين الألفاظ ، فان اللغة تشتمل على ألفاظ قد استعملت في العصر الفلاني أو في المجتمع الفلاني ، فمهمّة رجال اللغة الأولى أن يسجّلوا هذه الألفــــاظ والمهمّة الثانية وهي أصعب أن يحدّدوا تأريخ ميلاد هذه الألفاظ وشيوعها في المجتمع ، والمهمّة الثالثة وهي أصعب المهمّات تنحصر في تحديد معاني هذه الألفاظ . وقد تعجّب الكاتب في الخاتمـــة من الأمر الآتي : إنهم

لم يُعنوا حتى هذا اليوم بإحصاء الألفاظ التي وجدت في اللغة الفرنسية من القرن الحادي عشر حتى القرن العشرين ، ولماذا هذا كله ، لأنّ الذين عملوا المعجمات اهتمّوا بتوجيه العرف والاصطلاح بدلاً من اهتمامهم بتسجيل هذا العرف وهذا الاصطلاح فان عملاً مثل هذا العمل يستلزم تهيئة جماعات لها العُدّة الصالحة ، غير أنّ هذا العمل إذا تمّ فانه قد يُفضي بعلم النفس وبعلم الاجتماع إلى تقدّم عجيب ؛ إن عملاً مثل هذا العمل قد يكون من عواقبه خصب اللغة ، فانّ علم اللغات لا يزال متأخراً عن علوم الطبيعة .

هذه خلاصة ما جاء في مقال « ألبر بايه » وأظن أنّ هذا المقال كتب من عشرين سنة .



أفلا يوحي إلينا هذا المقال أشياء كثيرة ؟ إنه يشتمل على آفاقٍ مديدةٍ مختلفة ، وقد يضيق مجال الإفاضة في كلّ هذه الآفاق في مقال واحدٍ لقد ألمع الكاتب إلى حق المجامع في اطّراح ألفاظ من اللغة وقبول ألفاظ وتكلم على طبقة من الألفاظ من حيث شرفها وانحرافها عن هذا الشرف كما تكلّم على تاريخ ميلاد الألفاظ ، وهو يعني بهذا الميلاد متى ولد اللفظ الفلاني ومتى عاش أو مات ، أو متى انتقل معناه من وجهٍ إلى وجهٍ .

إن الاندفاع في كل أفق من هذه الآفاق في مقال واحد لا يتسع له المجال ، ولكني أقتصر على أفق واحد ولا أشبع القول في هـــذا الأفق وإنما أختصر الكلام اختصارا .

في لغتنا كثير من الألفاظ العامية التي استفاضت في العامّة وأصبح لها معنى قوي ما أظن أن غيرها من الألفاظ الفصيحة يقوم مقامها في الإعراب عن هذا المعنى ؛ في جملة هذه الألفاظ قولنا : تطنيش . . . حردان . . .

زعلان ... وكما نجد في لغتنا العامّة ألفاظاً قوية فكذلك نجد فيها تراكيب قوية مثل قولنا : كلامه قَطْع وَلحْش .

لا بأس بتحديد معاني هذه الألفاظ والتراكيب ، فالتطنيش في لغة العامة معناه قلّة المبالاة بما يقوله محدّثنا أو قلّة الالتفات إلى ما يطالبه أو قلة الاهتمام بما ينبّهنا عليه ، فإذا قلنا لفلان كذا وكذا فطنّش فنحن نريد بذلك أنه لم يكترث لقولنا ، أو إذا ألتمسنا منه كذا وكذا فطنّش فنحن نعني بذلك أنه جعل ملتمسنا ورآء ظهره ، فهو قد فهم ما نقول وعرف ما نلتمس ولكنه لم يبال بكل هذا ، وما أظن أن هذه المادّة العاميّة تقوم مقامها مادة فصيحة ، ليس معنى الأمر أن اللغة تضيق عن أداء مثل هذا المراد وإنما معناه أن هذه المادّة العاميّة أقوى من غيرها لاستفاضتها في العامّة وشدّة تأثيرها في الأذهان .

وإذا لم يكن لمادّة التطنيش أصل في اللغة فانّ لمادّة الحَرْدان أصلاً فصيحاً ؛ من جملة معاني هذه المادّة : حرد كضرب وسمع غضب ، فهو حارد وحرِد وحَرْدان ، ولكن إذا قلنا : فلان غضبان ، فان هذا القول لا يعدل في القوّة قولنا : فلان حَرْدان ، فالحردان يغضب ثم يعتزل ويتنحّى ، فهو لا يحضر مجلس الوزراء إذا كان وزيراً ولا مجلس الحزب إذا كان داخلاً في هذا الحزب ، فلفظة الحردان أقوى من لفظة الغضبان وهذه اللفظة فصيحة من جهة ومن جهة ثانية إن من معانيها الاعتزال والتنحّي ، فالرجل الحارد أو الحريد هو المعتزل المتنحّي .

ولكن إذا استطعنا أن نجد أصلاً فصيحاً للحردان فاننّا لا نجد مثل هذا الأصل للزعلان العامية ، فالزعلان في لغة العامة معناه معروف ، وما أظن أن لفظاً آخر يسدّ مسدّه على كثرة ما تحتوي عليه اللغة من مفردات الهمّ أو الانكسار أو الحزن أو ما شابه ذلك وقد سمّوا قديماً : زعلان ولكن من الزّعَل وهو النشاط .

وإلى جنب هذه المفردات العامية نجد تراكيب تشيع على ألسن العامة منها قولنا : فلان كلامه قطع ولحش ... أي أنه يتكلم ولا نظام في كلامه ولا تنسيق ولا منطق ولا تسلسل ولا صلة ، فأيّ تركيب ينوب عن هذا التركيب ، لا ريب في أن مادّة القطع فصيحة وأن مادّة اللحش غير فصيحة ولكن قد تكون العامة تصرّفت فيها بعض التصرف كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مقال متقدّم ، فان قولنا : وحش بثوبه معناه : رمى ، فقد يجوز أن العامّة حذفت الواو في لغتها وجعلت بدلاً منها لاماً ، ثم نقلت هذه المادّة إلى المجاز فقالت : كلامه قَطع ولَحْش ، وهو الرمي بالكلام دون تدبّر .

ما هو رأينا في أشباه هذه الألفاظ العامية ، إذا كنّا معاشر المحافظين على فصاحة اللغة نجتنب استعمال الألفاظ العامية في كتاباتنا أفلا يجوز لنا أن نعترف بقوة هذه الألفاظ وأثرها ؟ أفلا يجوز لنا أن نُعنى بتدوينها في معجم خاص ؟ وقد عُني بمثل هذا الأمر في المملكة المغربية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فسمّى معجمه : معجم الأصول العربية والأجنبية للعامّية المغربية . لقد اهتمّ تأريخنا في القديم بالطبقات الخاصة أكثر من اهتمامه بالطبقات العامّة على أن لهذه الطبقات العامّة لغة خاصة ؛ إن لها فكراً وشعوراً وذوقاً فلماذا لم يلتفت تاريخنا إلى هذه اللغة فيدونها في معجم خاص ويوضّح معانيها فان المعجمات تشتمل على روح الأمة ، على لحمها وعظمها ودمها ؛ والطبقات العامّة جزء من هذه الأمة ، وقديماً لم يتذمّم إمام من أئمة البلاغة وأعني به الجاحظ من استعمال بعض ألفاظ عامية ؛ وإذا كنّا في عصرنا نتذمّم من مثل هذا الاستعمال ، إذا كان من الواجب علينا أن نرفع لغة العامّة إلى أفق لغة الخاصّة فمن حق العامّة أن ندوّن لغتها في معجم خاص يوضح معاني مفردات هذه اللغة .



شفيق جبري

كلمات من الصحاح
في عاميّة أهل الفرات
وردت في كتيب
(التبغ في حياة الناس)
من تأليف الأستاذ عبد القادر عياش

أحب **دير الزور** ، حاضرة الفرات ، حيثُ رأى النور لأول مرة ، وكانت على أرضها مدارج طفولته ، وعلى شطآن الفرات مرابع صباه ، فهام بها حبّاً ، حتى غدا أريج ترابها يغذوه وعبير طرفائها ينشيه ، ولما شبّ وفى دينه لوادي النهر العظيم ، فوقف جهوده وما ورثه أو يجنيه من مال على خدمة هذا الوادي ، ناشطاً في دراسة تاريخه ، هاوياً جمع آثار من أقاموا فيه ، دائباً على البحث والتنقيب عن عادات وتقاليد المعاصرين والغابرين من أهل الفرات ، مدوناً ما يتجمع لديه من أعراف ومفاهيم تتصل بحياتهم الشعبية ، فإذا صنفها أخرجها للناس في كتيّبات أطلق عليها اسم (**سلسلة تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات**) ، وقارىء هذه البحوث يجد فيها لمحات تاريخية عما ورثه أهل الفرات عن أسلافهم من عادات وتقاليد ، كما يجد فيها صوراً رائعة ووصفاً ممتعاً لحياة الناس في بيوتهم وفي معايشهم ، وفي مزارعهم وحقولهم الممتدة على شواطىء الفرات مصدر الخصب والثروة في كل من سورية والعراق .

ذلك هو **الأستاذ عبد القادر عياش** الذي تفضل وأهدى إليّ آخر ما أصدره من أبحاثه المديدة ، وكان بعنوان (**التبغ في حياة الناس**) فاستمتعت بقراءة طائفة من المعلومات الطريفة عن تاريخ التبغ وبدء انتشاره في البلاد

العربية ، وعن صناعته وأساليب تدخينه ، كما استمتعت بالاطلاع على طائفة من التقاليد التي يرعاها المدخنون عادةً ، وبشيء مما قيل في التبغ من شعر أو نثر ، وقد عثرت خلال أسطر هذا الكتيّب على معلومات لغوية ثمينة ، فقد جمع المؤلف الفاضل فيه ، الأمثال والأقوال التي يتداولها الناس في وادي الفرات فيما يتصل بمعاناة تدخين التبغ ، وفيها عدة كلمات عليها طابع العامية وهي في حقيقتها من الصحاح ، انتهى بها الاستعمال إلى معانيها الشائعة اليوم ، وقد التقطتُ مما ورد في الكتيب المشار إليه الكلمات التالية :

اللّمْج — لُمْجَة

[ويسمى مضغ التبغ في بادية الفرات (لِجّة) بكسر اللام ؛ ويسمى الماضغ (لَمّاج) بفتح اللام وفتح الميم وتشديدها ، وتسمى الماضغة (لَمّاجة) ، والفعل (لَمجَ يلمج) وبعض (اللمّاجات) تُبقي (اللمجة) ساعات في فمها ..] .

وفي الأمّهات : [١]

اللَّمْج : الأكل بأطراف الفم ؛ وقال اللّيث : اللّمْج : تناول الحشيش بأدنى الفم . قال لبيد يصف عَيْراً :

يَلْمُجُ البارِضَ لَمْجاً في النّدَى   من مَرابيع رياضٍ ورِجَلْ

وأول ما يطلع من النّبات تَلْمَجه لَمْجاً أي تَنْتِفه .

واللُّمْجة : ما يُتعلّل به قبل الغداء ، وقد لَمَّجْتُهُ ولَهَّنْتُه بمعنى واحد .

قال أبو عمرو : التَلَمُّج مثل التَلَمُّظ . ورأيته يَتَلَمَّج بالطعام ، أي يتامَّظ .

وقولهم : ما ذُقتُ شَمَاجاً ولا لَمَاجاً ، وما تَلَمَّجْتُ عنده بلِمَاج ، وهو أدنَى ما يُؤكَل ، أي ما ذُقت شيئاً .

واللامِجُ : اللاغِم ، وهو ما حول الفم .

وإذا كان (المضغ) لغةً : لوك الطّعام بالأضراس ؛ فإنّ (اللّمج) بالتبغ أولى ، لأن من اعتاد وضع التبغ في فمه ، إنما يتامّج به تلَمّجاً ثم يَمَصّ نُقَاعتَه من اللعاب .

شَرِب ـ مَشْرَب ـ شَرَّاب

[يطلقون على تدخين التبغ فعل (شَرِب) وعلى المُدخِّن (شرَّاب) وجمعه (شَرَّيبة) وعلى حاملة السيكارة (المَشْرَب)] .

وفي الأمّهات :

شَرِب الماء شَرْباً وشُرْباً : جرعَه ، والشِّرْب : الماء بعينه يُشْرَب . والشِّرْبُ أيضاً : وقت الشُّرْب ؛ والمَشْرَبُ : الوجهُ الذي يُشْرَبُ منه ويكون مَوْضِعاً ، ويكون مصدراً . والمَشْرَب أيضاً : الشُّرْب نفسه .

والشَّرَاب : اسم لما يُشْرب ، وكل شيء لا يُمضَغُ فإنه يقال فيه يُشْرَب .

والشَّرِيبَ كالشِّرِّيب وزن سكِّيت : المولَعُ بالشَّراب ، والشَّرَّاب : الكثير الشُّرب كالشَّروب .

والمِشرَبَةُ : إناء يُشرَب فيه .

من هذا نجد أن الأصل في معنى (الشرب) هو جَرْع الماء ، ثم استعملت هذه الكلمة في كل ما لا يمضغ من السوائل ، ويوم عرف الناس التبغ [١] ، أنزلوا الدخان منزلة السوائل فقالوا : (شُرْب الدخان) وإذا كان من الخطأ القول بأن الدخان (يُشرب) فان إطلاق لفظة (المَشْرب) على ما يسميه البعض (المَبْسِم [٢]) يتلاءم مع ذلك الخطأ وهو صحيح مثل بقية الألفاظ المشتقة من فعل (شَرِب) .

---

(١) عندما عرف الناس التبغ في البلاد العربية أطلقوا عليه اسم (التتن) ، وقد أطلق مجمع دمشق عليه اسم التبغ أو الدّخان ، مقترحاً تسمية (السيكارة) بلفيفة أو لفافة ، وأطلق الأب أنستاس الكرملي على (السيكارة) كلمة دُخينة وعلى (السيكار) اسم دُخنة ، وأخيراً أقرّ مجمع القاهرة كلمة (التدخين) وأثبت المعجم الوسيط ما يلي : دخَّن التَّبغ ونحوه : أحرقه متعاطياً إياه (مج) .

(٢) المَبْسِم لغةً : الثّغر . وعند بعض المحدثين : أنبوبة من خشب أو معدن أو نحوهما ، توضع فيها لفافة التدخين ، أو تُدخن بها النارَجيلة (المعجم الوسيط) .

كَثَح

[يقولون : فلان (يكثح سيكارة) أي يدخن . ويقولون : خذ (كَثّح) أي دخن] .

وفي الأمّهات :

كَثَحتْ الرّيح فلانا : سَفَتْ عليه الترابَ ، أو نازعته ثيابه ، وتكاثحوا بالسيوف : تكافحوا ، وكَثَحَ من المال ما شاء : أخذ مثل كَسَح ، وكَثَحَ الشيء : جمعه وفرّقه كأنّه ضدّ .

ومن المجاز ـ على ما يظهر ـ استعمل العامّة فعل (كَثّح) بمعنى : بدّدَ ونفّخ ، أو دخّنَ .

عَمّر النفَس ـ تَعْميرَة

[يقال (عمّرَ نَفَس تنباك) لتدخينه أي أعدّه ، ويُسمّي البعض النَفَسَ تَعْميرَةً] .

وفي الأمّهات :

١ـ عَمَرَ يَعْمُر ويَعمِر : بقي زماناً .

وحكى ابن الأعرابيّ : عَمَرَ ربَّه : عبَدَه ، وعَمَرَ البيت : خدمه ، والمعمور المخدوم .

وعَمَرَ اللهُ منزلك عمارة ، وأعمره : جعله آهلاً .

وعمّرَه الله : أبقاه ، وعمّر نَفْسَه : قدّر لها قدَراً محدوداً .

وعمَّرْتُك اللهَ تعميراً : سألت اللهَ أن يطيل عُمرك .

وعمّرَ الثوبَ : أجاد نسجه وأحسن غزلَه وليَّنَه .

والعامة تقول : عمّر بمعنى : بنَى ، وهذا المعنى لم يُسمع في الفصيح ولكن المتأخرين من العلماء أجازوه على سبيل المجاز .

٢ – النَّفَس : خروج الهواء من الفم أو الأنف . والنَّفس : الجُرْعة .
والنَّفَس : الفرج من الكرب .
ونَفَّسَ عنه تنفيساً ونَفَسا . فرَّج ، ونَفَّس كربتَه : كشفها .
وتَنَفَّس : استمدَّ النَّفَس فأدخله إلى باطنه وأخرجه .
وتَنَفَّسَ في الإناء : شرب من غير أن يُبِنه عن فيه .
ومن هذا نرى أن إطلاق تعبير (تعمير نَفس) من قبل العامة للدلالة على تهيئة (نارجيلة) لتدخينِ (التُّنباك) بها هو من قبيل المجاز المقبول ، وكذلك إطلاق لفظة (تعميرة) على المرة الواحدة من إعداد (النارجيلة) للتدخين بها ، كما أن إطلاق لفظة (النَفَس) على كامل مدة التدخين يعتبر مجازاً مقبولاً .

نَفَّض – مُنفِّض

[يقولون : فلان (مُنَفّض) من الدُّخان ، أي خالٍ منه] .
وفي الأمّهات :
أنْفَضَ القومُ : نَفَدَ طعامُهم ، مثل أرملوا ، وقومٌ نَفَضٌ : أي نفَضُوا زادَهم ؛ وكأنهم نَفَضُوا مزاودَهم لخلوّها ، وانفَض مثل أرمَلَ وأقفرَ ، والإنفاضُ : المجاعةُ والحاجة . وأنفضُوا زادهم : أفنوه : قاله ابن دريد وجعله متعدّياً .
وفي المحكم : نَفَضَه تنفيضاً : نَفَضَه ، شُدِّد للمبالغة .
وعلى هذا فمن استهلك ما معه من التبغ ، أو كان خاليَ الوِفاض منه ، فقد أنفَض ونَفَّض فهو مُنَفِّضٌ .

مُقلّم ــ مُجلّم

[يقولون : (مُجلّم) أي ليس معه دخان] .

وفي الأمهات :

إنّما قيل للسهم قلَم لأنّه يُقلَم أي يُبرَى . وكلُّ ما قطعتَ منه شيئاً فقد قلمتَه ، من ذلك القَلَم الذي يُكتب به ، وإنّما سُمّيَ قلماً لأنّه قُلِمَ مَرّةً بعد مرّة .

والقَلَمُ : الجَلَمُ ، وكلاهما صحيح .

وقَلَمَ الظُّفُرَ والحافر والعود يَقْلِمُه قَلْماً وقلّمه : قطعه وبَرَاه . ويقال للضَّعيف : هو مقلوم الأظفار .

القلَمة : العُزّاب من الرجال ، وامرأة مقلّمة : أي أيّمٌ بغير زوج . قال ابن الأعرابي : وخَطَب رجل إلى نسوة فلم يُزَوّجنه ، فقال : أظنكنّ مقلّمات ، أي ليس لكنّ رجل ولا أحد يدفع عنكن .

وجَلَمَ الشيء : قطعه ، وجَلَّم الشَّعرَ والصوف : جَزّه . وجلَم الجزور (١) : أخذ ما على عظامها من اللّحم .

وكأن أهل الفرات رأوا صاحب التبغ يَقْلِمُه مرةً بعد مرة ، فإذا أنفَض ، وصفوه بالمقلّم أو المجلّم مجازاً .

خَرِم ــ خَرْمان

[يقولون : فلان (خرمان) أي ليس لديه ما يدخّنه مع رغبة شديدة في التدخين] .

في الأمهات :

خرِم الرّجلُ : تشقّق أنفُه ، وخَرِمَ أنفُه : انشقّتْ وَتَرَته .

(١) تقول العامة في بلاد الشام : جَرّم اللحم للمعنى نفسه .

وتخرَّمت وترةُ أنفِه ، قُطِع طرف أرنبته شيئاً لا يبلغ الجَدْع . فهو أخرم ، وهي خرماء .

ومن المجاز : اخترمَ فلانٌ أي مات ، واخترمته المنيَّة : أخذته .

ومنه أيضاً : الخَرْم في الشعر : ذهاب الفاء من فعولن .

ورأى النَّاس – على ما يظهر – من يفتقد التبغ ، وقد اعتاد تدخينه ، كيف يلوب أو يدوخ وكأن أنفه قد خُرِم ، فاستسهلوا صيغة (خرمان) وزن (جَوْعان) ، فوصفوه بها ، وهي صيغة أدلّ على الحالة النفسية التي التي يعانيها أمثاله من صيغة (أخرم) .

لَقَعَ – لَجَعَة

[وفي الأقوال الشعبية : أول مغرته : لجعةُ النار بيدك ..]

وفي الأمهات : لقَعَت الحيَّةُ : لدَغت ، ولقَعَه بعينه : أصابَه بها ؛

والمعروف أن القاف تنطق عند كثير من أهل البادية جيماً ، فلقعةُ النار عند أهل الفرات : تعني : لذعة النار أي كيّها .

عدنان الخطيب



نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٤ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
7170	Incoagulable	لا خثور ، لا يتخثر	٧١٧٠

(1) — (١)

ولا يتجلط أيضاً (كما أقرها مجمع اللغة)[١] .

7170	Incoercible	لا ضبوط ، لا يُضبط	٧١٧٠

(2) — (٢)

لا يتوقف أو لا يمكن توقيفه كقولنا : قيء لا يتوقف في ترجمة (vomissement incoercible)

7171	Incohérence	عدم التوافق أو التناسق	٧١٧١

وأرجح عدم الترابط أو الارتباط كقولنا آراء غير مترابطة ترجمة لِ (idée incohérente) في الأمراض العقلية .

(١) الصفحة ٤١٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

٧١٧٨ لا شعور ، حالة اللاشعور — 7178 Inconscience, état d'inconscience

فقد الوعي ، لا شعور حالة فقد الوعي .

٧١٧٩ فاقد الوعي ، غافل — 7179 Inconscient (l')

فاقد الوعي فقط ، ولا أرى لفظة غافل تفي بالمعنى المقصود (١) .

٧١٨٥ تَسلَّس تصبباً ، سلس متناقض — 7185 Incontinence par regorgement, incontinence d'urine paradoxale, ischurie paradoxale, fausse incontinence.

سبق لي التعليق على هذه اللفظة (٢) بترجمة الأولى من الألفاظ بسلس البول بالطَّفْح أو بالفَيْض وسلس البول العجيب (ترجمة paradoxale) وأضيف إلى ذلك ترجمة (ischurie paradoxale) بقطور (٣) البول العجيب ثم سلس البول أو المَثَن (٤) الكاذب .

هذا وقد أقر مجمع اللغة لفظة الشَّفْية (٥) ترجمة لِ (dribbling of urine) وجاء في التعريف : نزول البول قطرة قطرة . وتصلح هذه اللفظة للدلالة على نوعين من اضطراب سيلان البول : أحدهما يتأتى عن امتلاء المثانة المفرط وفيض البول أو طفحه إثر ذلك ، والثاني عدم بقاء البول في المثانة بشلل

---

(١) في اللسان : غَفَل عنه يَغْفُل غُفولاً وغَفْلة ، وأغفله عنه غيره وأغفله تركه وسها عنه .

(٢) الصفحة ٦٥١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في تاج العروس : قطر الماء والدمع وغيرهما من السَّيَّال يقطُر قَطْراً بالفتح وقطوراً بالضم وقَطَراناً محركة ، سال ، وقطره الله أماله يتعدى ولا يتعدى وأقطره لغة قطرة قطرة .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في اللسان : الشفية تقطير البول والاسم الشَّفي . الشَّفية أن يقطر البول قليلاً قليلاً .

مُصيرتها ومنه سيلان البول قطرة قطرة دونما استمساك [1]. لذا أرى أن يكون التمييز بينها بأن تدعى الحالة الأولى شغبية أو تشغية الطفح أو الامتلاء ، والثانية تشغية الشلل أو السَّلَس الشللي .

٧١٨٦ عدم ارتباط ، عدم انتظام 7186 Incoordination

وأرجح عدم التناسق تاركاً عدم الارتباط أو الترابط ترجمة لِـ (incohrence) وعدم الانتظام لِـ (arythmie) [2] .

٧١٨٧ ضم ، جمع الأجسام ، مَزْج 7187 Incorporation en-globement

وأفضل دَمْج وإدماج ثم شَمْل ، وأقر مجمع اللغة اندماج .

٧١٨٨ إفراغ داخلي 7188 Incrétion

والصحيح إفراز داخلي [3] وجاء في المعجم الأصلي لفظة أخرى بعد هذه اللفظة إيضاحاً لها وهي (sécrétion interne) ومعناها إفراز داخلي وقد أهملتها اللجنة وافراغ ترجمة لِـ (excrétion) (انظر اللفظة ٥٤٠١ في هذا المعجم) .

٧١٨٩ حِشاء تَرْصيع 7189 Incrustation

والصحيح تغطية ، تلبيس [4] أو تغشية وليس لحشاء وترصيع أن تفيا بالمعنى [5].

---

(١) انظر شرح لفظة (dribble) في معجم بلاكستون (Blakiston's) وجاء فيه ما يلي : الافراغ بقطرات للبول من مثانة متوترة أو مشلولة .

(٢) الصفحة ٦٢٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء في شرح اللفظة في معجم (M. Garnier V. J. Delamare) : ضد الافراغ (excrétion) وتدل اللفظة على إفراز غددي يبقى داخل البدن .

(٤) وجاء في شرح هذه اللفظة في معجم بلاكستون (Blakiston's) : وهو تكوّن قشر من جراء نتحة (exudate) أو نَدْبة أو قشرة جافة .

(٥) في اللسان : حشأه بالعصا حشأً مهموز ضرب بها جنبيه وبطنه ، وحشأه بسهم يحشؤه حَشْأً رماه فأصاب به جوفه الخ .
والترصيع : التركيب يقال تاجٌ مرصّعٌ بالجوهر وسيف مرصّع أي محلّى بالرصائع وهي حَلَق يحلّى بها ، الواحدة رصيعة ورصّع العقدَ بالجوهر نظمه فيه وضم بعضه إلى بعض .

٧١٩٠ حيشاء كِلْسي ، تَرصيع كلسي Incrustation calcaire 7190

والصحيح رسوب كلسي[1] .

٧٢٠٧ قرينَة الانكسار، نسبةالانكسار Indice de réfraction 7207

وأقر مجمع اللغة معامل الانكسار وجاء في الشرح : معامل انكسار الضوء عند نفوذه من وسط مشف (شفاف) إلى آخر مشف : هو النسبة بين جيب زاوية السقوط في الأول إلى جيب زاوية الانكسار في الثاني ، وإذا أطلق المصطلح قصد به أن الوسط الأول هو الخلاء .

٧٢١٦ ممانعة التأثير الذاتي (كهربا) Inductance 7216

وأرجح نسبة التأثير .

٧٢١٩ تصلب ، انظر تكثف Induration, v. concrétion 7219

وأفضل قساوة ، انظر رسوب . إذ سبق للجنة أن استعملت على صواب لفظة تصلب ترجمة لِ (sclérose) (اللفظة ١٢١٤٩) .

٧٢٢٠ تصلب أسمر (رِئة) Induration brune 7220

أقول قساوة سمراء .

٧٢٢١ تصلّب ازرِقاقي Induration cyanotique 7221

وأرجح القساوة الزُرَاقية أو الزُرْقية .

٧٢٢٢ تصلب أشهب أو أبيض Induration grise ou blanche 7222

وأفضل قساوة رَمادية أو سنجابية ثم بيضاء .

٧٢٢٣ تصلب الرئتين مع ارتشاحها الصباغي Induration avec infiltration pigmentaire des poumons 7223

أقول قساوة الرئتين مع ارتشاحها الصباغي .

(١) انظر شرح اللفظة في معجم لاروس (Larousse) .

7224 Induration rouge ٧٢٢٤ تصلب أحمر

وأرجح قساوة حمراء .

7225 Induré, ée v. scléreux ٧٢٢٥ متصلب ، انظر تصلبي

قاسي ، انظر تصلبي .

7228 Inégalité pupillaire ٧٢٢٨ عدم تساوي الحدقتين

والصحيح عدم تساوي البؤبؤين [١] .

7230 Inerte ٧٢٣٠ غُفْل

والأفضل ترجمة اللفظة بهامد أو ساكن ، وعلى ذلك يصبح همود الرحم أو سكونها ترجمة لـ (inertie utérine) للدلالة على كفها عن التقلص والحركة ، وقد أقر مجمع اللغة ترجمة الأخيرة بقصور الرحم (وقد أهمل المعجم الأصلي إثبات هذه اللفظة) وجاء في الشرح : هو نقص في قوتها أثناء الولادة . وأرى سكون الرحم أو هدوءها أو همودها أفضل ، ولأن القصور خصصت لترجمة (insuffisance) .

7234 Infarcisation, infarcissement ٧٢٣٤ احتشاء ، امتداد

وأرجح الفَعامة والفعومة [٢] بدلاً عنها ، لاستعمال لفظة الاحتشاء ترجمة لـ (infarctus) (اللفظه ٧٢٣٥) وكذلك الامتلاء المستعملة ترجمة (pléthore) (اللفظة ١٠٤٦٢) .

7235 Infarctus ٧٢٣٥ احتشاء ، سُداد

والأفضل الاقتصار على احتشاء فقط .

---

(١) الصفحة ٤٧٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس المحيط : فَعُمَ الساعد والإناء ككرم فعامة وفعومة امتلأ فهو فعيم .

7240 Infectant, ante ٧٢٤٠ مُعْدٍ ، مُخْمِج ، سارٍ

وأرجح مُحدث الانتان [١] أو العفونة وتخصيص لفظي معدٍ وسارٍ ترجمة لِ (contagieux) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٣١٤٦) .

7241 Infecté, ée ٧٢٤١ مُعْدى ، مخموج

وأفضل مصاب بالانتان أو بالعفونة .

7242 Infecter, contaminer ٧٢٤٢ أعدى ، لوّث

أصاب بالانتان ، لوّث .

7252 Infection septique, fièvre septique ٧٢٥٢ تخمّج مُنْتِن ، حمى مُنْتِنة

وأرجح انتان عَفَني ، حمى عَفِنة .

7253 Infection transmise par les mains ٧٢٥٣ عَدْوى بالأيدي

أقول الانتان الساري بالأيدي [٢] .

7254 Infectiosité ٧٢٥٤ خموجية

وأرجح حالة الانتان وامكانية الانتان .

7257 Infiltrat ٧٢٥٧ شُرابة

وأرجح رُشاحة (وقد ترجمت اللجنة لفظة infiltration بترشيح أيضاً) .

7275 Inflammation nécrosante ٧٢٧٥ إلتهاب ناخر

وأقر مجمع اللغة تعريب (nécrose) بالنيكروز أيضاً ، فتصبح الترجمة ناخر ومُنكْرز ونكروزي أيضاً .

---

(١) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) انظر الصفحة ٩٦ من المجلد الرابع والثلاثين وشرح اللفظة (٧٢٤٠) .

٧٢٧٦ التهابٌ مُتَشَعِّبٌ مُهَيْكِل - Inflammation proli - férative hyperplasique 7276

والصحيح التهاب تكاثري فائق النماء .

٧٢٨٢ سيّالة Influx , flux 7282

وأرجح تدفق ، سيلان .

٧٢٩١ نُقاعة زَهْر البَلَسان Infusion de fleurs de sureau 7291

٧٢٩٢ نقيع Infusion froide 7292

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بنقيع ـ منقوع وتسريب . وجاء في الشرح : المنقوع محلول مصفى ناتج عن غمر عقاقير نباتية في سائل تقل درجة حرارته عن درجة الغليان .

والتسريب إدخال سائل في الوريد ببطء ، كمحلول الجلوكوز .

٧٢٩٤ أقوات Ingesta 7294

وأرجح المأكول والمشروب . لأن المقصود من اللفظة ما يدخل أنبوب الهضم من طعام وشراب اطلاقاً . والقوت (١) غير ذلك .

٧٢٩٥ ابتلاع ، ازْدراد Ingestion 7295

والأفضل بل الصحيح الأكل أو الاغتذاء كما أقرها مجمع اللغة وجاء في الشرح هو تناول الطعام . لأن لفظتي ابتلاع وازدراد مخصصتان للفظتي (avaler) (اللفظة ١٣٢٧) و (déglutition) (اللفظة ٣٨٨٦) .

٧٣٠٠ منَع ، نهى Inhiber 7300

ودرجت على ترجمتها بثَبَّطَ وأراها أفضل بالمعنى الطبي خاصة .

(١) في اللسان : القوت ما يُمْسِك الرَّمَق من الرزق ، المُمْسِكة من الرزق ، ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام .

7302 Inhibition respi - ratoire paralysie du centre respriatoire — نَهيٌ تنفسيٌ ، فَلْج مركز التنفس ٧٣٠٢

والصحيح نهيٌ أو تثبطٌ تنفسي ، شلل مركز التنفس ولأن لفظة فَلْج [1] لا تفي بالمعنى المقصود . وعندي لا يصح استعمال لفظة الفَلْج والفالج إلا ترجمة للفظة (hémiplégie) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٦٦٦٨) وتبقى لفظة شلل ترجمة لِ (paralysie) كما فعلته اللجنة أيضاً (اللفظة ٩٧٧٣) .

7306 Initier — قَبِل ، أشرك ، أدخَل ٧٣٠٦

ولعلَّ علَّم ودرَّب بالمعنى الطبي أفضل .

7311 Injection déchainante — حَقْن مثير أو مُحرِّض ٧٣١١

ومُطْلِق أو مُحلِّل كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانيـــة للمعجم الأصلي [2] ولأن لفظة مثير قد استعملت ترجمة لِ (excitant) [3] ومحرِّض أو حاث ترجمة لِ (stimulant) .

7388 Injection intraveineuse massive , infusion in - traveineuse — حَقْن وريدي بكمية كبيرة ، ري وريدي ٧٣١٨

وأرجح تسريب وريدي [4] كما أقرها مجمع اللغة [5] .

(١) في اللسان : الفَلْجُ كل شيء نصفه ، وفَلَجَ الشيءَ بينهما يفلِجه بالكسر فلجاً قسمه بنصفين والفالج القسم إلى أن قال وانفلجت الشيء فلجين أي شققته نصفين ، وكلّ شيء شققته فقد فلجته . والفالج ريحٌ يأخذ الإنسان فيذهب بشقه وقد فلج فالجاً فهو مفلوج .

(٢) (releasing) في الانكليزية و (auslösende) في الألمانية .

(٣) الصفحة ٨٧٥ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٣٢ من هذه المجلة .

في اللسان : سَرِبَت العين سَرَباً وسَرَّبت تَسْرُب سروباً وسَرَّبت سالت .

(٥) سبقت الملاحظة على هـــذه اللفظة (الصفحة ٦٥٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة) .

7324 Innervation إعصاب ٧٣٢٤

وأقر مجمع اللغة إعصاب وإمداد بالعصب ، لأن للفظة معنيين : الواحد توزع الغصون العصبية في بقعة ما من البدن ، والثاني ربط أحد الأحشاء بالعصب المجاور كقولنا إعصاب البيض ويعني إمداده بالأعصاب .

7326 Innominé , ée مُهْمَل ، لا اسم له (غير مسمّى) ٧٣٢٦

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بلا اسمي ولا مسمّى .

7331 Inopérable لا يُبْضَع ، غير قابل البَضْع ٧٣٣١

وأقر مجمع اللغة عَصِيّ الجراحة .

7336 Inquiétude قَلَق ، ضَجَر ، عدم ارتياح ٧٣٣٦

وأرجح مُلال وتَمَلْمُل (١) ، تاركاً لفظة قلق ترجمة لِ (angoisse) شأن ما فعلته اللجنة (٢) (اللفظة رقم ٧٥٤) وضَجَر ترجمة لِ (anxiété) (الرقم نفسه) .

7341 Insémination بَذْر ، إمناء ، إخصاب ٧٣٤١

7341 Insémination artificielle إخصاب اصطناعي ٧٣٤١

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بالتلقيح الصناعي . وجاء في الشرح : وهو التمنية الصناعية ، وتكون بوضع مني في المسالك التناسلية للأنثى . وعليه تكون ترجمة اللفظة الأولى تمنية . وقد سبق للجنة أن استعملت على صواب لفظة إخصاب ترجمة لِ (fertilisation) (اللفظتان ٥٦٣٤ و ٧١١٨) .

7343 Insertion إندغام ، إرتكاز ٧٣٤٣

وأفضل إدخال ، إقحام ثم ارتكاز كما جاء في الترجمـــة الانكليزية للمعجم الأصلي (٣) .

(١) في اللسان : والمُلال التقلب من المرض أو الغم ، وتَمَلْمَل الرجل وتَمَلْمَل تقلب .

(٢) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (insertion , intercalation) .

7354 Inspection فَحْص ، رقابة ، تأمل ٧٣٥٤

وأقر مجمع اللغة المعاينة وأرجحها مع التأمل .

7370 Instinct sexuel فِطْرة تناسلية ٧٣٧٠

وأفضل فطرة جنسية .

7372 Instinctif, ve impulsif, ve فِطْري ، باعث، مُحرِّض ٧٣٧٢

وأرجح فطري ودافع .

7373 Institution تأسيس ، تشييد ٧٣٧٣

إقامة وتأسيس ومؤسسة على ما أرجح .

7376 Insuffisance, défaillance, faiblesse قُصور ، وَهْن ، نَقْص ، ضَعْف ٧٣٧٦

وأرجح قُصور (أو تقصير) ، عَجْز وضَعْف مع تخصيص لفظة وَهْن تَرجمة لِـ (asthénie)[1] .

7382 Insuffisance mitrale قصور تاجي ٧٣٨٢

وأفضل قصور إكليلي[2] أو قِلَنْسي كما أقرها مجمع اللغة .

7396 Intégration استتمام ، استكمال ٧٣٩٦

وإدماج (كما جاء في معجم لاروس) .

7400 Intempérance شَرَهٌ ، إفراط ، نَهَم ٧٤٠٠

7401 Intempérant, ante شَرِهٌ ، مُفْرِطٌ ، نَهِمٌ ٧٤٠١

وأرجح إفراط وإسراف في الأولى ومفرط ومُسْرِف في الثانية .

(١) الصفحة ٧٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ١٠٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٧٤١١ حِرْمانٌ شرعي — 7411 Interdiction judicaire

وأرجح حَجْر (١) .

٧٤١٦ باطن إنسي — 7416 Interne

ومُعاوِد (٢) أيضاً . وهو الطبيب المبتدئ المقيم في أحد المشافي في السنة الأولى من الخدمة (٣) .

٧٤١٨ تَقَبُّل داخلي — 7418 Intéroceptif, ve

وأفضل استقبال داخلي أو حشوي ، وما يعنى باللفظة إمكانية استقبال أحد الأحشاء للمثيرات الباطنية المنشأ .

٧٤٢١ قاطعة تحليلٍ كَهْرَباوي — 7421 Interrupteur électrolytique

وأرجح قاطعة بالتحليل الكهربائي ، لأن المقصود أن يكون قطع التيار بالتحليل الكهربائي لا أن القطع موجَّه إلى التحليل الكهربائي .

٧٤٢٩ فَتْرة (مُوسيقى) — 7429 Interval (musique)

وأقر مجمع اللغة الفاصلة .

---

(١) في المعجم الوسيط : الحَجْرُ في الشرع : المنع من التصرف لصغَر أو سَفَه أو جنون . وجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي إيضاحاً للفظة ما يلي : وضع الشخص المصاب عقلياً قيد الرقابة الرسمية .

(٢) وهي لفظة من وضعي عوضاً عن الطبيب الداخلي ، وتطلق على الطالب في السنة الأخيرة من الدراسة في كلية الطب من جامعة دمشق أو في السنة الأولى بعد التخرج عندما يدعى الى العمل في أحد المشافي . وهو لقب رسمي معترف به قانوناً والجمع معاودون والعمل أو الوظيفة المعاودة . في اللسان : المعاود المواظب .

(٣) شرح اللفظة كما جاءت في معجم بلاكستون (Blakiston's) .

٧٤٣٥ ميعى (غليظة) 7435 Intestin (gros)

(١) مِجال (1) Ampoules

(٢) سَبائب عضلية (2) bandelettes musculaires

ويعنى باللفظة الأولى الانتفاخات البادية في المِعى الغليظ ، وقد جاءت ترجمة اللفظة في الانكليزية في المعجم الأصلي (sacculations) وأقر مجمع اللغة ترجمتها بجُرَيبات . أما مِجال و (ampoules) فقد سبقت ملاحظتي عليها في مكان آخر (١) .

وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بالشُرَيطات العضلية لا السَبائب (٢) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح



---

(١) الصفحة ٦٠٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : والسبيب من الفَرَس شَعَر الذنب والعُرف والناصية ، وفي الصحاح السبيب شَعَر الناصية والعُرف والذَنَب ولم يذكر الفَرَس إلى أن قال : والسَبيب والسبيبة الخُصلة من الشَعَر الخ .

أدب الفقهاء
- ١٣ -

فنون شتى

ويشتمل أدب الفقهاء على أغراض أخرى وفنون شتى من القول ، غير الموضوعات الشعرية الأساسية التي سبق الكلام عليها ، وبعضها مما يتضمن معاني وصوراً قلما نعثر عليها في شعر الأدباء من غير أصحابنا ، وبعضها الآخر مما يحتوى على صنعة أدبية فريدة ، وطراز بديع من الصياغة الشعرية لم تتحدث عنه كتب هذا الفن إلا قليلا . ونرى من تمام العناية بهذا الأدب أن نلم من ذلك بنماذج تمثل ما للفقهاء من اهتمامات أدبية تختلف مضموناً وشكلاً عن القواعد والمجالات المعروفة في عالم الأدب ، وأقل ما يستنتج منها هذا الأفق الواسع للرؤية الشعرية عند الفقهاء ، الذي ينفي عنهم كل ما قيل في ضعف إنتاجهم الأدبي ، والشعر منه بخاصة .

وأول ما نبدأ به قولهم في نقد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة ، والتنديد بالحكام الجائرين ، وصنائعهم من أعداء الملة والدين ، وفي هذا الباب يجب أن نتذكر ما لشعراء الخوارج ، وأكثرهم من الأئمة الأعلام ، من أشعار تتمثل فيها روح الثورة على الظلم والاستبداد ، والحكم المطلق ، والحياة العابثة التي كان المتسلطون يشيعونها في الناس ، ولكنا لا نورد شيئاً من هذه الأشعار لاشتهارها أولاً ، ولأنها ثانياً تعبر عن نزعة سياسية خاصة لسنا بصدد التعرض لها في هذا البحث الذي إنما يعنى بالناحية الأدبية من أعمال الفقهاء ورجال العلم .. على أن أشعار الخوارج هي باتفاق نقدة الأدب في الذروة من البلاغة

وحسن الأداء ، فما كان منها لفقهائهم فهو حجة لأدبهم وأدب الفقهاء بعامة .
ونشير إلى نماذج متداولة من أقوال فقهائنا المعروفين في هذه المقاصد ، وهي التي تعتد بقوة الكلمة وحدها ، ولا تعتبر قوة غيرها وسيلة إلى الإصلاح ، على طريقة الرعاة والمرشدين ، والأدباء الملتزمين فمن ذلك ما اشتهر من قول أحد متقدمي أهل العلم :

هـذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

وهذان بيتان هما مما جـرى على كل لسان ، وأصبحا مثلاً مضروباً في فساد الزمان وأهله ، وفشو المنكر ، وانحلال المجتمع ، حتى انه قلما يتحدث متحدث أو يكتب كاتب في موضوع التربية الدينية والخلقية ولا ينشدهما ويتمثل بهما وهما على ما نرى من متانة الحوك وشدة التأثير بحيث ينفذان إلى أعمـاق النفس ويغمران المشاعر بفيض من الأسى والحسرة ، وذلك غاية ما يتوخى من أية تجربة شعرية ناجحة . وكعب المذكور فيها هو كعب الأحبار تابعي مشهور ، وابن مسعود هو الصحابي الجليل عبد الله الهذلي ، وتروى عنهما أقوال في فساد الزمان وتغيير المنكر .

ومنه قول أبي الفرج بن هندو في ملك ليس له من الملك إلا الاسم :

لنا ملك ما فيه للملك آية سوى أنه يوم السلام متوج
أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد متى يستقيم الظل والعود أعوج

ولا نجـد لشاعر من الشعراء مثل هذين البيتين في تصوير ما آل إليه الأمر في بعض العصور من تنصيب إحدى الدمى على العرش ، وإطلاق اسم الملك عليها ، واعتماد هذا الملك بالتحية وسائر مظاهر الملك ، وادعاء أنه سيصلح البلاد والعباد ، ومع أنه في نفسه فاسد ، فكيف يأتي الصلاح من الفساد ، والظل إنما يمثل الشاخص ؟ فاذا كان هـذا مائلاً فان ظله لا يكون

إلا مثله . والتعبير بالاستقامة والاعوجاج في الشعر أبلغ مما فسرنا به مثَلَه المضروب ، وذلك مما زاده بلاغةً وقوة حجة .

إن مثل هذا الملك كثيراً ما لهج الشعراء بمدحه ونوهوا بأياديه ، ومن هنا يُعلَم صدق التجربة الشعرية عند أصحابنا العلماء ، فهم ينظرون للصالح العام . ولا يُغويهم عطاء الملوك فيبتذلوا الكلمة ويتآمروا مع المتآمرين .

ولأبي بكر الطرطوشي يخاطب الملك الأفضل شاهنشاه :

يا أيها المَلِكُ الذي جوده يطلبــه القاصد والراغب
إن الذي شَرُفتَ من أجله يزعُم هــذا أنه كاذب

وقصــة البيتين كما حكاها القرافي(١) أن الأفضل غضب على الطرطوشي غضباً شديداً بتحريض وزير له ذمّيّ فأمر باحضاره عازماً على عقوبته ، فلما دخل عليه ورأى الوزير المذكور بجنبه خاطبه بذينك البيتين ، ففهم الأفضل دسيسة الوزير وأقامه من مكانه وأجلس فيه الشيخ وأكرمه .. والوزراء والمستشارون من هذا القبيل بحكم الفَنّية والخِبْرة ، كم جرُّوا على البلاد من محن ، وكم أثاروا من فتن ، ولم يوجد من ينبه على خطرهم إلا فقيه شاعر هو الطرطوشي .

ولأبي عبد الله بن جُزَيّ في طبيب يهودي :

ورب يهودي أتى متطبباً ليأخذ ثارات اليهود من الناس
إذا جسّ نبض المرء أودى بنفسه سريعاً ، ألم تسمع بفتكة (جسّاس)

وهذه صورة أخرى تجسم مكر اليهود الذين يتخذون العلم وسيلة لاستغلال ضعف الإنسان والتآمر عليه ، وهي صورة طبــق الأصل مما توصي به

(١) أورد الطرطوشي الحكاية في كتابه سراج الملوك باختلاف يسير ، ناسباً لها إلى رجل ذي عقل وأدب فلعله كنى بذلك عن نفسه ، وهي في ابن خلكان أيضاً منسوبة إليه .

بروتوكولاتُ صهيون ، اليهودَ ، أبرزَها العالم ابنُ جُزَيٍّ قبل نشر هذه البروتوكولات بقرون ، ودل بذلك على بُعد نظرٍ وشدة انتباهٍ إنما يوجدان عند أهل العلم ، ثم سجلّها ظاهرةً عُنصريةً بَغيضةً في بيتين من الشعر على جانب كبير من الفصاحة والبيان .

وشعرهم في فساد المجتمع وانتقاد الحكام كثير ، وقد ذكرنا منه تفاريق فيما مضى من التراجم كترجمة عبد الله بن المبارك وغيره فلنكتف منه بهذا القدر .

ومن الموضوعات العزيزة التي نلتقي بها كثيراً في شعر الفقهاء ، محاربةُ الشعوذة والتدجيل وتنمية الوعي والشعور بقيمة العلم والعقل ، مما أثّر دائماً في رفع المستوى الفكري والحضاري لعامة الشعب ولم يتركهم فريسة الأوهام والخرافات .

فمن ذلك قول محمود الوراق في المُرائين من الزهاد :

أظهروا للناس نُسكاً وعلى الدينار داروا
وله صلَّوْا وصاموا وله حجُّوا وزاروا
لو رأوه في الثريا ولهم ريش لطاروا

وقول آخر في العلماء المزيَّفين :

قل للذين تكلَّفوا زيَّ التقى وتخيَّروا للدَّرْس ألفَ مجلد
لا تحسبوا كَحَل العيون بحيلة إن المَها لم تكتحل بالإثمد

ومنه لأُمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت العالم الطبيب الأديب في بطلان التنجيم واعتماد الطالع :

لا ترجُ في أمرك سعْد المُشتري ولا تخف في فوته نَحْسَ زُحَل
وارجُ وخف ربها فهْو الذي ما شاء من خير ومن شر فَعَل

ولغيره في المعنى :

من كان يخشى زُحَلاً أو كان يرجو المشتري
فانني منـــه ، ولو كان أبي الأدنَى ، بَرِي

ولآخر مصححاً العقيدة في ذلك :

خَبِّرنْ عنيَ المنجم أني كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أنّ ما يكون وما كا ن قضاء من المهيمن واجب

ولآخر مبيناً الغاية التي تتوخى من الرصد :

ليس للنجم إلى ضـــرّ ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأو قات والسَّمْتِ دليل

ولأبي بكر الزبيدي اللغوي وارتكب فيه المذهب الكلامي من البديع :

يقول المنجم لي لا تسِرْ فإنك إن سرت لُقّيت شرا
فإن كان يعلم أني أسير فقد جاء بالنهي ظلماً وجوْرا
وإن كان يجهل أني أسير فجهلُ العواقب أولى وأحرى

ولآخر يخاطب أحد الملوك وقد نهاه مُنَجِّمُه عن الغزو :

دع النجوم لطُرْقِيّ يعيش بها وقُم لوقتك وانهض أيها الملك
ان النبيَّ وأصحاب النبي نَهَوْا عن النجوم وقدأبصرتَ ماملكوا

ومنه للشيخ أحمد زروق في التنبيه على نوع آخر من الشعوذة وهو الاشتغال بالكيمياء واستخراج الكنوز :

كافُ الكنوز وكافُ الكيمياء معا لا يُوجَدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحـــدث أقوام بأمرهما وما أظنهما كانا ولا وقعـــا

وغني عن البيان ما في هـذه الأشعار من تنوير للعقول وتمحيص للحقائق ، فاذا كان بعض الشعر ، وخاصةً هـذا الذي يستمين بالمثولوجيات وأساطير الوثنيين ، قد يزيد الناس عمى ويعود بهم في حافرة الجاهلية الأولى ، فان

هذه الأشعار تنبه الغافلين ولا تدع الجهل يستبد بأوساط الناس ، لأنها دعوة إلى التحرر من عبودية الدجالين والمشعوذين ، ونبذ الأفكار الرجعية والترهات الباطلة . وهذا المحتوى الإنساني الرفيع إلى النظم البياني البديع ، هو الذي جعلنا نسميها أشعاراً ونعدها في خاص الخاص من أدب الفقهاء . وكان بودنا أن نقف عند كل قطعة منها ونبرز ما فيها من صدق التجربة وجمال الأداء ، ولكنا رأينا ذلك يطول فضربنا عنه صفحاً مكتفين بالإشارة إلى مقارنة البيتين اللذين يخاطب بهما صاحبُها الملكَ المتوقف عن الغزو لنهي منجمه له عنه ، بالأبيات الأولى من بائية أبي تمام التي يمدح بها المعتصم لما فتح عمورية :

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحدّ بَيْنَ الجد واللعب

بيضُ الصفائحِ لا سُودُ الصحائفِ في ... متونهن جلاء الشك والريب ... الخ

فهذه المقارنة تظهر أن نفَس الشاعر وإن كان أطول وأقوى ، إن بيتي صاحبنا الفقيه يكتسيان حلة من الوضوح وقوة الحجة ليست لأبيات أبي تمام ، ومع ذلك فهي أسْيَر وأشهر لمكانة الشاعر ، ومكانة الممدوح ، ومكانة المدينة المفتوحة وما كان لفتحها من صدى بعيد في البلاد حتى لقد سماه أبو تمام فتح الفتوح . على أن من تتمة حكاية البيتين المذكورين فيما يُروَى أن الملك المخاطَب بهما نهض إلى حرب عدو ، فانتصر عليه وظفر به ظفراً مبيناً ، تماماً كما وقع في عَمّورية .

ومن طريف أدب الفقهاء ما يقولونه في وصف الحياة العلمية والانقطاع إلى الدرس والتحصيل واغتباطهم بذلك واعتباره أعظم متعة روحية تقر بها أعينهم وتغنيهم عن كل متعة مادية يشتغل بها غيرهم ، حتى أن بعضهم جعل اللذة الحقيقية هي لذة المعرفة كما قال ابن السبكي في جمع الجوامع : (واللذة حصرها الإمام(١) والشيخ الإمام(٢) في المعارف) وهكذا نجد أحدهم وهو

(١) إمام الحرمين أبو المعالي الجويني .

(٢) والد ابن السبكي .

أبو سليمان الخطابي في برجه العاجي يقول مستهيناً بالدنيا وما فيها :

أنِستُ بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي وغا السرور
وأدّبني الزمان فما أبالي هُجِرتُ فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوماً أسار الجند أم ركب الأمير

ويجيب أحمد بن فارس اللغوي من سأله كيف أنت ؟ مظهراً غاية الاعتزاز بالعلم :

وقالوا كيف أنت فقلت خير تُقضّى حاجة وتفوت حاجُ
نديمي هرّتي وأنيس نفسي دفاتيري ومعشوقي السراج

ويعتبر القاضي أبو الحسن الجرجاني لذة العيش هي القراءة قائلاً :

ما تطعّمتُ لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العلـــم فما أبتغي سواه أنيسا

أما محمد بن هرون الدمشقي فان قرة عينه أن تتوفر له أدوات الكتابة الكافية كما يقول :

لَمحبرةٌ تجالسني نهاري أحب إلى من أنس الصديق
ورَزْمةُ كاغد في البيت عندي أحب إلى من عِدل الدقيق

ويقول عبد السلام جسّوس في فضل أهل العلم :

إذا ما اعتز ذو جهل بمال وعُظّم في نفوس الجاهلينا
فأهل العلم أعلى الناس قدراً وأعظم عند رب العالمينا

ويقول غيره في رضى العلماء بقسمتهم :

رضينا بالعلوم تكون فينا مخلّدةً وللجهال مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزال

ويحسم آخرُ الخلافَ في المفاضلة بين أهل العلم وغيرهم فيقول :

ما الناس إلا العالمون حقيقةً وسواهم متطفل في الناس

ومما قاله الجاحظ في لقاء أهل العلم :

يطيب العيش إن تلقى لبيباً غـذاه العلمُ والرأي المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل وفضل العـلم يعرفه الأريب
سقام الحرص ليس له دواء وداء الجهـل ليس له طبيب

وللقاضي عياض في تقريظ أهل العلم وبركة اجتماعهم :

ولله قوم كلـما جئتُ زائراً وجدتُ قلوباً كلها مُلئت حلما
إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

وذيّله أبو الحسن الرُّعَيْني فقال :

أولئك مثلُ الطيب كلٌّ له شذى ومجموعُه أذكى أريجاً إذا شُمَّا

وزاد عليه أبو بكر بن عتيق اللاردي :

تَعاطَوْا كؤوس العلم في روضة التقى فـكلهم من ذلك الريّ لا يظما

هذا جو من الحياة السعيدة المليئة بالغبطة والسرور ورضا النفس وطمأنينة القلب ، يعيش فيه الفقهاء والعلماء معتزين بما أوتوه من شرف الحكمة وما خُصوا به من مزية المعرفة ، فهم في عالم طُوبَاوي لا يرضون به بديلا ، ومهما تظاهر أهل الجاه والمال بمظاهر العظمة والعيشة الرخية ، فان ذلك لا يكبر في أعينهم ولا يستهويهم ، لأنهم يرون أن ما هم فيه من متعة روحية هو العيشة الراضية والحياة الكريمة التي لا معنى للوجود بدونها . ولقد قال بعضهم في هذا الصدد : لو يعلم الملوك ما نحن فيه من كرم العيش لجالدُونا عليه بالسيوف . والأشعار التي أوردناها ، وهي قُلّ من كُثْر ، تعبر عن هذا المعنى أصدق تعبير ، فلذلك قلنا في هذا الموضوع أنه من طريف أدب الفقهاء .

ومن لطائف أدبهم أوصاف وصور يبرزون فيها المعقول بهيئة المحسوس ويُبسّطون فيها المُركّب حتى يُزايله الغموض ، وذلك نتيجة لتعودهم على الدرس وتوضيح المسائل ، فما نذكـره في هذا الباب قول ابن المُعافى مُجسّماً نتيجة العجز والتواني :

ألم تر أن العجز زوّج بنته من ابن التواني ثم ساق لها مَهْرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي قُصارا كلُّما لا شك أن تلدا فقرا

وقول آخر مفضلاً الحلم على العقل بحجة كلامية .

حلمُ الحليم وعقلُ العاقل اختلفا مَن الذي منها قد أحرز الشرفا
فالحلمُ قال أنا أحرزتُ غايته والعقل قال أنا بي اللهُ قد عُرِفا
فأفصح الحلم إفصاحاً وقال له بأيّنا اللهُ في قرآنه اتصفا
فبانَ للعقل أن الحلم سيدُه فقبَّل العقلُ رأسَ الحلم وانصرفا

وقول آخر يصف بليداً :

لو قيل كم خمس وخمس لارتأى يوماً وليلته يعُدّ ويحسُب
ويقول معضلة عظيم أمرهـا ولئن فهمت فانّ فهمي أعجب
حتى إذا حصرت أناملُ كفه عدًّا وكادت عينه تتصوَّب
أربى على نشْز وقال ألا اسمَعُوا قد كدتُ من فرحٍ أجَنُّ وأطرب
خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالها الخليـل وثعلب

وقول آخر في مناظر مُراوِغ :

مالي إذا ألزمتُه حجـةً قابلني بالضحْك والقهقهـة
إن كان ضحْكُ المرء من فقهه فالذيب في الصحراء ما أفقهه

وقول أبي حيان في مثله :

وإذا جلستَ إلى الرجال وأشرقت في جو باطنك العلوم الشُّرَّد
فاحذر مناظرة الحسود فإنما تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

ولمنصور الفقيه في ذم الحسد بطريقة الجدل :

ألا قل لمن ظلّ لي حاسداً أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حكمـه لأنك لم ترضَ لي ما وهب
فجازاك عـني بأن زادني وسدّ عليك وجوه الطلب

ولغيره في تمثيل الرزق :

مثَـــلُ الرزق الذي تطلبه مثَلُ الظل الذي يمشي معك
أنت لا تـدركه مجتهــداً وإذا ولَّيْتَ عنـــه تبعك

ولآخر ملمحاً لجنس الحقيقة الانسانية في تبرير تـكافؤ الأفراد وإن اختلفت حيثياتهم .

إذا شُورِكْتَ في أمرٍ بدُونٍ فلا يك منك في هذا نفور
ففي الحيوان يجتمع اضطراراً أرسطاليسُ والـكلب العقور

ولآخر فيما يخالف ذلك :

وللزُّنبـــور والبازي جميعاً لدى الطيران أجنحةٌ وخَفْقْ
ولـكـــن بين ما يصطاد بازٍ وما يصطاده الزنبورُ فرْق

وشعرهم من هذا القبيل كثير فلا نطيل به ، لا سيما ونحن نـكتب ، في الغالب من حفظنا ولا نستحضر قائله فلا نحب أن نتورط فيما لا يـكون من شعرهم ، وإنما نثبت ما تحققنا منه وشككنا في صاحبه ، أو ما دل بصياغته على أنه من بضاعتهم ، وفوق جهدك لا تلام .

وبعد هذه الأمثلة من المعاني والصور الفريدة التي عُنيي بها أدب الفقهاء إلى جانب الموضوعات الأدبية الرئيسية ، نورد نماذج من كلامهم الذي اعتمدوا فيه صناعةَ البديع والمحسنات اللفظية لنرى إبداعهم في هذا الفن أيضاً ، بل تصرفهم فيه بما يدل على أن الرؤية الشعرية عندهم أوسع من أن تحدها الأشـكال والعبارات ، وبما أن هذا الباب واسع فسنقتصر منه على نوع واحد هو التضمين .

فالتضمين ، وهو اقتباس بيت أو شطر من كلام شاعرٍ سابق مع حسن تأتٍّ يجعله ينسجم وكلامَ المقتبِس حتى يبدوَ كأنه جزءٌ منه ، هو من محسنات البديع ، وقد كثر وقوعه في كلام المتأخرين وهم يتفاوتون في إحكام

صنعته بحسب القوة والضعف في صياغة الكلام وعدم ظهور التعمل فيه ، ومن أرقاه ما وقع لابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد من تضمين شواهد العروض في جميع بحور الشعر الخمسة عشر فلْيُنظَر فيه .

أما أصحابنا الفقهاء فمن قول بعضهم فيه مُضمِّناً شطر بيت من ألفية ابن مالك :

العلماءُ كلُّهم مَن سادا أو لمْ يسُدْ ، لم يَبْلُغِ المرادا
فرزقُهم مُرخَّم منادَى (كياسُما فيمن دعا سُمادا)

والشطر المضمَّن هو من قول الألفية في باب الترخيم :

ترخيماً احذفْ آخر المنادى كياسما فيمن دعا سمادا

وقد تأتّى له هذا الفقيه الأديب أحسن التأتي وأدخله في كلامه بصورة لا يهتدي إلى أنه مضمَّن ، من لم يكن يعرف الألفية وأنها هي التي ضربتْه مثلاً للترخيم ، وهذا بقطع النظر عن جمال هذا الكلام وما فيه من اقتباس لقاعدة الترخيم في علم النحو حتى حسُن تضمين الشطر المذكور وضرْبُه مثلاً لنقصان رزق العلماء وقلة حظهم على حسب ما يقال .

وتضمين أشطار الألفية مما أولع به الطلبة والمشايخ حتى انهم استعملوه في النسيب والمدح وغيرهما من الأغراض الشعرية ، ومما نذكره من ذلك قول بعضهم :

إذا أتى الحبيب للباب ودقّ (افتح وقلْ مَن بكسره نطق)
وإن أتى الرقيب (والملحق به بعكس ذاك استعملوه فانتبه)

وفي نفح الطيب رجزية لمحمد بن يوسف التاملي نصف أبياتها أشطار من الألفية ، وهي في مدح صاحبِ النفح ، فمن قوله فيها :

نشير بالتضمين للتحرير المقّريّ الفاضلِ الشهير
ذاك الإمام ذو العلاء والهمم (كعلَم الأشخاص لفظاً وهو عم)

فلن ترى في علمه مثيلا (مستوجباً ثاني الجيلا)
ومدحه إياي لازم أتى (في النظم والنثر الصحيح مثبتا)

وهذان المثالان إنما أتينا بهما على سبيل الإحماض للمناسبة ، وإلا فهما لا يرتقيان إلى درجة المثال الأول الذي أحكم معنى وأسلوباً .

ومن أبدع ما وقع للمتأخرين في هذا الباب قول الشيخ يوسف النبهاني في آخر لاميته التي عارض بها قصيدة كعب بن زهير الشهيرة في مدح النبي (ﷺ) وهو هذا البيت :

إن كان متبولَ قلب حين أنشدكم (بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبول)

ومعلوم أن هذا الشطر المضمن هو صدر مطلع القصيدة المعارَضة ، ونصه بصدره وعجزه .

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبول متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبول

فالنبهاني لما ضمَّن صدر هذا البيت ، وهو يخاطب الممدوح عليه السلام ، جعل منه جواباً لصدره هو ، فقلب معنى الفاء في صدر كعب من العطف إلى جواب الشرط ، وأوهم أن المضمن إنما هو قول كعب (بانت سعاد) أي جزء الصدر ، وساعده على ذلك أن هذه القصيدة اشتهرت باسم بانت سعاد أي بهذه الجملة كما قال أبو اسحق الغزي فيها :

محت بانت سعادُ ذنوبَ كعبٍ وأعلتْ كعبَه في كل ناد
وما احتاج النبي إلى قصيدٍ مُشبَّبةٍ بِبَيْن من سُعاد
ولكن سنَّ إسداء الأيادي فكان إلى المكارم خير هاد

وعلى كل حال فقد بقي جزء الصدر الآخر وهو قوله فقلبي اليوم متبول كأنه خارج من التضمين لأنه جواب الشرط في صدر النبهاني ، والحال أنه مضمن كالجزء الأول ، وذلك منتهى البراعة .

والغاية في هذا الباب قصيدة أبي بكر بن جُزَي التي ضمّنها أعجاز قصيدة امرئ القيس ونقلها من معانيها الهزلية إلى معان جدّية من الوعظ والمديح النبوي وذلك حين يقول :

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي (ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي)
أما واعظي شيب سما فوق لمتي (سموّ حباب الماء حالاً على حال)
أنار به ليـــل الشباب كأنه (مصابيح رهبان تشب لقفال)
نهاني عن غيّي وقال منبهـــاً (ألست ترى السمار والناس أحوالي)
يقولون غيّره لتنعم برهةً (وهل ينعمن من كان في العصر الخالي)
أغالطُ دهري وهو يعلم أنني (كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي)
ومؤنسُ نار الشيب يقبُح لهوُه (بآنسة كأنها خط تمثـــال)
أشيخاً وتأتي فعل من كان عمره (ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال)
وتشغفك الدنيا وما ان شغفتها (كما شغف المهنوءة الرجل الطالي)
ألا إنها الدنيا إذا ما اعتبرتها (ديار لسلمى عافيات بذي خال)
فأين الذين استأثروا قبلنا بها (لناموا فما إن من حديث ولا صال)
ذهلت بها غياً فكيف الخلاص من (لعوب تنسيني إذا قمت سربالي)
وقد علمت مني مواعد توبتي (بأن الفتى يهذي وليس بفعّال)
ومُذْ وثقت نفسي بحب محمدٍ (هصرت بغصن ذي شماريخ ميّال)

ومن هنا تخلص للمديح وسار فيه على هذا المنهاج متانة أسلوب وحسن صياغة ، ولما أنشد المقري هذه القصيدة في نفح الطيب عقب عليها بقوله : « ولا خفاء ببراعة هذا النظم وإحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة » وهذا ما يهمنا أن يعرفه كل من يزري بأدب الفقهاء ، وما نريد أن يتحقق منه مَن كان في شك من أمر هذا الأدب ، حتى يرد له اعتباره ويقدر حقّ قدره .

عبد الله كنون



نظرة عيان وتبيان
في مقالة
(أسماء أعضاء الانسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٣ —

٦٣) السَّمّ

ف Fosse nasale ; narine

ز Nasal fossa ; nasal cavity

في الأصل . — حرف الأنف (= ثقب الأنف) .

في (ق) . — السم ويثلث ، الثقب ، وهـذا القاتل المعروف ج سموم وسِمام .... وسمام الإنسان وسمومه : فمه ومنخراه وأذناه .

ملاحظتي . — السم ليس بخاص لثقب الأنف فهو عامّ . والكلمة الخاصة بثقب الأنف نصاً في (ق) هي (المَنْخَر) بفتح الميم والخاء ، وبكسرهما وبضمهما وكمجلس وكمَلْمُول : ثقب الأنف ويقـــابله بالفرنسية (narine) وبالانكليزية (nostril) .

★ ★ ★

٦٤) الأنف

ف Nez (m.)

ز Nose

في الأصل. — لم يذكر له تعريف .

في (ق). — الأنف ، معروف .

في معجم متن اللغة. — الأنف ويضم أوله ، المنخران والحاجز بينهما والقصبة جميعاً يكون للانسان وغيره . ج أنوف وآناف وآنُف . ومن كل شيء طرفه أو جانبه أو أوّله (كل هذا على المجاز) .

في معجم لاروس ذي المجلّدين . — الأنف الجزء الناشز أي البارز من الوجه بين الفم والجبين ، وهو عضو الشم . في أسفله ثقبتان هما المنخران (١) ذروته تدعى الجذر (٢) . الطرفان الجانبيان هما الخنّابتان (٣) . هيكله عظمان خاصان به ، وغضاريف (٤) الخنابتين وغضروف الوترة . والهيكل يغشّيه جلد وعضلات جلدية صغار . وفي خلف الهرم الأنفي جوفان (٥) متموّجان يتصلان — بوساطة ثقبتين وهما قمّا الفم (٦) [= فوهتا المنخرين الخلفيتين (٧)] — بالقسم الخلفي من البلعوم وهو البلعوم الأنفي (٨) أو الكهف (٩) . هذان الجوفان أي المنخرين [= حفرتا الأنف (١٠)] منفصل أحدهما عن الآخر بحاجز يدعى الوترة (١١) أو وتيرة الأنف كل منها دِهْليز طويل ضيق أمامي خلفي (١٢) . أما الجدار الخلفي فهو ذو ثلاث صفيحات ناشزات حلزونيات الانحناء هن القُرَيْنات الأنفية (١٣) يحددن ثلاث ميزابات (١٤) يؤلفن فتحات المنخرين (١٥) . هذا ويتصل المنخران بالأجواف المحفورة في عرض عظام الوجه هن الجُيُوب (١٦) كما أن أعضاد الأنف مفروشة داخلاً بغشاء مخاطي (١٧) . ا هـ .

وفيما يلي ما يقابل الأرقام من المصطلحات الفرنسية والانكليزية :

1) Narine (nostril)
2) Racine (root ; radix)
3) Ailes (alæ nasi)
4) Cartilage (cartilage)
5) Cavité (cavity ; cavum)
6) Choanes (posterior nares)
7) Orifice posterieur (posterior orifice)
8) Nasopharynx (nasopharynx)
9) Cavum (cavum)
10) Fosses nasales (nasal fossa ; nasal cavity)
11) Cloison (septum)
12) Antéro - posterieur (anteroposterior)
13) Cornets (concha nasalis)
14) Gouttières (gutters ; olfactory fossa)
15) Meat des fosses nasales (nasal meatus)
16) Sinus (sinuses of the nose)
17) Membrane pituitaire (pituitary membrane ; nasal mucous)

★ ★ ★

٦٤ مكرر) الأنف الأشمّ

ف Beau nez

ز Distainful nose

في الأصل . — الشرق التام .

في (ق) . — الشمم محركةً ارتفاع في قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة أو ورود الأرنبة وحسن استواء القصبة وارتفاعها .. الخ فهو أشم .

★ ★ ★

٦٥) الأنف الأقنى

ف Nez aquilin , plat
ز Aquilin (or Roman) nose

في الأصل . — الذي نتأ وسطه مشرفاً على طرفيه .

قلت : هو كمِنْسر النَّسْر .

في (ق) . — قنى الأنف ، ارتفاع أعلاه واحديداب وسطه وسنوع طرفه أو نتوّ وسط القصبة وضيق المنخرين (في الفرس عيب . وفي الصقر والبازي مدح) .

* * *

٦٦) الأنف الأدْلف

ف Nez fin et petit
ز . . . . .

في الأصل . — القصير العَرِيض .

في (ق) . — ليس له ذكر . وكذا في معجم متن اللغة .

* * *

٦٧) الأنف الأخنس

ف . ز . . . . . .

في الأصل . — أقصر من الأدلف ويتأخر عن الشفة .

في (ق) . — الخنس محركةً : تأخر الأنف مع ارتفاع الأرنبة وهو أخنس وهي خنساء .

* * *

٦٨) الأنف الأفطس

ف Nez camus ; épaté

ز Pug nose snub nose

في الأصل . — المتطامن من الوسط .

في (ق) . — الفطس محركةً : تطامن قصبة الأنف وانتشارها وانفراش الأنف في الوجه . والنعت أفطس .

في (ل) . — صفة لمن أنفه قصير عريض ، وعلى التوسع للأنف نفسه .

★ ★ ★

٦٩) الأكثم

ف Estropié

ز Maimed

في الأصل . — الأكثم (بالثاء) المقطوع الأنف .

ملاحظتي . — الأكثم بالثاء خطأ عن النسخ [كثم القثاء ونحوه أدخله في فيه وكسره . ولا ذكر للأنف وصفاً من هذه الكلمة] . والصحيح الأكشم (بالشين) وهو المقطوع الأنف من (الكَشْم) بسكون الشين وهو قطع الأنف باستيصال كالإكتشام . أما الكشم محركةً فهو النقص في الخَلْق وفي الحسب . فوضعت الكلمة مصححةً في (الرقم ٦٩) . ولم ينتبه إليها المحقق . [مدلول الافرنجيتين : مطلق القطع . فيجب ذكر العضو المقطوع] .

★ ★ ★

٧٠) الأخْرَم

ف ، ز Acromion

في الأصل . — المنشق الوترة .

في (ق) . — بعد معان وافرة يقول : والأخرم من قطعت وترة أنفه .

في (ل) . — معنى الكلمة الفرنسية هو ناتىء عظم الكتف بشكل الملوق.

ملاحظتي . — بحسب شرح الأصل (المنشق الوترة) لم أجد له ما يقابله بالفرنسية .

أما بحسب ما جاء في (ق) من أن (الأخرمين) آخر ما في الكتفين من العضدين أو طرفا أسفل الكتفين ، اللذان اكتنفا كَعْبَرة الكتف ، أما لهذا المعنى فتوافق الكلمة الفرنسية التي وضعتها .

★ ★ ★

٧١) الأسلت

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — المقطوع الأنف كله .

في (ق) . — الأسلت من أوعب جدع أنفه .

قلت : جدَعَ (قطعَ عضواً ما) .

ف Estropier

ز To maim ; to mutilate ; to cripple ; to stunt

ما أضفته عن الأنف :

١ — التهاب أنف ضموري

ف Rhinite atrophique

ز Ozæna : ozena

٢ — أنف سرجي

ف Nez en lorgnette ; en selle ; en pied de marmitte

ز Saddle , saddle - back , swayback nose

٣ — ترقيع الأنف

ف Rhinoplastie
ز Rhinoplasty

٤ — تنظير الأنف

ف Rhinoscopie
ز Rhinoscopy

٥ — خَشَم

ف Ozène
ز Ozæna

٦ — خَشَم مزمن

ف Punaisie
ز Ozæna

٧ — خَنَّ

ف Rhinolalie
ز Rhinolalia

٨ — خَنْخَنَة

ف Nasillement ; rhinolalie fermée
ز Rhinolalia clausa

٩ — خنين (= خُنَّة)

ف Nasonnement ; rhinolalie ouverte
ز Open rhinolalia

١٠ — خياطة الأنف

ف Rhinorraphie
ز Rhinorraphy

١١ — سيلان مخاط الأنف

ف Rhinorrhée
ز Rhinorrhœ

١٢ — غُنَّة

ف Rhinophonie
ز Rhinophonia

١٣ — مَسْخ مُشَوَّه الأنف

ف Rhinencéphale; rhinocéphale
ز Olphactory brain

١٤ — نزف أنفي (= رُعاف)

ف Rhinorragie
ز Rhinorragy

★ ★ ★

٧٢) الشَّفَة

ف Lèvre (f.)
ز Lip

في الأصل . — لم يذكر سوى : ج شفاه .

في (ق) . — شفتا الانسان طبقتا فمه . الواحدة شفة .

في لاروس ذي المجلدين . — الشفة جزء الفم الخارجي الذي يغطي الأسنان . والشفتان عليا وسفلى ، تلتقيان على زاوية في كلتـــا جهتي الخط المتوسط مؤلفتين ما يسمى ملتقى الشفتين (١) . أما الناحية الحرة فمغشاة بمخاطيـة رقيقة جداً هي حَوِيَّة الشفتين (٢) .

١) Commissures des lèvres
٢) Bourrelet des lèvres

ما أضفته :

١ — شفة سفلى

ف Lèvre inferieure
ز Nether, under lip

٢ — شفة عليا

ف Lèvre superieure

ز Upper lip

٣ — شَفَهي أو شَفَوي

ف ، ز Labial

٤ — لِجام الشفتين

ف Frein des lèvres

ز Frenum of the lips

★ ★ ★

٧٣) الإطار

ف Bords des lèvres

ز Borders of lips

في الأصل . — حرف الشفة عند ملتقى الجلد واللحم .

في (ق) . — بعد معان يقول : والإطار ككتاب ما يفصل بين الشفة وبين شعرات الشارب ؛ وكل ما احاط بشيء .

★ ★ ★

٧٤) الشِدْقان

ف Commissure (des lèvres), coins de la bouche

ز Commissure (of lips); cuneus of mouth

في الأصل . — ملتقى الشفتين وهما المَطْعَمان (= نهايتا الفم من الجانبين) .
ج أشداق .

قلت : ملتقى الشفتين هو (الصّامغان) أو (الصّماغان) أو (الصّمغان) وكذا (الصّواران) .

في (ق) . — الشدق بالكسر ويفتح ، والدال مهملة ساكنة : طفطفة الفم من باطن الخدين . والشدق محركةً سعة الشدْق . ومجتَمَع الشدقين هو (الخُنْثُرة) .

★ ★ ★

٧٥) الشفة الحَوّاء

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الشفة الحمّاء (بالميم) هي التي إلى السواد .

في (ق) . — الحمّاء (خاصةً) الإست .

ملاحظتي . — من شتى معاني (َحمَّ) : [َحمّمت الأرض ، بدا نباتها أخضر إلى السواد . وتحمّمْتَ يا فتى ، صرتَ أحمَّ أي أسود] . فلعل المؤلف استعملها على المجاز توسعاً ، أما النعت الخاص بسواد الشفة فهو (اللَّمَى) ولمي لمياً أسودّت شفته فهو ألمى وهي لمياء . والأصح في رأيي : (الشفة الحَوّاء) كما وضعتها (في الرقم ٧٥) ولم ينتبه إليها المحقق . فالشفة الحوّاء بالواو (لا بالميم) من الحُوّة بالضم : سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد . وشفة حوّاء : حمراء إلى السواد) وهذا يوافق ما جاء في الأصل من الشرح .

أما كيف وقع خطأ النسخ فإليكه :

[الواو — محكوكَةَ الذيل أو منقطعته — تشبه الميم المتوسطة في الكتابة (المسماة بعرف الطباعة : ميم وسط) فكتبها الناسخ كما شاهدها دون انتباه « الحماء » ذهولاً] . قلت : ومثلها (اللَّعْساء) ، من اللَّعس محركةً وهو احمرار مستحسن في الشفة والنعت ألعس ولعساء .

ومن أنواع الأصباغ التي تستعمل في هذه السنوات ، حمرةٌ للشفاه تجميلاً ،

على شكل أصابع أو أقلام ما اصطلحتُ عليه بكلمة :

مَلْمَسَة

ف Rouge pour lèvres
ز Lip - stick

★ ★ ★

٧٦) الشفة الظمياء

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — هي الذابلة اللطيفة .

في (ق) . — الظمياء ... ومن الشفاه ، الذابلة في سمرة ؛ ومن العيون ، الرقيقة الجفن ؛ ومن السوق القليلة اللحم . . . الخ .

★ ★ ★

٧٧) الشفة العَلْماء

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — المنشقّة من أعلاها .

أضفت :

العَلَم [= الشق في الشفة العليا] .

ف Bec - de - lièvre
ز Harlip

★ ★ ★

٧٨) الشفة الفلحاء

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — المنشقّة من أسفلها .

أضفت :

الفَلَح [= الشق في الشفة السفلى]

ف Bec - de - lièvre

ز Harlip

ملاحظة . — لا فرق بين الحالتين في المصطلح الفرنسي ولا الانكليزي .

★ ★ ★

٧٩) الشفة الوارد

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — التي تغطي الأسنان .

ملاحظتي . — قوله في الأصل (الشفة الوارد) فيه نظر . فالشفة مؤنثة والنعت مذكر فلا يصح الوصف . هذا أول خطأ في النسخ . ثم انه ليس بين معاني (وَرَدَ) ما يصلح صفة للشفة الطويلة بحيث تغطي الأسنان . وهذا خطأ ثان في نسخ الشرح .

قلت : لعل الصحيح (الشفة الوارّة) من (الوَرُّ) وهو الخِصْب فالشفة الوارّة ، الخصبة التي تغطي الأسنان (على الإستعارة) .

أو لعلها (الشفة الوارية) من (وَرِيت الإبلُ سمنت فكثر شحمها . (فالشفة الوارية) هي الشَّحيمة السمينة بحيث تغطي الأسنان .

أو لعلها (الشفة الوارمة) من (ورم النبات سَمَقَ أي علا وطال . فهي اذن (الطويلة) التي تغطي الأسنان .

وقد تكون أيضاً (الوارهة) من وَرِهَ كوَرِث (كثر شحم المرأة) فالوارهة ، الكثيرة الشحم كالوارية المذكورة آنفاً .

هذا ما بدا لي من تقليب وجوه التصحيف عرضته دون القطع بأيّ الكلمات هي الصحيحة في (الأصل المخطوط) . ويغلب على الظن أن تكون الكلمة الأصح (الوارة) لأن الهاء (ه) إذا انشطرت طولا انتكالاً أو احتكاكاً حاكت (د) وهي نصف الهاء (ه) .

★ ★ ★

٨٠) الأهدل

ف Qui a les lèvres pendantes

ز . . . .

في الأصل . — الأدله ، المسترخي الشفتين .

ملاحظتي . — لم أجد بين معاني (دَلَهَ) ما يوافق ـ ولو تلميحاً ـ استرخاء الشفتين . فالدّله والدُّلوه ، ذهاب الفؤاد من همٍّ ونحوه . ودلّهه العشق .. الخ . فكلمة الأدله في الأصل خطأ مصحّفة عن (أهدل) من (هَدَلَ المِشْفر استرخى فهو أهدل) فاستعملها المؤلف للانسان تعمياً ، استعارةً ، على ما يبدو . فوضعتها في (الرقم ٨٠) مصححـةً ولم يتنبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨١) الباثع

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الباتع بالتاء المثناة الفوقية ، الذي تنقلب شفته إذا ضحك .

ملاحظتي . — للباتع ـ كما في الأصل ـ معنى لا يتلاءم معها جاء صفةً لمن تنقلب شفته عنـد الضحك . فهي من خطأ النسخ عن الأصل المخطوط . فالبَتَع محركةً طول العنق مع شدة مغرزها فهو بَتِع وهي بَتِعة ؛ ورسغٌ أبتع ممتلئٌ ، وككتف : الشديد المفاصل والمواصل من الجسد ومن الرجال ، وفعله كفرح فهو أبتع وهي بتعاء . ج بُتْع بضمتين .

أما صفة الشفة التي تنقلب عند الضحك فهي من (البَثَع) بالمثلثة محركةً وهو ظهور الدم في الشفتين خاصةً . [وإذا كان بالغَيْن المعجمة أي (بَثَغ) ففيها وفي الجسد] . من (بثعت الشفة كفرح انقلبت عند الضحك ، بالمثلثة الفوقية والعين المهملة) . والشفة الباثعة بالمثلثة لا غير ، ينبثع فيها الدم حتى تكاد تنفطر . وهو أي الرجل أبثع ، وهي أي المرأة بثعاء . على هذا ان

(باثع ، بالتاء) كما في الأصل المطبوع هي (باثع بالمثلثة) ، ليصح الشرح الموضوع لهـــا . ولقد وضعتها في (الرقم ٨١) مصححةً كما بدت لي . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٢) الفم

ف Bouche (f.)
ز Mouth

في الأصل . — ليس له تعريف . ج أفواه .

في (ق) . — الفم أصله فوه وقد تشدّد الميم .

في (ل) . — الفم ، الجزء الأول للأنبوب الهضمي وهو غارٌ (جوف)[١] يحدّه الشفتان والخدان والحِفاف (= شراع الحنك)[٢] وقاع الفم[٣] . ويتصل من الخلف بالبلعـــوم[٤] بوساطة برزخ الحلقوم[٥] . ويحتوي على اللسان والأسنان .

١) Cavité ٢) Voile du palais (soft palate)
٣) Plancher buccal (buccal floor) ٤) Pharinx
٥) Isthme du gosier (isthmus of gullet)

ما أضفته :

١ — فم بلعومي

ف Oro - pharynx ; pharynx buccal
ز Oro - pharynx

٢ — فم السِّناد (= هَدَل)

ف Lèvre de tapir
ز Tapir mouth

★ ★ ★

٨٣) اللَّهاة (= مُرَيْطى)

ف Luette (f.) ; uvule

ز Uvula

في الأصل . — اللحمة المتدلية من الحنك الأعلى .

في (ق) . — اللحمة المشرفة على (أو بين) منقطع أصل اللسان ، ومنقطع القلب من أعلى الفم . ج لهوات ، لهَيات ، لُهِيّ ، لِهِيّ ، لِهاء .

في (ل) . — ذيل لحمي قابل للتقلص ، معلّق في مدخل البلعوم ويشارك في غلق المنخر (= الحفرة الأنفية) في أثناء البلع .

ما أضفته :

١ — لَهَوي

ف Uvulaire

ز Uvular

٢ — لهاة دُودة المُخَيْخ

ف Uvula du vermis

ز Uvula vermis ; uvula cerebelli

★ ★ ★

٨٤) النِّطْع

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — النقرة في الحنك الأعلى .

في (ق) . — ما ظهر من الغار الأعلى فيه آثار كالتخريز .

في معجم متن اللغة . — النطع بالكسر والنطع محركة ، والنطعة ، ما ظهر من غار الفم الأعلى وهي الجلدة الملتزقة بعظم باطن الغار الأعلى وفيه آثار كالتخريز . وهنالك موضع اللسان في الحنك . ج نُطوع . والحروف النطعية هي ط د ت .

★ ★ ★

٨٥) الخُلَيْقاء

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — جلدة النِّطَع وهي الخليقات (بالتاء) .

ملاحظتي . — لم أجد في المعاجم (خليقات) بالتاء . وهي هنا خطأ في النسخ من المخطوطة . والصحيح (الخليقاء) بالهمزة (ومثلها الخلْقاء) بدون تصغير ، وهي باطن الغـــار الأعلى وما املاسَّ منه . وهذه من (الخُلْقة) بالضم وهي الملاسة كالخَلُوقة والخلاقة بالفتح .

فإنْ قيل إن (الخُلَيْقات) جمعُ لمصغر الخُلْقة (: خُلَيْقة ج خُلَيْقات) لم يصح التعريف بأن الخُليقات جلدة النطع لأن الخُلقة هي الملاسة وليست اسماً لشيء بعينه . ولهذا وضعتها في (الرقم ٨٥) مصححةً ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

٨٦) اللَّغانين (= النَّغانغ)

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما لصق باللهاة من لحم الحلق .

في (ق) . — اللُّغْنُن بالضم ، الوترة عند باطن الأذن .

في معجم متن اللغة . — اللُّغْنُون ، لحمٌ بين اللسان والنكفتين من باطن . ج لغانين . أما النغنغ بالضم فهي لحمة تكون في الحلق عند اللهاة وهي اللغنون . ج لغانين .

★ ★ ★

٨٧) الشَّدَق

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — سعة الشِّدْقين [أنظر الرقم ٧٤] .

★ ★ ★

٨٨) الضَّزَز

ف ، ز . . . .

في الأصل . — لصوق الحنك الأعلى بالأسفل .

في (ق) . — الأضَزّ الضيّق الشدق الذي التفّت أضراسه العليا والسفلى ، فلم يَبِن كلامُه ... الخ .

قلت : لجنة المصطلحات الطبية قد خصَّصت (الضَّزَز وزان فعَل) للداء الذي يصيب الفكّين (trismus) أي (mal des mâchoires) .

★ ★ ★

٨٩) الفَقَم

ف Prognathisme ; prognathie

ز Prognathism

في الأصل . — أن يكون الحنك الأسفل على الأعلى .

في (ق) . — تقدّم الثنايا العليا فلا يقع على السفلى .

في (ل) . — أن يكون الفك مستطيلاً .

★ ★ ★

٩٠) الذَّوَط

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الذوحا قصر الذقن .

ملاحظتي . — لم أجد كلمة (الذوحا) ولا ما يقرب منها رسماً بالخط في (ق) ولا في متن اللغة عند التحقيق . فغلب الظن أن تكون مصحّفة أو من خطأ النسخ عن المخطوطة .

وبعد تأمل تذكرت أنها (الذوط) بالطاء . فالذوط محركةً هو صِغَر الذقن أو قِصَره ، وهو أذْوَط وهي ذوطاء . ولا تصح (الذوطا) نعتاً للذقن فالذقن مذكر . فوضعتها في (الرقم ٩٠) مصححةً .

إذن كيف كان الخطأ ؟ كان أن الناسخ حين كتب (ذوط) ازاح ألف الطاء فصار إلى جانب الطاء فاشتبهت على القارئ أو النـــاقل (حا) : [ذوحا ، ذوط] فتأمل إلى أي مدى يبلغ الخطأ . ولم ينتبه إليها المحقق ، والحق معه إذ لم تخطر بباله هذه المرونة في خطوطنا العربية .

★ ★ ★

٩١) الأفْوَه

ف Qui a une grande bouche

ز . . . . .

في الأصل . — الواسع الفم .

قلت : الفَوَه ـ وزان فَعَل ـ سعة الفم أو أن تخرج الأسنان من الشفتين مع طولها . فهو أفوه وهي فَوْهاء .

★ ★ ★

٩٢) اللِّسان

ف Langue (f.)

ر Tongue

في الأصل . — المِقْوَل .

في (ق) . — اللسان ، المقول ويؤنث . ج أَلْسُن ، أَلْسِنة ، لُسُن .

في لاروس ذي المجلّدين . — اللسان جسم لحمي حرك جداً . عضلي شكله كقمع مسطح وهو عضو الذوق الأساسي . وإلى هذا يقوم بعمل عظيم في تكييف الصوت ، وفي المضغ والبلع والمص . هيكله مؤلف من : عظم لامي (١) ومن صفيحتين ليفيتين : الحاجز اللساني (٢) ، والغشاء تحت اللساني (٣) ؛ عليها وعلى الأجزاء المجاورة ترتكز تسعُ عضلات مختلفات ، واللسان مغشّى بمخاطية تستمر بغشاء الفم . هذا الغشاء يؤلف في القسم الأسفل والمتوسط

انثناءً هو لجام اللسان أو عنان اللسان (٤) . وعلى سطح اللسان ألوف البَرْزات(٥) أي الحُلَيْمات التي تسمى حسب بنائها : كأسية (٦) ، فُطرية (٧) ، خيطية (٨) ، وارقة (٩) ، نصف كروية (١٠) . الحليمات الكأسية منفرشة على الثلث الخلفي ، مكونةً ما سُمي V اللساني (١١) اهـ .

وفيما يلي ما يوافق الأرقام بالفرنسية :

١) Os hyoïde ٢) Membrane hyoglossienne
٣) Septum lingual ٤) Frein ou filet
٥) Élevures ou papilles ٦) Caliciforme
٧) Fongiforme ٨) Filiforme ٩) Foliée
١٠) Hémisphérique ١١) le V lingual

أهم ما أضفتـــه :

١ — لجام اللسان

ف Frein = filet de la langue
ز Frenium of the tongue

٢ — لسان أسود

ف Langue noire veilleuse ; glossophytie
ز Black tongue ; glossophytia ; black hairy tongue

٣ — لسان الببغاء أو كالشِّواء

ف Langue de perroquet ou rôtie (dans la fièvre typhoïde)
ز Parrot , baked tongue (in typhoïd fever)

٤ — لسان مُجَعَّد

ف Langue plicaturée , scrotale
ز Plicated tongue

٥ — لسان المِزْمار (= فَلْكَة)

ف Anche
ز Reed

٦ — لسان مشقَّق

ف Langüe scrotale
ز Scrotal tongue

وعلى وجه عام :

آ) خافض لسان

ف Abaisse - langue
ز Tongue depressor ; tongue spatula

ب) لساني

ف ، ز Lingual

★ ★ ★

٩٣) الغُدْبة

ف ، ز . . . .

في الأصل . — العذبة (بالعين المهملة والذال) طرف اللسان .

ملاحظتي . — العذبة بالعين المهملة والذال ، خطأ . وصححها المحقق (غذبة) بالغين والذال المعجمتين . وهذا خطأ أيضاً . والصحيح (غدبة) بالغَيْن المعجمة والدال المهملة وبضم الأول كما وضعتُها في (الرقم ٩٣) مصححةً . فالغُدبة ، بالضم هي لحمة غليظة في اللهازم ، أو شبيهة بالغدة في اللهازم . ولا ذكر لكلمة (عذبة) ولا (غذبة) في المعاجم التي بين يدي للمعنى المطلوب في الأصل فهما من خطأ النسخ (في القاموس : العَذْبة بالفتح وبالتحريك وبكسر الثانية : الطُّحْلب . وماء عذِب ككتف مُطَحلِب . والعَذْبة شجرة تموّت البُعران ، ودواء معروف) .

★ ★ ★

٩٤) الأَسَلَة

ف Pointe de la langue

ز Spike of the tongue

في الأصل . — من اللسان مستدقه .

في (ق) . — من اللسان طرفه . ومن النصل والذراع مستدقه ، ومن النعل رأسها .

قلت : من هذا الشرح يتبين أن الأسلة هي رأس اللسان وهذا ما جعلني أضع مقابلها بالفرنسية والانكليزية .

★ ★ ★

٩٥) العَكَدَة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — العُكدة بالضم أصل اللسان .

في (ق) . — العكدة محركةً أصل اللسان وأصل القلب . [أما العكدة ، بالضم ، فهي المصمص ، والقوة وجحر الضب . فلا توافق مطلوب المؤلف . فهي العَكَدَة بالتحريك] .

في معجم متن اللغة . — العكدة محركةً أصل اللسان والذنب وعقدته أو وسطه أو معظمه ج عُكَدٌ بضم ففتح وعَكَدٌ بفتحتين .

قلت : فتأمل كثرة ما تطلق عليه كلمة واحدة .

★ ★ ★

٩٦) الصُّرَدَان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — عرقان أخضران في ناحيتي اللسان .

في (ق) . — عرقان يستبطنان اللسان .

في معجم متن اللغة . — عرقان أخضران في أسفل اللسان ، أو هما عظمان يقيمان اللسان .

ملاحظتي . — أترك وضع المقابل باللغتين الفرنسية والانكليزية لما بعد تحديد ما كان يقصده العرب من (العِرْق) هل هو (الشريان Artère) أم هو (الوريد Veine) أم كليهما معاً .

★ ★ ★

٩٧) اللَّحْيان (= الفكّان)

ف Mâchoire (f.)
ز Jaw

في الأصل . — العظمان اللذان فيهما الأسنان من فوق ومن أسفل .
الواحد لَحْيٌ ؛ (فكٌّ) .

في (ق) . — الفكّ اللحي أو مجمع الخطم . واللَّحْي منبت الذقن .
في (ل) . — الفك عظم الوجه ، الذي يحمل الأسنان . (في الإنسان : يتألف الفك العلوي من عظمَي الفكين ملتحمين فيما بينهما ومع المظمين المجاورين .
أما الفك الأسفل فعظم واحد فقط متصل بالجمجمة بمفصل لُقْمي (١)) .

١) Condylome

ما أضفته :

١ — فك سُفلي

ف Mâchoire inférieure ; maxillaire inférieure ; mandibule
ز Lowerjaw ; inferior maxilla ; mandible

٢ — فك علوي

ف Mâchoire supérieure ; maxillaire supérieure
ز Upper jaw ; superior maxilla

٣ — فكّي

ف Maxillaire
ز Maxillary

٤ — جيَيب فكّي

ف Sinus maxillaire
ز Maxillary sinus

★ ★ ★

٩٨) الأسنان

ف Dents (f.); denture
ز Teeth (= tooth): set of teeth

في الأصل . — لم يذكر لها تعريف .

في (ق) . — السّن ، الضرس ج أسنان ، أسِنّة ، أسُنّ .

في (ل) . — السن ، عضو قاس مندمج في الفك . يتألف من العاج المغشّى بالميناء فوق الإكليل . يفيد لمضغ الأطعمة والعضّ والنهش (من الأمام إلى الخلف يميَّز : القواطع ، الأنياب ، الأضراس) اهـ .

جاء في الأصل : الأسنان (٤ ثنايا) ، (٤ رباعيات) ، (٤ أنياب) ، (٤ ضواحك) ، (١٢ رحى ، ثلاث في كل شق) ، (٤ نواجذ في أقصى الأسنان) . وإليك ما يقابلها بالفرنسية والانكليزية :

آ) ثنايا (أسنان أمامية)

ف Dents antérieures
ز Front, anterior, oral teeth

ب) أنياب

ف Canines ou œillères
ز Canine, cuspid or eye teeth

ج) ضواحك

ف Dents prémolaires : petites molaires

ز Bicuspid premolar teeth

د) رحى (= ضِرْس)

ف Dents molaires

ز Molar, multicuspid teeth

هـ) نواجذ

ف Dents de sagesse

ز Wisdom teeth

و) قواطع

ف Dents incisives

ز Incisor teeth

أهم ما أضفته :

١ — إكليل

ف Couronne

ز Crown of the tooth

٢ — جذر

ف Racine

ز Root of the tooth

٣ — دَرادر الفكَّيْن

ف Alvéoles des maxillaires

ز Tooth - sockets : alveoli

٤ — عاج

ف Ivoire ; dentine

ز Dentin ; dentine

٥ — عضو الميناء

ف Organe de l'émail
ز Enamel organ

٦ — عُنَيْق

ف Collet
ز Neck of the tooth

٧ — لُبّ

ف Pulpe
ز Dental pulp; dentinal pulp

٨ — مِلاط

ف Cement
ز Dental cement

٩ — ميناء

ف Émail
ز Enamel

١٠ — أسنان أمامية

ف Dents antérieures
ز Front, anterior, oral teeth

١١ — أسنان دائمة

ف Dents permanentes; denture
ز Permanent teeth

١٢ — أسنان موقتة (= روائع)

ف Dents temporaires; dents de lait: denture temporaire
ز Deciduous, milk, temporary teeth

١٣ — أسنان نخرة

ف Dents gâtées

ز Defective, decayed. rotten teeth

١٤ — أسناني ، جراح أسنان

ف Dentiste; chirurgien - dentiste

ز Dentiste

١٥ — ذو أسنان

ف Denté

ز Toothed, dentate: denticulated

١٦ — مجموعة الأسنان (= طقم أسنان)

ف Denture: râtelier. dentier

ز Prothesis: prosthesis

١٧ — جهاز أسنان

ف Prothèse dentaire

ز Prothesis: prosthesis

١٨ — لِثة

ف Gencive

ز Gum

١٩ — لثوي

ف ، ز Gingival

٢٠ — حروف سِنّيّة (= نطعية)

ف Lettres dentales

ز Dental consonants

٢١ — سَنُون (مسحوق للأسنان)

ف Dentifrice

ز Tooth - powder ; dentifrice

٢٢ — فِرْجَون أسنان (مِسْواك)

ف Brosse à dents

ز Tooth - brush

٢٣ — معجون للأسنان

ف Pâte dentifrice

ز Tooth - paste

٢٤ — سنّ الرشد (البلوغ)

ف Âge de puberté ; majorité

ز Full age ; majority

٢٥ — صغير السن

ف Jeune

ز Young

٢٦ — كبير السن

ف Âgé ; vieux

ز Old

★ ★ ★

٩٩) الرَّأدة ، الرَّأد

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الراد ، العظم الناتئ في أصل اللحي .

في (ق) . — الرأدة (بالهمز) أصل اللحي .

في معجم متن اللغة . — الرُّؤْد ، والرَّأْد ، أصل اللحي النابت تحت الأذن ؛ والرأدان أعلى اللحيين عند الماضغتين .

ملاحظتي . ـ الراد ، إطلاقها على (العظم الناتئ في أصـل اللحي) فيه نظر [أليست هي الخُشَّاء على التخصيص ؟ وإلا فهناك ناتئ وجني ، وناتئ صاعد ، وناتئ حنكي كلهن في الفك العلوي . فأيهن الرأدة ؟] . ثم ان (الراد) من خطأ النسخ . الصحيح (الرَّأدة) بالألف المهموزة في آخرها (تاء) التأنيث كما في القاموس ؛ وبدون التأنيث كما في متن اللغة . فوضعتها كاتبها في (الرقم ٩٩) مصححتين . ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

١٠٠) الفنيك

ف Côté du menton

ز . . . . .

في الأصل . ـ طرف اللحيين عند المنفقة بل هو أصل اللحي والمركّب في الرأس .

في (ق) . ـ مجمع اللَّحيين أو طرفها عند العنفقة ؛ وعظم ينتهي إليه حلق الرأس ، والزمِـكَّى كالإفنيك .

في معجم متن اللغة . ـ زيادةً على ما في (ق) : عجب الذنَب ، مجتمع الوركين حيث يلتقيان .

قلت : ما أعجب هذا التضاد في الشرح : بين (الرأس !) و (الذنب !) فأيها يتم الاتفاق عليه لدى الاختصاصيين ؟ فلننتظر .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

المحتسب

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن جني

— ٢ —

ص ٦٦ ، س ٨ — ٩ « ... لما كان الغرض فيه أنه قد عرفها وعلمها » .

ضبط الفعلان بالتخفيف مبنيين للفاعل ، وضبطا في ت : « ... عُرِّفَها وعُلِّمها » بالتشديد مبنيين للمفعول ؛ وهو ما يقتضيه سياق المعنى .

س ١٣ « ... فقد عُلِمَ أن الغرض بذلك في جميعه أن الإنسان مخلوق ومضموف » .

في ت : « ... فقد عُلِمَ بذلك أن الغرض في جميعه ... » وهو النظم البيّن للعبارة .

س ١٣ — ١٤ « ... وكذلك قولهم : ضُرِب زيد إنما الغرض منه أن يعلم أنه منضرب ، وليس الغرض أن يُعْلَم من الذي ضربه » .

في ت : « ... أنه قد ضُرِب » وهو محض الصواب ، فإن بناء « انفعل » من « ضرب » منكر غير معروف . وقد أعاد أبو الفتح تقرير هذه المسألة ص : ١٠٤ وعبارته ثمة عن هذا المعنى : « ... أن يُعْلَمَ أنه مضروب » .

وفي ت أيضاً : « ... إنما الغرض فيه » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح ، كقوله فيما تقدّم نقله آنفاً « لما كان الغرض فيه ... » و « أن الغرض في جميعه » . وقد ثبتت « فيه » في ت بعد قوله « ... وليس الغرض » إلا أنها صحفت ها هنا إلى « منه » .

ص ٦٧ ، س ٤ « ونحوه قراءة : (أن تبوّيا) ... » .

في ت : « ونحوه قراءة من قرأ : (أن تبويا) ... » .

ص ٦٨ ، س ١١ « ... صحّتا متحرّكتين في ضوٍ ونوٍ وشيٍ ... » .

زاد بعدها في ت : « وفيٍ » ويعزز هـــذه الزيادة أنه ذكر قبل ثلاثة أسطر الألفاظ الأربعة .

س ١٢ فكما تكون الياء مضمومة مع التحقيق في قوله : « أنبئْهُمْ » .

في ت : « فكما تكون الهاء مضمومة ... » وهو محض الصواب .

س ٢١ « ... فإنه أشبع الكسرة فمطّها فبلغت ياء ... » .

في ت « ... أشبع الكسرة فمطلها ... » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح وأكثر المتقدمين في التعبير عن هـذا المعنى . وقد عقد في الخصائص بابين لإشباع الحركات والحروف سمى أولها « باب في مطل الحركات » والآخر « باب في مطل الحروف » ٣/١٢٤ وما بعدها .

ص ٦٩ ، س ١٠ « ... فجرت مجرى المنفردة البتة » .

في ت « ... مجرى المفقودة البتة » وهو الصواب .

س ١١ « ... ولا يجري عندي مجرى ياء طواويس ونواويس ... » .

في ت « ... ولا يجري عندك ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

ص ٧٠ ، س ٦ « ... فخُفّفَت الهمزة وأُلقيت حركتها ... » .

في ت « فخففت الهمزة فحذفت وألقيت ... » وهو أتم وأبين .

س ١٤ « .. لم يحفلوا بلفظ » .

في ت « ... لم يحفلوا بلفظه » وهو الصواب .

س ٢٢ « ... ودبّة مهيار – وهو من تهوّر » .

في ت « ... وهو من تهوّر الجرف » ويعزز هذه الزيادة قوله ص : ١١٨ كما قالوا « في تهوّر الجرف : تهيّر » .

ص ٧١ ، س ١ « ... وأصله كله قنو وصبوة ... » .

في ت « ... قنوة » وهو الصواب ؛ لأن الحديث في أصل « قنية » . وقد ألم أبو الفتح بهذه المسألة في الخصائص ١/٩٣ ، ١٣٧ .

س ١٣ « .. ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من « اسجدوا » لسقوط الهمزة أصلاً إذا كانت وصلاً » .

في ت « ... إذ كانت وصلاً » وهو الصواب ، ويشهد بذلك أن أبا الفتح تناول ص ٢٤٠ فما بعدها قراءة أخرى لأبي جعفر نحو القراءة التي تناولها في هذا الموضع فقال في هذا المعنى : « ... والوصل يحذف هـــذه الهمزة أصلاً إذ كانت همزة وصل » .

س ٢٣ — ٢٤ « ... وهو حذفه حركة الإعراب لحركة غير ملازمة » .

في ت « ... لحركة غير لازمة » وهو الصواب .

ص ٧٢ ، س ١ « ... فإن همزة « اسجدوا » يحذفها في الوصل البتة » .

في ت « ... يحذفها الوصل البتة » بإسقاط « في » وهو الصواب . ويعزز ذلك قوله عقبه « ... وإذا كانت محذوفة البتة لم يكن إلى تخفيفها سبيل لأن الوصل يستهلكها البتة » وقوله ص : ٢٤٠ في العبارة عن هـذا المعنى أيضاً « ... والوصل يحذف هذه الهمزة أصلا » .

س ٢٢ « وحكى أبو زيد في خبأة ... » وشرحت « خبأة » في الحاشية ٦ بما نصه : « امرأة خبأة : لازمة بيتها » . وهذا تفسير صحيح من جهة اللغة إلا أنه ليس المراد هنا ، وإنما « خبأة » اسم كتاب لأبي زيد ذكره القفطي في الإنبـاه ٢/٣٥ نقلاً عن ابن النديم إلا أنه صُحِّف فيه إلى « حياة » كما صُحِّف فيه وفي غيره أسماء غير كتاب من كتب أبي زيد . وقد سقط اسم هذا الكتاب من مطبوعة فهرست ابن النديم أصلاً .

ص ٧٣ ، س ١ « ... يريد : على الأرض ، فحذفت همزة أرض تخفيفاً ، وأُلقِيَ حركتُها على اللام وهي ساكنة كما ترى » .

في ت « فحَذَفَ همزةَ أرض وألقى حركتَها ... » وهو الصواب الموافق لسياق الكلام .

س ٦ « ... والتاء من السوءة محرَّكة » .

في ت « ... متحرِّكة » وهو المعروف من لغة أبي الفتح في هـــذا الكتاب وغيره .

س ٩ — ١٠ « قال أبو علي ما نحن عليه ونعى هذه القراءة [يعني قراءة الكسائي : بما أنزلتّيك] وقال : لحركة لام أنزل . فإذا قبح ذلك مع أن حركة اللام بناء فما الظن بما حركته إعراب » .

في ت « مع أن حركة لام أنزل بناء ... » وهو أحسن وأبين .

س ١٢ « وقول أحمد بن يحيى : إنه ألقى فتحة أنتْنه على كسرة الهاء ... »

في ت « ... على كسرة التاء » وهو الموافق لما جاء في أول الخبر ص : ٧٢ حكاية عن أحمد بن يحيى ، وهو قوله : « ... وألقت حركة الهمزة في أنتنه على كسرة التاء من السوءة ... » على أن العبارة عن هذه التاء بالهاء صحيح أيضاً .

ص ٧٨ ، س ١١ « وكذلك قوله : قبقبي ، أراد : قبقبَ ، ثم أشبع فصار قبقبا ، وعلى هذا التخريج يسقط قول سيبويه عن يونس ... » .

وقع في العبارة سقط أخلّ بالمعنى ، وتمام الكلام كما في ت : « ... ثم أشبع فصار قبقبا ، ثم أبدل في الوقف فصار قبقبي ، وعلى هذا التخريج ... » .

ص ٧٩ ، س ٤ « ... وفي ذلك رد لقول يونس : إن لبيك مفرد ... » .

في ت « ... إن لبيك اسم مفرد ... » وهو أبين ، ويؤيده قول سيبويه الذي نقله المحققون في الحاشية ١ ونصه : « وزعم يونس أن لبيك اسم واحد ... » .

ص ٨٢ ، س ٥ — ٦ « فأما التثنية والجمع في نحو قولك : قمت قيامين ، وانطلقت انطلاقين ، وعند القوم أفهام ، وعليهم أشغال ، فلم يُثَنَّ شيء من ذلك ولا يجمع ولا يُرَدْ وهو مراد به الجنس ... » .

وفي ت « ... فلم يُثَنَّ ولا جُمِعَ ... » وهو الصواب الذي تتسق معه العبارة ، وأما اللفظ الذي يليه « ولم يرد » فسقط في ت ، وصواب ضبطه كما يقتضيه المعنى « ولم يَرِد » بفتح الياء وكسر الراء ، مضارع « ورد » لا بضم اليـــاء وفتح الراء ، مضارع « أراد » مبنياً لما لم يسم فاعله ، كما ضُبِط في هذه المطبوعة .

ص ٨٣ ، س ١ « ... فقال قتادة : (فاقتالوا أنفسكم) من الاستقالة » .
في ت « ... فقال قتادة : إنما هي (فاقتالوا أنفسكم) ... » وهو أوفى وأشبه بسياق الكلام .

ص ٨٣ — ٨٤ « ... وعلى أنه لو كان بمعنى استقلت لوجب أن يستعمل باللام فيقال : استقلت لنفسي أو على نفسي ، كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي وعلى نفسي ، وليس معناه أن يسأل نفسه أن تقيله ، وإنما يريد أنه يسأل ربه عز وجل أن يعفو عن نفسه . وكان له حرى ـ لو كان على ذلك ـ أن يقال : فاقتالوا لأنفسكم أي استقيلوا لها واستصفحوا عنها » .

في ت « ... كما يقال : استعطفت فلاناً لنفسي ، أو على نفسي ، وليس معناه أنه يسأل نفسه ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

وفي ت أيضاً : « أن يغفر [يعفو] له عن نفسه . وكان حرى ـ لو كان على ذلك ـ أن يقال : فاقتالوا لأنفسكم ... » وهو النظم البيّن للعبارة . وقد فُسّر « حرى » في الحاشية ١ بما نصه : « حرى : وجه ، فمن معاني الحرى : الناحية » وهذا تفسير بدع لا يقوم به المعنى ، وإنما « حرى » ها هنا بمعنى

خليق وجدير . وأبو الفتح كثيراً ما يعبر عن نحو هذا المنى بنحو هذه المبارة ، ومن ذلك قوله ص : ٨٩ من هذا الكتاب : « ... ولو كان في الأصل وصفاً لكان حرى أن يستعملوا منه فعلاً » .

ص ٨٥ ، السطر الأخير « ومنه أيضاً اختصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد . ولم يقولوا ثلاث مئين ... » .

في ت « ومنه أيضاً اقتصارهم . . » وهو محض الصواب .

ص ٨٦ ، س ١٠ « ومنه قولهم : « خالُ مالٍ ، وخائل مالٍ : إذا كان حسن الرعية والتفقد للمال » .

في ت « ومنه قولهم : فلان خالُ مال ... » وهو أوفى وأتمّ .

ص ٨٧ ، س ٢ — ٣ « ... قال الأصمعي : سألت أعرابياً ـ ونحن في الموضع الذي ذكره زهير ـ يعني هذا البيت ... » .

في ت « ... يعني في هذا البيت » وهو الوجه ، ولعل « في » سقطت في الطبع .

ص ٨٨ ، س ٢٠ « ... عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس محمد ابن يزيد ... » .

في ت « ... علي بن سليمان الأخفش عن ... » .

ص ٨٩ س ٢ « ... غير أن القراءة بترك الهمز : (أدني) ... » .

في ت « ... بترك الهمز من (أدني) ... » وهو أحرى بالصواب ، وربما كانت « من » مصحفة عن « في » .

س ٢ « ... وينبغي أن يكون من دنا يدنو . أي قريب » .

في ت « ... أي قَرُب » وهو الصواب .

س ٧ « ... ويؤنّس هـــذا المذهب الثاني أنا لا نعرف فعلاً تصرف من هذا اللفظ ... » .

في ت « ويُؤْنس بهذا المذهب ... » وهو الصواب .

س ١٢ « ومن ذلك قراءة يحيى وإبراهيم : (ما سِألتم) بكسر السين » .

في ت « ... بكسر السين ، مهموزة » ويعزز هذه الزيادة قوله بعد أسطر « فإذا كان كذلك فقراءتها (سِألتم) مكسورة السين مهموزة غريب » .

السطر الأخير « ... فصار ذلك من تركيب اللغة » .

في ت « ... فصار ذلك من تركيب الاثنين » وهو أحرى بالصواب .

ص ٩٠ ، س ١٥ — ١٦ « وكذلك قوله أيضاً : « سِألتم » بكسر الفاء على حد كسرها في سِلتم ، ثم استذكر الهمزة في اللغة الأخرى فقال : سِألتم » .

في ت « ... كسرَ الفاء ... ثم استذكر ... » وهو الصواب الذي يؤيده سياق الكلام .

س ٢٠ « ... فلما كسر السين استذكر الهمزة فراجعه هنا كما راجعه في القول الأول » .

في ت « ... استذكر الهمز فراجعه ... » وهو الوجه لتذكير الضمير العائد عليه .

ص ٩١ ، س ١٢ — ١٣ « ومن ذلك قراءة قتادة « وإن من الحجارة » وكذلك قراءته : « وإن منها » مخففة . قال ابن مجاهد : أحسبه أراد بقوله : مخففة ـ الميمَ ؛ لأني لا أعرف لتخفيف النون معنى » .

في ت « ... قراءة قتادة : « وإن من الحجارة لما » وكذلك قراءته : « وإن منها لما ـ مخففة ... » وهو أوفى وأتم ، ولا بد من ذكر « لما » في كلا الموضعين ليتضح مراد ابن مجاهد من قوله : « أحسبه أراد بقوله : مخففة ـ الميمَ » .

ص ٩٢ ، س ١٧ — ١٩ « ... وقد جاء هبطته متعدياً كما ترى ، قال :

ما راعني إلا جناح هابطاً على البيوت قوطَه العلابطا

وأعمله في القوط ... » .

في ت « ... فأعمله ... » وهو الوجه .

ص ٩٣ س ٦ – ٨ « ... ألا ترى أن قوله :

لها حافر مثـــل قعب الوليـــد تتخذ الفأر فيه مغـــارا

أي لو اتخذت فيه مغارا لنوره وتقعبه لوسعها وصلح لها » .

وقد خلت العبارة من خبر لـ « أن » والصواب كما في ت : « ألا ترى إلى قوله ... » وأمثال هذه العبارة كثيرة الدوران في كلام أبي الفتح ، من ذلك قوله ص ٩١ : « ألا ترى إلى قول الله تعالى : « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا » و « إن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » أي إنهم على هذه الحال ... » .

س ١٤ – ١٥ « ومن ذلك قراءة الأعمش : « يسمعون كلم الله » .

« الكلام كل ما استقل برأسه » .

في ت « قال أبو الفتح : الكلام كل ما ... » . وهذا ما درج عليه أبو الفتح في هذا الكتاب من أوله إلى آخره : أن يستهل كلامه على كل قراءة بعد حكايتها بـ « قال أبو الفتح » لئلا يلتبس كلامه بكلام من يحكي عنهم القراءة .

ص ٩٥ س ٩–١٠ « ... وذلك قولهم في أثانيّ وأناسيّ : أثانية وأناسية ...» .

وفُسِّر « أثانيّ » في الحاشية ٤ بما نصه : « ... كأنه جمع أثناء ، وواحد الأثناء : ثِنْي كحِمْل ، وهو من الثوب طيه » .

وفي ت « ... أثافيّ وأناسيّ : أثافية ... » ويظهر أن كلا اللفظين مصحف ، والصواب : « أثابيّ » و « أثابية » جمع « أثبيّة » بمعنى « الثبة » . قال في اللسان (ثبا) ـ : « والثبة والأثبية : الجماعة من الناس ، والجمع أثابي وأثابية ، الهاء فيها بدل من الياء الأخيرة » .

س ١٣ « ومن ذلك ما رواه ابن مجاهد عن أبي عمرو « وآيدناه » . قال ابن مجاهد ـ على ما علمناه ـ ممدودة الألف خفيفة الياء » .

جُعِلت عبارة « على ما علمناه » جملة معترضة من كلام أبي الفتح ! وقد وقع فيها تصحيف منكر ، والصواب كما في ت « على فاعَلْناه » وهي من كلام

ابن مجاهد ، يريد أن « آيد » من بناء « فاعَل » . وتصديق ذلك ما جاء عقب ما تقدم من قوله : « وقد روى عن مجاهد في قوله [تعالى] : « إذ أيّدتك » : « آيدتك » قال ابن مجاهد : على فاعَلْتك » .

ص ٩٦ ، س ٢ — ٤ « ولكن قراءة من قرأ « آتينا بها » فاعَلْنا ، ولو كان أفعلنا لما احتاج إلى حرف الجر ، لأنه إنما يقال : آتيت زيداً بكذا ، وآتيته » .

في ت « ... وآتيته كذا » وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام . وقد خُرِّجت الآية المذكورة في الحاشية ٣ على أنها الآية ٧٤ من سورة الحج ، وإنما هي الآية ٤٧ من سورة الأنبياء .

س ٥ — ٦ « ... فقوله في تلك القراءة « آتيناها » كقولك : حاضرنا بها وشاهدنا بها » .

في ت « فقوله في تلك القراءة : « آتينا بها » . . . » . وهو الصواب وهذه هي القراءة التي حكاها فيما تقدم نقله آنفا .

س ١٥ « ... وكثر فيه فعّلت : أيّدت ليؤمن ذانك الاعتلالان » .

في ت « ... ذانك الإعلالان » وهو الصواب .

(يتبع) أحمد راتب النفاخ



بين الشعر والفلسفة

إن كلمة « فلسفة » التي وردت في عنوان هذا الموضوع لا يقصد فيها إلى الفلسفة التي قرأنا عنها في صفوف الفلسفة من المدارس ، أعني أنها ليست الفلسفة التي أفنى عمره فيها سقراط وأفلاطون وأرسطو والفارابي وابن سينا .

هذه الفلسفة العلمية ، إن صح التعبير ، أو المدرسية ، ذات القواعد والأصول ، لست بسبيل البحث فيها ، وإنما أقصد في كلمة « فلسفة » إلى هذه الأفكار التي تعرض للشعراء الموهوبين ، الشعراء العباقرة في سبحات خيالهم ، وتحليق أرواحهم وسمو نظراتهم التي تصل بهم إلى أجواء لا نعرفها إلا بأقوالهم ، وسماوات لا تخطر على بالنا لولا تلك الصور الشعرية الأخاذة التي تقربها من أيدينا حتى نكاد نلمسها لمس اليد ، هذه الأفكار الشعرية ، التي تتناول مصير الإنسان ونهاية البشر وخاتمة الخليقة ، هذه الأمور التي لا تفارق الإنسان مدة عمره ، هي التي أقصد إليها في هذا الموضوع ، فالبحث إذن يتناول ما يجول بخاطر الشعراء من خوف وهلع للنهاية التي تنتظر كل إنسان في هذا الوجود ، أولئك الشعراء الذين يتحدثون عن كل أمر من أمور الحياة حديثاً له لغته الخاصة وتعبيراته اللماحة التي لا يحسنها إلا الذين أوتوا ملكة البيان وعرفوا طواعية الفكر وذلاقة اللسان .

والفرق بين الشاعر والفيلسوف ؛ أن الشاعر يتحدث بلغة الإحساس المرهف والشعور المتوفر في حين أن الفيلسوف لا يحدثك إلا بلغة العقل والفكر المحض ، كما يقول أصحابنا الفلاسفة ، هـــذا يتحدث بشعوره ، وذاك يتحدث بعقله ، وشتان بين الطريقين .

ولكن هذا العقل وهذا الإحساس ، ولنطلق عليه ، القلب ، لابد أن يلتقيا أحياناً ، فإذا التقيا غلبت الوهبة الأصيلة ، فمن كانت فلسفته أشد ظهوراً ، كان كلامه فلسفة ، ومن كانت شاعريته أقوى أثراً ، كان حديثه شعرا ، وهكذا نجد أنه لا بد للفلسفة من بعض الشعر ، كما لا بد في الشعر من قليل من الفلسفة ، على أن تكون هذه الفلسفة غير ظاهرة في الشعر ظهوراً يقلب الشعور إلى فكر ، ويعطينا بدل اللذة والاستمتاع تفكيراً جافاً ، صرفاً ، هو التفكير الفلسفي .

في الشعر تكون الأفكار الفلسفية أشبه باللمح ، وفي الفلسفة يكون الشعر أقرب إلى الزينة والبهرج ، الشعر يخفف من جفاف الفلسفة ، والفلسفة تزيد الشعر عمقاً ورجاحة واطمئنانا ، بشرط أن لا تزيد عن مقدارها المقبول فهي ، في لغة الصيادلة والأطباء ، أشبه بالمقادير الطبية المفيدة النافعة ، حتى إذا زادت عن مقدارها المحدد أوشكت أن تكون سماً قاتلا .

ولقد أحس الشعراء القدامى هذه الحقائق ، ونظروا فيها ، وأبدوا آراءهم حولها ، وكان البحتري سبّاقاً إلى ذلك ، لأن البحتري شاعر محترف ، وأعني بالاحتراف هنا أنه كان شاعراً ، ولم يكن يستطيع أن يكون إلا شاعراً ، إن الشعر عند هذا الشاعر مهنة واختصاص ، فهو يأكل ويمشي ويتحدث ويكتب ويغني ، إنه يفعل كل ذلك بصفته شاعراً ولا يفعل شيئاً في حياته فيما لو فارقته هذه الصفة التي كونت شخصيته وتناولت كل وجوده .

يقول البحتري في حديثه عن الشعر :

ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنـ ـطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

فالفلسفة التي أشرنا إليها آنفاً وأعني الفلسفة التي يجوز لها أن تمتزج بالشعر وأن تبدو على الكلام الشعري هي فلسفة أقرب إلى الخيال وأشبه بالشعر نفسه ، وليست منطقاً مبنياً على مقدمات ونتائج ، أو هي ليست حقيقة

رياضية تعتمد على أن اثنين واثنين تساوى أربعة ، أو هي ليست حقيقة كيميائية ، تجعل من الماء ذرة من الاوكسجين وذرتين من مولد الماء ، كل هذه الحقائق العلمية أو الفلسفية لا تدخل في باب الشعر ولا تلجه إلا قسراً ، فاذا ولجته كانت غريبة عنه ، شاذة في جوه ، مستكرهة في عالمه ودنياه . لذلك تذكر البحتري امرأ القيس ، وهو يمثل الشاعر الملهم في اللسان العربي . الشاعر الذي عاش للشعر ومات في سبيل حقيقـة شعرية خالدة هي الفكرة التي دعاه اليها قلبه في حين أن عقله كان ينهاه عنها وينهيب به الى تركها ؛ لقد دعاه قلبه الجريح الى الأخذ بثأر أبيه ، ولم يكن في سعيه هذا أي أثر للمنطق والعقل بعد أن خذله الناس وتركوه وحده في دنيا العرب حتى لجأ الى دنيا الروم حيث مات غريباً مشرداً ، لم يكن امرؤ القيس إذن يتكلم بلغة المنطق ، ولم يبحث في حياته نوع هذا المنطق وأسبابه ومسبباته ، بل ترك لقلبه العنان ولنفسه الحرية المطلقة كما ترك خياله يهيم في أجواء الشعر أنى شاء وكيف أراد . هذه هي الفكرة الشعرية التي دعا اليها البحتري الشاعر ، وهو بعد أن ضرب المثل بامرئ القيس إمام الشعراء وحامل لوائهم في النار ، عرّف الشعر تعريفاً ما أظن أن الأدب العربي ، أو الأدب العالمي قد وصلا الى تعريف يفوقه جمالاً وقوةً واختصاراً واصابةً ، يقول البحتري :

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

إن كلمة « لمح » لتضم بين حروفها الثلاثة عالماً كاملاً من الشعر وأعظم منها هذه الجملة التي وردت بعدها في قول الشاعر « تكفي إشارته » فما ينبغي للّمح أن يطول أمده ، وأن يبهر العين ويعشي البصر حتى يعرفه الناظر اليه ، إن ومضةً واحدةً من ومضاته تكفي لمعرفته وإدراكه ادراكاً يغني عن طول المدة والبقاء والاستمرار ، وهذه « الومضة » هي « الإشارة » الكافية التي تغني في الفهم عن كل ما عداهـــا ، ان قارئ الشعر المرهف يستغني بهذه الإشارة عن كل كلام آخر ، ولعل في الشطر الثاني من هذا

البيت العجيب توضيحاً لما قلت ، فان الشعر الذي هو لمح تكفي الإشارة منه ، ليس بالهذر ، ولا يمكن أن يكون خطبة طويلة تتكرر عباراتها وتعاد جملها بحيث تصير نثراً ، أو كتابة لا شعر فيها ولا شعور وإنما هي أفكار مبثوثة قد أحكم الرابطة بينها منطق له مقدمات وله نتائج .

ولو تعمقنا في النظر بهذين البيتين اللذين مرا بك لأدركنا أن البحتري إنما قصد إلى إقصاء الشعر عن الفلسفة ، وأنه سعى بكل شعوره إلى الفصل بين الفلسفة والشعر ، لأن لكل منهما عالماً خاصاً وجواً يعيش فيه .

ولكن البحتري كما ترون قد نأى في رأيه هذا عن الفلسفة كلها . هذه الفلسفة التي جعل عنوانها « المنطق » وهو تعبير قديم كما ترون ، فربما كان المنطق في عهد من العهود السابقة ممثلاً للفلسفة كلها ، ويبدو أن الفلسفة المبنية على المنطق ، هي التي أراد الشاعر الهروب منها ، وله الحق في هذا ، فإن المنطق لا يمكن أن يختلط بالشعر ، فالأول بني على القيود والحقائق التي لا تقبل الشك في حين أن الشعر بني على الحرية وهو حليف الخيال الذي لا يعرف حداً غير حد الشعور والإحساس ، أما ألوان الفكر التي دخلت في عالم الفلسفة بعد العصور الأخيرة ، وبعد أن قام الفلاسفة بوضع التصنيفات الكثيرة ، إن هذه الألوان لا يمكن أن تنفى كلها عن الشعر ولا يجوز للشعر أن يضيق بها ذرعاً ما دامت تستطيع أن تعيش في جوه ، بشرط أن تتخذ لها شكلاً يقرب من الشعر .

من هذه الألوان بحث ما وراء الطبيعة في بعض نواحيه الغيبية ، كالفلسفة التي تتناول نهاية الإنسان والبعث والنشور وخلود الروح وما شاكل هذه الأفكار التي شغلت الفلاسفة العرب كابن سينا وشغلت الفلاسفة الأجانب من عهد يونان حتى أيامنا هذه ، إن هذه الأفكار قد اختلطت بالشعر وكانت لوناً شعرياً مستقلاً أعجب به أناس كثيرون حتى لقد عدوا الشعر المجرد عن هذه الأفكار شعراً بسيطاً قليل المادة ، أو قليل الدسم إذا أردت .

فنحن إذن نجد أنفسنا أمام لونين من الشعر ، اللون الأول ، هو الشعر الصافي أو الشعر المحض ـ إذا جازت هذه التسمية ـ وهو الشعر الذي يعتمد على اللفظ الموسيقي والعبارات المنغومة والصور الشعرية التي تأتي الشاعر عفو البديهة وعن طريق الإلهام ، الذي يشكل العنصر الأساسي للشعر والذي يتفاوت الشعراء حسب ما يملكون منه ، هذا اللون من الشعر بعيد عن الأفكار الفلسفية والآراء التي تعتمد على العقل أكثر مما تعتمد على الوحي والإلهام ، ومن هذا الصنف من الشعراء البحتري ، والعباس ابن الأحنف ومسلم بن الوليد ، وعمر بن أبي ربيعة وشوقي والشعراء العذريون الذين قضوا حياتهم يبكون ويشتكون ، وينظمون عواطفهم القلبية التي لا تعرف المنطق ولا تؤمن به ولا تفكر فيه

أما اللون الثاني فهو الشعر الذي اتسع أفقه ، وانفسحت رقعته ، وانفرج بابه حتى دخلت منه الفلسفة ، التي امتزجت بالشعور والخيال والنغم فأصبحت جزءاً من الشعر ، بحيث يرى القارئ في هذا الشعر المتعة واللذة إلى جانب الدسم الفكري الذي يملأ الإنسان لذة وفهما ، ويقوم على رأس هذا الصنف من الشعراء العرب أبو الطيب المتنبي ، ويأتي بعده أبو نواس وبشار .

ولو أخذنا العلم الفرد من بين هؤلاء ، وأعني أبا الطيب ، لوجدنا عنده شعراً عجباً ، لقد جاء المتنبي إلى هذه الدنيا شاعراً كبيراً ، وكأن هذا الشاعر الكبير لم يعرف عهداً يسمى الطفولة ، إلا إذا كان شعره الطفل قد عدت عليه يد الزمن فذهبت به وأضاعته من بين أيدينا ، وإلا فان الأبيات التي بقيت لدينا من طفولة هذا الشاعر لا تبعد كثيراً عن شعر الشعراء الكبار بل هي لا تختلف اختلافاً بيناً عن شعر المتنبي ذاته حين بلغ أوجه ووصل إلى القمة .

يقول مؤرخو الشاعر :

ومر في صباه برجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعَجِّبان الناس من كبره فقال :

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا سريع العطب
رماه الكناني والعامري وتلاّه للوجه فعل العرب (١)
كلا الرجلين أتّلا قتله فأيكما غلّ حر السلب (٢)
وأيكما كان من خلفه فان به عضة في الذنب

هذا الشعر القوي ، وهذا الشعر الجارح ، وهذا الأسلوب العربي الدال على متانة وعلى جزالة أصيلتين ، هـذا كله من فعل صبي لم يبلغ بعد طور الشباب ـ وليس يخفى ما في الشطرة الأخيرة من إضحاك وغمز وسخر ، وهذا التساؤل الذي سبق ذلك في الشطرة الأولى يدل على نضج في الملكة الشعرية وعلى تمكن من اللغة والعروض ، وعلى طواعية في الخيال والاستيحاء الشعري .

ولو تركنا هذه الأبيات التي لم ينْحُ المتنبي فيها نحو الحكمة ، أو الفلسفة الشعرية كما أسميناها ، واستمعنا إليه وهو يمدح في صباه « محمداً بن ممن » في قصيدته التي يقول في مطلعها :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

لعجبنا من قوله :

أبني أبينا نحن أهل منازل أبداً غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيـــا فلم يتفرقوا

---

(١) تلاّه : قتلاه .

(٢) أتّلا : تولى القتال وباشره ، غلّ : خان ، أي اشتركا في قتله ثم خان أحدهما الآخر في سلب أشياء القتيل .

أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق

انه يذكر الحكمة الخالدة في الحياة ويبحث القضية الكبرى وهي الموت وهو بعد صبي ، فماذا أبقى لأيام الشباب ، وماذا ادخر هذا الشاعر العجيب ، لأيام الكهولة والشيخوخة ، حين تبلغ الملكات الإنسانية كلها وتصل إلى غايتها من النضج والاستواء .

فالنظرة نظرة فلسفيـة تشير إلى أن غاية العيش الفناء . وان نتيجة الحيـــاة إلى الموت فالزوال ، ولو كتبت هذه الفكرة نثراً لاستطعت أن تصل إلى المعنى المقصود من وراء الكلمات ، ولكنك حين تنثرها ، تفقد هذا الرنين وهذا النغم وهذا الجرس الذي يضفي على الكلمات ثوباً آخر من الزينة والأناقة لتغني الفكرة غناء بدل أن تقرأها قراءة جافة لا طرب فيها ولا نشوة ، ذلك هو الفرق الكبير والبون الشاسع بين أن تقول الكلمة نثراً وأن تنظمها شعراً ، ولا أنسى التشبيه الرائع الذي حفظناه عن بول فاليري الذي شبه النثر بالمشي العادي كما شبه الشعر بالرقص الموقع المنغوم .

المتنبي إذن يقف وحده على رأس هذا الصنف من الشعراء ، شعراء الفكر والنغم ، شعراء الفلسفة وفلاسفة الشعراء ، لقد أتوا بالفلسفة فجعلوها خفيفة على الفكر ، لطيفة على السمع والذوق ، بأن كسوها الثوب الشعري البراق فصارت طعاماً لا صعوبة في الوصول إليه .

وليس أبو نواس بالمنكور في هذا الباب ، لقد نظر في أخريات أيامه نظرات فلسفية صائبة ما تزال حتى الآن مثلاً يحتـــذى ونموذجاً كاملاً للشعر الفلسفي :

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهـــين
يسوقه من قـــرار الى قـــرار مكين

يحـــول شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى استوت حركات مخـلوقة من سكون

فالعبقرية الشعرية هنا تتجلى في أن الشاعر قد سلط إلهامه وشاعريته على حقيقة علمية هي في أصلها أقرب إلى علم الطب أو علم وظائف الأعضاء أو علم الأجنة ، فغير من ثوبها العلمي الجاف وجعل لها ثوباً شعرياً شفافاً رقراقا ، وانظر إلى هذا التعبير الشعري الذي بلغ أعلى درجات السمو في قوله « مخلوق من سكون » فالحركة تخلق من السكون ، وان العلم نفسه والفلسفة ليعجزان عن التعبير عن هـذه الحقيقة تعبيراً آخذاً كهذا التعبير الذي يهفو له القلب وتستجيب النفس . لقد عبر الشاعر عن هذه الفكرة العلمية بطريقة شعرية سهلة على القراءة ، حلوة في الحفظ والفهم والإدراك ، واختصر قصة الحياة الإنسانية في أبيات قليلة العدد ، كانت كلها وحياً وإلهاما .

أما بشار فان ملكته البيانية تفوق حدّ الروعة ، وخاصة في قصيدته البائية والميمية ، وان أبياته في الشورى لتعطيك دستوراً للحياة الاجتماعية ، وقانوناً تسير عليه فلا تخطىء أبداً ولا يصيبك من ورائه إلا التوفيق .

ولكن المتنبي يظل زعيم هـــذا الصنف من الشعراء المتفلسفين ، الذين فلسفوا الحياة بكلام شعري جنبوه جفاف العلم وحموه من خشنة الفلسفة .

لقد نظر المتنبي في شؤون الحياة نظرة أدرك بها ماوراء مظهرها من أمور خفية ومعان مستورة فوصف مارآه للناس ، وجعل من عقله الشاعر مصنعاً لدساتير الحياة والقواعد الاجتماعية بحيث أنك لو أخذت هذه الدساتير الشعرية فرتبتها الواحد إلى جوار الآخر لكان لك من ذلك نظـــام موضح مفصل تسير عليه فتصل إلى نهاية عيشك دون أن تجد في كل ذلك خطأ أو انحرافاً عن الحقيقة الخالدة ، وهل يمكن أن يقال غير هذا القول في مثل هذه الحقائق :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

إذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها أن لا يدوم لها عهد

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تتقى حتى تكون ضواريا

ولقد اشتط نفر من النقاد ، فجعلوا للمتنبي فلسفة خاصة في الحياة . وقرنوا هذه الفلسفة بفلسفة دارون « إرادة الحياة وحفظ النوع » وفلسفة « نيتشه » « إرادة القوة » وكان العقاد أبرز من تحدث عن المتنبي وفلسفته ، وقد زعم أن شاعرنا قد وفق بين الفيلسوفين الانكليزي والألماني فأقر فكرة « إرادة الحياة » كما أقر فكرة « إرادة القوة » وذلك في قوله :

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبا

فحب الجبان النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورثه الحربا

فالحياة حبيبة إلى نفس الشجاع وهذه الفكرة تدخل في باب « إرادة الحياة » ، ولكن الشجاع لا يحب إلا الحياة المثالية ، حياة الجاه والجبروت والتسلط والقوة وهذا ما يمكن أن يعزى إلى إرادة القوة ، لكن العقاد كان معجباً بالمتنبي ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأرى أن المتنبي على جلالة قدره لم تخطر على باله هاتان الإرادتان — إرادة الحياة وإرادة القوة — وكل ما أراد قوله هو أن الإنسان أناني لا يحب إلا نفسه ، وان طريقة هذا الحب تختلف بين إنسان وآخر . لقد قالها المتنبي بكل بساطة فكان قوله أقرب إلى النفس وألصق بالقلب ، لأنه شاعر ولأن الشعر يضفي على الأفكار ثوباً خاصاً لا تجود بمثله الفلسفة ولا يعرفه العلم . والذي صنعه المتنبي ليس فلسفة بالمعنى العلمي وإنما هو شعر امتدت يده إلى الآراء الفلسفية فأخضعها لقانونه وسيطر عليها .

ولربما خطر على البال شاعر آخر من هذه الزمرة وقد رأينا أن لا نحشره في جماعة معينة لأنه هو زمرة وحده ، هذا الشاعر هو أبو العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ، وأبو العلاء كما نرى لم يكن شاعر الفلاسفة ، لأنه حين أراد أن يكون فيلسوفاً أضاع الشعر ، وحين حاول أن يصبح شاعراً أضاع الفلسفة وهذه الفكرة تعود بنا إلى أول حديثنا عن العلاقة بين الشعر والفلسفة ، فالفلسفة التي تريد أن تعيش مع الشعر في جو واحد وفي إناء واحد ، يجب أن تأخذ شكل الشعر وأن تلبس لبوسه ، وأن تغير من طبيعتها ، حتى تسيغها النفوس مع ما تسيغ من الشعر ، أما أن تبقى الفلسفة منعزلة عن الشعر في البيت الواحد أو في القصيدة الواحدة ، دون انصهار في كيان واحد ، فإن ذلك مما يجعل هذا البيت فكرة فلسفية أقرب إلى النثر ، على ما فيها من وزن ومن قافية ، لأن الشعر شيء آخر ينضم إلى الوزن والقافية ، وهذا الشيء هو روح الشعر ، وإلا فما الفرق بين أبيات ابن مالك وشعر البحتري فيما لو اشترطنا الوزن والقافية وحدهما ، وأبو العلاء في أكثر شعره قد طغت فكرته على شاعريته ، وجنف عقله على موسيقاه . وتعدى رأيه حدود خياله ، فخرج شعره وهو أقرب إلى مجموعة من الآراء العقلية والفلسفية استقر وراءها الشعر حتى لا يظهر له أثر .

لقد نظم أبو العلاء الشعر في موضوعات فقهية واجتماعية وفلسفية ، ولكن هذا الشعر كان خلوا من العاطفة الشعرية التي يتحدث الشاعر فيها عن حبه وأحلامه وآماله وأشجانه ، ولا يمنع رأينا هذا في أبي العلاء أن نجد له شعراً في شبابه الباكر قد مُلِئ شعوراً وعاطفة ، بل ان له من هذا اللون

قصيدة واحدة قد تعدل في رأي الكثيرين ديوانا كاملاً من الشعر العالي ، تلك قصيدته الرائعة :

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شـــادي

فالقصيدة ليس فيها خيال شعري رفيع ، ولا صور أخاذة ، ولكن فيها أسلوباً عالياً وفكرة قريبة إلى القلب والنفس ، وحزناً ناعماً يشعرك بحزن الشاعر ويأسه من هذه الحياة التي تتخطف الأصحاب وتستأثر بالأعزاء واحداً بعد الآخر دون شفقة ولا رحمة .

ولقد يمر ببالك أيضاً شعراء الصوفية من مثل محي الدين بن عربي والحلاج والسهروردي وغير هؤلاء كثير والذي أعتقده في هؤلاء أن الشعر عندهم لا يحرك القلب وإنما يحرك العقل ، والقلب هو مصدر الشعر والشعور في كل فن . وابن الفارض مثلاً قد غلب عليه الشعر في حين أن محي الدين قد غلبت عليه الفلسفة والتشريع والتفسير وغير هذه الأمور التي كانت تشغل ذهنه وتملأ عليه حياته ، وما أبدع قول ابن الفارض :

خفف السير واتئد يا حادي   إنمـــا أنت سائر بفؤادي

فالصورة بديعة رائعة وليس من الفلسفة في شيء أن يتخيل ابن الفارض الحادي وجماله سائرة في فؤاده لكثرة ما أحزنه هذا السير الذي أبعـد عنه أحباب قلبه ، وانظر إلى قوله أيضاً يتغزل :

كل من في حماك يهواك لكن   أنا وحدي بكل من في حماكا

وإن محاولة إقناع الحبيب بهذه الطريقة الحنون لشيء لا يمكن أن يأتي به إلا الشعر ولكن ابن الفارض يضيع شاعريته حين يتحدث إليك عن الناسوت واللاهوت ومع هذا فابن الفارض قد غلب عليه الشعر ، وأن التصوف عنده كان شيئاً عارضاً أو كان أشبه بالذهول .

بقي أن أتحدث عن شاعر آخر ، شاعر لم يرزقه القدر شهرة ولم يعرفه إلا القلائل من قراء الأدب والمطلعين على الآثار العربية في الشعر النابه ، هذا الشاعر الكبير هو : الحسين بن عبد الله البغدادي ، ولقد وُلد ببغداد ونشأ فيها وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وتحدث عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء فقال : كان متميزاً بالحكمة والفلسفة ، خبيرا بصناعة الطب ، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً ، ثم يعد تلامذته وأساتذته على طريقة هـــذا المؤرخ ، والشيء المهم أن هذا الشاعر قد اختلط بعض شعره بشعر ابن سينا الرئيس ، إن جاز لنا أن نسمي ما نظمه ابن سينا شعراً ، فهو ولا شك ، نظم ، ولا تزد ، أعني أنه كلام تضمن حقائق علمية لم يتناولها الشعر ولم يترك الإلهام عليها أي أثر من آثاره ، ومن شعر الحسين البغدادي قصيدة رائية نسبت لابن سينا وفيها يتساءل الشاعر تساؤلاً جديداً في الشعر العربي ويحاول دراسة « الفلك » واستكناه الأقدار وما تضمره من خير أو شر ، ومع هذا فهي برغم جودة نظمها واتساق سبكها أقرب إلى العلم والفلسفة منها إلى الشعر ، لقد طغت الحقيقة على الخيال السمح فأساءت إلى شاعرية هذه القصيدة :

بربك أيها الفلك المدار أقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهـــار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

والبيت الأخير يذكرنا بهذه الأقمار الاصطناعية التي كشفت لنا عن عوالم جديدة ، وكأنه يتساءل جاداً عن منطقة الجاذبية الأرضية وعن المناطق التي تليها ، فهناك فضاء خلف هذا الفضاء ، وهذا ما أدى إلى معرفته العلم الحديث ، ثم ينتقل الشاعر إلى قضية أخرى هي قضية الأرواح التي ترفع إلى مكان آخر غير هذه الأرض حين يدرك الجسد الموت ، هل هي خالدة أم تموت كما يموت الجسد :

وعندك ، ترفع الأرواح أم هل مع الأجساد يدركها البوار

ثم ينتقل إلى وصف الفلك وما يحتويه من مجرة وشمس ونجوم وهلال فيقول :

وموج ذي المجرة أم فرند على لجج الذراع لها مدار
وفيك الشمس رافعة شعاعا بأجنحة قوادمها قصار
وطوق للنجوم إذا تبدى هلالك أم يد فيها سوار
وأفلاذ نجومك أم حباب تؤلف بينه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى نهاراً مثلما يطوى الإزار

ثم يأخذ صاحبنا بالتساؤل تساؤلاً يخرجه عن التقية ويضمه في مصاف أولئك الذين أثرت فيهم الفلسفة حتى زندقتهم ، فهو يتحدث عن آدم وهبوطه من الجنة بسبب أكلته المشؤومة فيقول :

لقد بلغ العدو بنا مناه وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا خائبين كقوم موسى ولا عجل أضلّ ولا خوار
فيا لك أكلة ما زال منها علينا نقمة وعليه عار

ثم يرثي لحال البشر فيقول :

نعاقب في الظهور وما ولدنا ويذبح في حشا الأم الحوار
وننتظر البلايا والرزايا وبعد فالوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا خروج الضب أخرجه الوجار

ثم يبلغ المرحلة الأخيرة من ضيق الصدر والإحساس بالظلم والعسف فيقول :

فماذا الامتنان على وجود لغير الموجدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو اننا نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء وهذا الكسر ليس له انجبار

والقصيدة كلها من هذا النمط الرفيع في النظم والسبك ، وليس فيها ما يعـاب إلا تعاقب الأفكار تعاقباً يتعب القارىء ، والعهد بالشعر أن يترك المجـال للمستمع ، ليتغنى ويريح باله (١) .

فإذا تركت هذه القصيدة التي طغت عليها الفلسفة والفكرة العلمية رغم ما فيها من شعر وشعور وانتقلت إلى قصيدة أخرى للشاعر ، أعجبت بغنائه الحزين وذكرياته الجميلة عن قرية « كوثا » العراقية ومما يلفت النظر حقاً هذا البحر الجميل وهذه القوافي الموسيقية الممتعة ، يقول الشاعر :

بنا إلى الدير من (كوثا) صبابات ... فلا تلمني فمـــا تغني الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان بهـا ... أيام لهو عهدناهـــا وليـــلات
فـكم قضينا لبانات الشباب بهـا ... غنماً وكم بقيت عندي لبـــانات
ما مكنت دولة الأيام مقبـــلة ... فانعم ولذ فإن العيش تارات
قبل ارتجـــاع الليالي فهي عارية ... وإنمـــا منح الدنيـــا غرامات

ثم ينتقل إلى الخمرة وهو يرى فيها سلوة الهموم وراحة الحزين الأسيف ، وهو يقرر أن الدنيا دار شقاء لا يمكن أن تقطع أوقاتها إلا باللهو والراح :

بم التعلل لولا الراح في زمن ... أحياؤه في سبات الهم أموات
بدت تحبي فقابلنا تحيتهـــا ... وقد عراها لخوف المزج روعات
مدت أشعة برق من أباريقهـا ... على مقابلها منهـــا شعاعات
فلاح في ساق ساقيها خلاخل من ... تبر وفي أوجه الندمان شارات
قد وقع الصفو سطراً من فواقعها ... لا فارقت شارب الراح المسرات

ولكن شـاعرنا هذا يظل متماسكاً ، يضيق صدره حيناً فينفس عنه بأبيات يضمنها تساؤله ودهشته واستغرابه البقاء في هذا الوجود الذي لم يدرك

---

(١) هذه القصيدة تقع في / ٤٩ / بيتاً وقد نشرت في الصفحة / ٢٠ / من الجزء العاشر من معجم الأدباء لياقوت مطبوعات دار المأمون المصرية .

كنهه ، وهذا التساؤل في حد ذاته فلسفة كله ، ولكن الشاعر ينقلب إلى شاعر كبير حين يموت أخوه فتثور العاطفة الجياشة وتتحرك الأفكار الناشئة الفلسفة في ضميره وتتحد هذه العناصر النفسية الشعرية كلها لتخرج قصيدة ما أظنك تلقى الكثير من مثلها في الشعر العربي كله ، يقول :

غاية الحزن والسرور انقضاء ما لحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد (بأربد) مات حزناً وسلت صخراً الفتى ، الخنساء
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالـ ـحزن يبلى من بعده والبكاء
غير أن الأموات زالوا وأبقوا غصصاً لا يسيغها إلا حياء

تلك قصة الإنسانية المعذبة ، أعزاء يموتون وأحباب يذهبون ، ويبقى الهم معلقاً بقلوب الأحياء فتسوء حياتهم ويبكون كلما ذكروا أولئك الذين غالتهم يد المنون ، وهذه آراء تشبه ما قاله ديك الجن بعد موت حبيبته :

لو كان يدري الميت ماذا بعده للحيّ منه بكى له في قبره

ويتم شاعرنا البغدادي حديثه الحزين فيقول :

نتمنى وفي المنى قصر العمر فنغدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كانت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها عليها فمهما يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلماً تمر بنا الأيام أم ليس تعقل الأشياء

إنه يتحدث عن المشاكل الإنسانية كلها ، يتحدث عن الأماني الذاهبات والملل التي تصيب الإنسان وهذا القدر الذي نلقاه من دنيانا الغرور وهذا الكرم الذي لا نجد وراءه غير الحرمان لأنه كرم كاذب ، ثم يتساءل أخيراً تساؤل من ضاع عقله وذهب لبه ، أهذه الحياة حلم أم نحن لا ندرك ما يمر بنا من أشياء .

وينتقل بعد ذلك إلى لوم الوالدين ، فيها سبب وجوده في كون كله عذاب بعذاب .

قبح الله لذة لشقانا نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـر فإيجادنا علينا بلاء

والبيت الأخير اعتراض صريح على الوجود في هذه الدنيا وهو الاعتراض الذي أقض مضجع الفلاسفة من أصحاب التشاؤم والسخر ، وهو الذي حير الشعراء والبلغاء .

ثم يختصر لك الحياة كلها في هذا البيت الرائع :

انما الناس قادم اثر ماض بدء قوم للآخرين انتهاء

هذا شعر دخلت عليه الفلسفة بعد استئذان ، فانصهرت به وعاشت في ظله ، فإذا قرأت هذا الشعر الرائع أحسست بنشوة الفكرة العميقة ولمست أثر العقل المرهف الفنان ، فاذا بلغ الشعر هذه المرحلة من السمو ، كان شعراً عالياً تنحني أمامه الرقاب .

أحمد الجندي



ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة [1]

— ٣ —

حرف الدال

(١٧٨) ص ٧٨٤ « دبيس بن صدقة (القرن ١٢) فارس عربي ظهر أيام الحروب الصليبية . غامر كثيراً ... انحاز إلى الصليبيين فترة قصيرة ثم تخلى عنهم » .

من الملاحظات : أ — ان صفة « فارس » في غير مكانها ، لأن الفروسية ليست المغامرة وحدها ، وليست اللفظة من استعمال عصر دبيس ، وفي دبيس غير قليل من الحمق والخرق ... قتل سنة ٥٢٩ هـ .

ب — لم تتحدث الموسوعة عن أبيه صدقة ـ في حرف الصاد ـ وهو مؤسس الحلة وأعظم الأمراء المزيديين ، وليس دبيس شيئاً بالقياس إليه .

(١٧٩) ص ٧٨٥ « دجلة ... ويتفرع نهر دجلة في أقسامه السفلى إلى فروع كثيرة أهمها : الغراف ، والبتيرة ، والشرح : والكحلا ، والمجر الصغير ، والكرية ... » .

أ — دجلة لا يتفرع ، ولكن الرواضع تتفرع ...

ب — ذكرت الموسوعة المجر الصغير ولم تذكر المجر الكبير .

جـ — صحيح الكرية : المجرية .

---

(١) كان رئيس المجمع نشر في مقال عنوانه « الموسوعة العربية الميسرة » النهج الذي يجب أن يتبع في الطبعة التالية للموسوعة . وجاء شكر على ذلك من القائمين عليها . ولذلك نكتفي بهذه الملاحظات . (المجلة)

(١٨٠) ص ٧٨٥ « دحلان ، أحمد زيني (القرن ١٩) مؤرخ عربي ولي سنين طويلة وظيفة المفتي وشيخ العلماء بمكة ، كتب تاريخ مكة وأحوالها السياسية من القرن الإسلامي الأول. مما كتبه « سيرة الدحلانية » شملت تواريخ الأسرات العربية الكبيرة ، وألف عن الوهابية وانتقد بعض نواحي المذهب » .

أ — لم تذكر الموسوعة تاريخ ولادة دحلان ووفاته مع أنهما معلومان ، فلقد ولد بمكة سنة ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ — ١٨١٨ م وتوفي بالمدينة سنة ١٣٠٤ / ١٨٨٦ .

ب — لم أصل إلى معرفة ما سمته الموسوعة « سيرة الدحلانية » . ولعله شيء لا وجود له على هذه الصورة ، ولعل المقصود الأول به : السير الدحلانية .

جـ — لا داعي إلى الحديث العام عن موضوعات مؤلفاته ، لأن ذكرها — وهي مطبوعة — أدق وأدل . ومنها : ١ — الفتوحات الإسلامية ، ٢ — خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام ، ٣ — الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين ، ٤ — السيرة النبوية ، ٥ — الدرر السنية في الرد على الوهابية .

د — لا بد من النص على أن دحلان شافعي ، وانه مفتي الشافعية بمكة .

(١٨١) ص ٧٨٧ « دراهم ، جامعة ... بانجلترا » .

الصحيح انها دَرَمْ وهي بالإنجليزية Durham .

(١٨٢) ص ٧٩٠ « درعية ... تقع على بعد ١٨ كم عن الرياض » .

الصحيح : (١١) كم .

(١٨٣) ص ٧٩١ « درهم وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية أخذ اسمه من الدراخمة اليونانية ، أما استعماله في المعاملات المالية فقد استعاره العرب من الفرس ... » .

الملاحظة : أن الموسوعة لم تذكر أن الدرهم مستعمل الآن في العراق ، وهو وحدة معدنية تساوي خمسين فلساً ...

(١٨٤) ص ٧٩٣ « دريد بن الصِّمة ... مات بأوطاس قرب الطائف » .

الملاحظ أن الكلام عام ولا بدَّ من قول ابن قتيبة : « قتل يوم حنين مع من قتل من المشركين » ومما يذكر أن أوطاس ـ كما جاء لدى ياقوت ـ « واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن ... » .

(١٨٥) ص ٧٩٥ « دستويفسكي ١٨٨١ » ولد في موسكو ...

مؤلفاته : المهانون والمجرحون ، المقامر ، الجريمة والعقاب ، ... العبيط ، الاخوة كرامازوف ... »

أ ـ

ب ـ لا بد من النص على أن هذه المؤلفات كلها ـ أو جلها ـ قد ترجمت إلى العربية في دمشق والقاهرة .

ج ـ المهانون والمجرحون ١ ـ في الأصل من غير « ال » ، ٢ ـ المجرحون ليست ترجمة معقولة للكلمة التي حلت محلهـــا ، ٣ ـ لقد ترجم الكتاب إلى العربية مرتين : ترجمه الدكتور سامي الدروبي بدمشق ، دار اليقظة العربية بعنوان مذلون ومهانون وهو ينظر إلى الترجمة الفرنسية Humiliés et offensés ؛ وترجمه عصام الدين حفني ناصف بالقاهرة بعنوان « المستذلون والمهانون » .

د ـ الجريمة والعقاب في الأصل من دون « ال » ولكن المترجمين العرب ألفوا أن يزيدوا أداة التعريف هذه .

هـ ـ العبيط ترجمة لقصة L'idiot أي الأبله ، واللفظة (العبيط) من العامية (المصرية) ولا يدل فصيحها على عنوان القصة لأن العبيط في القاموس الذي يُنحر لغير علة ، ولحم عبيط أي طري وكذلك الدم ... فهل هذا من ذاك !

و ـ كرامازوف ، صحيحها كرامازوف وقد ترجمت إلى العربية (في دمشق والقاهرة) من دون تاء ، وهي كذلك في الترجمة الفرنسية وهي بالروسية Kramazovy .

ز ـ ومما ترجم إلى العربيـــة من آثار دستويفسكي الموسوعـــة :

١ — نيتوتشكا (ترجمها الدكتور سامي الدروبي ، دمشق ، دار اليقظة) ٢ — الزوج الأبدي (... الدروبي ...) ٣ . ذكريات بيت الموتى (... لجنة ...) ٤ — منزل الأموات (ترجمة عباس حافظ ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ط . بيروت دار الكشاف) ٥ — القامر (القاهرة دار الكاتب المصري) ...

(١٨٦) ص ٧٩٦ « دعبل الخزاعي ، الحسن ... ولد بالكوفة أو قرقيسياء ، ومات بزويلة بالمغرب أو قتل بطوس أو بالطيب أو السوس بالأهواز . . وولي أسوان مدة قصيرة ... ديوانه مفقود . ألف كتاب طبقات الشعراء » .

أ — تؤكد الموسوعة أن اسمه الحسن وتنص عليه دون شك ، وكان الأولى الوقوف عند « دعبل » لأنه هكذا يرد في كتب التراجم التي تسير على حروف الهجاء في ترتيب أعلامها ، ولأن نسبه مذكور في الأغاني وبين أجداده من اسمه دعبل .

ب — أما « الحسن » فلم يأت عبثاً ، فقد وردت رواية تشير إليه ، ولكنه ليس بذي بال ، ويكفي أنه جاء مع أسماء أخرى ، في الكتاب الذي تحدث عن الشاعر في حرف الدال . قال الخطيب البغدادي : « زعم أحمد بن القاسم أن دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقال ابن أخيه : اسمه عبد الرحمن . وقال غيرهما اسمه أحمد ... » وقال : « ... اسمه عبد الرحمن بن علي وإنما لقبته دايته لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالا » وقال ابن خلكان : « ... وقيل ان دعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن وقيل محمد » .

ومن هذا يظهر أن ليس صحيحاً النص الأكيد على أن اسمه الحسن .

جـ — أما مكان الوفاة أي أمكنة الوفاة فيصعب جداً أن تجتمع على هذه الفوارق بينها فأين زويلة من الأهواز ؟ ! وما الحاجة إلى زويلة ولدينا « الأغاني » يذكر انه « هرب إلى الأهواز واختيل في قرية من نواحي السوس وقيل بل حمل إلى السوس ودفن بها » ؛ ووفيات الأعيان يذكر أن وفاته « بالطيب وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز » .

(١٨٧) ص ٨٠٩ « دوبيت ... لفظ مركب من كلمتين : هما دو فارسية تعني اثنين ، وثانيتها عربية تعني الوحدة الشعرية ، ويسميه العرب الرباعي لأن وزن شطر البيت فيه أربع أفاعيل مختلفة وإذا شطر كان البيت الكامل فيه رباعي الأجزاء ...

أ — « وثانيتها عربية تعني الوحدة الشعرية » : لم هذا التعبير الذي يزيد الأمر تعقيداً وإطالة ، لم هذه « الوحدة الشعرية » ولم نقل « وثانيتها : بيت ... » وهي أوضح لدى القارئ العربي .

ب — ومتى سماه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية ؟ .

ج — ومن أين أتت الموسوعة بالأفاعيل ؟ ولم لم تقل تفعيلات ؟ وأمثلة أخرى ؟ ! .

(١٨٨) ص ٨١٤ « دودية : الفونس ١٨٤٠ — ١٨٩٧ ... أديب فرنسي بدأ حياته الأدبية بنشر ديوان من الشعر عنوانه « العاشقات » ١٨٥٧ أتبعه بتأليف مجموعة من القصص جمعها في الكتاب المعروف باسم « خطابات طاحونتي » ١٨٦٦ ، وتلا ذلك « الشيء الصغير » ١٨٦٧ وهو ترجمة لحياة المؤلف وكثيراً ما يقارن بكتاب دافيد كوبر فيلد لديكنز ، و « أحاديث الاثنين » ١٨٧٣ و « الملوك في المنفى ١٨٧٩ » .

ومن التصحيح على هذا :

أ — ديوان ... العاشقات ١٨٥٧ : العاشقات ١٨٥٨ ثم أعاد طبعه سنة ١٨٧٣ ووضع تحت العنوان « قصائد . . . ١٨٥٧ — ١٨٦١ » أي انه احتوى في هذه الطبعة ما نظمه بين هذين التاريخين .

ب — خطابات طاحونتي : رسائل طاحونتي لأنها بالفرنسية .

Lettres de mon moulin (وهي مترجمة إلى العربية) . وكلمة خطابات التي استعملتها الموسوعة عامية في دلالتها .

جـ — القول ان « الشيء الصغير » ترجمة لحياة المؤلف غير صحيح وغير دقيق ؛ إنما هو من قصص الترجمة الذاتية ، ومثله في ذلك دافيد كوبرفيلد ؛ والقصة غير ترجمة الحياة .

د — أحاديث الاثنين : حكايات الاثنين لأنها بالفرنسية Contes du Lundi

هـ — لدوده مؤلفات أخرى يحسن ذكرها منها Tartaran de Tarascon

(١٨٩) ص ٨٣٢ « دون جوان : تنطق بالاسبانية دون هوان .

الصحيح : دون خوان .

(١٩٠) ص ٨٢٤ « دوهامل ، جورج ... أشهر أبطاله « سالافان » في « مجموعة سالفان » .

الصحيح : في مجموعة (أو سلسلة) « حياة سالافان ومغامراته » وقد ترجمت منها « صديقان » . دمشق . دار اليقظة ، ترجمها ابراهيم الحاو .

(١٩١) ص ٨٢٤ « دى بللى ... شاعر فرنسي من شعراء اليلاباد ... » .

الصحيح : شعراء البليّاد La Pléiad ، ويحسن أن يقال شعراء الثريا أو أن تفسر كلة البليّاد بالثريا . أما اسم الشاعر فيلفظ دي بلّه .

(١٩٢) ص ٨٢٥ « دي جويه ، ميخائيل جان ١٨٣٦ — ١٩٠٩ مستشرق هولندي ... نشر « المكتبة الجغرافية » التي ضمت عدداً من أهم النصوص للجغرافيين العرب : مسالك الممالك للاصطخري ، وأحسن التقاسيم للمقدسي والمسالك والممالك لابن حزداذبة ... ومن بين دراســـاته « مذكرة عن قرامطة البحرين ... » .

أ — دي جويه : يرد على دخويه .

ب — أهم النصوص : أهم الكتب (أو الآثار) .

جـ — ابن حزداذبه : ابن خرداذبه (وترد على حرداذبه) .

د — مذكرة عن قرامطة البحرين : « قرامطة البحرين » أو « بحث في قرامطة البحرين » لأن كلة مذكرة تعني بحث غير معروفة لدينا .

(١٩٣) ص ٨٢٥ « دي ساسي ، انطوان سلفستر ... » منح لقب عميد جامعة باريس .

الصحيح : لقب رئيس [أو مدير] جامعة باريس — والعميد كما هو معروف مدير الكلية .

(١٩٤) ص ٨٢٥ « دسلان ... من آثاره نشر ... تاريخ ابن خلدون ، والمغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب لأبي عبيد البكري ... » .

أ — لم ينشر دسلان تاريخ ابن خلدون وإنما نشر منه القسم الخاص بالمغرب ـ تحقيقاً وترجمة .

ب — ليس المغرب ... للبكري كتاباً قائماً بنفسه وإنما هو قطعة من كتاب ضخم للبكري اسمه : « المسالك والممالك » .

(١٩٥) ص ٨٢٧ « ديار بكر : مدينة في تركيا الوسطى على نهر دجلة ... » والملاحظ ان الموسوعة لم تشر إلى العرب فيها قديماً وحديثاً .

(١٩٦) ص ٨٣٤ « ديك الجن ... كان أحد الشعراء الذين تخرج أبو تمام على شعره » .

أ — لا دلالة تذكر لهذا القول ، وهو جدير بالتمحيص والتدقيق (١) ؛

ب — ديوان ديك الجن مفقود . وقد جمع شعره عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش من مظانه وطبعاه في حمص باسم « ديوان ديك الجن الحمصي ـ ومن المفيد أن نذكر أن جمعاً آخر صدر ببيروت عن دار الثقافة بتحقيق الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري .

(١٩٧) ص ٨٣٤ « ديكارت ، رينيه ... فيلسوف فرنسي وعالم رياضي ... » . لم تذكر الموسوعة آثاره ـ ومنها غير الطريقة ـ تأملات ، مقالات فلسفية ...

(١٩٨) ص ٨٣٩ « دينار لفظ أخذ من اللفظ اليوناني اللاتيني ديناريوس اوريوس أطلق على وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب ... » .

---

(١) تروي كتب الأدب أن أبا تمام زار ديك الجن في داره وهو حدث وأن ديك الجن أعطاه مجموعة من شعره لينتفع بها . « يراجع شعراء الشام لخليل مردم بك » ، والجزء الأول من وفيات الأعيان لابن خلكان ص ٣٦٨ . (المجلة)

لم تذكر الموسوعة أن اللفظة قائمة الآن فتطلق في العراق والأردن على وحدة ورقية ، كما أنها مستعملة في إيران وتطلق على وحدة صغيرة جداً . وفي القواميس ان أصل لفظة دينار لاتيني .

(١٩٩) ص ٨٤٠ « الدينوري ، أبو حنيفة أحمد ... فقيه ولغوي عربي مؤرخ وصل إلينا من مؤلفاته « الأخبار الطوال » الذي ذكر فيه أخباراً مفصلة عن فتح العراق على يد العرب وأسهب في وصف معركة القادسية ، طبع بليدن ١٨٨٨ » .

أ — ماذا تعني كلة عربي محشورة هكذا « فقيه ولغوي عربي مؤرخ » ؟

ب — لم تشر الموسوعة إلى مكانة الدينوري في علم الحساب والهيئة والرصد وهي تعدل مكانته في الفقه إن لم تزد .

جـ — لا بد من النص ـ إذا كان لا بد من الحديث عن كتابه التاريخي الذي وصل إلينا ـ على أن « الأخبار الطوال » تعني « الأخبار القصار » ولا أدل على ذلك من أنه حوى تاريخ البشرية من آدم أبي البشر الى المعتصم العباسي في أقل من ٤٠٠ صفحه » وجاء في مقدمته انه « مختصر من السير ومقتصر عن الإطالة » .

د — إن كلتي « مفصلة » و « أسهب » الواردتين في حديث الموسوعة عن الكتاب مضللتان ، إذ ليس في الكتاب كله شيء من مدلولها وحسبك ان كل ما جاء عن فتح العراق والقادسية يقل عن ست عشرة صفحة . ولا أدري لم اختارت الموسوعة هذين الموضوعين ولديها ـ إذا كان لابد ـ ما هو أطول منها ، فقد زادت وقعة صفين وجدها على الـ (٢٠) صفحة .

هـ — ان قول الموسوعة : طبع في ليدن ١٨٨٨ يوهم القارئ بأنه لم يطبع غير هذه الطبعة ، وكان الأجدر أن تقول : طبع أول مرة في ليدن ١٨٨٨ لأن الكتاب طبع أكثر من مرة ، آخرها سنة ١٩٦٠ عن وزارة الثقافة والإرشاد بالقاهرة .

حرف الذال

(٢٠٠) ص ٨٤٦ « الذهبي ، محمد بن أحمد ... تصانيفه كثيرة منها ... تاريخ الإسلام ؛ وسير النبلاء ، والكاشف في تراجم رجال الحديث » .

آ — تاريخ الإسلام — خ .

ب — سير النبلاء طبع منه ثلاثة أجزاء بالقاهرة بعنوان « سير أعلام النبلاء ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٢ .

ج — الكاشف في تراجم رجال الحديث : الكاشف في معرفة أسماء الرجال .

د — لم تذكر الموسوعة للذهبي كتباً أخرى مهمة مطبوعة منها : « ميزان الاعتدال ، المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ... ابن الدبيثي ، العبر ... »

(٢٠١) ص ٨٤٧ « ذو الرُّمَّة ، غيلان ... شاعر ولد بالدهناء ببادية اليامة ، مات بها أو بأصبهان أو البصرة ... » .

لا معنى لهذه الأسماء المتباعدة لمكان الوفاة ولا سيما لقارئ موسوعة ميسرة ، ولذا كان مناسباً أن يقال : مات بالبادية (وقيل في غيرها) — اذا كان لا بد من الاحتياط . أما ذكر اصبهان فغريب في بابه .

وقد أكدت المصادر مكان وفاته فقال ابن قتيبة : « لما حضرته الوفاة بالبادية ... » ؛ وجاء في الأغاني « توفي وهو خارج الى هشام بن عبد الملك ودفن بحزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعـــره ... » وجاء : « فأنت اذا عرفت موضع قبره رأيته قبل أن تدخل الدهناء وأنت بالدو على مسيرة ثلاث » وجاء : « قبر ذي الرمة بأطراف عناق وسط الدهناء مقابل الأواعس ... » .

وهذا كلام لا يدع مجالاً للبصرة فضلاً عن اصبهان ...

حرف الراء

(٢٠٢) ص ٨٤٩ « رابليه ... من كبار الكتاب الفرنسيين ... » .
الصحيح أن يلفظ : راباله لأنه Rabelais .

(٢٠٣) ص ٨٥٤ « راسين مؤلف مسرحي فرنسي ... نظم « اندروماخا » ... ترك ... عدداً كبيراً من المسرحيات ... : برتنيس ... وفيــدر ... ترجمت اندروماخا إلى العربية ... » .

أ — اندروماخا : اندروماك لأنها Andromaque .

ب — برتنيس : بەرەنيس . Bérénice .

جـ — ترجمت أندروماخا ... : ترجمت اندروماك (ترجمهـا طه حسين بهذا العنوان الصحيح) .

(٢٠٤) ص ٨٥٥ « الرافعي مصطفى صادق ... بدأ حياته الأدبية ... فأخرج عدة دواوين ظهر أولها سنة ١٩٠٢ ... » .

لم يخرج الرافعي عدة دواوين ظهر أولها سنه ١٩٠٢ ، إنما أخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء صدر الأول (بعد ديوان حافظ) سنة ١٩٠٣ ، والثاني سنة ١٩٠٤ ، والثالث ١٩٠٦ .

وصدر له في سنة ١٩٠٨ الجزء الأول من ديوان النظرات .

(٢٠٥) ص ٨٦١ « ربات الرشاقة : في أساطير اليونان : تسع ربات كانت كل منهن ترعى فناً من الفنون ... » .

أ — المقصود بربات الرشاقة ما يقـابل لدى الفرنسيين Les Muses والترجمة غير موفقة ، أصح منها : ربات الفنون ، أو الملهات .

ب — قد يكون الأصح أن ينسب كونهن تسعاً أو واحدة لكل فن بعينه ، إلى الرومان ـ وهن لديهم بنات زيوس Zeus .

(٢٠٦) ص ٨٦٥ « ردريق ... آخر ملك قوطي غربي اسبانيا ... هزمه طارق ٧١١ على شواطئ بحيرة جاندا قرب مدينة صيدونيا ، في معركة عرفت فيا بعد بمعركة كوادليت ، بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية ... » .

من الملاحظات على هذا : أ — ردريق تسمية لا غربية ولا شرقية ، لأنها في الغرب ردريك أو رودريك (أو رودريكو أو رودريجو ...) ، أما لدى العرب فهي لذريق (وقد تأتي على رذريق ... وحتى على : الأدرينوق) ولكنها لم تكن على أي حال كما أوردتها الموسوعة .

ب — بحيرة جاندا : بحيرة لاخاندا Lajanda وقد تترجم ببحيرة الخندق .

ج — صيدونيا : Sidonia ويكتبها المختصون بالأندلس شدونة (أوشذونه) .

د — « في معركة عرفت فيا بعد بمعركة كوادليت بناء على قراءة خاطئة للتواريخ العربية » . هنا يسأل القارئ من عرف المعركة فيا بعد بهـذا الاسم ؟ ماذا كان اسمها لدى العرب ؟ كيف حُرّفت ؟ .

ولا بد من الملاحظة أن الموسوعة كتبت القراءة الخاطئة خطأ ، لأن نهجها أن يكتب الحرف G = ج على الطريقة المصرية ، أما هنا فقد كتبته كافاً ذلك ان الاسم الاسباني للمعركة هو Guadalette ، ولذا وجب على الموسوعة أن تقول : جواداليت .

أما اسمها لدى العرب فكان بكّه ، وحرفه بعضهم إلى لكّه أو وادي لكّة ، ويقول المختصون بالأندلس ـ فيا يقولون : « قد أساء الراوية الاسباني رودريجو درادا نقل هـــذا اللفظ فنقله إلى ليتّه ووادي ليته ، ومن هنا نشأت هذه التسمية الخاطئة التي سيقع فيها كل المؤرخين الاسبان بعده فسموا هذا الموضع ألذي دارت عنده المعركة الحاسمة بين العرب والاسبان جواداليت Guadalette ـ ينظر الدكتور حسين مؤنس ـ فجر الأندلس ص ٧١ » .

(٢٠٧) ص ٨٧٠ « الرصافة : مدينة ببادية تدمر بسورية ، سميت قديماً : سرجيوبوليس ، نسبة إلى القديس سرجيوس الذي استشهد فيها (٣٣٢) ... توفي ودفن بها الخليفة هشام بن عبد الملك ، ومن ثمّ سميت رصافة هشام » .

لا ندري سبباً لاختيار هذه الرصافة دون غيرها ، مع أن الرصافات كثيرة ، وفيها ما هو أشهر أو أهم . وللمرء أن يرجع إلى ياقوت ليرى :

رصافة أبي العباس بالأنبار ... رصافة البصرة ، رصافة بغداد بالجانب الشرقي (لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي [من دجلة] واستتم بناءها أمر ابنه المهدي أن يعسكر في الجانب الشرقي وأن يبني فيها دوراً وجعلها معسكراً له فالتحق بها الناس وعمروها فصارت مقدار مدينة المنصور . .) رصافة الحجاز ... رصافة الشام (في مواضع كثيرة منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقّة ، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها في الصيف ؛ كذا ذكر بعضهم ... وانها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير) ، رصافة قرطبة ، رصافة الكوفة ، رصافة نيسابور ، رصافة واسط .

إذا كان لا بد من الاختيار بين هذه الرصافات الكثيرة ، كانت رصافة بغداد (وما زال الاسم قائماً) أجدر مما سواها ، ولا يغني الاختيار عن الإشارة إلى أن هناك أكثر من رصافة .

(٢٠٨) ص ٨٧٠ « الرصافي ، معروف ١٨٧٧ — ١٩٤٥ ... اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، فنظم أناشيدها ، وكان من خطبائها ... » .

أ — أول ما يذهب ظن قارئ الموسوعة إلى أن « الرصافي » نسبة إلى الرصافة التي تحدثت عنها الموسوعة قبل الرصافي ، لأنه لم يجد في متناول يده غير رصافة هشام ؛ وإلا فلم هذه النسبة ؟

يُذكر أن في الكرخ من بغداد قبر علم من أعلام الصوفية : معروف الكرخي ، فلما كان معروف الشاعر يدرس على محمود شكري الآلوسي لقبه بمعروف الرصافي تشجيعاً ...

ب — لم يشترك الرصافي في ثورة رشيد عالي الكيلاني، ولم يكن في بغداد ابّانها ، وإنما أيّدها وهو في « الفلوجة » . ومن مظاهر تأييده أن نظم فيها قصيدة مطلعها :

اليوم قرّي يا مواطن أعينـا وتطرّبي بالحمد منك الألسنا

وأن رثى من أعدم من رجالها ـ بعد خيبتها ـ بأبيات أولها :

أيها الأنجم التي قد رأينـا عبراً في أفولهـا كالشموس

(ينظر الحسني ، الأسرار الخفية ط . ١٩٥٨)

ومعلوم أن تأييد الثورة غير الاشتراك فيها .

جـ — لم ينظم الرصافي نشيداً في ثورة عالي الكيلاني (لو كان لها نشيد) .

د — ولم يكن من خطبائها (لو كان لها خطباء) .

(٢٠٩) ص ٨٨٣ « الرواية نوع من القصص ... استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في انجلترا في القرن ١٦ ... ، في القرن ١٧ « لا ستريه » لاونوريه دوفيه ... والروايات التي كتبتهـا مدموازيل دى سيكيوديري . أما أشهر الروايات في الأدب الفرنسي في القرن ١٨ فقد كانت تلك الرواية التي كتبها روسو بعنوان « الواز الجديدة ... » .

أ — قول الموسوعة « الرواية ... استخدمت هذه الكلمة ... » أية كلمة ؟ انها ليست الرواية بحروفها العربية ـ كما يقتضي السياق ـ راء ، واو الخ ؟ فهذا غير معقول . وإذاً فلا بد من أن نرجع إلى الأصل ـ إذا كان ذلك ممكناً ـ لنرى حروف الكلمة المقصودة ، وحينئذ نجد كلمة مثل (Novel) أو (Roman) (١) .

ب — صحيح لفظ « لاستريه » لاونوريه دوفيه : لا ستر َ [د] لأنور َ [٥] دورفَ [٥] ، لأنها : L' Astrée d'Honoré d'Urfé

جـ — صحيح لفظ سيكيوديري (٢) : سكُدرى لأنها : Scudéry

د — الواز الجديدة : ألوئيز (٣) الجديدة La Nouvelle Héloïse

(١) نجد في معجم « لاروس » الفرنسي أن كلمة Nouvelle (تكتب هكذا بالفرنسية) ومعناها حكاية نثرية أقصر وأدق من القصة (Roman) . (المجلة)

(٢) اللفظ الصحيح فرنسياً هو : سكوده‌ري . (المجلة)

(٣) اللفظ الصحيح فرنسياً : (ايلويز)) ولا تقرأ الهمزة . (المجلة)

هـ — عندما تحدثت الموسوعة عن القصة العربيــة الحديثة اقتصرت على القصاصين المصريين ، ولم تشر — أية إشارة — إلى أن الأقطار العربية الأخرى زاولت القصة ...

و — ان في تاريخ الثقافة العربية مدلولاً خاصاً لكلمة « رواية » بحروفها هذه وهو مصطلح علمي جدير أن تخصص له أسطر في (موسوعة ميسرة) ولكن الموسوعة مضت كأن لم تكن للعرب رواية الشعر ورواية اللغة ورواية الحديث ..

(٢١٠) ص ٨٩٤ « روسو ١٧١٢ — ١٧٧٨ ... أتم قصة ألواز الجديدة ١٧٦١ ... ثم ... في رحلة إلى انجلترا وهناك بدأ كتابة « الاعترافات » ... » .

أ — ألواز : الوئيز Heloïse .

ب — لا يكون الحديث عن بدء كتابة الاعترافات على هذه السهولة ، لأنه من الأمور الشائكة المعقدة ، ويبدو أن خير ما يمكن أن يقال في الموضوع أن روسو بدأ مسودة لقسم من اعترافاته قبل أن يسافر إلى انجلترا ، حتى إذا كان فيها طلب هذه المسودة وأعاد النظر وأضاف ..

جـ — لم تنص الموسوعة على أن آثاراً لروسو ترجمت إلى العربية ، كما هو واجب ، وكما تفعل أحياناً (ينظر دكنز) ، والحقيقة ان الذي ترجم لروسو جدير بالذكر . ومن ذلك : العقد الاجتماعي (ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٥٤) ، أصل التفاوت بين الناس (... زعيتر ...) ، إقرار الإيمان (ترجمة جودت عثمان والسلكاوي — القاهرة دار المعارف) ، اميل (ترجمـــة الدكتور نظمي لوقا ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٥٨) ، الاعترافات (ترجمة محمد بدر الدين خليل ، القاهرة ، ١٩٦١ ؛ ونشر قبل ذلك في « كتابي » على ثلاثة أجزاء) .

(٢١١) ص ٨٩٧ — ٨ « رومان رولان ١٨٦٦ — ١٩٤٤ ، كاتب مسرحي وروائي فرنسي ... ألّف قصة في عشرة أجزاء عنوانها « جان كريستوف » ١٩١٢ (ترجمت إلى العربية) .

أ — ... في عشرة أجزاء : الأصح أن يقال في عشرة أقسام (الفجر ، الصباح ، المراهقة ...) ، أما مسألة الأجزاء فهي قلقة غامضة لأن القصة نشرت ـ أوّل ما نشرت ـ متسلسلة في ١٢ كراسة من « الدفاتر نصف الشهرية » التي كان يصدرها المؤلف ... ثم طبعت في عشرة مجلدات ... ثم في مجلد واحد .

ب — لم تترجم قصة جان كريستوف المذكورة إلى العربية .

ج — مما ترجم إلى العربية من آثار رومان رولان : حب وحرب (ترجمها فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة ١٩٥٣ ، وأصل عنوانها بالفرنسية بيير ولوس Pierre et Luce وقد أشار إلى ذلك المترجم) ، سيأتي الوقت (مسرحية ترجمها حمدي غيث ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ، دار الفكر العربي ، مطبعة الاعتماد) .

انطوانيت (ترجمة رءوف كامل ، القاهرة ، سلسلة الـ ١٠٠٠ كتاب ١٩٥٤) بتهوفن (ترجمة فؤاد أيوب ، دمشق ، دار اليقظة) .

(٢١٢) ص ٩٠٠ « رومان ، جول ... روائي فرنسي ... من مسرحياته المشهورة « الدكتور نوك » أو « انتصار الطب » ١٩٢٣ ... » .

الصحيح : كنوك Knock ، ومن غير « الدكتور » ـ وهي مترجمة إلى العربية بالقاهرة .

(٢١٣) ص ٩٠٥ « الرياض سكانها ١٢٠ ألف نسمة ... تبعد عن الخليج العربي بنحو ٣٧٠ كم ... »

أ — ان نفوس الرياض أكثر من هذا الرقم ، فقد بلغت حسب الإحصاء الرسمي لعام ١٩٦٢ (١٦٠) ألف ولا بد من أنها كانت في حدود ربع المليون لدى تاريخ الموسوعة العربية الميسرة .

ب — تبعد الخليج بـ ٥٠٠ كم (أو أكثر) .

(٢١٤) ص ٩٠٥ « ريال ... الكلمة مقتبسة من الريال الاسبانية بمعنى الملكي ... ريال يمني ... » .

لم تذكر الموسوعة الريال السعودي ... والريال الإيراني .. والبرتغالي ... وريال الأقطار اللاتينية .

(٢١٥) ص ٩٠٩ « الريحاني ، أمين ... من كتبه : زنبقة الفور ... »

الصحيح : زنبقة الغور .

(٢١٦) ص ٩١٠ « الريسولي ، أحمد بن محمد ١٨٥٧ ؟ — ١٩٢٥ زعيم مغربي دعا إلى ثورة عامة ضد الفرنسيين وحكومة المغرب واستفحل أمره في جبال بني عروس » .

أ — الريسولي : الريسوني . يقول الزركلي في الأعلام ١ : ٢٣٧ « يسميه الفرنج الريسولي أو الرسولي باللام ويدعوه رجاله الشريف الريسوني » .

ب — ١٨٥٧ ؟ ١٨٥٤ ؟ ينظر الزركلي .

جـ — استفحل أمره : تعبير يلمح إلى الحط من شأن من يعود الضمير عليه والأولى فيه أن يصدر عن فرنسي في ثائر مغربي عربي .

د — بني عروس : بني عَرُّوس (بتشديد الراء المضمومة) .

حرف الزاي

(٢١٧) ص ٩٢٣ « الزركلي ، خير الدين ١٨٩٣ – كاتب ومؤرخ ... وأهم مصنفاته : الأعلام في عشرة مجلدات (١٩٢٧ ، ١٩٥٩) ... »

التاريخان يشيران إلى طبعتي كتاب « الأعلام » ، ومجموع الخبر يدل قارئ الموسوعة على أن الطبعتين كانتا في عشرة مجلدات ، وهذا غير صحيح ، لأن الطبعة الأولى كانت في ثلاثة مجلدات .

هذا إلى أن عام ١٩٥٩ ليس تاريخاً دقيقاً للطبعة الثانية ، إنما هو تاريخ الانتهاء من الطبع ، أما الابتداء فكان عام ١٩٥٤ .

(٢١٨) ص ٩٢٤ « زفر ، ابن الهزيل ... من أقدم أصحاب أبي حنيفة وأدقهم قياساً » .

الصحيح : ابن الهذيل — ومن المفيد أن نذكر ما رواه ابن قطلوبغا في « تاج التراجم » من أن أبا حنيفة « كان يفضله ويقول هو أقيس أصحابي » .

(٢١٩) ص ٩٢٦ « الزمخشري ، محمود بن عمر ... لغوي ومتكلم ومفسر ولد بزمخشر في خوارزم ، ... ورغم فارسيته أحب العربية وكتب فيها وتبحر في نحوها وصرفها ، واستن سنة جديدة في وضع المعاجم اللغوية تلتزم الترتيب الأبجدي التزاماً كلياً ، وأخذ بمذهب الاعتزال ... ومن مؤلفاته : القسطاس . له ديوانا شعر ، ونثر ...

أ — لا داعي للعجب إذا أحب الزمخشري العربية ... فلم يكن الأول في ذلك ولم تكن الظاهرة بالنادرة ، بل انها في تاريخ حب اللغة العربية ... بديهة وقاعدة ، وأن عصر الزمخشري متأخر كثيراً عن بدء تاريخ الحب .

ب — السُّنة ليست جديدة تمام الجدّة ، فقد رأيناها مثلاً لدى ابن فارس ولكن المهم فيها أن التزم الترتيب الهجائي — أجل الهجائي وليس الأبجدي — في كل كلمات المعجم دون أن يقسمه إلى مجاميع يلتزم الترتيب الكلي في كل مجموعة من كل حرف .

ج — كان الواجب أن يذكر كتابه « أساس البلاغة » بعد « التزاماً » كلياً لأن القارئ يريد أن يعرف أين كان الالتزام وما اسم المعجم ؟ .

د — القسطاس — خ ، كتاب ثانوي بين كتب الزمخشري ، وبين كتب الفن الذي يتناوله ، لأنه في العروض من مؤلفات القرن السادس .

هـ — له ديوانا شعر ، ونثر : له ديوان رسائل ، وديوان شعر — ولا قيمة تذكر لهذين الكتابين .

وإذا كان لا بد من ذكر هذه الكتب الثلاثة ، فلا يعني ذلك إهمال « الفائق » في الحديث — ط .

(٢٢٠) ص ٩٢٩ « زنديق : معرّب عن الفارسية ، أطلقه الفرس قديماً على الخارج على دين الدولة ، بدع معينة ، أهمها القول بأزلية العالم ... »

لم تذكر الموسوعة ما ذكرته دائرة المعارف الإسلامية من « أن الزنديق عند أتباع مزدك هو الملحد الذي يأتي بتفسير جديد للأفستا ... » وهو أمر مهم لدى الكلام على الزندقة .

(٢٢١) ص ٩٢٩ - ٩٢٠ « الزهاوي ١٨٦٣ — ١٩٣٦ كان عضواً في مجلس الأعيان العراقي إلى أن توفي ... له عدة دواوين : ديوان الزهاوي ، الكلم المنظوم والشذرات وغيرها ... »

أ — لم يكن الزهاوي عضواً في مجلس الأعيان إلى أن توفي ، إنما كان فيه لمدة محدودة هي أربع سنوات (١٩٢٥ — ١٩٢٩) .

ب — الشذرات . قال عنها رفائيل بطي في كتابه « الأدب العصري في العراق » ١ : ١٤ « مجموعة تتضمن مختارات دواوين الزهاوي كلها - على وشك الطبع - وكان تاريخ طبع الأدب العصري عام ١٩٢٣ ، ويبدو أنها لم تطبع ولم تر النور - باسم الشذرات في الأقل .

ج — من دواوينه الأخرى : اللباب ، الأوشال ، الثمالة ، النزغات .

(٢٢٢) ص ٩٣١ « زهير بن أبي سلمى ... كان أبوه وخال أبيه بشامة بن الغدير وزوج أمه أوس بن حجر شعراء ... بلغ من الإجادة درجة جعلت النقاد ينسبون مدرسة « عبيد الشعر » إليه ويهملون مؤسسها الأول ، ويعدونه أحد الجاهليين الثلاثة المقدمين على غيرهم ، ويقدمه بعضهم على زميليه أيضاً » .

أ — خال أبيه بشامة : المعروف المشهور - الأصح - أن بشامة خال زهير . قال ابن سلام ط . دار المعارف ص ٥٦٣ زهير ابن أخت بشامة بن الغدير . وينظر الأغاني ط . دار الكتب ١٠ : ٣٠٩ ، ٣١٢ .

ب ـ كلمة « مدرسة » حديثة جداً ، وقد تنسجم لو كان النقاد معاصرين لنا ، ولكنها تعني القدماء قبل أن تعني هؤلاء المعاصرين .

ج ـ « يهملون مؤسسها الأول » عبارة لا تعني شيئاً لقارئ موسوعة . فمن المؤسس الأول ؟ وإذاً ، وجب ذكر اسمه صريحاً : أوس بن حجر . علماً أن الإهمال ليس قاعدة .

د ـ « يعدونه أحد الثلاثة .. ويقدمه بعضهم على زميليه » جملة أخرى غير موسوعية . فمن الثلاثة ؟ ومن زميلاه ؟ لذا وجب على كاتب المادة ان يذكر الإسمين صريحين ، وهما : امرؤ القيس والنابغة .

(٢٢٣) ص ٩٣٣ « زولا ، أميل ١٨٤٠ ـ ١٩٠٢ روائي فرنسي ... بين قصصه العديدة قصة أسرة « روجون ماكار ، ١٨٩٣ ... ورباعية « الخصوبة » ١٨٩٩ والعمل ١٩٠١ والحقيقة ١٩٠٣ ولم يكمل الرباعية » .

أ ـ « روجون ماكار ١٨٩٣ » ليست قصة كما يفهم من كلام الموسوعة ، فليس لزولا قصة تحمل هذا العنوان ، إنها سلسلة من عشرين قصة طويلة أراد أن يؤلف بها « التاريخ الطبيعي والاجتماعي لعائلة في عهد الامبراطورية الثانية » وروجون ماكار هو اسم هـــذه العائلة ، ولقد بلغ عدد شخوص السلسلة حوالي الـ ١٢٠٠ ومن هنا حسن أن تترجم بآل روجون ماكار ، وهي بالفرنسية : Les Rougon Macquart .

وقد يوهم العام ١٨٩٣ الذي وضعته الموسوعة إزاء الاسم انه عام تأليف القصة ، وهذا غير صحيح ، لأن تأليف السلسلة ونشر حلقاتهـــا استغرق اثنتين وعشرين سنة ، فقد بدأها زولا سنه ١٨٧١ وهو في الحادية والثلاثين وانتهى منها عام ١٨٩٣ وهو في الثالثة والخمسين .

أتسمي هذه قصة بين قصص ؟

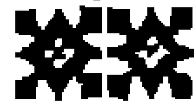
ب — « رباعية الخصوبة .. والعمل .. والحقيقة ... » ليس هذا اسماً للرباعية ، ان اسمها كما أراده لها المؤلف « الأناجيل الأربعة » ، وقصد بها إلى القوى الأربع التي تجدد البشرية وتقودها إلى السعادة ، وقد توفي قبل أن يتم القصة الرابعة : العدالة .

ومما يذكر أن المراد بالخصوبة ـ إذا أبقينا على ترجمة الموسوعة ـ الخصوبة في النسل ، أي كثرة النسل .

(٢٣٤) ص ٩٣٤ « الزيات ، محمد بن عبد الملك ... له شعر في فنون الشعر التقليدية ... » .

ولم تذكر الموسوعة أن له ديوانا (طبع عام ١٩٤٩) .

الدكتور علي جواد الطاهر



مجتمع الهمَذاني

من خِلال مَقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ١ —

ما زلت أذكر يوم كنا طلاباً في كلية الآداب بجامعة دمشق وكان أستاذنا الكبير شفيق جبري يلفت انتباهنا في كل مناسبة إلى مظاهر الحياة الاجتماعية في النصوص الأدبية ، ويطلب إلينا أن نقف عند ألفاظ أو تعبيرات تدل على جوانب من حياة القوم لنتعرّف الى ما اتخذوه من مأكل أو ملبس ، وما عقدوا عليه مجالسهم من جدّ أو هزل .

كنا من قبل نقرأ في كتب الأدب فلا نقف عند كثير مما ينبغي للقارىء أن يقف عنده ، فكان – حفظه الله – يطلب إلينا أن نقف ونستشف ما وراء الألفاظ من مظاهر حياة القوم . ثم كانت دراسة الأستاذ جبري لكتاب (الأغاني) خطوة قيمة في هذا الباب .

ولست أنسى يوم كافني أن أدرس أبواباً من (العقد الفريد) وأن أسلك في دراستي مسلكه في دراسة الأغاني . ثم كان تشجيعه لي حافزاً دفع بي إلى المضيّ في هذا النوع من الدراسة حتى كان هذا البحث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في مقامات الهمذاني . وهو بحث كتبته منذ زمن ، ثم حالت ظروف وشواغل بيني وبين إتمامه . وظهر الجزء الثالث من المجلد الثاني والأربعين من مجلة المجمع فإذا فيه « بيت القهوة » للأستاذ شفيق جبري ، وهو مقال

في المسلك الاجتماعي الذي كان قد لفتنا إليه في دراسة النصوص الأدبية ، فكان مقاله منبهة جديدة لي على إعادة النظر وإتمام البحث الذي أقدمه اليوم معترفاً لأستاذي الكبير بفضله أولاً وأخيراً .

مدخل البحث :

من الناس من يقرأ الأدب على أنه غذاء روحي يثقف ويفيد ، ومنهم من ينظر إليه على أنه فن جميل يغذي الخيال ويرهف الإحساس ، ومنهم من يقبل عليه على أنه متعة تسلّي وتبهج .

والحق أن الأدب ، إلى جانب كونه غذاء للروح ينعشها ، وفناً للذوق يرهفه ، ومتعة للنفس يبهجها ، قد يكون صورة تصوّر بعض جوانب المجتمع الذي وضعت فيه . ولسنا نعني بذلك أن الأدب ـ في كل عصر من العصور ـ صورة لعصره ، بل إنه إذا كان كذلك فإن من المرايا ما هو مقعَّر وما هو محدَّب ، ومنها ما هو غير مستوٍ على كل حال ؛ إن منها ما يقلب الحقيقة ويغيّرها بتصغيرها أو تضخيمها أو تشويهها . والجيد منها وحده هو القادر على أن يعطيك صورة الواقع بدون زيف ولا تحريف .

والأدب يستطيع إلى حدٍ ما أن يصوّر لنا جانباً أو أكثر من جوانب الحياة الاجتماعية التي نشأ في ظلها ، ويختلف وضوح هذه الصورة وصدقها باختلاف الظروف والأحوال ؛ ونرى أنه كلما كان الأدب أبعد عن قصور الملوك وتصوير حياتهم ، وأقرب من الشعب وتصوير حياته ، كان أبعد عن الكذب والرياء وأقرب إلى الصدق والواقع ، وأن الأدب الوصفيّ خير أنواع الأدب التي نطلّ منها على الحياة الاجتماعية ، لأنه أدب لا تشوبه الأغراض الخاصة والغايات الدنيا ؛ كالتكسّب أو التزلّف ، والتقرّب أو التكلّف ، هذه التي

تشوب أكثر الموضوعات الأدبية الأخرى فتفسد فيها صدق العاطفة وأمانة التصوير وحرّية التعبير .

إن في استطاعة الأدب – حين يريد وتتهيأ له الظروف – أن يقدّم لنا صورة من الصور الكثيرة التي تتراءى فيها المجتمعات وتعيش فيها الشعوب .

موضوعنا :

والمجتمع الذي نحاول في هذا البحث استخراج صورة له من خلال الأدب، هو المجتمع الذي عاش فيه بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ هـ — ٣٩٨ هـ) . والأدب الذي سنطلّ من خلاله على ذلك المجتمع هو المقامات الهمذانية . تلك المقامات التي نظر إليها الناس على أنها ثروة لفظية ، أو على أنها فنّ من فنون الأدب كثرت فيه الزينة والصنعة ، أو على أنها قصص أو حكايات فيها تسلية ومتعة ، ولم ينظروا إليها على أن من ورائها حياة تصورها ، وعلى أنها إلى جانب كونها كنزاً لفظياً ، وأدباً ممتعاً ، وحكايات فكهة ، صورة لجوانب مختلفة من المجتمع الذي أنشئت فيه : إنها تأخذ بأيدينا الى الماضي وتقفنا على فترة من فترات الحياة التي عاشها أسلافنا ، وتذيع علينا الكثير من أسرارهم ومما ضنّ به تاريخهم . وأي تاريخ يصوّر لنا حياة القوم في مجالسهم العاديّة ، وفي هزلهم ومجونهم ، وما يدور بينهم في دورهم وأنديتهم ؟ بل أي تاريخ يدخل بنا حماماتهم وحاناتهم ويعرض علينا نماذج من طعامهم ولباسهم ؟

إن بديع الزمان يقوم بكل ذلك كما سنرى ، وإن إعجابنا به ليزداد إذا علمنا أنه لم يكتب ما كتبه في هذه المقامات للغرض الذي ندرسها من أجله ، وإنما كان غرضه منها أن يفيد المتعلّمين ، ويحبّب إليهم اللغة ويغريهم بحفظ مفرداتها ، وأن عنايته فيها كانت منصرفة الى المبنى وتزيينه ، والى الأسلوب وتحسينه ، لا إلى المعنى وتبيينه ولا إلى المجتمع وتصويره .

فصول البحث :

وسيكون بحثنا هذا في أربعة فصول : يتناول الأول منها حياة بديع الزمان ، وخاصة ما يتصل منها ببحثنا . ويتناول الثاني مقامات الهمذاني وموضوعاتها خاصة ، وأدبه بصورة عامة . ويبحث الفصل الثالث في الحياة الاجتماعية من خلال المقامات ، وسنصرف جهدنا في هذا الفصل الى توضيح صورة المجتمع عن طريق لمّ أجزاء هذه الصورة التي تفرّقت في ثنايا المقامات ، وسنترك الموضوع نفسه ـ عن طريق الموازنة بأخبار التاريخ ـ أن يعيّن مدى وضوح هذه الصورة وصدقها وانطباقها على الصورة التاريخية لذلك المجتمع . وأما الفصل الرابع فسيكون خاتمة تبحث في قيمة هذه الصورة المستقاة من المقامات ، وتذكّر ببعض تراثنا الأدبي الذي حفظ لنا الكثير من صور مجتمعاته .

★ ★ ★

١ ـ الفصل الأول

من هو بديع الزمان ؟

موجز حياته : ولد أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد في « همذان » فنسب إليها ، ولقب ببديع الزمان ، وكني بأبي الفضل . وكانت ولادته سنة ٣٥٨ هـ .

ولم تكن همذان ولا غيرها دار مقام لبديع الزمان ، لأنه كان دائم التنقل كثير الترحال ؛ فلقد قصد « هَراة » سنة ٣٨٠ هـ وأقام فيها سنتين ، ثم غادرها إلى نيسابور ، وفيها بدأت مرحلة جديدة في حياة بديع الزمان ؛ إذ أنه اجتمع في نيسابور بأبي بكر الخُوارزْمي وناظره ، وكان لهـذه المناظرة في شهرته أثر بعيد ، كما أنه في نيسابور أيضاً أملى مقاماته ، وإلى هذه المقامات يعود الفضل الأول في شهرته الأدبية .

وعاد الهمذاني بعد ذلك إلى « هراة » حيث أصهر إلى أحد أعيانها ، وصارت له فيها أسرة وضياع وأملاك ، وبقي فيها حتى وافاه أجله فمات سنة ٣٩٨ هـ مسموماً أو بالسكتة القلبية ، وهو في الأربعين من عمره .

وروى ابن خلّكان عن الحاكم أنه لما مات الهمذاني عجّلوا بدفنه ، فأفاق في قبره ، وسُمع صوته بالليل ، ونبش عليه فإذا هو قابض على لحيته ميت من هول القبر [١] . وقد ترك وصية تدل على صدق إيمانه وحسن اعتقاده وبعده عن الزيغ وأهل البدع والأهواء [٢] .

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٦٩ .

(٢) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان ص : ٥٣٤ وما بعدها .

ونسبة « الهمذاني » دفعت بعض الناس إلى الظن أنه فارسي الأصل ، مع أنها نسبة إلى مكان ولادته ، أما نسبه فعربيّ مُضَريّ كما صرّح بذلك هو نفسه في إحدى رسائله إلى الفضل بن أحمد الاسفرائيني حيث قال : « اسمي أحمد ، وهمدان المولد ، وتغلب المورد ، ومُضَر المحتد » .

من اتصل بهم : وأشهر من اتصل بهم بديع الزمان من رجال عصره الصاحب بن عبّاد ، إذ ورد حضرته فتزوّد من ثمارها وحسن آثارها ،(١) وأبو الحسن أحمد بن فارس صاحب المجمل ، إذ أخذ الهمذاني عنه ، وروى عنه (٢) ، وكذلك روى عن عيسى بن هشام الإخباري (٣) .

واتصل بأبي سعيد محمد بن منصور فقرّبه وكرّمه . قال الثعالبي : « ثم قدم جرجان ، وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيّش في أكنافهم والاقتباس من أنوارهم ، واختص بأبي سعيد محمد بن منصور ... الذي أعانه على حركته إلى نيسابور وأزاح علله في سفرته . (٤) » وقد ذكر ذلك أيضاً آدم متز وعلّله بأن بديع الزمان .. كان رجلاً يعرف دائماً أين تكمن القوى الكبرى والمال الأوفر .. » (٥)

واتصل الهمذاني بأحد أعيان « هَراة » وأثريائها وصاهره ، وهو أبو علي الحسين بن محمد الخشنامي الذي نعته الثعالبي بالفضل والكرم والأصالة ، ويبدو أنه كان غنياً ذا نفوذ ، وأنه كان لصهره بديع الزمان نصيب من غناه وكرمه فلقد أصبح بعد اتصاله به غنياً « وتمرّفت القرّة في عينيه والقوة في ظهره واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة وعاش عيشة راضية » .

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٥ .
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٦٨ .
(٣) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٤) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٤ .
(٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢ : ٥٠ .

اتصاله بالخُوارِزْمي : والحادثة التي أطارت صيت الهمذاني ونشرت اسمه في الآفاق هي مناظرته لأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، وكان ذلك في سنة ٣٨٣ هـ أي في السنة التي مات فيها الخوارزمي كما روى البيهقي [١] .

كان الخوارزمي شيخاً جليلاً ، وعالماً فاضلاً ذائع الصيت ، لقيه الهمذاني في نيسابور ولم يلبث أن حصل بينهما شيء من الجفاء انتهى إلى تجرّؤ البديع على مناظرة أبي بكر . وكانت هذه الجرأة وحدها كافية ليذيع اسم البديع ، فكيف إذا صحّ زعم قوم أن الغلبة كانت له أيضاً ؟

على أنه جدير بالباحث أن يتنبه إلى أن هذه المناظرة كانت بين رجل ذكروا أنه كان متعصباً لأهل الحديث والسنة [٢] ، وأن أخاه أبا الصقّار محمد ابن الحسين كان مفتي همذان ، وبين آخر ميّال إلى الشيعة ؛ فقد يكون لهذين الاتجاهين المذهبيين أثر في تغليب البديع ومناصرته . ثم إن الخوارزمي كان شديد التعصب لآل بويه ، وكان يغضّ من سلطان خراسان ويطلق لسانه بما لا يقدر عليه حتى حكم عليه من جراء ذلك بالسجن ، فسجن وأوشك على القتل [٣] » . ولئن صدقت أقوال الهمذاني في قصيدته التي قالها في مديح الصحابة وهجاء الخوارزمي والردّ على طعنه في الصحابة ... ، لئن صدقت لقد كان الخوارزمي من غلاة الشيعة . وهي ـ على كل حال ـ أرجوزة في غاية الإقذاع أثبتها ياقوت في أخبار بديع الزمان [٤] .

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٧٣ .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٦ (ط محي الدين ٤ : ٢٠٨) .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٦ .

ومهما يكن من أمر هذه المناظرة فإنها كانت سبباً لهبوب ريح الهمذاني وعلوّ أمره ، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء يتبرى لمساجلة الخوارزمي ، فلما تصدّى الهمذاني لمباراته ، وجرت بينهما مقامات ومبادهات ومناظرات ، وغلّب قومٌ هذا ، وغلّب آخرون ذاك ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وشاع ذكره في الاُفـّاق ، ودرّت له أخلاف الرزق ، فلما مات الخوارزمي خلا له الجوّ (١) . ولا يخفي الثعالبي أن قوماً من الوجوه أعانوا البديع على الخوارزمي ، فيقول في معرض حديثه عن أبي بكر : « ورُمي في آخر أيامه بحجر من الهمـذاني الحافظ البديع ، وبلي بمساجلته ومناظرته ومناضلته ، وأعان الهمذاني الحافظ البديع عليـه قوم من الوجوه كانوا مستوحشين منه جداً ، فلاقى ما لم يكن في حسابه (٢) » .

وحق ما قاله الثعالبي ؛ فلقد بُلي الخوارزمي بمناظرة ماكان أغناه عنهـا وأزهده فيها ، وإن من يقرأ الرسائل المتبادلة بينه وبين البديع (٣) يشعر أن الهمذاني متربص يحثّ ويستفزّ ، وأبو بكر صلب القناة ، رحب الصدر ، أنِفٌ ؛ يريد إسكات خصمه دون استعطافه ، إنه شيخ العصر وعظيم أهل العلم يقول : « وإني لمشتاق إلى ظلّ

رجلٍ يوازنك المودّة جاهداً يعطي ويأخـــذ منك بالميزان
فإذا رأى رجحان حبّة خردلٍ مالت مودّته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل ، فأصبحنا نقترح العدل ، وإلى الله المشتكى لا منه » . وكلام الخوارزمي في رسائله يلين ويخشن ، فهو يريد مودة الهمذاني

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٦ .

(٢) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٧ .

(٣) هذه الرسائل سبع ؛ خمس منها صادرة عن الهمذاني وثنتان صدرتا عن الخوارزمي وهي بمجموعها في معجم الأدباء ٢ : ١٨٥ ـ ٢٠٢ .

لا مخاصمته ، ولكنه يعزّ عليه التصريح فيقول : « والشوق الذي ذكره سيدي – يعني الهمذاني – فعندي منه الكثير الكبير ، وعنده منه الصغير اليسير . وأكثرنا شوقاً أقلّنا عتاباً وألْيننا خطاباً . ولو أراد سيدي أن أصدّق دعواه في شوقه إليّ ليغض من حجم عتبه عليّ ، فإنما اللفظ زائد واللحظ وارد ، فإذا رق اللفظ دقّ اللحظ ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب .

فبالخير لا بالشرّ فارجُ مودّتي وأي امرئٍ يُقتاد منه الترهّب

عتاب سيدي قبيح ولكنه حسن ، وكلامه لين ولكنه خشن ؛ أما قبحه فلأنه عاتب بريئاً ، ونسب إلى الاساءة ما(١) لم يكن مسيئاً ، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ، ومعانيه التي هي كالدرر ، فهي كالدنيا ؛ ظاهرها يغرّ وباطنها يضرّ ، وكالمرعى على دمن الثرى ؛ منظره بهيّ ومخبره وبيّ ، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان ، وجمع بين صواب العقل واللسان »(٢) .

ونرى من خلال ما دار بينهما أن الهمذاني ذكيّ ، حاضر البديهة سريع الجواب ، وأنه ذو لباقة يعرف معها كيف يستميل القوم إليه على اختلاف أهوائهم ؛ إنه مثلاً يمدح آل البيت بقصيدة يستميل بها أحد الأشراف ممن حضر مجلس المناظرة ، ويلجأ إلى السخرية بخصمه بغية الحطّ من قيمته في أعين الناس .

ولن أتحدث هنا عن أدب الهمذاني ، فإن لذلك موضعه من البحث ، ولكنا نبادر إلى ذكر ما وصفوه به من ذكاء نادر وحافظة غريبة وروح مرحة ...

مذهبه : لقد كانت الفترة التي عاش فيها بديع الزمان فترة صراع عنيف بين الطوائف المختلفة وأتباع المذاهب المتعددة ، على نحو ما سنرى في الفصل الثالث من هذا البحث . وغير خاف أن جانباً كبيراً من هذا الصراع كان

(١) كذا في الأصل ولعلها : مَن .

(٢) معجم الأدباء ٢ : ١٩٣ .

بين المسلمين من سنة وشيعة ، وأن تطرّف إحدى الفئتين كان يؤدي دوماً إلى بعد الشقة بين الطرفين وازدياد الجفاء بينها .

وطبيعي أن يحرص أصحاب التراجم على ذكر مذهب من يترجمون لهم ، وخصوصاً إذا كان هؤلاء ممن عاشوا في فترة من فترات الصراع المذهبي كتلك التي عاش فيها بديع الزمان . وكان ياقوت ممن ذكروا مذهب الهمذاني فقال في ترجمته : « كان شديد التعصب لأهل الحديث والسنة (١) » . ولعلّ هذا التعصب ، من ناحية ، وما وقع بينه وبين الخوارزميّ ، من ناحية ثانية ، جعل بعض الناس يتهمونه بكره آل البيت حتى اضطر إلى الدفاع عن نفسه وإنكار هذه التهمة وذلك في قصيدة يقول فيها (٢) :

يقولون لي : لا تحبّ الوصيّ ... فقلت : الثرى بفم الكاذب
أحب النبيّ وأهــــل النبيّ ... وأختص آل أبي طالب
وأعطي الصحابة حق الولاء ... وأجري على السّنن الواجب
فان كان نصباً ولاء الجميـع ... فإني ـ كما زعمـوا ـ ناصبي
وإن كان رفضاً ولاء الوصيّ ... فلا يبرح الرفض من جانبي
أيرجو الشفاعةَ من سبَّهم ... بل المثـــل السوء للضارب
أعزّ النبيَّ وأصحــابه ... فما المرء إلا مع الصاحب

ومع ذلك لم يسلم من الاتهام ؛ فقد ادعى الخوارزمي أن البديع أشعري (٣) وذلك حين كتب إليه : « وتكليف المرء ما لا يطيق يجوز على مذهب الأشعري ، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري ... » (٤) وهذه التهمة ألصقها الخوارزمي

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٢) ديوان الهمذاني : ٨ .
(٣) الأشعرية مذهب وسط بين المعتزلة الذين ينفــون الصفات وبين المجسّمة . وينسب هذا المذهب إلى أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (٢٦٦ ـ ٣٣٣ هـ) .
(٤) معجم الأدباء ٢ : ١٩٤ .

بالبديع لأنه يزعم أن البديع حين يعاتبه على التقصير في إكرامه ، يكلّفه ما لا يطيق ، فهي تهمة في معرض الدفاع ، ولم يفصّل في الحديث عن أشعريّة البديع أحد ، ولم يذكرها سوى ياقوت حين قال عن الهمذاني إنه « كان ثقة في الحديث ويتّهم بمذهب الأشعرية . »(١)

وما دمنا بصدد علاقة الهمذاني بالخوارزمي فمن حق البديع علينا أن نذكر له ـ إلى جانب عتبه القاسي على الخوارزمي ـ نبله معه في مواقف أخرى ؛ من ذلك أن بعض أعداء الخوارزمي لمّا علموا بمرضه كتبوا إلى الهمذاني يبشّرونه بمرض خصمه ، فكتب إليهم كتاباً كله نبل وحكمة ، ومنه قوله : « والشامت إن أفلت فليس يفوت ، وإن لم يمت فسيموت . وما أقبح الشماتة بمن أمن الإماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ؟ » ثم يقول : « وهذا الفاضل ، شفاه الله ، وإن ظاهر بالعداوة قليلاً فقد باطنتاه وداً جميلاً . والحرّ عند الحميّة لا يصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد . فلا تتصوّر حالي إلا بصورتها من التوجّع لعلّته ، والتحزّن لمرضته . وقاه الله المكروه ، ووقاني سماع السوء فيه ، بمنّه وحوله ولطفه وطَوله »(٢) .

ثم لما مات الخوارزمي رثاه الهمذاني بأبيات رأى الثعالبي فيها دسّاً وسعاية ،(٣) وقد يرى غيره فيها شيئاً من النبل والندم ، ومنها قوله(٤) :

---

(١) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .
(٢) كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان : ١٧٦ وزهر الآداب ١ : ٤٦٣ .
(٣) يتيمة الدهر ٤ : ١٢٧ .
(٤) ديوان الهمذاني : ١٢ .

تحمّلت فيك من الحزن ما تحمّله ابنـــك من صامت
حلفتُ لقد متّ عن معشرٍ غبيّين عن خطـــر المائت
يقولون : أنت به شامت ، فقلت : الثرى بفم الشامت
وعزّت عليّ معـــاداته ولا متدارك للفــائت

خلاصة :ـ وبعد فلست أريد أن استطرد في الحديث عن هـذا الكاتب الأديب وحياته ، وإنما جمعت بعض ما تفرّق من أخبار حياته ، وصلاته برجالات عصره ، وكل الذي يعنينا من هذه الحياة التي عاشها أبو الفضل هو أنه كان كثير التنقل بين البلدان المختلفة ، وقد تصرّفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلدان خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى وجبى ثمرتها واستفاد خيرها وميرها (١) ، وأنه أكثر من مخالطة الناس ، وأية مدرسة أوسع من مدرسة الحياة الواقعية الواسعة يسافر فيها بين البلدان ويخالط البشر بجميع طبقاتهم رجل ذكيّ حفّاظ كأبي الفضل بديع الزمان ؟ ولذلك فلا عجب إذا رأيناه يقدّم لنا بعض الصور الطريفة عن الحياة التي بلاها والمجتمع الذي خالط أبناءه .

وإن حياته ـ وإن لم تطل ـ قد كفته لمطاولة أساتذة عصره الذين أحبّه بعضهم فقرّبه ، أو رهبه فتجنّبه ، كما كفته لتخليد اسمه بفضل ما ترك في ميدان الأدب ، شعره ونثره ، من آثار ، وإن كان شعره دون نثره جودة وإتقانا .

كل ذلك إلى جانب أنه فتح باب فنّ جديد هو فنّ المقامة في الأدب العربيّ . ونحن ، بصرف النظر عن طبيعة هذا الفن المقيّدة ، وعدم قابليتها لمسايرة التقدم الفكري والتعبير عن أعماق النفس وجمحات الفكر ، لا نستطيع إلا أن نعجب به

(١) يتيمة الدهر ٤ : ١٦٨ .

فنّاً يتطلب وفرة في المحفوظ ، ومعرفة باللغة ، وقوة في الذاكرة ، وسلامة في الذوق ، وخفة في الروح ، وإلاّ كان سمجاً على النفس ، ثقيلاً على الأذن ، غليظاً على الروح .

تأليف المقامات وعددها : يرى أكثر الباحثين أن بديع الزمان ألّف مقاماته مقلّداً أو معارضاً ابن دريد في أحاديثه الأربعين ، وقد قال بهذا صاحب زهر الآداب كما قال به بعض المحدثين . أما « زهر الآداب » ففيه أن بديع الزمان « لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً ، وذكر أنه أستنبطها من ينابيع صدره ، وانتخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ... عارضه بأربعمائة مقامة في الكُدية ، تذوب ظرفاً وتقطر حسنا ... » (١)

وأما الدكتور شوقي ضيف فيظن أن بديع الزمان كان يعرض على طلابه أحاديث ابن دريد (٢) . وهو يربط بين العملين فيقول « وقد رأينا أن كلمة مقامة معناها حديث ، وفي هذا ما يربط أدقّ الربط بين العملين ، ويستطيع القارئ أن يرى ذلك في وضوح إذا رجع إلى كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، وهو الكتاب الذي يحتفظ بأحاديث ابن دريد الأربعين . ولا تدور هذه الأحاديث على الكدية ، كما هو الشأن عند بديع الزمان ، ومع ذلك فالصلة بين العملين واضحة ؛ وذلك أن أحاديث ابن دريد تصاغ في شكل رواية وسند يتقدمها ، ثم هي غالباً مسجوعة ، وتمتلئ بالالفظ الغريب . فهي أحاديث ألّفت لغرض تعليم الناشئة اللغة ؛ بالضبط كما حاول بديع الزمان في أحاديثه ، وإن كانت

---

(١) زهر الآداب ١ : ٢٣٥ .

(٢) المقامة : ١٦ .

خفيفة رشيقة . »(١) ثم يعود الدكتور ضيف إلى القول : « على كل حال أنشأ بديع الزمان مقاماته معارضة لأحاديث ابن دريد ، وإن من يقرأ الأمالي ويتعقب بديع الزمان في عمله ، يرى الصلة واضحة تمام الوضوح بين الصنيعين ، وان المقامة الأسدية عنده لتعدّ صيغة نهائية لصفة الأسد في ذيل الأمالي ، وكذلك الشأن في المقامة الحمدانية وما جاء بها من صفة الفرَس فإنها تكميل وتتميم لما جاء في الأمالي من وصف الفرس ، وكثير من الأدعية والمواعظ في المقامات يتصل اتصالاً مباشراً بما في الأمالي ، ونفس الحِكم والأمثال والوصايا كل ذلك نجد صوره واضحة عنــد بديع الزمان ... وليس ذلك حسب ، فقد تكون الفكرة التي أدار حولها مقاماته ، ونقصد الكدية أو الشحاذة ، استمدها مباشرة من خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام التي رواها صاحب الأمالي عن ابن دُريد .

ومعنى ذلك أن الأدلة كثيرة على أن بديع الزمان تأثر ابن دريد في مقاماته ، وأنه عارضه بها معارضة . على أنه ليس وحده الذي ألهم البديع مقاماته ، فهناك عمل آخر للجاحظ أثر فيه أثراً بليغاً ؛ إذ تحدث في بعض كتبه عن أهل الكدية حديثاً طويلاً وقصّ نوادرهم ...(٢) » ويلخص الدكتور ضيف رأيه فيقول : « ومعنى ذلك أننا نظن ظناً أن البديع قد استوحى في عمله ما كتبه الجاحظ وقصّه عن أهل الكدية ، كما استوحى في عمله أيضاً ما كتبه ابن دريد من أحاديثه المعروفة في كتاب الأمالي . فهو قد اطلع على العملين ، ومن غير شك يعلو في التأثير فيه العملُ الأول على العمل الثاني ؛ فابن دريد وجّهه ليكتب أحاديث تعليمية ، أي أنه أثر فيه من جهة الشكل ، أما الجاحظ فأثر فيه من جهة الموضوع ، إذ جعله يدير أحاديثه أو مقاماته على الكدية (٣) . »

(١) المقامة : ١٧ .
(٢) المقامة : ١٨ .
(٣) المقامة : ٢٠ وانظر « الفن ومذاهبه في النثر العربي » للدكتور ضيف أيضاً ص ٢٤٨ .

ويتعرّض الأستاذ مارون عبود لهذا الموضوع في كتابه « بديع الزمان الهمذاني » فينكر أن يكون لغير البديع يد في خطة المقامات، ويقول: « إن خطة المقامات هي من عمل البديع، فلا لابن فارس ولا لابن دريد يد في صنعها. فالهمذاني هو الذي ألبسها هذا الطراز الوشّي، وعلى طريقه هذه التي شقها سارت عجلة الأدب ألف عام. فعبثاً نحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند غير البديع. »(١) ولكن الأستاذ عبود يؤيد ما سبق أن ذكره الدكتور ضيف من تأثر البديع بالجاحظ في موضوع المقامات(٢).

وأما عدد المقامات فقد ذكر مؤلفها في إحدى رسائله أنها أربعمائة مقامة؛ وذلك حين كتب إلى أبي بكر الخوارزمي في إحدى رسائله « ... فيعلم أن من أملى من مقامات الكدية أربعمائة، لا مناسبة بين المقامتين لا لفظاً ولا معنى، وهو لا يقدر منها على عشر، حقيق بكشف عيوبه، والسلام. » وبمثل هذا العدد صرّح الثعالبي في اليتيمة والحصري في زهر الآداب. ولكن الباحثين اليوم ينكرون هذا العدد الضخم ويرونه محرّفاً عن الأربعين، ويعلّل الدكتور ضيف هذا التحريف بغلط الناسخ ويقول « مجرد معارضة بديع الزمان لابن دريد في أحاديثه الأربعين يقتضي أن تكون أحاديثه أو مقاماته أربعين أيضاً. ويظهر أنه صنع في نيسابور أربعين مقامة فقط، ثم رأى أن يزيد عليها مقامات أخرى بعد مبارحته لها، فزاد ستاً في مديح خلف بن أحمد في أثناء نزوله عنده، كما زاد خمساً أخرى، وبذلك أصبحت المقامات نيّفاً وخمسين(٣). » وإلى مثل ذلك أيضاً ذهب الدكتور عزة حسن في كتابه عن المقامات(٤). وليس لدينا ما يمنع من الأخذ بهذا الرأي ما دامت المقامات التي وصلت إلينا لم تتجاوز هذا العدد الذي قدروه، وما دام أحد من القدماء لم يأت بشيء زائد عليها.

---

(١) بديع الزمان الهمذاني: ٣٤.
(٢) المصدر السابق: ٣٤ ـ ٣٧.
(٣) المقامة: ١٧ ـ ١٨.
(٤) بديع الزمان الهمذاني: عصره، حياته، مقاماته. وهو رسالة للدكتوراه وقد تفضل باطلاعي على كتابه المذكور.

مارون عبود والهمذاني – نقد ورد

للأستاذ مارون عبود كتيب عنوانه « بديع الزمان الهمذاني » وهو الكتيب التاسع في سلسلة (نوابغ الفكر العربي) التي تصدرها دار المعارف .

وقد رأيت لزاماً عليّ ، قبل أن انتقل إلى الفصل الثاني من هذا البحث ، أن أقف عند بعض الشكوك الكثيرة التي نثرها الأستاذ مارون في كتابه المذكور ، وسأقتصر منها على ما له صلة بموضوعنا .

١ — يشك الأستاذ في اسم بديع الزمان « أحمد » .

٢ — يشك في اسم أبيه « الحسين » .

٣ — ينكر نسبه العربيّ .

٤ — ينكر ما يتصل بأخبار حافظته القويّة .. وحافظة غيره أيضاً .

٥ — يحكم على بديع الزمان بالتأثر بالإسماعيلية وفلسفتهم الباطنيّة (١) .

★ يقول الأستاذ بصدد اسم بديع الزمان : « واتفـــاق اسمه مع اسم أبي الطيب يوقظ في نفسي الشك ... » ثم يقول : « ولعل هذا الشك قد تسرّب إليها من قراءتي أولى رسائله الموجّهة الى الفضل بن أحمد الاسفرائيني .... قال البديع في رسالته إلى الاسفرائيني : إني عبد الشيخ واسمي أحمـد ، وهمذان المولد ، وتغلب المورد ، ومضر المحتد . » ولو سألنا الأستاذ عمـا أيقظ في نفسه الشك ؟ وما في كلام البديع مما يوقظ الشك ؟ لاستعان بشك آخر جعله دليلاً « جازماً » على شكه الأول فقال : « ومن يصل بنسبه إلى مُضَر وهو فارسي لا شك فيه ، لا يبعد أن يطبّق المفصل ليكون له اسم شاعر الدهر أبي الطيب ...

(١) هذه الشكوك الخمسة وغيرها أيضاً وردت جميعهـا في صفحتين فقط من كتاب « بديع الزمان الهمذاني » وهما الصفحتان : ١٦ و ١٧ .

وهكذا وبجرّة قلم وشطحة فكر ينسف الأستاذ مارون اسم الرجل ونسبه ، ولا دليل عنده سوى الشك يستدلّ به على الشك وهو لا يقترح اسماً آخر لبديع الزمان لأنه لم يجد مصدراً واحداً يعينه على ذلك ، وحسبه أنه « أثبت » كذب الرجل في نسبه ومن يكذب في نسبه فغير بعيد أن يغيّر اسمه ! وهذا النسب الذي يقول عنه الأستاذ مارون إنه « فارسي لا شك فيه » يقول فيه الدكتور شوقي ضيف : « وفي رسائل بديع الزمان المطبوعة دلالات مختلفة على أنه من أسرة عربية كريمة استوطنت هناك » ثم ينقل الدكتور ضيف نسب بديع الزمان ويقول : « فهو ليس فارسياً ، كما قد يُظن ، وإنما هو عربيّ مُضريّ تغلبيّ » .

وقد كنا نتمنى لو أن الأستاذ مارون رأى رأيه وترك المجال « للشك فيه » إذ هو عند غيره يقين لا شك فيه ! وإذا انتفى أن يكون البديع فارسياً فقد سقط دليل الأستاذ في تغيير اسمه موافقة منه لاسم شاعر الدهر ...

★ وأما الشك في اسم أبيه فليس دليل الأستاذ عليه بأقوى من دليله الأول فهو يقول « أما الذي جعلني أشك في اسم أبيه أيضاً ، فهو قول الحاكم أبي سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست جامع رسائل البديع ، قال حين بلغ الرسائل التي تبادلها البديع وأبوه : (ولوالده إليه كتب ورقاع أنشأها هو ـ أي البديع ـ ونسبها إلى والده ليقرأها الأفاضل من الكتاب فيستدلّوا بها على فضل والده .) » يقول الأستاذ عبود : « ومن يفعل هذا ، كما قال معاصره ، لا يخشى التصرّف باسمه واسم أبيه ليأتي اسمه كما يتمنى ويرغب . وهب هذا هو اسم أبيه فلا شك عندي في أنه بدون ال ، أعرف جيداً أن الاسم لا يقدّم ولا يؤخر ولكنها فكرة عرضت لي فلم أبقها في صدري » ! !

وليت الأستاذ أبقى فكرته العارضة في صدره لأنها في الحقيقة تقدّم وتؤخر ، إذ لو ثبت تغيير الاسم لجاز أن نبحث عن العلّة والدافع ، أو لجاز أن يزعم بعض الناس أنه غيَّر اسمه تخلّصاً من نسبه ، على عكس ما فعل الأستاذ . ثم هل في اتهام البديع بنحل الرسائل لوالده دليل على تغيير اسم الوالد ، وهل يعني « عدم خشيته » من نحل الرسائل عدمَ خشيته من تغيير الاسم ؟ وعدم الخشية من تغيير الاسم هل يَعني أنه غيَّره فعلاً ؟

ثم أليس بين الناس من يعرف اسم الأب قبل أن يكبر الابن فيغيّر له اسمه ؟ ثم هل في المصادر التي نعرف ويعرف الأستاذ مصدر واحد يشير إلى ذلك ؟

★ وننتقل إلى شك الأستاذ في الأخبار المرويّة عن حافظة بديع الزمان فنراه يقول : « وهب ذاكرة قوية وحافظة نادرة ، فكان قفلة لا يفلت من خاطره ما يعلق به . ولعل هذا هو الذي حمل معاصريه على القول فيه : (إنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم منها حرفاً . وينظر في أربع أو خمس أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره ، نظرة واحدة ثم يمليها عن ظهر قلبه ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخر سطوره ثم هلمّ جرّاً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه .) ثم يقول : « إنها مبالغات نسبوا مثلها إلى المتنبي والمعري وأبي تمام ، وهي عندي إلى الحكايات أقرب منها إلى التاريخ الرصين ، فليست الأذهان دفاتر ، ولا آلات تصوير شمسية حتى تحفظ وتلتقط آثار الأدباء كما هي . »

وللأستاذ مارون رأيه في هؤلاء النوابغ من أعلام الأدب العربي وله « حسن » ظنه فى ذكائهم وذاكرتهم ، ولنا رأينا وظننا . ولكننا نعجب كيف يقبل الأستاذ بالشك وحده دليلاً ويرفض آراء « المعاصرين » وقد

أجمعت آراؤهم وتواترت رواياتهم عن ذكاء هؤلاء الأعلام ؟ أفنقبل الشك أو الرأي متفقاً مع الهوى ونرفض الآراء إن جاءت على ما لا نحب ونهوى ؟

ولو أن في البحث مجالاً لذكّرت الأستاذ بما يعرفه من علم النفس من أن قيام عضو من الأعضاء بوظيفته إنما يعود عليه بالقوة والنماء ، وأن الحياة في عصر أولئك الأذكياء الذاكرين كانت تجبرهم على استعمال عقولهم والاعتماد على حافظاتهم أكثر مما تضطرنا حياتنا الآن الى الاعتماد على الدفاتر والمفكرات وآلات التصوير الشمسية .

★ وأما تأثر بديع الزمان بالباطنية فيقول الأستاذ مارون بصدده : « ثم غادر ـ أي البديع ـ حضرة الصاحب وقصد جرجان ، حيث خالط علماءها وهم من الإسماعيلية ، فعاش بينهم حيناً مقتبساً من علومهم وفلسفتهم الباطنية . »

ولا شك أن الأستاذ يعوّل في دراسته هذه على ما قاله الثعالبي وغيره من أن بديع الزمان اتصل في جرجان بالإسماعيلية وعاش في أكنافهم ... (١) والذي ذكره الثعالبي وأخذه عنه آدم متز كما رأينا غير الذي فهمه الأستاذ عبود ؛ إذ أن « الإسماعيلية » أسرة معروفة في جرجان ذات جاه ومال ونفوذ ، وليست هي نسبة إلى المذهب الإسماعيلي كما توهّم الأستاذ . ثم إنه لا يكتفي بذلك بل يقفز بسرعة عجيبة ليجعل بديع الزمان متأثراً بالفلسفة الباطنية ، وهذا لم يقل به أحد لا من القدماء ولا من المحدثين ، بل كيف يجوز مثل هذا القول وهم قد وصفوه بالبعد عن الزيغ وأهل الأهواء (٢) ؟ وقالوا إنه كان شديد التعصّب لأهل السنة والحديث وإن أخاه كان مفتي همدان (٣) .. ؟

(١) انظر ما سبق في ص : ١٢٩ .

(٢) سبق ذكر ذلك في ص : ١٢٩ .

(٣) هو أخوه لأبيه وأمه ، واسمه محمد بن الحسين بن يحيى ... أبو سعد . وانظر معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ ولسنا ندري بهذه المناسبة هل هو ابن أبيه قبل أن يغيّر أخوه البديع اسم أبيه أو بعده ؟

وجملة القول إن من يقرأ ما كتبه الأستاذ مارون عبود عن بديع الزمان يشعر بكره الكاتب للهمذاني ، وبتسرّعه في الحكم عليه ، ويشعر أن الكاتب لم يستطع أن يكتم كرهه له ، بل كان ينفّس عنه بين الحين والحين ، وهو يطالعك في أول الحديث عن بديع الزمان بقوله : « أما لقب بديع الزمان فلست أدري كيف أحرزه ، ما أحسب هذا اللقب إلا من صنعه أو من صنع صاحب اليتيمة لكي تتمّ له السجعة ويقول : هو بديع الزمان ومعجزة همذان ... » على أن نفسيّة الناقد الأديب تتغلّب على عاطفة الأستاذ نحو البديع فيتحدث عن أدبه وفنّه حديث المعجب ويجعله سيّد القلم [١] .

(يتبــع) الدكتور مازن المبارك



(١) بديع الزمان ص : ٤٥ .

ابن القارح

- ١ -

لقيتْ « رسالة الغفران » من عناية الأدباء في عصرنا هذا ما لم يلقه أي أثر من آثار أبي العلاء لعدة عوامل أظهرها ، في اعتقادي ، قيمتها الفنية من جهة ، ونزعاتها الفكرية من جهة ثانية . والواقع أنها جديرة بالدرس والبحث ، وكلما أوغل الأدباء والباحثون في دراسة آثار شاعرنا الفيلسوف ونزعاته الشكوكية ، وآرائه الحرة في الكون والحياة وفي فساد جبلّة البشر ، جدّت لهم ظواهر جديدة .

على أن أديباً عاصره وعلق اسمه باسمه ، وكان من الحوافز التي أثارته ليبدع أثراً من أخلد آثاره ، هذا الأديب لم ينل من عناية الباحثين ما يستحق أن يُلتفت إليه الالتفات الذي يكشف بعض ملامح من هواجسه وأمنياته ، ومن قلقه وشكوكه ، وما لاقاه من خير وشر ، أريد به « أبا الحسن علي ابن منصور بن طالب الحلبي ، الملقّب دوخلة ، والمعروف بابن القارح » .

وهذا اللقاء الفكري بين فيلسوف المعرة وأديب حلب جدير بأن يلفت نظر الباحثين ، وأن يوغلوا في دراسة رسالته ، وطرف من حياته وأدبه .

قد يقول قائل أين ابن القارح النحوي ، اللغوي ، الراوية ، المؤدب ، من أبي العلاء الشاعر ، الفيلسوف الذي يعتبر قمة من شوامخ الأدب العالمي ، بله الأدب العربي ولا نقول غير ذلك . ولكن أديباً أثار شاعراً فيلسوفاً ترك لنا ، كما قلت أثراً من أخلد آثارنا الأدبية ، هذا الأديب الذي هزّ ضمير أبي العلاء ودغدغ خياله الخصب ليحلّق في الآفاق ، جدير بأن نخصه بأكثر

من دراسة واحدة ، فقد تكمل دراسته بعض الفجوات من رسالة أبي العلاء الذي خصّ ابن القارح بكثير من الغمز واللمز في إطار من الحمد والثناء! .

وقد تباينت حياة ابن القارح بمراحل طريفة مَنْ تتبّعها يَرَ صورة من قلَق العصر ، ومن بَرَم الأدباء بالكثير من الظواهر والآراء التي يسودها التزمّت إلى الحيرة والشكّ ، وإلى غير ذلك من النزعات الهدامة التي هزت ضمير الأدباء والمفكرين ، في ذياك العصر ، فانطلقوا يعبّرون عن آرائهم وهواجسهم ، وكان فيلسوفنا الشاعر أبرزهم في الإفصاح عن آرائه بأسلوب غاية في الطرافة والنقد المبطّن بالهزء المرّ .

وقد عاش أديبنا الحلبي فترات صعبة بين بؤس الحياة ولين العيش ، وبين نزغات الشك ونزعات اليقين ، وأحاط بجميع التيارات التي تطبع عصره ، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الحياة العقلية بشتى ألوانها ومختلف ظواهرها ، وكان لا بدّ له من أن يعبّر عن آلامه وهواجسه ، وعما تردّده أروقة المدارس وندوات المجالس من مختلف الآراء والمذاهب ، ولا سيما بعد أن طوف بالبلدان والعواصم ، واجتمع إلى مختلف الهيئات وشتى الطبقات .

ومن الأمانة لتاريخنا الأدبي ألاّ نهمل الحديث عن نشأته ودراسته ، والأساتذة الذين أخذ عنهم ، والمدارس التي تلمذ عليها ، والأمراء الذين لقيهم ، وظواهر من حياته في العواصم التي زارها ، ثم رجوعه إلى حلب يحمل إلى أبي العلاء خلاصة تجاربه في الحياة ، وفي هذه النزعات التي قرعت سمعه وهزّت ضميره ، فظهر ، بعد تطوافه الطويل خلال عشرات السنين ، ظهر بمظهر الغريق الذي يطلب النجاة بعد أن غرق أو كاد في لجج الأحداث ، ولم يكن ربّانه الذي ينقذه غير أبي العلاء الذي أفضى إليه بكل ما يثقل ضميره ، ولنبدأ القصة من أولها :

- ٢ -

ولد ابن القارح في حلب سنة ٣٥٤ هـ ، وفي رواية ، وهي الأصح ، سنة ٣٥١ هـ ، وهي السنة التي كانت نذير شؤم على المدينة .

فبعد أن عاشت « حلب » في أعراس المجد ، في ظلال أميرها البطل سيف الدولة الذي استطاع بمعاركه الجسام أن يغزو البيزنطيين في عقر دارهم ، وأن يركز الراية العربية فوق القلاع والحصون الرومية ، وأن يحتل مدنها بعد أن كاد يقرع أبواب القسطنطينية لولا اضطراره أن يعود إلى عاصمة ملكه ليخمد الفتن الداخلية ، أقول بعد أن عاشت المدينة في أعراس المجد عادت لتبكي وتولول بنتيجة الحرب الدامية التي نشبت في شوارعها بعد أن جهز القائد البيزنطي بنسفور فوكاس حملة كبرى من ثمانين ألف مقاتل للانتقام من الأمير الحمداني الذي سجّل عليه العديد من الانتصارات ، فاحتلّوا المدينة وحرقوا دورها ونهبوا بيوتها وقصورها وذبحوا نساءها وأطفالها ، فهريقت الدماء دون أن يظفروا بأميرها الذي تراجع إلى قنسّرين يدافع عن المملكة ويدفع عنها الخطر ، بينا اعتصم جنوده في القلعة المنيعة يدفعون عنها زخم هذا الحصار الذي طوّق المدينة والذي دام تسعة أيام قاست خلالها الأهوال ، وتحمّلت الكوارث والويلات . وما زالت صامدة إلى أن تركوها خرابات وأطلالاً تعوي وتندب سوء حظها ، بعد أن كانت تنافس بغداد واستانبول بزهو قصورها ، وعظمة أمجادها ، ففي تلك السنة المشؤومة ولد الطفل الذي أسماه أبوه « عليـــاً » ، فلم تنطلق الزغاريد ، ولا دقّت طبول الفرح ابتهاجاً بمولده .

ومَنْ يدري ؟ فربما حوقل أبواه وهما يريان البؤس يخيّم على المدينة ، وقد توقعا له حياة ضنكةً في ظلال هذه الأيام السوداء .

- ٣ -

وتمرّ الأيام بسرعة . ويترعرع الطفل ، ويرسل إلى الكتّاب أسوة بلداته الأطفال الذين يبدأون عهد تلمذتهم بدراسة مبادئ القراءة والكتابة مع حفظ سور القرآن الكريم ، وهي فترة لم تطل حتى حفظ الطفل أكثر السور . وحين فاض قلبه ولسانه بحفظ كلام الله أحبّ العربية حباً جماً ، واعتبر إتقان صرفها ونحوها أساساً لإدراك بلاغة وأسرار معاني الآيات ومقاصد السور .

وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم في الصغر تقليد درج عليه الأوائل فكان من العوامل التي دفعت الكثيرين إلى التوسّع في علوم العربية لإدراك مقاصده وغاياته ، والتلذذ بسحر بلاغته وجمال بيانه . ولم يشذّ ابن القارح عن هذا النهج ، فلم يكد يتخطّى عهد الطفولة ، ويدخل عهد التلمذة حتى انجذب إلى دراسة علوم العربية .

وكانت حلب ما تزال تغصّ بالأعلام . وكان ابن خالويه ، سيد هذا العلم ، فيتلمذ عليه ويأخذ عنه .

ويسمع أن ابن جنّي مؤسس مدرسة النحو والصرف أي المدرسة التي نزعت نزعة جديدة في عدم الوقوف عند النص وفي استخدام القياس إلى أقصى حد ، يسمع أن هذا العالم المجدّد قد تتلمذ على أبي علي الفارسي ، فيحضر دروسه ، ويخدم في بيته ، ولا يجد في ذلك أي غضاضة ما دام في ذلك طريقه الى المعرفة . وفي عصرنا هذا نجد كثيرين ممن أصبحوا أعلاماً لم يجدوا أي غضاضة في الخدمة لقاء إعفائهم من الأقساط المدرسية . وهو تقليد درجت عليه الجامعات الأمريكية ، وتبعتها بعض الجامعات الأوربية .

★ ★ ★

وما هي سنوات تمرّ من حياة التلمذة وهو يأخذ عن أئمة اللغة وأعلام الصرف والنحو حتى أخذ يعي مظاهر الحياة الثقافية في مدينته الحبيبة .

وبدأ يسمع الأحاديث المستطابة عن فترة انقضت كانت ترتفع خلالها رايات الأدب في بلاط الأمير الحمداني . وحزّ في نفسه أن الزمن لم يتقدّم به ليشهد معارك السلاح التي خاضها سيف الدولة أو معارك الأدب التي كانت تدور في بلاطه بين أئمة البلاغة وفحول الشعراء ، بين مدرستي القديم والحديث . وواضح أنه في كل عصر لا بدّ من معركة حامية الوطيس بين الشيوخ والشباب . ولكل فئة نهجها واتجاهها . وتنقضي الأيام ويخمد لهيب الثورات ولا يبقى إلاّ الصحيح .

وحزّ في نفسه أكثر أنه لم يتح له أن يكحّل عينيه بمرأى المتنبي وهو ينشد أميره الشجاع قصائده الغرّ ، تلك القصائد التي سجّلت أعنف المعارك التي خاضها ـ والذي استطاع في فترة قصيرة من حكمه أن يؤسس دولة ذات كيان مستقل ، وأن يهرع الأدباء والشعراء والحكماء إلى بلاطه فيحتضنهم ويخلق نهضة أدبية ما تزال بعد نيّف وألف عام ذات صدى قوي في تاريخ النهضة الفكرية ـ نعم ، لم يتح لابن القارح أن يشهد أحداث تلك الفترة بنعيمها وجحيمها ، بسلمها وحربها ، فحين بلغ السادسة ، وهو عمر الطفولة ، كان سيف الدولة قد ارتحل عن مملكته مثخنَ الجراح لينام نومته الأبدية في ميافارقين ، وكانت شمس الدولة الحمدانية قد آذنت بالغروب .

— ٤ —

بعد أن طويت راية الأمير الحمداني انقلب صبح المدينة الى غشاوة ، وفجرها المؤتلق الى ظلمة دامسة ، وأغاريد شعرائها الى حزن وبكاء .

فقد خمدت الحركة وأخذ الناس ، بعد أن لزموا بيوتهم ، يجترّون آلامهم ، ويقصّون قصص المعارك التي انتهت أمجادها إلى نهايات محزنة .

عاشت حلب ، تلك الفترة ، في ثورة من الخوف والقلق ، لا تعرف ما يخبّأ لها الغد ، وما هي مقدمة عليه ، ولا سيما بعد أن هجرها الأدباء والشعراء والمفكرون ، ومَنْ كانوا سند الأمير الحمداني الذي جعل من عاصمته لؤلؤة تشعّ بأزهى ما تبدعه القرائح والعقول ، وما تنبض به الضمائر والقلوب ـ هجرها المتنبي والنامي والببغاء وكشاجم والخالديان وابن نباتة السعدي وابن نباتة الفارقي أشهر وأبلغ خطبائه ، كما هجرها الفلاسفة والحكماء وغيرهم وغيرهم من ذوي المهن والاختصاص في شتى فنون المعرفة .

يذكر ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء : « أنه كان لسيف الدولة أربعة وعشرون طبيباً منهم عيسى الرقي ، وكان يُعطي عطاءً لكل عمل ، وكان عيسى الرقي يأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب ، ورزقاً بسبب ترجمة الكتب من السرياني إلى العربي ، ورزقين بسبب علمين آخرين »(١) .

ولا مجال للحديث عن ازدهار الحركة الفكرية في تلك الفترة ، فقد وصفها المرحوم أحمد أمين بقوله : « كانت أكبر حركة في الشام وأعظمها في الأدب واللغة وعلومها ، فاتت حركة الشعر واللغة والنحو وما إليه نظيرتها في مصر ، وربما في العراق أيضاً »(٢) .

★ ★ ★

وقد كان الحنين إلى تلك الأيام الحلوة العذبة يستبدّ بقلب كل من شهدها أو شارك فيها . فبعد أن ترك أبو بكر الخوارزمي حلب إلى أصفهان قال :

« .. وقد رأيت في هذه الحضرة ـ حضرة أبي محمد العلوي بأصبهان ـ أقواماً كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ، ومنهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هناك ، وأياماً سُلبتها سلباً ، ونُزعت من يدي غصباً ، ودهراً كأني كنت أقطعه وثباً »(٣) .

(١) طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٤٠ .
(٢) ظهر الإسلام ص ١٧٧ .
(٣) اليتيمة ج ١ ص ١٣ .

وكتب الأدب تروي الكثير من نبضات الحنين إلى ذيّاك العصر الزاهر الذي انفرط عقده وانطوت رايته بانطواء راية الأمير الحمداني . .

وعاصمة تُقفر أنديتها من الأدباء والشعراء والمفكرين بله القادة والموهوبين ، تبدو كئيبة مظلمة الجوانب مهما أضفي عليها من بريق الزينات والمهرجانات ، هي في صميمها وفي ضمير الشعب ، مظاهر كاذبة لا تهزّ المشاعر ولا تهدئ الخواطر ولا تُطمئن الضمائر .

— ٥ —

لقد وعى ابن القارح ، وهو في أول تفتحه للحياة ، هذا اللون القاتم من حياة المدينة بعد أن كانت ترقص بالمبهجات ، ووعى هذه الأحاديث عن أساتذته وشيوخه فأثارت في نفسه ذكريات ممضّة حزينة .

وبدأ يفكر أيبقى حيث ولد وترعرع ، وحيث المدينة تغوص في بحر من الظلمات ، وفي جحيم من الاضطرابات والوشايات ؟ أم يغامر برحلة تزيد من ثقافته وتطمئن بعض نزعاته ، وتزيل بعض قلقه وشجونه . وبعد تفكير لم يطل قرر أن يهجر مسقط رأسه . فقد رأى في الهجرة المتنفّس الذي يحدّ من ثورانه ، ويزيل بعض اضطرابه ، وهي متنفّس كل انسان حر الفكر ، حر الضمير ، ولو أدّت به الهجرة أن يعيش في الضنك والبؤس ، وفي الشظف والحرمان .

— ٦ —

كانت بغداد في اكتمال نُضْجها الفكري ، تعجّ بالأعلام من الأدباء والشعراء واللغويين والفقهاء والفلاسفة والحكماء ، كما تعجّ بمدارس الأدب قديمها وحديثها ، وأصبحت العاصمة الكبرى لألوان مختلفة من شتى الثقافات ،

يهرع اليها الأدباء والمفكرون من كل حدب وصوب . وكان ابن القارح ، وهو في ضيق من بيئته التي ران عليها الخمول ، قد أنس بصحبة أستاذه أبي علي الفارسي (١) الذي أخذ منه أصول العربية وقواعدها فشدّ اليه الرحال ، ولم يكد يبلغ بغداد التي بهرته حتى لازمه ملازمة الظل لخياله ، وكلما تقدّمت به الأيام ازداد معرفة وتمكناً من علوم العربية ، إلى إلمام بثقافة العصر .

وبدأ يغشى مجالس العلماء وندوات الأدباء ، ويتعرّف على هذا وذاك من الأساتذة المتفوقين ويسجّل في كناشه كل شاردة وواردة .

إنه طالب علم ، وطالب العلم نهم لا يشبع ، وظميء لا يروى ، فكما أخذ عن أستاذيه ابن خالويه وأبي علي الفارسي تتلمذ على غيرهم من ذوي المعرفة والاختصاص . اتصل بأبي سعيد السيرافي (٢) ، وبعلي بن عيسى الرُّمّاني (٣) ، وبالمرزباني ، وبأبي حفص الكتّاني وبغيرهم وغيرهم من أعلام اللغة والنحو ، فلم تمض عليه سنوات ، وهو في بغداد ، حتى كان قد وعى علوم العربية وقرأ الكثير من الكتب ، وحفظ الكثير من الشواهد ، وأصبح في وضع يمكّنه أن يفيض قلبه ، ببعض ما أخذ عن أساتذته ، وقد أشير إليه كأستاذ من المبرزين في علوم العربية ، ولا سيما في علم النحو .

وإذ كان من المصرين رأى أن يمتهن التعليم ، وأخذ يدرّس متتبعاً نهج أساتذته ، حريصاً كل الحرص على أصول العربية وأسرار بلاغتها وفصاحتها .

نقل ياقوت في معجم الأدباء عن ابن عبد الرحيم قوله :

---

(١) ترجمته في قاموس « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ١٤٢ .
(٢) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٢ ص ٢١٠ .
(٣) ترجمته في « الأعلام » للزركلي ج ٥ ص ١٣٤ .

« .. هو شيخ من أهل الأدب . شاهدناه في بغداد ، راوية للأخبار ، وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، قؤوماً بالنحو ، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره ، وهو صبي ، ثم لازمه ، وقرأ عليه ، على زعمه ، جميع كتبه وسماعاته . وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر »[1] .

- ٧ -

بعد أن درّس فترة غير قصيرة وهو في غضارة الشباب ، وقد استوى على رجليه أستاذاً ملء بردتيه الطموح ، رأى أن يترك بغداد التي تزوّد منها بفيض العلم والتي تركت في نفسه أجمل الذكريات وأمتع اللقاءات مع فطاحل اللغة وأئمة البيان ، ورأى أن يتركها إلى القاهرة ليلقى شيوخها وفضلاءها ورجالات الفكر في مدارسها وجوامعها .

ويقطع هذه المسافات الطويلة دون ملل ، حافزه رغبة ملحّة في الوصول إلى كنانة الله ، فيمر بالبلدان ، ويتعرف على مدارسها ورجالاتها وأنديتها ، وما يزال حتى يهبط القاهرة .

★ ★ ★

ونتساءل لماذا لم يرجع إلى حلب ، مسقط رأسه ؟ فلا يعوزنا الجواب . فالأحداث السياسية ، والاضطرابات الداخلية التي ازدادت سوءاً وعنفاً هي التي حفزته أن يبتعد عن الأتون اللاهب .

كانت الأنباء تتحدث عن الصراع القوي الذي اشتدّ بين ابن سيف الدولة أبي المعالي شريف الذي عرف باسم سعد الله ، وبين خاله أبي فراس الأمير الشجاع الذي كان ينافسه على سرير الملك والذي انتهى بمقتله على يد حاجب

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٤ .

الدولة قرغويه المملوك التركي الذي عاد فثار على سيده سعد الدولة وطرده من حلب ، وهذه سجية المماليك في الثورة والانتفاض على أسيادهم حين تسنح الفرص .

وحين حاصر الروم المدينة عقد قرغويه معهم هدنة ووقّع لهم معاهدة مزرية كلّفت المملكة الكثير من المال ، والكثير من الذل والخسران .

وقد ألمع ابن الأثير إلى هذه الفترة العصيبة التي عاشتها حلب ، وهي فترة الحصار المريع الذي انتهى بالهدنة المشؤومة ، بقوله :

« .. وحصروا البلد وفيه قرغويه ـ وهو الذي استنجد بالروم على سيده سعد الله ـ وأهل البلد قد تحصّنوا بالقلعة ، فملك الروم المدينة ، وحصروا القلعة » .

وبعد الحصار وما أصاب المدينة من تخريب وتهديم ، وما أصاب الأهالي من ضنك وضيق وبؤس وبرم يقول ابن الأثير :

« .. فخرج إليهم جماعة من أهل حلب وتوسّطوا بينهم وبين قرغويه وتردّدت الرسل . فاستقرّ الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرغويه إليهم »(١) .

وأشار يحيى بن سعيد إلى هذه المأساة بقوله :

« ونازل الروم المدينة وحاصروها سبعة وعشرين يوماً ، وترددت المراسلات بينهم وبين أهلها إلى أن تقرر الأمر على صلح وهدنة مؤبدة ، ومال يحمل إلى ملك الروم في كل سنة عن حلب وحمص وجميع أعمالها من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الأرض ، وسبع قناطير ذهب عن خراج هذه الأعمال ، ومن كل رجل حالم دينار واحد في السنة» .(٢)

---

(١) ابن الأثير ج ٧/٣٧ .
(٢) يحيى ابن سعيد ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

هذا بعض ما جاء في تلك المعاهدة المشؤومة التي اجترّ الحلبيون مرارتها وتحمّلوا الكثير من أعبائها(١) بنتيجة ثورة مملوك أعجمي على سيده العربي .

وحين ارتقى سعد الدولة عرش المملكة ، كان أول ما عمله تخفيف عبء تلك المعاهدة التي طوّقت عنق المملكة بقيد ثقيل خانق ، فوفق ، بعد مراسلات طويلة مع الروم ، إلى أن أنزلها إلى أربعمائة ألف درهم فضة ، وهو مبلغ اعتبر ضئيلاً بالنسبة إلى القناطير الذهبية التي قبل بها قرغويه ، إضافةً إلى الكثير من الأعباء الثقيلة والقيود الجائرة .

— ٨ —

هذا الاضطراب الذي كان يسود مجتمعات حلب هو الذي دفع ابن القارح أن لا يرجع إلى البيئة التي أنبتته والماء التي أظلته ، وأن ينأى عن آله وذويه ، فيمّم وجهه شطر وادي النيل حيث الأنباء كانت قد أشارت إلى تأسيس جامع الأزهر الذي كان قد فرغ من بنائه سنة ٣٦١ هـ .

وهذا أيضاً من العوامل التي حفزته أن يشدّ الرحال إلى مصر ، فما كاد يستريح من وعثاء السفر ويكحل عينيه بمرأى النيل العظيم حتى قصد جامع الأزهر فتعرّف إلى أساتذته ، وراقب طور التدريس في أروقته ، وعاش فترات حلوة في هذا الجوّ العلمي الذي تعبق من جوانبه عطور الأدب واللغة في إطار قدسيّة الدين .

— ٩ —

ولم تكن مصر في تلك الفترة أحسن مما هي عليه سائر الأقطار الإسلامية ، فحين أمّ ابن القارح مصر لم يكن يعرف أي شيء عن مجتمعاتها وعمّا يتشاك

(١) في زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم (ص ١٦٣ ــ ١٦٨) ذكر مسهب لشروط هذه الهدنة المزرية .

على مسرحها من مخازٍ ، كما لم يكن يعرف أحداً من رجالاتها سوى أبي الحسين المغربي الذي كان يختلف إلى داره في حلب .

وقد قصده تواً ولم يكد يطرق بابه حتى لقي منه كل ترحيب ، وليس هذا فقط بل فتح أمامه السبل ليعرّفه على المرموقين ، ولم يلبث أن قدّمه إلى الحسين بن جوهر ، فسرعان ما أناط به تعليم ولديه ، وكانا مختصَّين بالحاكم ، فقام بمهمته خير قيام .

وعن طريقهما تعرّف بالحاكم ومدحه بقصيدة نال عليها مكافأة سخية .

روى ياقوت في « معجم الأدباء » القصة التالية :

قال ابن القارح : كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر . وكانا مختصين بالحاكم وآنسين به ، فعملت قصيدة وسألت المسمّى منها جعفراً ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، أن يوصلها ففعل وعرضها عليه ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال مؤدبي ، قال : يُعطى ألف دينار .

واتفق أن المعروف بابن المقشر الطبيب كان حاضراً فقال :

لا تثقلوا خزائن أمير المؤمنين ، يكفيه النصف ، فأعطيتُ خمسمائة دينار[1] .

والحاكم الذي مدحه هو العزيز بالله والد الحاكم بأمر الله .

والقصيدة على وزن « منهوكة أبي نواس » ومطلعها :

إن الزمان قد نضر بالحاكم الملك الأغر

وهي طويلة ، وشعره ، كما يقول ياقوت ، يجري مجرى شعر المعلمين ، قليل الحلاوة ، خالٍ من الطلاوة .

★ ★ ★

(١) معجم الأدباء ج ١٥ ص ٨٧ .

وكما مدح الحاكم فقد هجا الوزير المغربي هجاءً مقذعاً !

وكثيراً ما يلتبس الأمر على الكثيرين فيظنون أنه هجا الذي أحسن اليه ، ولكن الواقع أنه هجا ابنه « أبو القاسم » الأديب الوزير الذي ألمع إليه في الرسالتين المتبادلتين بين ابن القارح وأبي العلاء .

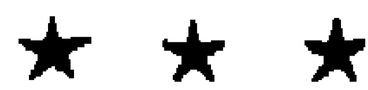
ولا بأس من وقفة قصيرة عند هذا الحادث :

في ندوة من ندوات أبي العلاء جرى ذكر ابن القارح بعد أن كثرت رحلاته واستفاضت شهرته .

وسُئِلَ شيخ المعرة هل يعرفه فقال :

« .. أعرفه جيداً ، هو الذي هجا أبا القاسم علي بن الحسن المغربي » .

وبلغت هذه الكلمة ابن القارح فتفزّع من هذا الوصف الساخر وارتاع ، وخشي أن يكون دليلاً على سوء رأيهِ فيه ، فكاشفه بما استولى على نفسه من الخوف ، وكيف أشفق من أن يتمثله أبو العلاء في صورة المتنقّص العياب ، فراح يدافع عن نفسه حتى يمحو من ذهنه تلك الصورة الشرسة الجاحدة ، ويبرأ مما توحيه من معاني العقوق واللؤم ومجازاة المحسن بالإساءة فأعلن أنه يؤثر أن يكون نكرة من النكرات ، وفرداً خاملاً من غمار الناس ، على أن يكون موصوفاً باللؤم والعقوق ، كما تصفه تلك الغمزة الفاتكة التي نطق بها شيخ المعرة »[1] .



وقصة الخصومة قصة طويلة خلاصتها أن أبا الحسن ـ صديقه ـ أسرّ اليه ذات يوم خوفه من طموح ولده ، أبي القاسم ، وتوثبه ، وخشيته من أن

(١) على هامش الغفران لكامل الكيلاني ص ٤٤ .

تغريه مطامعه وتورده موارد التهلكة ، ثم طلب الوالد إليه أن يوافيه بكل ما يفضي به ولده من أسرار ، حتى لا يؤخذ الوالد على غرة .

ولم يلبث أبو القاسم أن كاشف ابن القارح بدخلته ، وأفضى إليه بما يعتزمه ويتحفز له من الثورة .

وقد أسرع ابن القارح وأطلع أبا الحسن على ما يدبّره ولده ، فارتاع وأيقن أن ابنه سيورده حتفه وشيكاً ، ولم يكد يعرف ما أذاعه من سرّ حتى تنكّر له ، وتبدّل صفوه كدراً[١] .

★ ★ ★

ويروي ابن القارح نصّ الحديث الذي جرى بينهما بقوله :

« قال لي سراً : أنا أخاف همة أبي القاسم أن تنزو به إلى أن يوردنا ورداً لا صدر عنه ، وإن كانت الأنفاس مما يكتب ويحفظ ، فاكتبها واحفظها ، وطالعني بها » .

وكان أبو القاسم ينوي القيام بثورة على حاكم مصر ، وقد أفضى بدخيلة نفسه إلى ابن القارح بقوله : ما رضى بالخمول الذي نحن فيه ! .

فقلت : وأي خمول هنا ؟ .

تأخذون من مولانا ـ خلّد الله ملكه ـ في كل سنة ستة آلاف دينار وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظّم مكرم .

فقال : أريد أن تصار إلى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ، ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان .

★ ★ ★

(١) على هامش الغفران لكامل الكيلاني ص ٤٦ .

ونقل ابن القارح نصّ هذا الحديث إلى أبيه فقال :

ما أخوفني أن يخضب أبو القاسم هذه من هذه ، وقبض على لحيته وهامته !.

وعلم أبو القاسم بذلك ، فصارت بيني وبينه وقفة ! (١).

★ ★ ★

وهنا تأزّمت العلاقة بين ابن القارح وأبي القاسم الذي أضمر له السوء . وهجوه ، على ما نظن ، بنتيجة ما سمعه من قارص الكلام وتوعّد بالشر ، مع أنه حرص ، بافضاء هـــذا السرّ ، أن يجنّب العائلة الشرور التي كانت تغمر مصر .

— ١٠ —

واستفاضت شهرة ابن القارح في مصر ، وقرّبه الحكام ، وشرّفوه بخدمتهم ، واستطاع وهو يتولّى تدريس ابني القائد أن يغشى القصر وأن يشاهد الأمور عن كثب ، وقد أشار إلى بعضها بقوله :

« وأنفذ إليّ القائد أبو عبيد الله الحسين بن جوهر ، فشرّفني بشريف خدمته ، فرأيت الحاكم كلما قتل رئيساً ، أنفذ رأسه إليه وقال :

هذا عدوّي وعدوك يا حسين ! .

وما كان ليستطيع أن يستمرّ في الخدمة ـ أو في هذا التشريف على حد قوله ـ ، والعيش في ظل هذا العهد .

وبعد تفكير لم يطل ، وبعد أن قضى لبانته من زيارة مصر ، وتعرف على أدبائها وشعرائها وفقهائها وأئمة النحو في أزهرها ، وبعد أن غشي مجالس

(١) رسالة الغفران ص ٥٠ .

شيوخها وعلمائها وكبار رجالاتها ، وخبر جبلّة ناسها وطيب سريرة شعبها ، وغطرسة الحكام من غير أبنائها ، والمضحكات والمبكيات من نزواتهم وتصرفاتهم ، بعد كل ذلك آثر السلامة والهرب ، فاستأذن القائد في الحج ، وما كان ليأذن له لولا مكانته وأثره في تعليم ولديه ، وبعد لأي أذن له ، فخرج سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، وقد بقي في الحجاز مدة طويلة ، حجّ خلالها ، فيما يقول ، خمسة أعوام متتالية .



وعاوده الحنين إلى مصر بعد هذه الفترة الطويلة ، ولم يكد يصلها ويتصل بأصدقائه وزملائه ، ويتقرّى الأمور بعين فاحصة وحدس ثاقب حتى رآها أسوأ مما كانت عليه حين تركها .

لقد توقّع أن تكون الفتن العمياء قد خمدت . ولكن خاب ظنه . وقد هاله أن يعلم أن الحاكم العزيز بالله قد قتل صديقه الوفي والد أبي القاسم ، فذعر ، واضطرب ، وانهالت الدموع من عينيه .

وحين علم أولاد صديقه بعودته إلى القاهرة هرعوا يتوسلون إليه أن يرعاهم ، وأن ينقذهم من المأزق الذي يتخبّطون في مفازاته ودياجيره . وكانوا مختبئين خشية أن يطالهم البطش ، ومصيرهم إذا ظفر بهم القتل .

ويحار ابن القارح فيما يجب أن يعمله لإنقاذهم .

وبعد تفكير طويل قرر أن الهرب هو الوسيلة الوحيدة للخلاص من المصير الأسود الذي ينتظرهم فيقول لهم ـ وقد أوجس الشرّ على نفسه أيضاً ـ « خير ما لي ولكم الهرب . ولأبيكم ببغداد ودائع هي خمسمائة ألف دينار ، فاهربوا وأهرب » .

وانصاعوا لنصيحته ، فهربوا وهرب هو ، وقد سلك كل واحد طريقاً . والطريق الذي سلكوه لم ينجهم ، فلم يكد يصل ابن القارح إلى طرابلس

حتى علم أنهم قتلوا في دمشق ، فجزع وحزن أشد الحزن لهذا المصير الذي انتهى إليه صديقه وأبناء صديقه ، ولم ينج من أبنـــاء صديقه غير أبي القاسم ، الوزير الأديب الذي اعتزم الثورة على حكام مصر ، وقد ازداد هـذا العزم وازدادت نقمته وزاد اضطرابه وهيجانه بعد مقتل أبيه وعمه وأخويه ، وصمم على الانتقام وتدبير ثورة جديدة مهما كان الثمن ، ولكن هل يفلح ؟ لقد قصد الرملة وهو محطم الأعصاب ، فلم يكد يستقر ويستجير بصاحبها حسان بن الجراح ويمدحه حتى يجيره ويسكن جأشه ويزيل خوفه ووحشته ، ولكن أنى لرجل طموح في دمه روح الانتقام لدم أبيه وعمه واخوته أن تسكن ثائرته . لقد اعتزم الانتقام بأي ثمن ، وسرعان ما حرض ابن الجراح صاحب الرملة عليه ، فلم يتلكأ ، فاستجاب لتحريضه ، وخلع طاعته وثار عليه . وحرض بدوره أمير مكة أبا الفتوح فثار عليه أيضاً .

وقد استطاعا ـ بتدبير ابن المغربي وحنكته ـ أن يتغلب جيشها على جيش العزيز حاكم مصر الذي لجأ إلى المال فأغرى ابن الجراح بخمسين ألف دينار إذا خذل أمير مكة فرضي ، وخذل أبو الفتوح وعاد إلى مكة .

-١١-

وحين أخفقت الثورة أو الخطة التي رسمها ابن المغربي شعر بالخيبة المرة ، وخشي على نفسه أن يقع في الفخ وأن يصبح مصيره كمصير أفراد عائلته ، فهرب إلى العراق ، ولم يكد يستقر فيها حتى اتهم بأنه جاء لتدبير ثورة على الدولة العباسية بعد الذي عرف عن محاولاته الخطرة في مصر وفلسطين والحجاز ، ولا سيما ، والنزعة الثورية أصيلة في العائلة ، فما تكاد تخدم أميراً أو حاكماً حتى تطمح إلى الرئاسة فتثور ، وقد تعددت ثورات أفرادها واتنفاضاتها في كل قطر نزلته .

★ ★ ★

هكذا مرّت حياة أبي القاسم في إثارة الثورات ، إلى أن انتهى إلى الموصل ، فديار بكر حيث وزر لسلطانها أحمد بن مروان ، فأقام عنده وزيراً مفضلاً يكتب آراءه فيما يجب أن يتحلّى به الحاكم ، فكتب كتاباً « في السياسة » عكس فيه آراءه على ضوء حياة أحمد بن مروان، هذا الحاكم الذي تصفه كتب التاريخ بالصلابة والتقى ، والذي لم تفته صلاة الصبح عن وقتها رغم انهماكه في الملذات ، وملذّاته أن يخلو كل ليلة بجارية ، فقد كان له ثلاثمائة وستون جارية ، يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود النوبة إليها إلاّ في مثل تلك الليلة من العام الثاني (١) .

-١٢-

كان لا بدّ من هـذا الاستطراد لعلاقة الوزير أبي القاسم المغربي بحياة ابن القارح الذي هرب من مصر ، كما ألمعنا ، فجاء طرابلس ومنها إلى انطاكية حيث مكث فترة قصيرة ، ولم يعرّج على حلب ، وقد اقترب من تخومها ، لعلمه أن الأمور لم تتحسّن بل كانت تسير من سيء إلى أسوأ ، فسافر إلى ملاطية حيث حلّ ضيفاً على خولة بنت سعد الدولة . وخولة هـذه حفيدة سيف الدولة ، وكانت على جانب غير قليل من تذوق الأدب ورواية الشعر ، وهذا غير غريب ، فحب الأدب ورعاية أهله والإغداق عليهم سجية امتاز بها الحمدانيون ، وقد ورثوها صاغراً عن كابر ، فأضافت الشيخ المعلّم ابن القارح ، وقد تلمذت عليه ، وأنست بهذه الضيافة التي تميّزت بأحاديثه عن رحلاته . وعمن لقيهم في مصر وبغداد والحجاز ، وعن الأحداث التي هزّت العالم العربي ، إلى الدور الكبير الذي لعبه جدها في الذود عن تراث الأجداد .

★ ★ ★

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٧ .

وبينا هو ينعم بهذه الفترات الحلوة الهادئة في ظلال هذه الأميرة الحدانية التي امتازت بالنبل والذكاء وبالأصالة والجمال إذا بأبي القاسم يستدعيه إلى ميافارقين . ويتردد في تلبية هذه الدعوة . ويتساءل عن مغزاها ؟ أتكون مكيدة الانتقام منه لأنه أفضى بدخيلة نفسه الى أبيه ؟ أم لشكره على نصيحته بالهرب ؟

وبعد يومين عاشهما في جحيم الريب والشكوك اطّرح من ذهنه كل هذه الهواجس وسافر إلى ميافارقين غير هيّاب ولا وجل .

والتقيا . وكان كل واحد يظهر لصاحبه غير ما يبطن . ويروي ابن القارح قصة هذا اللقاء الذي يعطينا صورة عن نفسية أبي القاسم ، وهي نفسيته الثائرة ، الهائجة ، المضطربة .

وأنقل نصّ الحوار الذي جاء في صلب الرسالة :

قال الوزير المغربي : ما رأيتك !

أجاب ابن القارح : أعرضت حاجة ؟

قال : لا . أردت أن ألعنك !

قلت : العنّي غائباً .

قال : لا . في وجهك أشفى !

قلت : ولِمَ ؟

قال : لمخالفتك إياي فيما تعلم !

★ ★ ★

ويضيق ابن القارح بهذا اللقاء الموحش فيهجره ، ثم يجتمعان ويتعاتبان من جديد . ولا يلبث أبو القاسم أن يكيل له الصاع صاعين .

ويروي ابن القارح طرفاً من شذوذه ليسوّغ لأبي العلاء حوافز هجوه ، بالحديث الآتي :

« .. وقلت له : ونحن على أنس بيني وبينه « لي حرمات ثلاث » :

١ — البلدية ، أي أنها من بلد واحد .

٢ — وتربية أبيه لي .

٣ — وتربيتي لإخوته .

فقال : هذه حرم مهتكة :

١ — البلدية ، نسب بين الجدران .

٢ — وتربية أبي لاك ، منة لنا عليك .

٣ — وتربيتك لإخوتي ، بالخلع والدنانير .

وأردت أن أقول له : « استرحت من حيث تعب الكرام » فخشيت جنونه جنونه ، لأنه كان جنونه مجنوناً ، وأصح منه مجنون ، وأجن منه لا يكون ، وقد أنشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جنون جنون

بل جن جنانه ، ورقص شيطانه :

به جنة مجنونة غير أنها إذا حصلت منه ألب وأعقل

وظلا طوال حياتها على جفوة ونفور ، فما اجتمعا إلا اصطدما بفارس الكلام . ولا عجب فلكل واحد نزعته وسجيته وهما نزعة أمير ثائر وسجية شيخ مؤدب ، ونكتفي بهذا الإلماع فقد نعود الى ما بينهما من نقاش وعراك حين نعرض الى مضمون الرسالة .

ولم تطل إقامة ابن القارح في ميافارقين ، فما لبث أن فارقها إلى آمد . موطن غير واحد من الأدباء والشعراء ، يعيش فترات في ظلال البيئة التي أنبتت الأديب الناقد الذي كتب « الموازنة بين البحتري وأبي تمام » و « أغلاط قدامة بن جعفر » في كتابه « نقد الشعر » ، ومع علمه بأن الآمدي (١) ولد

(١) في « أعلام » الزركلي (ج ٢ ص ١٩٩) ترجمة الآمدي

ومات في البصرة ، وأنه لم يحظ بلقائه ، فقد أثاره منبته أي المدينة (١) التي التصق اسمها باسمه ، وكثيراً ما تثير المدن والأماكن التي تنبت العباقرة والموهوبين ذكريات عبقة في نفوس الأدباء والمفكرين .

وكم من زائر لحلب لا يكاد يمرّ بمعرة النعمان حتى يقف وقفة طويلة لزيارة قبر أبي العلاء ، وترديد الكثير من حكمه وآياته .

ولم تكن زيارة ابن القارح لآمد إلاّ من هذا القبيل .

-١٣-

لم تطل إقامته في آمد ، فبعد تطوافه الكثير في المدن والعواصم ، وقضائه سنوات طوالا نيَّفَتْ على الخمسين عاماً بعيداً عن أهله ووطنه ، يعيش في الأجواء الفكرية المشوبة بالكثير من التيارات المختلفة ، عاد إلى مسقط رأسه ، إلى حلب ، يتعرّف على معالمها وناسها . لقد غادرها شاباً ملء برديه الطموح ، فعاد إليها شيخاً عركته الأيام وطحنته أعباء السنين .

فقد آن له أن يستريح ، ولكن أنّى له الراحة والمشاهد والصور والأحداث والآراء التي اختزنها خلال رحلاته كانت تثيره ، وقد خشي أن تموت بموته ، فرأى أن يفضي بها إلى رجل يحسّ إحساسه ويتفهّم مقاصده .

فمن هو هذا الرجل ؟

---

(١) آمد : مدينة قديمة بين النهرين ، يسميها الأتراك «آمدْ» و «قره آمد» أي آمد السوداء ، لسواد حجارتها ، وهي من الحصون القديمة التي تداولتها الدول . وكثر ذكرها في الحروب المتتابعة بين الروم والفرس ، ثم بين الروم والعرب ، ولا سيما الحمدانيين منهم ، ثم بين السلجقيين والصليبيين ، وموقعها على دجلة تستدير بها كالهلال ، في قول ياقوت ، وينسب اليها عدد من الأدباء والشعراء ، واسمها اليوم ديار بكر .

لقد كتب رسالته التي تضمنت الكثير من الآراء في طبيعة الحياة ، وفي جوهر الحياة الأدبية ، فغمز ولمز ، وأوضح رأيه في الكثير من المشاكل ، وبعث بها إلى إمام العصر ، إلى أبي العلاء الذي لم يكن غيره يستطيع أن يزيل الشكوك التي هزت ضميره ، وهي تلك الرسالة التي أثارت الشاعر الفيلسوف الذي لم يبخل عليه بالجواب ، فكان للأدب العربي تلك الطرفة الخالدة التي تعتبر من أروع رسالات الفكر في الأدب الإنساني .

سامي الكيالي



على هامش

« دعوى الصعوبة في تعلم العربية »

بقلم الدكتور خليل ا. ح. سمعان

أستاذ مشارك

جامعة ولاية نيويورك في بنغمتن

— ٢ —

يجدر بنا قبل الاسترسال في مناقشة « تعلّم العربية وتعليمها لأبنائها وللأجانب »(١) أن نتابع عرضنا لآراء في العربية أبداها قبل حوالي القرن أحد أبنائها المصريين العرب في محاضرة ألقاها على المستشرقين المجتمعين في مؤتمرهم العالمي في ستوكهولم عاصمة اسوج عام ١٨٩٠ .

وكانت الآراء الغربية ، آراء بعض المستشرقين ، التي ناقشها ذلك المصري العربي ، المرحوم الشيخ أمين فكري ، في محاضرته المشار اليها هي :

١ — ان اللغة العربية لا تصلح للتخاطب ولا تفي بالغرض كأداة للعلم والتعلّم ، وانها لغة صعبة لا يمكن إتقانها إلا بعد عناء شديد ووقت طويل .

٢ — وان اللغة « العاميّة » أسهل من العربية وأوفى بالغرض ولذلك يجب استعمالها أداة للتعليم والتعلم في جميع الحقول ، العلمية منها والفنية والمهنية والأدبية .

٣ — وإذاً فيجب الاستغناء عن العربية كلياً .

(١) راجع بحثنا المنشور في « مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق » م ٤٢ ، ج ٤ ، ص ٧٩٤ — ٨٠٤ .

ولقد ناقشنا بإيجاز ، في بحث نشر في العدد السابق من المجلة ، حقيقة اللغة العربية ومشكلة الصعوبة في تعلمها ولا نزيد . أما المرحوم الأستاذ فكري فقد أخذ على نفسه إبطال هذه الآراء المستشرقيه الفاسدة فأحسن إذ قال :

« أما نحن » فاننا نخالف القائلين بهذه الآراء من المستشرقين الغربيين » ونذهب غير مذهبهم لوجوه : (١)

الأول : ان ما يجدونه من الصعوبة في اختصاص اللغة الفصيحة بالعلوم والفنون واستئثارها بالكتابة (٦٠) سيجدونه في نقل العلوم إلى اللغة العامية ، بل يجدون في الثاني ما هو أشد من الأول .

فان اللغة العامية تختلف باختلاف الأقطار والبلاد بما لا ينقص عن الاختلاف بين العامي والفصيح بل وربما زاد . فان جميع ما قالوه في صاحب اللغة الفصيحة إذا (٦٥) ورد إلى بلد من بلاد العرب التي يتكلم فيها باللغة العامية وحاله مع أهل ذلك البلد يكون بعينه أو أكثر في مصري ذهب إلى بلاد المغرب (٢) الأقصى أو الجزائر أو سورية وهكذا من يجيء من تلك الجهات إلى مصر إذا كان لم يدخل المكاتب ولم يسبق له مخالطة أهل البلاد التي جاءها .

(٧٠) فإنا لا نشك في أنك إذا قلت لمصري عامي (كَيْفَ حالُكْ) باللغة الفصحى ، من غير لحن ، تجده يفهم من هذه العبارة ما أردت ، بخلاف ما إذا قال له المغربي (أشيتَكْ) أو (آشْنْتايا) . وكذلك فهم المغربي العامي إذا قلت له (كيف حالك) أسهل من فهمه لقول (٧٥) العامي المصري (ازّيَّكْ) . وهكذا يفهم المصري قول العربي الفصيح (ما هُو) بخلاف قول المغربي (آشْنُو) و (شيهُو) أو قول السوري (شيكُلو) . وكذلك

---

(١) الأعداد المذكورة خلال الكلام تشير الى أرقام الأسطر في المخطوط الأصلي .

(٢) « الغرب » في المخطوط .

يفهم المغربي والسوري من قولك (ما هو) أكثر من قول المصري (ايهْ هُوَّا) أو (هُوَّا إيهْ) . (٨٠) وكذلك قولك للمصري (هذا الوقت) أسهل عليه فهماً من قول المغربي (تَوَّا) أو (دِرْوَقْ) أو (دِرْوَكْ) أو قول النابلسي (هالْقِيتْ) ؛ وقول البيروتي (هَلاّءْ) بتفخيم اللام ، والطرابلسي (هَلاّءْ) بترقيقها . وقولك (عمامه) أسهل عليه من قول المغربي (٨٥) (كَشْطَه) والشامي (لَفّه) ، فانه لا يفهم « اللفّه » إلا بمعنى الثوب الذي يلف فيه الطفل الصغير وهو رضيع غير مفصل عليه . وقولك (النّعل) أو (النّعال) أسهل من قول المغربي (الصَّبّاطْ) ، و (كثير) أسهل من قوله (ياسِرْ) أو (بالزّافْ) ، و (المطفه) (٩٠) أسهل من (الزّنْقَه) ، و (سفينه) أسهل من (شَقَفْ) أو (شَقّوفْ) ، و (رواق) أسهل من (بُرْطالْ) ، وقولك (امضاء) أسهل من قوله (خَنْفوسَه) ، وقولك (أمضيت الكتاب) (٩٠) أسهل من (خَنْفَسْتْ الكتاب) و (الكتاب مُخَنْفَسْ) ، وقولك (هل عندك ساعة) أسهل عليه من قول المغربي (تمّاشْ مِنْقالَه) [1] ، وقولك (كم الساعة) أسهل عليه من قول المغربي (قَدّاشْ التّمْديلْ) (١٠٠) و (حمص) أسهل عليه من قول الشامي (أضامَه) وهكذا مما يطول إيراده ولا ينحصر تعداده » .

ثم أشار الكاتب إلى واقع اللغة العامية في البلاد ، وإلى اختلافاتها الاقليمية فقال :

« ومن دقق النظر في أحوال البلاد العربية يجد أن البلاد المصرية نفسها يختلف بعضها عن بعض بما لا يقل عن الاختلاف بين العامة وأهل اللغة

(١) قوله « منقالة » هذه : القاف تقرأ عندهم كالقاف في نطق صعيد مصر ، وكالجيم في نطق أهل القاهرة ، أي غير معطشة ،

الفصيحة الصحيحة . فان أهل الصعيد الأعلى يستعملون من الألفاظ وضروب التعبير ما لا يفهمه أهل البحيرة . بل لأهل مديرية الشرقية ، مثلاً ، من الألفاظ ما لا يفهمه أهل مديرية الدقهليّة الملاصقة لها ، إلا من تكرر سماعه لها . بل لأهل المديرية الواحدة ، في بعض البلاد ، ألفاظ تخالف ما هو مستعمل في معناها بالبعض الآخر ، وللعربان كذلك . وهكذا نجد في سائر البلاد العربية ، في ما نعلم ، ولا نطيل في إيراد الأمثلة والشواهد على ذلك فوق ما مر . فمن أراد نقل العلم إلى اللغة العامية لزمه أن يفرق بين أهل الأقاليم في معارفهم وآدابهم وما باعد[1] بين أفكارهم . وانقلبت الأمة بسعيه إلى أمم مختلفة لا يفهم الأفراد من احداها ما يقول الأفراد من الأخرى وهم أهل شريعة واحدة . . . . . .[2] وكل واحد منهم في حاجة إلى معونة الآخر في أقل الضروريات وأجلها » .

ومن الطريف أن هذا الرجل العربي ، في نقده الرصين لآراء المستشرقين ، لم يكتف بلعن الظلمة بل تجاوز ذلك فأشعل نوراً يضيء السبيل أمام المستشرقين ومن مشى في ركابهم فقال :

« فان قال أهل ذلك المذهب أننا نضع كتاباً يحتوي على جميع اللغات العامية في الأقطار العربية أو يحتوي جميع الألفاظ المصرية مثلاً ، مرتبة على الحروف والأبواب ، وتعين فيه لغة كل ناحية من النواحي ، وتفسر بمفاهيم لغات سائر النواحي ، فاذا عثر أحد من أهل الغربية مثلاً على لفظ في كتاب لأحد من أهل جهة أخرى راجع ذلك الكتاب حتى يفهم مراده .

---

(١) « باعد » في المخطوط ولذا أضفنا « ما » .

(٢) حذفنا من الأصل عبارة (وفي سلطان حاكم واحد) لانعدام الفائدة منها بعد زوال سلطان العثمانيين الأتراك عن بلادنا العربية . هذا وان هذه العبارة بالذات ستظهر في طبعة هذا المخطوط الذي نقوم بتحقيقه وترجمته الى الإنجليزية .

قلنا : لو تسنى ذلك لنا بالفرض لم يكن ذلك بأسهـــل من مراجعة الكتب اللغوية التي بأيدينا اليوم على أنا اذا اقتصرنا في كتبنا الصناعية والفنية ، التي يحتاج اليها عامة الناس ، على الموافق للاستعمال الحالي والقريب اليه من العربي الصحيح وتركنا الغريب والبعيـــد عن المستعمل لنهل الأمر جداً ، كأن نستعمل في المؤلفات بدل لفظ (اللجين) ، مثلاً ، لفظ (الفضة) بمعناه ، فان الثاني ، مع كونه لفظاً صحيحاً فصيحاً في هذا المعنى ، هو كما تراه قريب من اللفظ العامي ، فلهذا يفهمه العامي وغيره ، بخلاف الأول . ولذا ندعه ونستعمل الثاني . وكذا نستعمل بدل لفظ (العسجد) ، مثلاً ، لفظ (الذهب) ، اقرب الثاني من اللفظ العامي ، لا يفرق بينهما إلا بالذال منقوطة في الصحيح ، والدال غير منقوطة في العامي ، فلهذا لا يتعسر فهمه . وهكذا ومن هذا القبيل ما قصدناه على سبيل التمثيل من استعمال كلمتي (المنقوطة) و (غير المنقوطة) في هذه العبارة بدل لفظتي (المعجمة) و (المهملة) الغالبتين في المؤلفات . ولم نراع هذه الطريقة في كل ما كتبناه هنا لأننا نكتب للخواص لا للعــــوام . فاذا اعتنينا برعاية ما ذكرناه ، أعني الاقتصار في المؤلفات التي يحتاج اليها عامة الناس ، كما ذكر ، لا خاصتهم ، على مألوف الاستعمال لم يبق من حاجة غالباً إلى مراجعة الكتب اللغوية إلا بالنسبة لمن نصب نفسه للتبحر في معرفة مفردات اللغة وعلومها من العلماء والأدباء ومن يريد اللحاق بهم ، والترقي في درجات البلاغة إلى درجاتهم ـ وما ذاك بتمين على عامة الناس ، ولا تدعو إليه ضرورة بالنسبة إليهم . ومن أراده ممن تسمو به نفسه عن تلك الطبقة [1] للتوسل به .

(١) برأينا أن هذه العبارة ، بالرغم من دلالتها الطَبَقيّة ، صحيحة لا غبار عليها . فالرجل يكتب في القرن التاسع عشر ولأبناء القرن التاسع عشر . ومعلوم أن التفكير الطبقي كان طبيعياً في القرن الماضي ، لا بالنسبة الى العـــرب وحسب ، بل وبالنسبة الى أوربة والأمريكيين أيضاً .

إلى علوم التفسير ونحوها وإجادة صناعة النظم والنثر وما يتعلق بهـا ، وتخذ الكتب التي يحتاج (٣٢٠) إليها في ذلك حاضرة ، والطريق مسلوكة ، والطريقة سهلة ، والمرام على طرف الثمام[1] بخلاف ما لو تركنا الطريقة العربية في النطق والمكاتبة والتأليف كلها ، وهجرناها مليا ، فان ذلك تندثر به تلك الكتب وتتناسى ، ويضمحل أمرها ويتلاشى ، وبتداول الزمن ، يصبح الوصول إلى ذلك المراد أصعب من خرط القتاد » .

ولا يكتفي شيخنا بهذا القدر من العلم والحكمة والنصح ، بل يزيد فيحذر المستشرقين المخلصين في خدمة العلم والعربية من مغبة التفكير الخاطيء بهـذا الشأن العلمي الأصيل وصعوبة تطبيق آراء لا منطقيه ولا علمية علية فيقول :

« والعمل في جمع متفرق اللغات العامية وتمييزها مما يصعب نجاحه كل الصعوبة ، فان واضع مثل ذلك الكتاب الجامع لا يصل إلى الغرض حتى يخالط أهل كل اقليم (٣٣٠) بل كل ناحية ويسمع كلامهم في جميع المقاصد والأغراض ليتسنى له بذلك الإحاطة بجميع الألفاظ . وهـذا يستغرق من الزمن والنفقة ما لو صرف بعضه في حمل الناس على التكلم بالفصيح لأتى بالغرض المطلوب على أتم وجهه وأكمله . (٣٣٥) هذا كله إذا قصرنا النظر على مفردات اللغة العامية وما يوجد بينها من الاختلاف الفاحش .

فاذا نظرنا إلى هيئات التراكيب التي تختلف أيضاً باختلاف الأقطار والنواحي لاحتجنا إلى فن نحو خاص بكل قطر أو بكل ناحية ولكان على

(١) الأصح « الثمام » . راجع : البكري ، فصل المقال (خرطوم ١٩٥٨) ص ٢٧٦ ؛ العسكري ، جمهرة الأمثال ، ٢/٢٠٧ ؛ الزمخشري ، مستقصى ، ٢ / ٣٨٧ رقم ١٤٢٢ ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ١٣٢٦ الخ . ؛ والنويري ، نهاية ، ٣/٥٥ ؛ أدين للمستشرق الدكتور انطون شبيتالر ، جامعة مونيخ ، بمساعدتي على حل هذه العقدة الفيلولوجية وتوجيهي إلى المصادر .

العربي منا (٣٤٠) أن يتعلم كل نحو وضع لكل لغة حتى يتمكن من فهم كل ما يُكتب في اللغة العامية من أي بلد من بلاد العرب ، وهذا يكلفنا من المشقات أضعاف ما يكلفنا تعلم اللغة العربية الفصيحة . ونحتاج أيضاً إلى وضع علم لرسم كلمات هذه اللغة العامية لتكون (٣٤٥) كتابة كل جهة جارية على أصول مضبوطة وطريقة واحدة ، وإلا صار كل واحد من أفراد الناس يكتب بهوى نفسه ، على حسب ما يعن له ، من غير قاعدة مقررة ، ولا قانون ضابط فمثل (إللِّي) في العامية بمعنى (الذي) في الصحيحة ، هل تكتب (٣٥٠) بلام واحدة ، مثل ما يكتب (عليّ) في اللغة الصحيحة ، بلام واحدة مشددة ، جرياً على قاعدة الادغام المرعية عند أربابها في النطق والرسم ، أم تكتب (اللي) بلامين بناء على أن تلك القاعدة خاصة باللغة العربية الصحيحة لا غيرها ، كما تكتب (قِلْلي) (٣٥٥) من اللغة التركية (١) بمعنى « ذي شعر » بلامين و (أللي) أيضاً بمعنى « خمسين » بلامين كذلك ، لعدم رعاية الإدغام عندهم (٢) واختصاصه باللغة العربية الأصلية الصحيحة ؟ ومثل (قَلْلي) المحرفة من (قالَ لي) : هل تكتب بلام واحدة مشدّدة أم تكتب (٣٦٠) بلامين متصلتين ، أو منفصلتين ؟ وعلى كل هل تكتب بألف بين القاف واللام على الأصل ، للتفرقة بينها وبين (قُلْ لي) المركبة من فعل أمر وجار ومجرور ، أم هل تترك الألف من الرسم لسقوطها في النطق ؟ وعلى كل أتكتب (٣) بالهمزة بدل القاف (ألْ لي) (٣٦٥) أو (آلْ لي) أو (ألّي) أو غير ذلك ؟ ثم على كل هل تكتب بالهمزة في أولها بدل القاف ، لأن النطق بها كذلك في العامية ، في بعض البلاد ، مثل القاهرة ، أو بالقاف الحقيقية لأن النطق بها كذلك في بلد آخر ، كرشيد ؟ أو تكتب بالجيم

(١) اللغة التركية المرموز اليها هي اللغة العثمانية القديمة لا اللغة الأتاتوركية الحديثة .
(٢) أي الأتراك العثمانيين .
(٣) « تكتب » في المخطوط .

رعاية لحال النطق بها في بعض آخر ، كالصعيد ، لأن أهله ينطقون بها بما يشبه جيماً غير معطشة كالجيم العامية المعتادة في القاهرة ؟ أو تكتب بالقاف ويرمز لها بما يميزها عن القاف الحقيقية ، أو بالجيم مرموزاً لها بما يميزها عن المعطشة ، أو يوضع لها حرف جديد ؟ وبالجملة يلزم وضع علم للرسم في هذه اللغة العامية إذا نقلنا إليها الكتابة والفنون لتتحد الكتابة فيها وإلا انتشر في كتابتها الخلاف ، وعمل كل برأيه وعلى حسب ما يراه الصواب . ويتسع الاختلاف كثيراً في رسم الكلمة الواحدة في بلدين ، مثلاً ، بل في بلد واحد ، بحسب اختلاف الأنظار فيما هو الصواب في الرسوم وهلم جرا ، إلى سائر ما يلزمنا استحداثه في الفنون ، لنقل التآليف والكتابة إلى اللغة العامية . وبعد هذا كله نرجع ونقول إن الزمن الذي يكفينا لتعلم الفنون والقواعد لهذه اللغة العامية ، من نحو ورسم وغيرهما ، يكفينا لتعلم لغتنا العربية الصحيحة ونربح وحدة اللغة ، وعدم حرماننا من الانتفاع بمؤلفات أسلافنا فوق ألف سنة ، مع الاقتصار على الضروري من تلك القواعد اللغوية ، بقدر ما يلزم لعامة الناس ، لا خاصتهم ، كما مر .

فان قال أحد من أهل هذا المذهب : لا يلزم وضع قواعد لهذه اللغة العامية ، لأنها معروفة عند العامة والخاصة باستعمالها وتداولها في التكلم فيما بين أهلها . قلنا : لو كان الأمر كذلك ، لما اضطرت كل أمة من الأمم المتمدنة إلى وضع قواعد لضبط لغتهم التي يتكلم بها كبيرهم وصغيرهم وفاضلهم ومفضولهم ، مثل معرفة عامينا للغتنا العامية في الأقل ، ومع ذلك احتاجوا لوضع القواعد فيها ، حسبما ينشأ عن عدم وجود القواعد من الخلل والمفاسد ، وقد بينا بعضه .

فان قالوا : ان الطريق الذي سلكه المتقدمون (٤٠٠) في الإحاطة باللغة العربية الفصيحة ، وحصر مواردها ، وضبط قواعد النطق بها ، نسلكه فيما نريد من ذلك للغة العامية . قلنا : كانت اللغة العربية وصلت إلى حد الكمال ، واستقرت على حالة رسخت في الأذهان ، وثبتت في القرائح ، واختلط أهلها من جميع أطراف (٤٠٥) البلاد العربية ، حتى عرف كل منهم مجرى التخاطب عند الآخرين : فكان البدوي من أهل اليمن يخاطب الحضري من أهل الشأم والعراق فلا يرتاب واحد منهما في لفظ مما ينطق به الآخر ، إلا أن يكون لفظ طرأ من لغة أجنبيّة ، فعربه التوليد (٤١٠) وهو مما لا يلتفت إليه في لغة واسعة . ثم انقرضت الطبقة التي كان يعتمد بلغتها ، ويستشهد بكلامها ، في إثبات مفردات اللغة وعلومها .

واستقرت لغة القوم على ما كانت عليه إلى ذلك العهد ، لا تقبل تغييراً ولا تبديلا . ولهذا سَهُلَ على واضعي قوانينها (٤١٥) وحفاظ موادها ، أن يحيطوا بأطرافها ، ويأتوا على كل جوانبها . وأفادها الشرع الشريف تأيداً وتأييدا ، وأمدها أمداً مديدا ، بخلاف حال العربية العامية المستعملة اليوم ، فهي عرضة للتغيّر والتبدل » .

ومن أطرف ما جاء به شيخنا من آراء رأي هو في الواقع مبدأ اجتماعي - ألسني (سوسيولنجويستيك) عرفه العرب قديماً ولم يكتشفه الغرب إلا مؤخرا ، ألا وهو أن اللغة إنما هي كائن حي تختلف أعضاؤه قوة ونشاطا باختلافها مراناً وتدريبا.[1] قال المرحوم الشيخ أمين فكري :

---

(١) انظر مثلاً مقدمة ابن خلدون ، الباب السادس الفصل السادس بعد الأربعين (ص ٥٧٤ في طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، غير مؤرخة) حيث يقول « إعلم ان لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً . . . . إلى . . . . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء » وقس عليه المبدأ الألسني المشار إليه .

« ان من تتبع أحوال اللغة العامية المستعملة عندنا وجد أنها كما تختلف باختلاف الأزمنة تختلف أيضاً باختلاف الأشخاص والأمكنة . فإنك تراها ترتقي إلى القرب من موافقة اللغة الفصحى عند أهل العلم ، وعند البعض ممن يخالطون العلماء (٤٩٥) وفي البلاد التي تنتشر فيها الجرائد ، وكما أنك ترى هذه اللغة عند هؤلاء ترتقي إلى هذه الدرجة ، تراها تسفل وتنحطّ عن الفصيح ، عند من لا يعرفون سواها ، فلو أردنا تقريرها ونقل العلوم إليها لعسر علينا تعيين هيئة خاصة في المواد والتراكيب ، وكان حَمْلُ الناس على التزام تلك الهيئة أشدّ عسراً . ولكونها تعدّ تحريفاً لا لغة ، وليس لها هيئة ثابتة ، ولا سلطة لنا على لسان العامة ، ما دام التحريف له (٥١٠) عادة اننا مهما حرصنا على هذه العادة ، التي سميناها لغة ، لا نأمن أن نراها بعد قرن واحـــد قد صارت إلى ما لا نتصوّره الآن . ويأتي أهل القرن الثاني ويقولون فيما وضعنا اليوم مثل ما نقول في اللغة الفصيحة . وهكذا يستمر التغيير والتبديل (٥١٥) في اللغة العامية : فإما أن يتبعه التغيير والتبديل في الكتب والكتابة ، كلّ زمان ، قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، تبعاً لتغيّر نطق اللسان ، كما يريدون أن يكون الآن ، حتى ما يفهم جيل من الناس لسان من قبلهم من الأجيال ، ولا يفهم لسانهم من يأتي (٥٢٠) بعدهم ، ويصير كل جيل منهم أمّة قائمة بنفسها ، منفردة بذاتها ، وحدها عمن قبلها ، ومن بعدها ، وهذا الأمر ، فضلاً عما يتبعه من طول العمل فيه ، وكثرته ، وتكرره ، والعناء في تقريره ، عصراً فعصراً ، لا يخفى ما فيه .

وإما أن لا يتبع ما يحدث من التغيير والتبديل (٥٢٥) في النطق تغيير وتبديل في الكتب والكتابة ، بل تبقى الكتب والكتابة ثابتة على ما يتقرر أول مرة ، لو حصل ، مهما تغير التكلّم ، وتبدّل ، وحينئذ نرجع إلى ما نحن فيه ، من أن الكتب تكون على لغة ، والنطق على غيرها ، ويضيع

التعب سُدًى ، والعمل عقيما عن الفائدة ، بل يزيد على ذلك ، انا نكون بهذا العمل ، قد استحدثنا لغة زائدة ، فيزيد الطين بلة ، وتكون المؤلفات القديمة ، المؤلفة في أكثر من ألف سنة في آفاق العالم ، وأقطار الدنيا ، مبنية على لغة مهجورة حينئذ ، وهي العربية الصحيحة ، وتكون الكتب التي تستحدث الآن على لغة غيرها ، وهي العامية المستعملة الآن ، التي ستهجر بعد ، ويكون التكلم على لغة أخرى ، وهي التي تحدث للنطق بعد جيل ، مثلاً ؛ فان تبع تغيير الكتب تغيير النطق والتكلم ، على الوجه الأول ، تكون لغة رابعة ، فان تغير بعد ذلك أيضاً ، تستجد لغة خامسة ، وهكذا تتسلسل اللغات إلى ما لا يتناهى لو حصل ذلك ـ لا حصل » .

أما بصدد ماهية اللغة العامية وطبيعتها فلقد أوجز الكاتب فأجاد إذ قال :

« إن اللغة العامية جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة وأضيف إليها بعض ألفاظ أجنبية من لغات الأقوام الذين دخلوا في اللغة ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها ، وإنما حفظ منها ما اشتدت إليه حاجة المتكلمين بها للتفاهم في الأغراض الماشية الظاهرة . أما العلوم والآداب فلم يكن لهذه اللغة حظ منها » .

ثم أشار إلى ماهية اللغة الفصحى إشارة عابرة ولكنها وافية وقال :

« كانت أمة العرب قبل الإسلام منحصرة في بلادها غير منتشرة في آفاق الأرض (نريد انتشار الجماهير المجمهرة والألوف المؤلفة للغلبة والاستيلاء والفتوح لا انتشار الأفراد والجماعات القليلة للتجارة ونحوها من الأسباب ، فان الثاني لا ينشأ عنه أثر ذو بال وأهمية بخلاف الأول) . ثم ظهر فيها الدين المبين الإسلامي ، وكثر وانتشر ، وقوي أهله ؛ وسارت الدعوة إليه ، على يد القائمين به ، الناصرين له ، الناشرين كلمته ، إلى من جاورهم ومن قاربهم ، ومن بعدهم ، وغيرهم ؛ وتوالت على أيديهم الفتوح ،

حتى انتشروا في مشارق الأرض ومغاربها ، مؤيدين بالظفر ، ظافرين بالنصر ؛ وأسلم معهم من أهل البلاد التي احتلُّوها من أسلم ، فصار منهم ، (٤٥٠) وانقاد من لم يُسْلِمْ ، فدخل في ذمتهم ؛ وأقام في كل صقع ناس منهم ، للقيام بالأمر وتقرير أحكام الشرع ، وتعليم أصول الدين وفروعه ، وحفظ البلاد التي دخلت في يدهم من الخروج عن كلمتهم ، واختلطوا مع أهل تلك البلاد ، على حكم الضرورة ، في المعاشرة (٤٥٥) والمحاورة ، وسائر ما تستتبعه المساكنة « والمجاورة » وأمور المعاملة ، والتصق أهل تلك البلاد بهم ، واختلطوا معهم ، وتعلموا من لغتهم وعادتهم ، وسرى من كل فريق منهم أشياء إلى الآخر ، بحكم المخالطة ، وتوالي الأيام والأعوام عليها . وانتقل ذلك إلى الأبناء بعد الآباء (٤٦٠) والأحفاد بعد الأجداد ، إلى أن صار أهل تلك البلاد التي دخلوها واستولوا عليها ، مَزيجاً مركبا ، صدق فيه ما قيل « نَبَطٌ اسْتَعْرَبُوا (١) وعَرَب اسْتَنْبَطُوا » وأن يقال « عجم استعربوا وعرب استعجموا » . وثبتت اللغة العربية في البلاد التي كانت (٤٦٥) تمكنت فيها تلك اللغة أفضل تمكن ، كمصر ، مع ما طرأ عليها من التحريف والتغيير ، وازداد بطناً بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، لا سيا بعد أن تَقَلَّصَتْ ظلال دولة العرب ، وخلفهم على البلاد غيرهم من أمم مختلفة ، وأجناس من الناس متباينة (٤٧٠) تداولتها ، واستولت عليها . كما أنها دخلها أيضاً ولا يزال يدخلها أخلاط من الأمم ، للتوطّن والإقامة ، كثيرٌ منهم موافق لأهل البلاد ، في أصل اللغة ، ومطلق التحريف ، مخالف لهم في كيفيته ، فيأخذون مما عند الأهلين ، ويأخذ الأهلون مما عندهم ، وهكذا صار وقوع التغيير (٤٧٥)

(١) النبط بفتحتين ، والنبط قوم ينزلون بالبطائح . (آ) والعجم خلاف العرب . (وآ) في المخطط « بالبطائح » .

بهذه الأسباب طريقة غير متغيرة ، عرفها من عرفها ، ولا ينكرها إلا مَن جَهِل أمرها » .

وختم شيخنا كلامه بقوله :

« وآخر الكلام أن اللغة العربية الفصيحة هي سبيل تقدم العرب في جميع أحوالهم فإن وجدت (٧٨٥) الناصر وانبعث إلى العمل من وجبه أشرقت على العرب أنوار العرفان من مطالع لغتهم الشريفة ، وأضاء عليهم من سناها ما أضاء على أمم العالم أجمعين عدة قرون لم يخف علم حالها على الناظر فيها » .

الدكتور خليل سعادة



التعريف والنقد

القاموس التشريحي

لاتيني (ألماني) عربي

تأليف الدكتور أنطون شالر

ط . م طب عصام حسن قلا

طبع في فينا

وهو معجم يقع في ٢٤٠ صفحة من القطع الوسط طبع في فينا توخى مؤلفاه (كما ذكر في المقدمة) « تذليل السبيل الى فهم مصطلحات التشريح لطلاب الشرق الأوسط في البلاد الألمانية حيث يكثر استعمال المصطلحات العلمية باللغة اللاتينية مما يجعل من الصعب على الطالب الذي ليس لديه المعرفة الكافية باللغة اللاتينية أن يفهم معنى اللفظ الذي يضطر الى حفظه عن ظهر قلبه دون أن يدرك معناه الحقيقي » .

وأورد المؤلفان في آخر الكتاب مصدرين اعتمدا عليهما في التأليف ، أحدهما الترجمة العربية لمعجم (Clairville) طبع باريز سنة ١٩٥٣ مع أن الواقع أن الترجمة العربية للمعجم المذكور طبعت في دمشق سنة ١٩٥٦ ومؤلفوها الأساتذة الدكاترة مرشد خاطر وحمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي.

والمعجم في جملته مفيد يستطيع الطالب الذي يدرس الطب باللغة الألمانية أن يجد فيه بغيته من معنى اللفظ اللاتيني أو الألماني ، وحبذا لو بحث المؤلفان

أو أحدهما (العربي) فيما تحويه المكتبة العربية من ألفاظ صحيحة من قديمة ومستحدثة لم ترد في معجم المصطلحات الكثير اللغات الذي اعتمدا عليه .

وعلى ذلك يجد من تصفح الكتاب بعض الألفاظ التي كان ينبغي الإمعان في البحث عنها ، وللمؤلفين بعض العذر لبعدهما عن البيئة العربية وعساهما يعيدان النظر في ترجمة بعض الألفاظ متى أتيح لهما إعادة طبع هذا المعجم طبعة ثانية . وأذكر على سبيل المثال الألفاظ التالية :

Agonist : عكس المضاد (عضلة تقوم بحركة معينة ، هذه الحركة تعاكس Antagonist انظر هذا) ، عوضاً عن مؤازر ومؤازرة .

Allantois : وشيقة ، كيس الثانية البدني ، عوضاً عن الغشاء اللفائفي[١].

Albugineus : أبيض .

Albugen (tunica) : غشاء نسيجي ضام أبيض للخصية والمبيض . والصحيح أن يقال في اللفظة الأولى نسبة إلى الغلافة البيضاء وفي الثانية الغلافة البيضاء[٢] .

Alveole : حجرة صغيرة ، حُفيرة صغيرة حويصل رئوي سنخ ، عوضاً عن الدُّردر والسنخ[٣] والحجيرات حسب موضع استعمالها[٤] .

Magenblase : الجزء العلوي المملوء بالهواء من المعدة ، عوضاً عن الحدبة الكبيرة .

---

(١) انظر الصفحة ٣١٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) » » ٦٤٧ » » السابع والثلاثين » » »
(٣) » » ٣٢٠ » » الرابع والثلاثين » » »
(٤) » » ٦٥٠ » » السابع والثلاثين » » »

Plasma	:	هيولى عوضاً عن بلازما أو مصورة .
Protoplasma	:	المبينة قبلاً ـ هيولى عوضاً عن الجِبْلة .
Intrapleural	:	واقع ضمن غشاء الجنب ، عوضاً عن في جوف الجنب .
Intra - uterin	:	واقع ضمن الرحم ، عوضاً داخل الرحم .
in vitro	:	في المخبار الزجاجي ، عوضاً عن في الزجاج .
Marginalis	:	عائد إلى حرف عائد الى طرف عوضاً عن هامشي .
Margo - inis	:	حرف ، طرف ، عوضاً عن حافة .
Medialis	:	نحو الوسط باتجاه الوسط ، أنسي عوضاً عن متوسط .
Internus	:	داخلي عوضاً عن داخلي ، باطن وأنسي .

الدكتور حسني سبح



العلم الحديث

في

المجتمع الحديث

كتاب جديد بقلم فؤاد صروف

فؤاد صروف اسم غني بنفسه عن أي تعريف ، فهو الذي حمل لواء « **المقتطف** » سنة ١٩٢٧ بعد يعقوب صروف أحد مؤسسيه ، والمقتطف هو المدرسة التي حملت مشعل العلم ، إلى الدنيا العربية ، منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ونحن اليوم إنما ننعم بجنى ثمراتها اليانعات ، ونغتذي بنتاج قرائح خرّيجيها ومؤازريها وجهودهم في اللغة والأدب والعلوم المختلفة ، بعد أن انتهت إليهم زعامة الفكر والعلم في أرجاء البلاد العربية، ويكفي هذه المدرسة ، اشادة بذكرها ، قول **شوقي أمير الشعراء** في مؤسسي المقتطف وفي مدرسته :

الشرق إلى العلم انصرفا ... وبفضل نوابغـــه اعترفا
اليوم استثمر ما غرسوا ... أعلامٌ نشروا (**المقتطفا**)
هجروا الأوطان إلى بلد ... وطّأهُ الله لهم كنفـا
سورية أهدت صفوتها ... والبحر بلؤلؤه قـــذفا
ينبوع طال تفجّره ... وعليه القرن قد انتصفا
وكفى بالعـلم لحـامله ... شــأناً ولخادمه شرفا

* * *

قام الأستاذ فؤاد صروف أخيراً بإتحاف المكتبة العربية بجهد جديد ، جمع فيه أبحاثاً قيمة عن « **العلم والانماء** » في المجتمع الحديث ، مؤرخاً خلالها

المراحل التي قطعها العالم العربي في مجالات المعرفة والتقدم العلمي ، مبيناً المراحل التي يجب عليه أن يُغذّ السير ليلحق بركب الحضارة العالمي ، وفي الكتاب صورة كاملة عن « **تطور الفكر العلمي العربي من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩٦٠** » ، وقد اختار المؤلف لكتابه اسم « **العلم الحديث في المجتمع الحديث** » وقامت إحدى مطابع بيروت باخراجه للناس في طباعة أنيقة في أواخر سنة ١٩٦٦ .

إن من يطالع كتاب فؤاد صروف تأخذ بمجامع قلبه ، بادىء ذي بدء ، ومضة وفاء تملأ النفس تقديراً لصاحبها وإجلالاً لخلقه الرفيع ، فقد توّج المؤلف كتابه بكلمة إهداء إلى (**ذكرى كورنيليوس ڤانديك**) الرجل الذي خدم النهضة العربية الحديثة خدمة لا ينكرها إلا جاهل أو جاحد ؛ ولقد وصفه المؤلف بحق فقال : إنه « **أحد رواد نهضة الفكر العلمي العربي في القرن التاسع عشر** » .

إن فصول كتاب « العلم الحديث في المجتمع الحديث » عديدة وكلها قيّم ممتع ، لغة مشرقة وبيان ناصع وعلم غزير ، وإذا كان لي ، في هذه المجلة ، أن أخص فصلاً من فصوله بوقفة ، فالفصل الذي عقده المؤلف تحت عنوان « **سير ألفاظ علمية عربية مستحدثة** » فهو فصل فيه متعة ، فقد دوّن المؤلف فيه قصة : « سير بضعة ألفاظ استحدثها الكتّاب أو استحيوها ، وفيها بعض من دراسة ، وبعض من طرافة ، وهي في الحالين جزء ، وإن هان ، من تاريخ نهضتنا الثقافية ، **وعسى أن تضاف إليه أجزاء أخرى من أقلام العلماء والكتاب** » .

أما الألفاظ التي دوّن الأستاذ صروف طرفاً من سيرها فمنها :

أولاً : — لفظة (النّفّاث) ترجمة لكلمة (Jet) الإنكليزية ، ويذكر المؤلف أنه دفع إلى ضابطين من سلاح الطيران المصري ، يوم كان رئيساً لتحرير

مجلة « **المختار** » مقالاً لترجمته فاقترحا عليه الكلمة فقبلها ، وظهرت المجلة في أيلول سنة ١٩٤٢ تحمل مقالاً عنوانه « **أعجوبة المحرك النفّاث** » ولم تمض بضع سنوات إلا وأصبحت الكلمة وما يتفرع عنها ملء الأسماع والكتب في جميع البلاد العربية .

ثانياً : — لفظة (**التلفزة**) وهي كلمة وضعها المؤلف بنفسه في أواخر العقد الثالث من هذا القرن تعريباً للفظتي (**تليفزيون**) الفرنسية و (**تلفجن**) الانكليزية ، ومعناها « الرؤية عن بعد » وقد تخيّر هذه الصيغة المعربة لأنها تجري على الأوزان العربية ، ويصاغ منها فعل (**تلفز**) ، واسم الآلة (**تلفاز**) وابتدأ بنشرها بعدد أيار سنة ١٩٢٨ من « **المقتطف** » وقد شاعت هذه اللفظة اليوم شيوعاً كبيراً ، وأدخلها بعض المؤلفين معاجم صنعوها .

ثالثاً : — لفظة (**التزريع**) والمؤلف كان سنة ١٩٦١ قد اقترح استحداثها بمعنى (**تطبيق الأساليب العلمية والتقنية الحديثة على الزراعة والصناعات الزراعية**) مقابلة للفظة (**التصنيع**) التي أقر مجمع اللغة العربيـــة في القاهرة معناها المستحدث : « **جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية** » أو « **نشر الصناعة فيها** » .

وليس أدل على **البواعث النبيلة** التي دفعت فؤاد صروف إلى إخراج كتابه . من هذه النبذة التي ختم بها أحد فصوله ، إذ قال :

« إذا أحسنا تقدير ما تم عندنا في تطور الفكر العلمي ودراسة العلوم ، في المئة سنة الأخيرة ، وبخاصة في الثلث الثاني من القرن العشرين واتخذناه حافزاً ، **وإذا لم تحرقنا النشوة بأمجادنا العلمية القديمة** وتقدمنا الحديث عن قياس حالتنا قياساً صحيحاً بأدق المقاييس ، وإذا مضت الحكومات في الطريق الذي بدأت تسلكه إلى تشجيع البحوث العلمية والاحتفاء بالقائمين عليها وبها ،

وانضم إليها الأفراد الأغنياء والشركات القادرة ، في الإنفاق عليها ، وإذا حرصت الجامعات وأساتذتها على **تخريج العلماء الذين مهرت نفوسهم بالشوق إلى البحث والكشف** ، ودُرّبت عقولهم وأيديهم على طرائقها ، **وطبعت أخلاقهم بطابع القيم والفضائل العقلية والخلقية** ، التي يقتضيها البحث العلمي من المقدمين عليه ، فليس عندي شك في أن قدرتنا على السير مع مواكب العلم العالمية ، وعلى الأخذ بمنافعه المطبقة على المجتمع ، خليقة أن تزداد ازدياداً مطرداً ، **وعلى هذا ينعقد الرجاء** » .

عدنان الخطيب



مقام إبراهيم عليه السلام

بيان
من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ،
عن مقام إبراهيم عليه السلام
« مؤلف من (٤٨) صفحة بالقطع المتوسط »

ملخص قرار الرابطة ومقدمته أن من يؤم البلد الأمين لأداء فريضة الحج أصبح أضعافاً مضاعفة عما كان عليه في الماضي ، حتى صار المسجد الحرام رغم هذه التوسعة العظيمة يضيق بالوافدين إليه ، وإن أشد ما يقع الزحام والضيق - من بعد توسعة المطاف - في الجزء من المطاف الذي يقع بين الحجر الأسود وبين مقام إبراهيم ، فيحصل بسبب ذلك الزحام للطائفين على اختلاف أنواعهم من الحرج والمشقة ما الله تعالى به عليم . وقد أدى في بعض الحالات إلى إزهاق الأرواح من الضعاف والشيوخ دهساً بالأرجل . وكان القرار الإجماعي بإزالة جميع الزوائد الموجودة حالياً في هـذا الجزء من المطاف ، كالبناء القائم على مقام إبراهيم عليه السلام - وكالعقد المسمّى بباب بني شيبة ، لأن جميع هذه الزوائد لا تمتّ إلى مقام إبراهيم بأي صلة ، كما أن البناء الموجود حالياً فوق مقام إبراهيم لم يكن موجوداً في صدر الإسلام ، إنما هو من المحدثات التي حدثت فيما مضى كما هو مدوّن في كتب التاريخ ، ومعظم الزحام إنما ينشأ من وجود هذه الزوائد التي لا ضرورة لبقائها ، بل بزوالها يزول عن الطائفين والقائمين والركع السجود الكثير من الضيق والحرج والمشقة .

اتخاذ مقام إبراهيم مصلّى

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى » .
المصلّى موضع الصلاة والدعاء والثناء على الله تعالى ، وهـــذا الأمر

« واتخذوا » لمن كان في عهد إبراهيم ولمن جاء من بعده ، حتى كأن الأمر موجه إليهم ، فنحن مأمورون بالدعاء في مقام إبراهيم كما أمر به من كان في عصره من المؤمنين .

ومضمون ما فسر به الأئمة هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف هـذا البيت ، وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً من كونه مثابة للناس ، تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، ـ استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله : « فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم » وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن ، بنـاه إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام لأجل العبادة خاصة « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ثم بني المسجد الأقصى بعد ذلك بقرون .

رفع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأستاذ محمد سرور الصبان القرار بازالة جميع الزوائد الموجودة حالياً حول مقام إبراهيم كالهيكل القائم عليه ، والعقد المسمى بباب بني شيبة ، فاستجاب الملك وصدر أمره بتنفيذ المشروع . وقد جرى الاحتفال بازاحة الستار عن الغطاء البلوري (في ١٨ رجب سنة ١٣٨٧) في حفل إسلامي كبير ، وقد وضع الغطاء على الحجر الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم حينما قام ببناء بيت الله الحرام ، ثم سـلم خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل مفتاح الغطاء إلى آل الشيبي سدنة بيت الله الحرام . وقد تحدث سفراء الدول الإسلامية في المملكة ، وممثلو الشعوب الإسلامية بكلمات جليلة ونبيلة تناسب المقام ، وكان ذلك مسك الختام .

محمد بهجة البيطار



ـ إننا بلا وطن ـ

مجموعة شعرية تقع في (١٢٦) صفحة من القطع الصغير
للشاعر محمد صالح يونس وهي من مطبوعات دار الكتاب
الجديد في بيروت عام ١٩٦٧ .

هذه المجموعة الشعرية من نظم الشاعر الفلسطيني الأصل محمد صالح يونس مدرس اللغة العربية في مدارس المقاصد في بيروت . وضع مقدمة المجموعة الدكتور حسن ظاظا وفيها تحدث عن الوطن والعودة والقضية الفلسطينية بكلمات مختصرة ولكنه لم يذكر شيئاً عن رأيه في شعر الشاعر الذي قدّم له . وفي الغلاف ترجمة قصيرة لحياة الشاعر مع قائمة بمؤلفاته تحت الطبع .

في الشعر الذي قرأناه في المجموعة لمحات فنية وصور شعرية تنبئ بمستقبل شعري رغم ما فيه من قصائد تخرج على الوزن الشعري العربي ، ولم تسلم المجموعة من بعض الأخطاء في اللغة ، وأبرز ما فيها العاطفة الوطنية الصادقة والأسف العميق على والده الشهيد . وكل ذلك يغري بالقراءة والاطلاع .

أحمد الجندي



ــ مطلّ الضياء ــ

ديوان شعري للأستاذ جورج داوود . عدد الصفحات ١٧٤

من مطبوعات جريدة « زحلة الفتاة » عام ١٩٦٤

هذا ديوان أنيق المظهر نال به صاحبه جائزة الشعر في المسابقة الشعرية التي نظمتها لجنة مهرجان الكرمة في مدينة زحلة عام ١٩٦٤ ، وقد صدر الشاعر ديوانه بالقصيدة الفائزة ، وفي الديوان (٢٣) قصيدة تختلف طولاً وقصراً ، وقد تصل الطويلة منها أحياناً إلى حدّ اللاحم ، والمعاني التي وردت على لسان الشاعر تتراوح بين وصف لبنان والحديث عن أبطاله كيوسف كرم وجبران أو عن أماكنه التي عرف بها كمغارة قاديشا والأرز .

والذي لاحظناه أنّ شعر الديوان أميل إلى البساطة والصحة في التعبير وأن الشاعر لا يتعب نفسه في الغوص على المعاني الجديدة أو الصور اللماحة البراقة ، والنغمة العربية الأصيلة ظاهرة على هذا الشعر وكأنك تعود فيه إلى بعض ما تقرأ من شعر في نهاية العصر العباسي .

أ . ج .

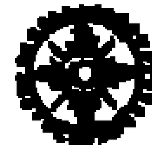


ـ أغانٍ صيفية ـ

مجموعة شعرية للأستاذ أحمد سليمان الأحمد ، من مطبوعات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي بدمشق عام ١٩٦٧

هذه مجموعة من القصائد الشعرية وضعها الشاعر في فترة ما بين عام ١٩٤٤ وعام ١٩٦٤ كما يقول العنوان الأخير ، والشاعر أحمد سليمان الأحمد شاعر شاب إذا لم تعد السنين ولكنه قديم العهد بالنظم ، وفي مجموعته هذه تجديد في طريقته الشعرية ، فقد خرج على الأوزان والقوافي التي كان يلتزمها في ماضيه الشعري وأسلم نفسه إلى طريقة الشعر الحر في كثير من قصائد هذه المجموعة ، لكن المهم في هذا الشعر أنه صحيح البناء مستقيم اللفظ تحس بموسيقى حروفه وأنغام كلماته ، لأن الشاعر قرأ كثيراً في شبابه وحفظ من الشعر أحسنه في مطلع حياته الفنية ، غير أنه يلجأ الى الغموض أحياناً في تصوراته فلا تواتيه الكلمات التي تستطيع أن تجلو الغامض من الأفكار والصور ، وهو يكرر بعض الألفاظ كالحلم والأزهار والرؤى ، ولكنك لن تعدم في هذا الشعر أن تجد النغمة العربية الصافية واللهجة الأصيلة كما في قصيدة « ثريا » التي يعود فيها الشاعر إلى طريقته الأصيلة في صباه .

أ . ج .



معجم المخطوطات المطبوعة

بين سنتي ١٩٦١ — ١٩٦٥

الجزء الثاني : عدد صفحاته ١٤٤

تأليف : الدكتور صلاح الدين المنجد

طبع : دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧

هذا الجزء من المعجم خاص بما صدر من المخطوطات العربية المطبوعة بين عامي ١٩٦١ — ١٩٦٥ ، ومعظم ما هو مذكور في هذا الجزء ، هو ما دخل إلى خزانة كتب المؤلف أو ما اطلع عليه بنفسه ، ولم يأخذ عن المجلات إلا ما نشر من المخطوطات في المغرب ، ولم يصل إليه ، كما اعتمد على ما نشر من المخطوطات العربية بالقاهرة على ثبت الأب قنواتي .

وقد رتب الدكتور المنجد معجمه هذا على أسماء المؤلفين ، فذكر أولاً المؤلف ومصادر ترجمته ، ثم أورد مؤلفاته التي نشرت في هذه الفترة من الزمن ، فذكر اسم الكتاب ، ثم ناشره ، ومكان وتاريخ طبعه .

وقد ذيل المؤلف الفاضل كتابه بفهرس مرتب على حروف المعجم ، لأسماء المخطوطات العربية المطبوعة ، وأتبع ذلك فهرساً آخر بأسماء محققيها ، فسهل بذلك على الباحثين والمطالعين عناء البحث ، وذلل العقبات التي كثيراً ما تعترض المؤلف والباحث والمطالع ، فجزاه الله كل خير بما قدم ويقدم من أبحاث أصيلة للعلم والأدب .

عمر رضا كحالة



Catalogue of Arabic Manuscripts
in Raza library, Rampur
V. I. p. 657, prepared by :
Imtiyaz 'Ali 'Arshi
printed 1963

هذا فهرس باللغة الانكليزية وضعه السيد امتياز علي عرشي عن المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة رضا برامبور (باكستان) فوصف في الجزء الأول من هذا الفهرس المخطوطات العربية التي تبحث في علوم القرآن والحديث فذكر المخطوطات التي تبحث في التجويد والقراءات والتفسير على اختلاف مشارب المفسرين ، فأورد فيه تفاسير المتصوفة والشيعة والزيدية ، فالتفاسير التي تبحث في أحكام القرآن وإعرابه ، والناسخ والمنسوخ .

ثم ذكر فيـــه المخطوطات التي تبحث في العقائد والأحكام والآداب والفضائل ، ثم أعقب ذلك بذكر أجزاء في الحديث ، فكتب الأحاديث المسلسلة والمتواترة ، فالأربعينيـــات ، فالمجاميع ، فالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، والأسانيد ، ثم ذكر كتب الحديث عند الزيدية والشيعة .

وأما ترتيب هذا الفهرس ، فذكر المصنف موضوع الكتاب ، فرقه ، فعنوانه ، فاسم مؤلفه ، فقياسه ، وعدد الأسطر في الصفحة ، وقدمه ، وملاحظات خاصة عليه .

وبالختام نشكر الأستاذ المصنف على ما بذل من جهد في تنسيق وترتيب هذا الفهرس متمنين له متابعة هذا العمل الجليل .

ع . ك .



الذريعة إلى تصانيف الشيعة

الجزء السابع عشر : عدد صفحاته ٣٣٣

تأليف : آقا بزرك الطهراني

نقحه وزاد فيه : ابن المؤلف أحمد المنزوي

طبع بتهران ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب محمد محسن الشهير بآقا بزرك الطهراني ، في ١١ ربيع الأول ١٢٩٣ هـ ، وأخذ العلوم العربيـة والإسلامية ، بالنجف الأشرف ، عن محمد كاظم الخراساني ، ومحمد كاظم الطباطبائي اليزدي ، ومحمد تقي الشيرازي ، كما روى عن عدد من أفاضل العلماء والأدباء ، وانقطع للدرس والتدريس والتأليف ، فألف المؤلفات الآتية : نوابغ الرواة في رابعة المئات ، إزاحة الحلك الدامس بالشموس المضيئة في القرن الخامس ، الثقات العيون في سادس القرون ، الأنوار الساطعة في المائة السابعة ، الحقائق الراهنة في تراجم أعيان المائة الثامنة ، الضياء اللامع في عباقرة القرن التاسع ، إحياء الداثر من مآثر أهل القرن العاشر ، الروضة النضرة في علماء المائة الحادية عشرة ، الكواكب المنتثرة في القرن الثاني بعـد العشرة ، الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة ، نقباء البشر في القرن الرابع عشر ، مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ، وغير ذلك من المؤلفات القيمة التي تعد أصولاً في البحث والتأليف في الموضوعات المختلفة .

وقد خص المؤلف مؤلفه بالكتب التي صنفها الشيعة ، واعتمـد في تشييع المؤلف على شهادة عدلين ، أو عدل واحد ذي خبرة بحاله .

وأشار المؤلف إلى مظان وجود الكتب التي ذكرها ، في المكتبات العامة ، التي يسهل للطالب الوصول إليها ، أو المكتبات الخاصة التي يمكن الاستفادة منها .

وقد رتب المؤلف كتابه على أسماء الكتب ، مرتبة على حروف المعجم ، وأشار إلى لغة الكتاب إن كانت لغته غير عربية ، ثم ذكر مؤلفه وولادته ووفاته ، وأول الكتاب ، ثم وصفه وذكر شيئاً من موضوعاته ، وتاريخ نسخه ومكان وتاريخ طبعه ، إن كان مطبوعاً .

وقد ألحق المؤلف بكتابه فهرساً بأسماء المؤلفين مما سهل على الباحث والمطالع كل عناء ونصب ، فجزاه الله خير جزاء بما قدم للعلم والأدب من خدمات جلى ، وأمد الله بعمره وقواه .

ع . ك .



الشعر والشعراء من الذريعة الى تصانيف الشيعة

الجزء التاسع في أربعة أقسام عدد صفحاتها ١٥٣٩

نقحه وزاد فيه : ابن المؤلف ع . المنزوي

هذا الجزء بأقسامه الأربعة من أهم أجزاء كتاب الذريعة ، وأوسعها ذكراً للدواوين الشعرية باللغات العربية والفارسية وغيرهما من لغات الشرق .

وقد رتبها المصنف الفاضل على حروف المعجم أسوة بغيرها من مواد الكتاب ، ثم ترجم لصاحب الديوان ، وذكر مصادر ترجمتـــه ، ثم عدد نسخ الديوان ، وأماكن وجودها وتاريخ نسخها ، ومكان وتاريخ طبعها إن كانت مطبوعة .

وقد ألحق بهذا القسم فهرس للشعراء المذكورين بما ينسبون إليه من بلد أو حرفة أو غير ذلك ، فذلل بذلك العقبات التي تعترض الباحثين والمطالعين ، فجزاه الله أحسن جزاء .

ع . ك .



بحثان قيّمان

١ — الإنجيــــل والقرآن : بقلم الشيخ البيطار : المطبعة الجديدة (٥١ص)
٢ — الرحلة النجدية الحجازية : « « « : المطبعة الجديدة (٦٣ص)

اتجه منذ زمن أستاذنا الشيخ محمد بهجـة البيطار إلى التوجيه الديني وبعث الوعي العقائدي والتاريخي الذي يجمع إلى عرض الآداب والمواعظ والإرشاد من طريق تفهم الآيات القرآنية والتاريخ ، وتحقيق حوادثه ، المتعة الفنية الأدبية ، لذلك يأتي كل بحث يتناوله تشريعياً وتوجيهياً أدبياً ، قيماً خطيراً ، قيمته في حجته القوية وبيانه الناصع ، وهو لهذا يعتبر حدثاً جديداً جالا في التوجيه العقائدي والدعوة إلى الفكر الإسلامي من غير شك .

ومن تلكم المباحث الحية المتحدة في عمق الفكرة وصدق المنطق ، والتي تؤلف بين القلوب ، وتوحّد بين النفوس ، وتجعل الحياة إخاء ومودة ورحمة ، (كتاب الإنجيل والقرآن) .

لقد قلبت صفحات الكتاب وسرت معه إلى النهاية ، فلمست بين طياتها علاجاً لمشاكل الثقافة والاجتماع والتاريخ والوجود والنفس ، فأتى فيه بالنصوص الصحيحة الصريحة بوحدانية الله تعالى ، وبرسالة السيد المسيح ، وقد ألفت بين الأديان الثلاثة ، وهذا هو الإخاء الصحيح بين محمد وموسى والمسيح عليهم الصلاة والسلام .

هذه دعوة حية إلى توحيد الكلمة ، وهي على جانب كبير من الأهمية من الناحية الاجتماعية والعقائدية ، ووسيلة قوية فعالة من وسائل تجسيم القيم الأخلاقية والمثل الاجتماعية ، إذا عرفنا ضرورة توجيه الناس ودفعهم إلى الله والإيمان الصحيح ، وإرشادهم لما فيه خيرهم ونفعهم .

أما البحث الثاني الذي يزخر بالإنسانية والأخلاق ، وفيه روح المؤلف الكبير ووجدانه ، وقد جاء بأسلوب سهل واضح لا غموض ولا أنانية فيه كتاب : الرحلة النجدية الحجازية ـ وقد تناول بالوصف رحلته الكريمة عام ١٣٣٨/١٩٢٠ إلى نجد بصحبة شلاش النجدي الذي كان يومئذ مؤتمن الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يصير ملكاً .

والغاية منها إيصال كتابين أرسلا من قبل الإمام السيد محمد رشيد رضا والأمير فيصل إلى الأمير عبد العزيز آل سعود في نجد قبل أن يكون ملكاً أيضاً ، يدعوان فيها إلى نصرة الإسلام ودفع العدوان الأجنبي ، بعد أن تم اختيارهما لهذا الغرض ، فسافرا بمشيئة الله ، ولقيا من المخاطر والأهوال ما تشيب له النواصي ، فذكر المؤلف فيه مشاهداته ومذكراته المفصلة ، عن هذه الرحلة التي امتدت خمسين يوماً .

وفي آخر الرسالة ثلاث رسائل متبادلة بين شيخنا البيطار حفظه الله ... وبين الأمير عبد العزيز آل سعود والسيد محمد رشيد رضا ، وفيها تلخيص لما عاناه في الرحلة وللغرض منها ، وللموضوعات العامة التي جرت المذاكرة فيها بواسطة الرسل واللقاء والمشافهة أو الكتابة .

وأردفها أخيراً بترجمة موجزة لحياته المليئة بالمفاخر ، وبعد هذا فان من واجبنا أن نهنئ المؤلف الكريم على كتابيه والمكتبة العربية بهذا الظفر الأدبي والديني .

(النجف — العراق) محمد هادي الأميني



آراء وأنباء

انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

نظراً لانتهاء مدة رياسة سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، عقد الأساتذة أعضاء مجمع اللغة العربية اجتماعاً بتاريخ السابع من شهر كانون الأول سنة ١٩٦٧ جرى فيه انتخاب رئيس للمجمع للسنوات الأربع القادمة بالطريقة السرية ففاز للمرة الثالثة (١) باجماع الأصوات بالرآسة سيادة الرئيس الحالي الأمير مصطفى الشهابي وعلى هـــذا صدر المرسوم التالي :

مرسوم رقم (١١٢)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم /٣١/ لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ٢٤/١١/١٩٦٦ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ٢٣/١٠/١٩٦٧

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في ٧/١٢/١٩٦٧ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس المجمع .

وعلى اقتراح وزير التعليم العالي .

---

(١) عين سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي رئيساً للمجمع للمـــرة الأولى بتاريخ ١٥/١٢/١٩٥٩ (مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٥ صفحة ١٤٤) .

يرسم ما يلي :

١ — يجدد تعيين الأمير مصطفى الشهابي رئيساً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ١٦/١٢/١٩٦٧ .

٢ — يتقاضى الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ، ويصرف من الباب الأول (الرواتب) من موازنة المجمع .

٣ — ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٤/١٠/١٣٨٧ و ١٣/١/١٩٦٨

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٨٧ / ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور أسعد الحكيم

٣ « أمجد الطرابلسي

٤ الأستاذ جعفر الحسني (الأمين العام للمجمع)

٥ الدكتور جميل صليبا

٦ « حسني سبح

٧ « حكمة هاشم

٨ « سامي الدهان

٩ الأستاذ شفيق جبري

١٠ الدكتور شكري فيصل

١١ الأستاذ عارف النكدي

١٢ الدكتور عدنان الخطيب

١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار

١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

١٥ « محمد كامل عياد

١٦ الأستاذ محمد المبارك

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي

٢ الأستاذ عمر أبو ريشة

٣ « محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)

٤ الدكتور قسطنطين زريق

الجمهورية العربية المتحدة

٥ الأستاذ أحمد حسن الزيات

٦ الدكتور أحمد زكي

٧ « طه حسين

لبنان

٨ الأستاذ أمين نخلة

٩ الأستاذ أنيس المقدسي
١٠ « بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
١١ الدكتور صبحي المحمصاني
١٢ « عمر فروخ
١٣ الأستاذ محمد جميل بيهم

فلسطين

١٤ الأستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الاردنية الهاشمية

١٥ الأستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ الأستاذ أحمد حامد الصراف
١٧ البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث
١٨ الأستاذ ساطع الحصري
١٩ « عباس العزاوي
٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي
٢١ الأستاذ كوركيس عواد
٢٢ الشيخ محمد بهجة الأثري
٢٣ الدكتور مصطفى جواد
٢٤ الأستاذ منير القاضي

السودان

٢٥ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٦ الأستاذ حمد الجاسر
٢٧ « خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٨ الأستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٩ الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٠ « محمد الطاهر ابن عاشور
٣١ « محمد الفاضل ابن عاشور
٣٢ « عثمان الكعاك

المملكة المغربية

٣٣ الأستاذ عبد الله كنون
٣٤ « علال الفاسي

ايران

٣٥ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٦ الأستاذ آصف علي أصغر فيضي
٣٧ « أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٨ الأستاذ عبد العزيز الميمني

٣٩ الأستاذ محمد صغير حسن معصومي
٤٠ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٤١ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤٢ الأستاذ كولان (جورج)
٤٣ 〃 لاوست (هنري)
٤٤ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٥ الأستاذ أربري (أ . ج .)
٤٦ 〃 جيب (ه . ا . ر .)

المانية

٤٧ الأستاذ ريتر (هلموت)
٤٨ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٤٩ الأستاذ ديدرنغ (س.)

الولايات المتحدة الاميركية

٥٠ الدكتور ضودج (بيارد)
٥١ 〃 فيليب حتي

اسبانية

٥٢ الأستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٣ الدكتور اشتولز (كارل)
٥٤ الأستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٥ الأستاذ جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٥٦ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٥٧ الأستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٨ الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتن)

البرازيل

٥٩ الأستاذ رشيد سليم الخوري

المجر

٦٠ الدكتور عبد الكريم جرمانوس



أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الأستاذ إلياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « أديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الأستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الأستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ « جرجس منش
٢٣ الأستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الأستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ « راغب الطباخ
٢٨ « عبد الحميد الجابري
٢٩ « عبد الحميد الكيالي
٣٠ « محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الأستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ أمين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الأستاذ متري قندلفت
٣٩ « عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
٤٠ « نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٤١ الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٢ « رفيق العظم
٤٣ « أحمد كمال
٤٤ « أحمد تيمور
٤٥ « أحمد زكي باشا

٤٦ الدكتور يعقوب صروف
٤٧ السيد محمد رشيد رضا
٤٨ الأستاذ حافظ إبراهيم
٤٩ 〃 أحمد شوقي
٥٠ الشيخ أحمد الاسكندري
٥١ الأستاذ أسعد خليل داغر
٥٢ 〃 داود بركات
٥٣ الدكتور أمين المعلوف
٥٤ الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٥ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٦ الدكتور أحمد عيسى
٥٧ الأمير عمر طوسون
٥٨ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٩ الأستاذ أنطون الجميل
٦٠ 〃 خليل مطران
٦١ 〃 إبراهيم عبد القادر المازني
٦٢ 〃 محمد لطفي جمعة
٦٣ الدكتور أحمد أمين
٦٤ الأستاذ عبد الحميد العبادي
٦٥ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٦ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٧ 〃 منصور فهمي
٦٨ الأستاذ أحمد لطفي السيد
٦٩ 〃 عباس محمود العقاد
٧٠ 〃 خليل ثابت
٧١ الأمير يوسف كمال

لبنان

٧٢ الأستاذ حسن بيهم
٧٣ الأب لويس شيخو
٧٤ الشيخ عبد الله البستاني
٧٥ الأستاذ جبر ضومط
٧٦ 〃 عبد الباسط فتح الله
٧٧ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٨ 〃 مصطفى الغلاييني
٧٩ الأستاذ عمر الفاخوري
٨٠ 〃 بولس الخولي
٨١ 〃 أمين الريحاني
٨٢ الأمير شكيب أرسلان
٨٣ الشيخ إبراهيم المنذر
٨٤ الأستاذ جرجي يني
٨٥ الشيخ أحمد رضا
٨٦ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٧ 〃 فيليب طرازي
٨٨ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٩ الدكتور نقولا فياض
٩٠ الشيخ سليمان ظاهر
٩١ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٩٢ الشيخ سعيد الكرمي
٩٣ الأستاذ نخلة زريق

٩٤ الشيخ خليل الخالدي
٩٥ الأستاذ عبد الله مخلص
٩٦ 〃 محمد إسعاف النشاشيبي
٩٧ 〃 عادل زعيتر
٩٨ الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

٩٩ الأستاذ محمود شكري الآلوسي
١٠٠ 〃 جميل صدقي الزهاوي
١٠١ 〃 معروف الرصافي
١٠٢ 〃 طه الراوي
١٠٣ الأب انستاس ماري الكرملي
١٠٤ الدكتور داود الجلبي
١٠٥ الأستاذ طه الهاشمي
١٠٦ 〃 محمد رضا الشبيبي

الجمهورية الجزائرية

١٠٧ الشيخ محمد بن أبي شنب
١٠٨ الأستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

١٠٩ الأستاذ محمد الحجوي
١١٠ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١١١ الأستاذ زكي مغامز
١١٢ 〃 أحمد آتش

ايران

١١٣ الشيخ أبو عبد الله الزنجاني
١١٤ الأستاذ عباس إقبال

الهند

١١٥ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١١٦ الأستاذ فران (جبرئيل)
١١٧ 〃 هوار (كليان)
١١٨ 〃 بوفا (لوسيان)
١١٩ 〃 مالنجو
١٢٠ 〃 كي (ارتور)
١٢١ 〃 باسه (رينه)
١٢٢ 〃 ميشو بلّير
١٢٣ 〃 مارسيه (وليم)
١٢٤ 〃 دوسو (رينه)
١٢٥ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٢٦ الأستاذ مرجليوث (د . س .)
١٢٧ 〃 بفن
١٢٨ 〃 براون (ادوارد)
١٢٩ 〃 كرينكو (فريتز)
١٣٠ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

١٣١ الأستاذ هومل
١٣٢ « ساخاو (ادوارد)
١٣٣ « هوروفيتز (يوسف)
١٣٤ « هارتمان (مارتين)
١٣٥ « ميتفوخ (أوجين)
١٣٦ « بروكلمن (كارل)

المجر

١٣٧ الأستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٣٨ « ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الأميركية

١٣٩ الأستاذ ماكدونالد (د . ب .)
١٤٠ « هرزفلد (ارنست)
١٤١ « سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٤٢ الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٤٣ « برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٤٤ الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٤٥ الأستاذ لويس (دافيد)

ايطالية

١٤٦ الأستاذ جويدي (افنازيو)
١٤٧ « نالينو (كارلو)
١٤٨ « غريفني (اوجينيو)

سويسرة

١٤٩ الأستاذ مونته (ادوارد)
١٥٠ « هس (ج . ج .)

بولونية

١٥١ الأستاذ كوفالسكي (ت .)

تشكوسلوفاكية

١٥٢ الأستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٥٣ الأستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٥٤ « اوراندوك (ك .)
١٥٥ « هوتسما (م . ت .)

الدانيارك

١٥٦ الأستاذ بوهل (ف . م . ب .)
١٥٧ « استروب (ج .)

السويد

١٥٨ الأستاذ سترستين (ك . ف .)

البرازيل

١٥٩ الأستاذ سعيد أبو جمرة





نظير زيتون

(١٨٩٦ — ١٩٦٧ م)

نظير زيتون

(١٨٩٦ — ١٩٦٧ م)

فجع مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم السبت في ٢٢ تموز سنة ١٩٦٧ بفقد الأديب الكبير الأستاذ نظير زيتون أحد أعضائه المراسلين .

ولد الفقيد في مدينة حمص سنة ١٨٩٦ ، وفيها تلقى علومه الأولية ، فلما شبّ نأت به الديار ، وحطت رحاله في مدينة (سان باولو) في البرازيل سنة ١٩١٤ ، مهاجراً إليها يطلب العمل والعيش فيها .

عالج الفقيد في مهجره أبواباً من التجارة فلم تفتح له ، فعاد عنها إلى ميوله الأدبية واللغوية ، وقد وجدت في مقامه الجديد حافزاً يشجعها وبواعث تنشطها ، فما كان منه إلا أن أرخى لها العنان ، منصرفاً إلى دراسة اللغتين البرتغالية والإسبانية ، عاملاً على التبحر في آداب العربية وعلومها ، ولم يمض بضع سنوات حتى أصبح الفقيد واحداً من ألمع قادة الحركة الفكرية العربية في أميركة الجنوبية .

واشترك الفقيد ، مع غيره من أدباء المهجر ، في حمل رسالة الفكر العربي إليه ، كما اشترك معهم ، بنثره البليغ وبيانه المشرق ، في قيام « الحركة الأدبية العربية » في المهجر ، وقد أسندت اليه سنة ١٩٣٦ رياسة تحرير جريدة « فتى لبنان » وظل يشرف عليها حتى سنة ١٩٤٢ .

كان الفقيد خطيب « النادي الحمصي » في (سان باولو) وركناً من أركان « العصبة الأندلسية » وقد أسهم في تحرير مجلتها الرفيعة فلمع اسمه في مختلف المهاجر وأرجاء البلاد العربية .

نشر كثيراً من المقالات الأدبية والدراسات الاجتماعيـــة ، في مختلف المجلات والصحف العربية ، وقد جمع بعضها في كتب طبعت ، وظل أكثرها ينتظر من يجمعها لتعم فائدتها .

وحمل الحنين إلى الوطن فقيدنا إلى سورية ، فلقي من مواطنيه كل تقدير لأدبه الرفيع وجهوده البالغة في خدمة القضايا العربية ، ومنحته الحكومة السورية وسام الاستحقاق السوري ، وقام المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية اليوم) في سنة ١٩٦٢ بانتخابه عضواً مراسلاً له .

لقد خسرت العربية بموت الفقيد نظير زيتون أديباً كبيراً من أصحاب الأسلوب الخاص ، وأسلوبه يدل على علو كعب في صناعة الإنشاء ، وإتقان السجع الأصيل ، كما يدل على حظ كبير في حفظ المفردات مع معرفة واسعة لقواعد اللغة ، واطلاع عميق على كتب الأدب والتاريخ

تغمده الله برحماته وغفرانه وعوض أمته عنه خير عوض .



المعرِض أم المعرَض(١)
أو كلاهمـــا

في سنة ١٩٣٦ كنت على معرض دمشق وأظن أن ذلك المرض كان المعرض الرابع الذي تقيمه هذه العاصمة . كما كان المعرض الأول الذي أطلق عليه « معرض وسوق » .

وكان الاستعمال السابق كما كان الاستعمال الشائع على ألسنة الخاصة والعامة أن يقال المعرَض بفتح الراء .

---

(١) المعرِض أو المعرَض سواء أفتحت راؤهما أم كسرت جمعها « معارض » والمعرض بمعنى المكان الذي تعرض فيه الأشياء ، سليم في لفظه ، صحيح في معناه . غير أن العرب استعملوا في جاهليتهم وفي صدر الاسلام « السوق » وهم على هذا الى اليوم . حتى انهم أطلقوا « السوق » على بعض أحياء وأماكن في كثير من البلدان .

وقد فرّق المتأخرون بين السوق والمعرض فأطلقوا « السوق » على المكان الذي تعرض فيه البضاعة للمبايعة ــ والمعرض على المكان الذي تعرض فيه الأشياء عرضاً لا يقع معه بيع .

أما العرب فكانت السوق عندهم سوقاً ومعرضاً معاً . سوق بيع وشراء ، ومعرض مفاخرة ومباهاة ، ومكاثرة ومنازعة ومخاصمة . يقصد إليه الشعراء بقصائدهم ، والخطباء بخطبهم ، والدعاة بدعاياتهم ، حتى ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان في أول أمره يطوف على هذه الأسواق يدعو القبائل الى الدين الحق .

ومن أراد تفصيلاً ، فعليه أن يرجع الى الصفحة الـ ١٦١ من الجزء الثاني من كتاب الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزوقي الاصفهاني . ففيه تعداد للأسواق ، وذكر لأماكنها وما يقال فيها .

ورجعت يومئذ إلى القاعدة العامة وهي أن ما كانت عين مضارعه مكسورة ، بني اسم المكان والزمان منه على مَفعِل . نحو (مجلِس) من جلس يجلِس ، و (منزِل) من نزل ينزِل . إلا ما شذ وهو قليل .

ولما كان مضارع « عرض » « يَعرِض » بكسر الراء وجب أن يكون اسم المكان « المعرِض » بكسر الراء لا « المعرَض » بفتحها .

وزيادة في التوثق ، لجواز أن يقع شذوذ في هذه اللفظة ـ كمثل ما هو واقع في المسجِد والمشرِق والمغرِب وغيرها ـ رجعت إلى ما كان يومئذ في متناول اليد من كتب اللغـــة ، فوقعت على المنجد لليسوعيين ، والبستان للبستاني : عبد الله ، ومحيط المحيط للبستاني بطرس ، وأقرب الموارد للشرتوني . فاذا بها كلها تنص على « المَعرِض » بكسر الراء فاستأنست بها بل اعتمدت عليها . وجعلت منذ ذلك الحين استعمل المعرِض بكسر الراء في خطبنا وحديثنا . ونستعملها كذلك في ما نكتب حتى وضعنا المعرض رواسمه بهذه الراء المكسورة كي لا يلفظ « مَعرِض » يقام بدمشق في هذه المدينة العربية الخالدة لفظاً مغلوطا .

وما زال إلى اليوم أصدقاء الأمس الذين عاصروا ذلك المعرض إذا تحدثوا عنه وذكروا أيامه ، وما كان فيه ، أصروا على لفظه بالراء المكسورة للذكرى والمباسطة ، على أني كنت ، أستثقل هذه الكسرة على الراء ، تقع بين العين والضاد وهذا ما حملني بعد ذلك على الرجوع إلى لسان العرب لعلي أجد فيه ما يجيز فتح راء « مَعرِض » كما جاز بل وجب كسر جيم « المسجِد » وراء « المشرِق » و « المغرِب » على حين مضارع كل من هذه الكلمات الثلاث مضمومة عين مضارعه (سجد) (يسجُد) و (شرَق) (يشرُق) و (غرَب) (يغرُب) وسائر أخواتها من الشواذ .

فوجدت فوق ما نشدت ، وجدت لسان العرب يقول ، في مادة « عرض »

« المَعرَض » (بفتح الراء) المكان الذي يَعرِض فيه الشيء(١) .

والمِعرَض : الثوبُ تعرض فيه الجارية وتُجلى فيه .

وزيد في الهامش على المتن :

قوله : المَعرَض : المكان ... في شرح القاموس هو كمَقعَد . اه .

وفي المصباح : وفي الأمر : لا تعرِّض له بكسر الراء وفتحها . أي لا تعترض له ، فتمنعه باعتراضك أن يبلغ مراده ... اه .

ويظهر أن ما هنا من هذا . وعليه يكون المعرِض بمعنى المكان كمقعد ومجلس . كتبه مصححه . اه .

قلنا هذا ما قاله مصححه مجيزاً الفتح والكسر ، ولم يقله مؤلفه الذي أوجب الفتح . على انا إذا أخذنا بقول المصحح : فقد جاز لنا في راء « المعرض » الفتح والكسر كما تقول « المطلِع والمطلَع » .

ومتى جاز اللفظان واستوى الاستعمالان ، كان المَعرَض أحلى في اللسان ، وأخف على الآذان، وهو إلى اليوم ـ أكثر شيوعاً من المعرِض، بين الخاص والعام .

هذه كلمة كانت تختلج في صدري منذ برهة ، إلى أن بلغني أن إذاعة دمشق الكريمة قد أوجبت المَعرِض بكسر الراء ، وخطّأت من يقولها بالفتح .

فرأيت أن أعالن بها تصحيحاً لما كنت وقعت فيه ، مستغفراً أخطائي ان كان بعض من جروا على هذا الاستعمال قد شايعوني على ما كنت وقعت فيه .



عارف النكدي

---

(١) نقول : ولعله كان أولى باللسان لو قال : المعرَض المكان الذي يُعرَض فيه الشيء كما قال بعد ذلك عن المِعرَض : الثوب تُعرَض فيه الجارية .

استدراك : أما الشيخ أحمد رضا العاملي فيقول في معجمه وقد طبع بعد أيام المعرض . المِعرَض : ثوب تُعرَض به الجارية على المشتري ليجملها ـ ثوب تجلى به الجوارى ليلة العرس .. والمكان الذي يعرض فيه الشيء الى أن يقول : قال المرزوقي في شرحه : فالميم مكسورة . كذا قولهم في معرض الزوال . ومنهم من فتح الميم لأنه اسم موضع من عرض : اذا ظهر . كما في شرح الشافيـة ؟

كتـــاب (مخطوط)

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها

لأبي هلال العسكري

هذا معجم في المعاني والصفات ، وضعه أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ . وهو حلقة من سلسلة كتب اللغة التي وضعها علماؤنا القدامى في موضوع المعاني والصفات . ولكنه يمثل الغاية التي انتهى إليها هذا الضرب من التأليف في اللغة . فقد كانت الكتب التي أُلِّفت قبله كتباً بالمعنى المعروف المألوف من مفهوم الكتاب . فلم تَرْقَ إلى صفة السعة والشمول التي تتصف بها المُعْجَمات ، بل ظلت كتباً تتناول أطرافاً وأبواباً من الموضوع كثيرة أو قليلة ، ولكنها تضيق عن الإحاطة بالموضوع من أطرافه جميعاً . حتى جاء أبو هلال العسكري ، ووضع كتاب التلخيص هـــذا ، فارتفع به إلى مستوى المعجم في سعته وشموله ، على الرغم من إيجازه واختصاره كما يستدل من اسمه . ولا يفوقه في ذلك إلا كتاب المخصص لابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ . على أنه لا يغني كتاب عن كتاب . ففي كتاب التلخيص ما ليس في المخصص على الرغم من سعته وضخامته .

أحسن أبو هلال تبويب كتابه وتنظيمه ، فكسره على أربعين باباً ، وجعل كل باب منها في معنى من المعاني العامة الواسعة . وقسم كل باب إلى فصول صغيرة في الفروع الخاصة للمعنى العام الذي يُبْنَى عليه الباب .

قال أبو هلال في مقدمة الكتاب في التعريف بموضوعه : « هذا كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ونعوتها ، وشرح أنواعها وفنونها التي تفتقر عامة أهل الأدب إلى علمها ، وتحتاج إلى إتقانها وحفظها . قد هذبته ، وشذبته ، ونقحته ، وأوضحته ....

فضمنته من أسماء خَلْق الإنسان وأوصافها ، وذكر أخلاقه وأصنافها ، ومن أسامي الآلات والأدوات ، وألوان المطعومات والملبوسات ، وجل أنواع المشروبات والشمومات ، وأجناس البهائم والطيور والحشرات ، وغير ذلك من أسماء السحاب والأمطار ، وأوصاف النبات والأشجار ، وذكر المياه والأنهار ، ونعوت الأحساء والآبار ، وتسمية الأبنية والدور ، والمنازل والقصور ، ما عجز جميع كتب الأسماء والصفات عن بلوغ غايته فيه ، وقصر عن التخطي إلى انتظام معانيه » .

بدأ أبو هلال الكتاب بموضوع الإنسان ، فذكر خَلْقه وصفاته ، وما يتعلق به في حياته من جميع أدواته وحاجاته . وأورد ذلك جميعه في في سبعة عشر باباً .

ثم انتقل إلى موضوع السماء والنجوم والأزمنة ، وظواهر الهواء كالريح والمطر ، وما ينشأ عنها من الظواهر الطبيعية . وقد أورد ذلك كله في خمسة أبواب .

ثم انتقل إلى أسماء النبات والشجر والثمار ، وذكر الزراعة وأدوات الزراعين . واستنفدها في أربعة أبواب .

ثم انتقل إلى الجماد ، فذكر أسماء الأرضين ، وأسماء الفلوات والجبال والرمال . وأوردها جميعاً في باب واحد .

ثم انتقل إلى موضوع الحرب والسلاح . فذكر أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكتائب في باب واحد .

ثم انتقل إلى عالم الحيوان ، فذكر الخيل والإبل وغيرها ، والوحوش والسباع والهوامّ والطيور . واستنفدها جميعاً في سبعة أبواب .

ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع الصناعات . فذكرها وذكر الأدوية والكتب وأدوات الكتابة ، والملاهي والملاعب . وأورد كل ذلك في أربعة أبواب .

وختم الكتاب أخيراً بباب ذكر فيه أسماء أشياء مختلفة ، لا تدخل في الأبواب السابقة . ومما أورده في هذا الباب الأخير الميسر ، وطريقة لعبه عند العرب في الجاهلية . ولا نجد هذا المعنى مذكوراً في معجم آخر من المُعْجَمات العربية مثلما أورده أبو هلال ها هنا في بيان وتفصيل . وقد أوردت فقرة منه في آخر هذا الكلام .

اتبع أبو هلال ، كما نرى ، في تأليف هذا الكتاب مبدأ عاماً اتخذه لنفسه . وهو مبدأ تقسيم الكون إلى كائنات عامة ، مثل الإنسان والسماء والطبيعة والنبات والحيوان والجماد وغير ذلك . ثم تصور أبو هلال ، بعد هذا التقسيم ، معاني عامة تتعلق بكل كائن من هذه الكائنات . فجمل هذه المعاني في أبواب عامة . ثم كسر كل باب من هذه الأبواب على فصول صغيرة عديدة ، جعلها في الفروع والشُعَب الخاصة التي تتفرع من المعنى العام الأصلي ، وتتشعب منه .

على أن أبا هلال قد خالف خطته في التنظيم ، وأخلّ بتبويب كتابه حين أتى بين أبواب النبات وأبواب الحيوان بباب أصناف السلاح ، وأسماء مواضع الحرب ، وصفات الجيوش والكتائب . وكان حق هذا الباب أن يذكره المؤلف مع أبواب حاجات الإنسان . كما أن الأبواب الأخيرة من الكتاب المتعلقة بالصناعات ألصق بموضوع الإنسان وحاجاته . وكان من حقها أن يذكرها المؤلف في أبواب هذا الموضوع . ولعل لأبي هلال العسكري رأياً في ذلك لم يستبن لنا .

كانت الخطة التي اتبعها أبو هلال العسكري في إيراد الألفاظ في كتابه هي خطة علماء اللغة التي اتبعوها في كتب اللغة ، مثل ابن السكيت في كتاب الألفاظ . وهي خطة تقوم على إيراد الألفاظ التي تدور في الكلام للتعبير عن معنى

من المعاني ، في أحواله المختلفة ، وشرح هذه الألفاظ ، وذكر الألفاظ المترادفة ، وبيان ما بينها من فروق وتفاوت في المعنى . ثم سياقة الشواهد من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول (ﷺ) ، ومن أقوال العرب الفصحاء وأمثالهم ، وأبيات الشعر القديم الموثوق بصحته وضبطه ، لتوثيق صحة هذه الألفاظ ، وإيضاح معانيها .

على أن أبا هلال كان يسعى إلى الاختصار في كتابه ، والتخفيف عن القراء الذين ينظرون فيه ، وجَعْلِه مرجعاً لجمهور القراء . فمن ثَمَّ سمّاه التلخيص . ولذلك أيضاً أراد أن يخلي الكتاب من الشواهد ، فلم يورد منها إلا نَبْذاً يسيراً تفرق في أثناء الكتاب . قال أبو هلال في بيان رأيه في ذلك : « قد هذبته وشذبته ، ونقحته ، وأوضحته . ونفيت الشواغل عنه بإسقاط الشواهد والتصاريف منه . إلا نَبْذاً يسيراً متفرقاً في أثنائه ، لا يشغل خاطراً ، ولا يعل ناظراً ، لتداني شبهه ، وتتقارب سبله ، ولا يكبر عن المبتدئين ، ولا يصغر عن المتوسطين » .

مخطوطة الكتاب

لم يصل إلينا من كتاب التلخيص إلا نسخة مخطوطة واحدة فيما أعلم . وهي محفوظة في خزانة لاله لي Lâleli في استانبول برقم ٣٥٥١ . رأيت هذه النسخة الفريدة في صيف عام ١٩٦٥ . فنظرت فيها ، وعرفت قدرها . كما أنني عرفت قدر الكتاب بالموازنة بينه وبين كتب اللغة التي أُلِّفت في الأسماء والصفات من قبله ومن بعده .

وهذه النسخة المخطوطة جيدة ، مكتوبة بخط نسخ جميل ، فيه إتقان وإحسان ، ومضبوطة بالشكل ضبطاً تاماً من أولها إلى آخرها . ولكن في

هذا الشكل أوهام قليلة نراها هنا وهناك . ونقدر أن النسخة مكتوبة في القرن السادس ، أو القرن السابع . وفي حواشيها تعاليق منقولة عن أبي منصور موهوب الجواليقي صاحب كتاب المعرب المتوفى سنة ٥٤٠ . وهذا دليل على أن النسخة مكتوبة بعد هذا التاريخ . وكانت هذه التعاليق موجودة في حواشي الأصل الذي نقلت عنه هذه النسخة . وقد صرح الناقل بذلك في حاشية الورقة [٢٥ب] ، إذ كتب : « في الحاشية : موهوب الجواليقي : الوَرَعُ ، بالراء والعين مهملتين ، الضعيف » . وفي حاشية الورقة [١٩٦ا] : « قال الشيخ الإمام موهوب : المند النتف . أي لم ينتف فيبيض شعرها ، وإنما هي خلقة » . وهذا التعليق في شرح بيت من الشواهد . وربما كانت هـــذه التعاليق مكتوبة بخط الجواليقي نفسه في حواشي الأصل .

ويبدو أن ناقل هذه النسخة كان ورّاقاً ضابطاً ، إذ كان ينظر في نسخ أخرى من الكتاب حين نقل هذه النسخة . وقد أثبت في الحواشي الفروق التي رآها في هذه النسخ . وكان يشير إلى ذلك دائماً بوضع حرف (خ) ، أي نسخة ، أمام ما يثبته منها . حتى إذا وجد زيادة في إحدى النسخ غير موجودة في الأصل الذي ينقل عنه ألحق هذه الزيادة في متن الكتاب ، وأشار إليها بقوله « من » في أول الزيادة ، وقوله « إلى » في آخرها ، وكتب كلمة « نسخة » بعد كلمة « إلى » . وكل هذا يدل على قيمة هذه النسخة المخطوطة ، وصحة نقلها وضبطها .

وقد سقطت من آخر المخطوطة ورقة أو ورقتان . ولو سلمت من هذه العاهة لعرفنا اسم الوراق الذي نقلها ، وتاريخ النقل ، والأصل الذي نقل عنه . كما سقطت من أولها الورقة الأولى التي يثبت فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف في العادة .

وأصابت الرطوبة أوراقها ، فتحلل الحبر بعض التحلل في مواضع كثيرة منها ، فلحق الكتابة أذى وضيم من جراء ذلك ، ولا سيما في أواخر المخطوطـــة حيث انطمس كثير من الكلمات ، فصعب لذلك قراءة بعض الأوراق .

وورق المخطوطة سميك أبيض إلى زرقة خفيفة ما هو ، وربما كان ذلك من تأثير الرطوبة التي أصابتها . وقد كتب الناسخ الأبواب والفصول ورؤوس الفقر بالمداد الأحمر ، وبخط أكبر من خط الكتاب .

وهي في ١٤٩ ورقة ، قياسها ٢٦×١٧ سم ، وفي كل وجه من أوراقها ١٧ سطراً .

* * *

وهذه فقرة من فصل (ذِكْرِ المَيْسِرِ) من الكتاب نوردها ها هنا أنموذجاً ومثالاً على طريقة الكتاب وموضوعه :

« وكانوا إذا أرادوا القِمارَ ، وهو المَيْسِر ، والقامرون الأيسارُ ، الواحِدُ يَسَرٌ ، اجتمع منهم سبعةُ نفَرٍ . فنحروا جَزُوراً ، وجَزَّؤوها على ثمانيه وعشرين جُزْءاً . ثم اختار كل واحد منهم قِدْحاً ، على قدر حاله ، من الأقدُح التي تقدّم ذكرُها ، ودفعوها إلى رجل يتراضَوْن به . واسمه الحُرْضَةُ . فيجمعها في الرِّبابة ، وهي خِرْقة تُجْعَل الأقدُحُ فيها ، وتُجْمَع أطرافها ، ويُمَنْدَلُ بينها . ثم تُشَدّ عيناه . فيأخذها في يسراه قابضاً عليها كأنها ضِغْثُ خلا . ثم يضرب رؤوسها براحة يمناه . فأيُّها طلع من الربابة كان فائزاً . وقيل : إنه كان يجمعها في الربابة ، وهي قطعة أديم . ثم يضرب بها تحت ملاءة . فأيها تقدم صواحبه كان فائزاً .

فمن خرج له الفَذُّ كان له سهم واحد، وغَرِمَ ثلاثة. وإن خرج التوءم كان له سهمان، وغرِم سهمين. وإن خرج الرَّقيبُ كان له ثلاثة، وغرِم سهماً. وإن خرج الحِلْسُ كان له أربعة أسهم، لم يَرْبَحْ، ولم يوضَعْ. ومن خرج له النافِسُ فله خمسة أسهم، يربح واحداً. ومن خرج له المُصْفَح فله ستة أسهم، يربح سهمين، ومن خرج له المُعَلَّى فله سبعة أسهم، يربح ثلاثة».

* * *

هذا وقد وافق مجمع اللغة العربية بدمشق على نشر هـــذا الكتاب في سلسلة مطبوعاته. فعكفتُ عليه منذ صيف عام ١٩٦٥، واشتغلت به، حتى فرغت من تحقيقه وإعداده للطبع. ولسوف نبدأ بطبعه في هذه الأيام.

الدكتور عزة حسن



مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ (١)

انقضت دورة مجمع اللغة العربية لعام ١٩٦٦ — ١٩٦٧ على أحسن ما يرام بها . ونستقبل اليوم بعد انتهاء العطلة الصيفية الدورة الجديدة لعام ١٩٦٧/١٩٦٨ ونأمل أن تكون هذه الدورة بفضل توجيهات سيادة الرئيس وإرشاداته ومؤازرة السادة الزملاء ومعونتهم المعتادة كالدورة السابقة أو أفضل منها في خدمة أغراض المجمع اللغوية والثقافية .

ويطيب لي أن أستعرض أمامكم الأعمال التي أنجزت في الدورة الماضية والتي أوكل مجلسكم الكريم أمر تنفيذها على مكتب المجمع ولجنته الإدارية ، وأن أنقل إليكم أيضاً ما جدّ خلالها من شؤون وأحداث طارئة .

١ — الوفيات :

فجع المجمع في مستهل هذه الدورة بفقد الزميل الكريم والعلامة الكبير المرحوم عز الدين التنوخي نائب رئيس المجمع ، وكان آخر الأحياء الأخيار الذين أسسوا هذا المجمع ومن الذين عملوا جاهدين مع الزملاء الأحياء والراحلين على رفع شأنه وتكثير إنتاجه ، كما كان رحمه الله ركناً من أركان اللغة العربية وعاملاً مخلصاً في دعم صرحها والذود عنها .

وكذلك فقد المجمع أحد أعضائه المراسلين القدماء وهو الأمير يوسف كمال صاحب الموسوعة الجغرافية المصرية الكبيرة ، وكان رحمه الله لا يضن بماله

(١) تلاه الأستاذ جعفر الحسني الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق في الجلسة الافتتاحية المنعقدة بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٦٧ .

على المشروعات العلمية والثقافية ، كما كان من كبار هواة جمع الآثار القديمة العربية والإسلامية ، يجمعها حيثما يجدها في أسواق الغرب والشرق . وقد أهدى أكثرها إلى المتحف العربي بالقاهرة .

وفقد المجمع أيضاً في أثناء العطلة الصيفية عضواً مراسلاً من أعضائه البارزين وهو المرحوم نظير زيتون أحد كبار وأدباء المهجر العاملين ممن أدوا بقلمهم وسلامة عقيدتهم خدمات جليلة لقوميتهم وللغتهم العربية . رحمهم الله جميعاً وأجزل ثوابهم .

٢ — شؤون ادارية :

ومن الشؤون التي حدثت خلال الدورة الماضية إلحاق المجمع بموجب المرسوم التشريعي رقم (١٤٣) وتاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ [١] بوزارة التعليم العالي المحدثة ، ولم يمس هذا العمل كيان المجمع ومصالحه بل لقي من الوزارة الجديدة — كما كان الحال مع وزارة التربية — كل رعاية وتقدير .

٣ — الانتخابات :

آ — انتخب مجلس المجمع بجلسته التي عقدت في السادس من تشرين الأول سنة ١٩٦٦ عدداً من الأعضاء المراسلين من البلاد العربية والأجنبية وتم تعيينهم بموجب القرارين رقم (٤٧) وتاريخ ١٩٦٦/١٢/٥ ثم رقم (٢٢) وتاريخ ١٩٦٧/٥/٤ [٢] وهم السادة :

١ — قداسة أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق — عن العراق .

(١) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية — المجلد (٤٢) صفحة ٣٦٦ .
(٢) نشرا في مجلة مجمع اللغة العربية — المجلد (٤٢) صفحة ١٧٢ وصفحة ٨٤٠ .

٢ — الأستاذ جميل بيهم عن لبنان .
٣ — الأستاذ أمين نخلة « «
٤ — الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور عن تونس
٥ — الأستاذ عثمان الكعاك « «
٦ — الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي عن باكستان
٧ — الدكتور عبد الكريم جرمانوس عن المجر

ب — جدد انتخاب الزميل الأستاذ عارف النكدي لعضوية لجنة المجلة والمطبوعات لغاية سنة ١٩٦٧ بموجب القرار رقم (١) وتاريخ ١٩٦٧/١/١ .

٤ — المطبوعات :

تم طبع الكتب التالية :

١ — معجم المصطلحات الأثرية باللغتين الفرنسية والعربية ، وضعه الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، ونظرت فيه وراجعته لجنة مشتركة من أعضاء مجمعنا ومن كبار موظفي المديرية العامة للآثار القديمة برآسة سيادة رئيس المجمع . ويحق للمجمع أن يعتز باخراج هذا الأثر الوحيد من نوعه باللغة العربية ، وهو عمل من صميم أغراض المجمع ومن أجلها فائدة بمصطلحاته وصوره . وسيجد فيه المراجعون والباحثون ما يصبون إليه ، وهو يوفر عليهم عناء البحث والتنقيب عن مصطلحات هذا العلم ، وسيبقى هذا المعجم لزمن طويل مرجعاً مفيداً وعاملاً قوياً على توحيد المصطلحات الأثرية في الأقطار العربية .

٢ — ديوان فتيان الشاغوري : بتحقيق الأستاذ أحمد الجندي .

٣ — كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابئ . بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

٤ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) : وضعه الدكتور سامي حمارنة وراجعته السيدة أسماء الحمصي .

٥ — مدرسة ساليرنو الطبية : بقلم الدكتور فيصل دبدوب .

٦ — كتاب الكون والفساد لابن باجّة الأندلسي : بتحقيق الدكتور محمد صغير حسن معصومي .

٧ — المدرسة الظاهرية : بقلم السيدة أسماء الحمصي .

٨ — مقالة في أسماء أعضـــاء الإنسان لابن فارس : بتحقيق الدكتور فيصل دبدوب .

٩ — مجلة مجمع اللغة العربية (المجلد الحادي والأربعون) .

١٠ — رسالة آداب المؤاكلة لبدر الدين محمد الغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

وتحت الطبع أو رهن التحقيق الكتب التالية :

١ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم الحديث) : وضعه الشيخ ناصر الدين الألباني .

٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية الظاهرية (قسم اللغة وعلومها) : للسيدة أسماء الحمصي .

٣ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (للمجلدات ٣١ — ٤٠) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

٤ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم بلاد العجم) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ملحق شعراء الشام) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

٦ — تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني (الجزء الثالث) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٧ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (القسم الثاني من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٨ — ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب للزبيدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٩ — غريب الحديث لابن قتيبة (الجزء الأول) : بتحقيق الآنسة ملك هنانو .

١٠ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الثالثة) بتحقيق الآنسة ملك هنانو .

١١ — التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٢ — ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

١٣ — آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة للغزي : بتحقيق الدكتور عمر موسى باشا .

١٤ — التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني : بتحقيق الدكتور أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبدالمعين الملوحي .

١٥ — نظرة عيان وتبيان في أسماء أعضاء الإنسان (عربي - فرنسي - انكليزي) : للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

١٦ — كتاب وقفية المدرسة الجوهرية : بتحقيق الأستاذ جعفر الحسني .

١٧ — الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي : باشر بتحقيقه المرحوم عز الدين التنوخي ووافاه الأجل قبل الانتهاء منه ، وسيعمل المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

٥ - المجلة :

صدر من المجلة المجلد الحادي والأربعون . ويزداد الإقبال على طلبها في البلاد العربية والإسلامية وتتبادل المجلة مع (٢٨٥) مجلة وصحيفة ومعهد علمي ، وتزود هذه المبادلة دار الكتب الوطنية بعدد كبير من الكتب والمجلات والصحف . وتعتبر المجلة لدى المستعربين والباحثين على اختلافهم من أهم المراجع التي يراجعها العاملون في ميدان اللغة والثقافة العربية .

٦ - الإنشاءات :

ضاق المستودع الرئيسي للمجمع بما يحتويه بسبب زيادة مطبوعاته وتراكمها ، ولهذا السبب لجأنا إلى الخربة الموجودة في الزاوية الشرقية الشمالية من بناء المجمع ورممنا منها ما يمكن إصلاحه والانتفاع به فأوجدنا أربع غرف وألحق ثلاث منها بالمستودع والرابعة بمكاتب الإدارة .

وجددنا طلي جميع المنجور الخشبي المطل على باحة المجمع بالدهان الزيتي بعد أن تعرى من دهانه القديم الذي مضى عليه نحو نصف قرن بسبب تعرضه لحرارة الشمس وأمطار الشتاء .

٧ - الشؤون الإدارية :

جدد المجمع تكليف الأستاذ عارف النكدي لعضوية لجنة المجلة والمطبوعات لغاية سنة ١٩٦٧ .

وأنهى المجمع مدة إعارة الدكتور عزة حسن مدير دائرة المخطوطات في دار الكتب الظاهرية للمملكة العربية السعودية لكي يعود إلى استلام عمله في المكتبة .

وتدارك المجمع كمية كافية من الورق اللازمة لطبع المجلة والمطبوعات .

وأخذ يجدد فهرس خزانة كتب المجمع وتسجيل محتوياتها وضبط موجوداتها وعهد بذلك إلى السيد وجيه جبر المنتدب من قبل وزارة الثقافة للعمل في المجمع .

٨ - اللجنة الإدارية ولجنة المجلة والمطبوعات :

تعمل اللجنتان في مهامها بجد ونشاط ودون انقطاع .

دار الكتب الوطنية الظاهرية

لقد حدت أسباب طارئة من نشاط دار الكتب ونقص عدد روادها قليلاً بسبب أعمال الهدم والبناء القائمة حالياً ، وهدم قسم من قاعات المطالعة ومستودعات الكتب ولكن إدارة المكتبة تلافت هذا النقص بنشاط إداري ، ذلك انها وضعت نظاماً داخلياً لدار الكتب حددت فيـــه علاقة القارئ وسلوكه مع الإدارة وماله وما إليه .

وقد أقرت وزارة التعليم العالي هذا النظام بالقرار رقم (١٥) لسنة ١٩٦٧[1].

واتخذت بسبب الأحوال الحاضرة تدابير وقائية لسلامة المخطوطات وحفظها .

وابتاعت أكثر ما يلزم لقاعة المطالعـة الجديدة من أثاث حتى تصبح جاهزة لاستقبال المطالعين فور الانتهاء من تجديد بنائها .

ووضعت السيدة أسماء الحمصي القائمة على شؤون دار الكتب كراساً أوردت فيه خلاصة تاريخ المدرسة الظاهرية ونشاطها العلمي وسيرة أكثر مدرسيها منذ نشأتها إلى أن توقف التدريس فيها ، وذكرت في الكراس إحصاءات مفيدة عن دار الكتب ومحتوياتها ، وهي رسالة تعريف بالمدرسة الظاهرية تشكر عليها .

وقد دخل إلى دار الكتب خلال الفترة الواقعة بين شهر حزيران لعـام ١٩٦٦ وشهر حزيران ١٩٦٧ :

٥٥٣	مخطوطة
١٠٧٩	كتاباً مطبوعا
١٤٩٤	مجـــلة
٤٥٠	نشرة

(١) نشر هذا القرار بالمجلد (٤٢) صفحة ٣٣٦ .

وهي كتب عربية وأجنبية مشتراة أو مهداة دخلت بطريقة المبادلة بمجلة المجمع ، وبلغ عدد الكتب المعارة إلى القراء خلال هذه الفترة (١٤٧٠٩) كتاباً برغم العقبات التي ذكرناها . وكانت أعمال شعبة التصوير مرضية فقد أنجزت (١١٩٠٠٠) صورة من الأفلام الصغيرة (ميكرو فيلم) و (٤٥٠٠) من الصور المكبرة (فوتوكبي) .

ج · ح

★ ★ ★

مشروعات مجمع اللغة العربية

لدورة سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨

انقضت الدورة السابقة وخلفت لنا على وفرة ما حققته تركة مثقلة بالأعمال التي لم يتيسر لمكتب المجمع (لأسباب قاهرة وخارجة عن إرادته وقدرته) أن ينجزها في حينها . ونأمل أن يتوصل في دورته الحالية إلى انجاز أكبر عدد منها .

لقد نقلنا من الدورة السابقة إلى الدورة الحاضرة انجاز طبع (١٧) كتاباً بالإضافة إلى المجلة ـ قلة منها هي الآن تحت الطبع ، والكثرة الباقية هي رهن التحقيق ونأمل أن يسعفنا الحظ والوسائل لنفي بتعهدنا كاملا .

وعلى المجمع بالإضافة إلى ما بيناه أن يبحث الشؤون الإدارية التالية :

١ — الانتخابات :

أ — انتخاب رئيس لمجمع اللغة العربية .

ب — ملء شواغر الأعضاء العاملين .

جـ — انتخاب أعضاء مراسلين جدد .

د — انتخاب نائب رئيس المجمع خلفاً للمرحوم عز الدين التنوخي .

هـ — انتخاب عضو ثان للجنة المجلة والمطبوعات في نهاية هذا العام .

٢ — الشؤون الإدارية :

أ — تعديل بعض مواد المرسوم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ المتعلقة بطريقة انتخاب الأعضاء العاملين .

ب — تأكيد اقتراح المجمع القدم سابقاً بأن تكون مدة عطلة المجلس الصيفية ثلاثة أشهر بدلاً من أربعة أشهر .

ج — تعديل القرار (٤٨) لسنة ١٩٦٠ المتعلق بتعويضات أعضاء لجان المجمع وجعله ينسجم مع أحكام المرسوم رقم ١٦٧ لسنة ١٩٦٣ .

٣ — الانشاءات :

مواصلة أعمال البناء لتوسيع دار الكتب الوطنية . ونأمل أن يتم الشروع في الأشهر المتبقية من هذا العام أو في أوائل عام ١٩٦٨ .

هذه يا سادتي لمحة موجزة عما حققه المجمع في الدورة السابقة وما ينوي عمله في دورته الحالية متكلاً على الله ومعتمداً على مؤازرة السادة الزملاء الكرام .

الأمين العام

جعفر الحسني



تصويبات

لأخطاء وقعت في الجزء الرابع

من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٦٨٠	١٥	عليها	عليها
٦٨١	١٠	مفتحة	مفتتحة
٦٨١	١٢	والصلا	والعلا
٧٧٥	١٤	تراه	نراه
٧٧٦	١٥	للتطيم	للتلثم
٧٧٧	١٨	لا حاجة للفاصلة بعد كلمة « العيسوي »	
٧٧٨	١٨	ضع كلمة « للنصارى » بعد كلمة « الامتيازات »	
٧٨١	٥	وفي	ومن
٧٨١	١٧	السيد	السير
٧٨٥	١	تحذف كلمة « في » بعد كلمة « الثقافي »	
٧٨٨	١٥ (الأخير)	توضع كلمة « دونكم » قبل كلمة « أبواب »	
٧٨٩	٧	الفتنا	التفتنا

* * *

تصويبات معجم المصطلحات الأثرية

Vocabulaire des termes archéologique

صفحة	الخطأ	الصواب
269 و ٦٨	قُرْبَة	قِرْبَة Outre
345 و ٦٨	قُرْبَوي الشكل	قِرْبي الشكل Utriculaire



الجزء الثاني　　　　　　　　　　　　المجلد الثالث والاربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٨ م　　　　　　　　المحرم سنة ١٣٨٨ هـ

ملتقطات

أعيد من حينٍ إلى آخر قراءة الأغاني ، هذا الكتاب العظيم الذي لا يكاد المرء يشبع من تقليب النظر فيه ، وإذا كنت في هذا المقال أجاوز ما يشتمل عليه من جدّ وهزل أو من آثارٍ وأخبار وسيرٍ وأشعار متصلةٍ بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام فانني لا أجاوز بعض ما أمرُّ به من ملتقطات في اللغة تدلّ على سعة هذه اللغة ومرونتها ومن طائفة من الألفاظ التاريخية أو الألفاظ التي ماتت بموت عصرها أو من فئةٍ من بقايا الفصاح أو من استعمال بعض الألفاظ العامية وما شابه هذه الأمور كلّها .

من قبائل العرب : الذُّهلان واللهازم ، وقد جاءت الإشارة اليها في شعر الفرزدق :

وأرضى بحكم الحيّ بكر بن وائلٍ　　　إذا كان في الذُّهلين أو في اللهازم

وما يهمني في هذا المقام تفصيل الكلام على هاتين القبيلتين وإنما المهمّ الإشارة إلى واحدةٍ منها وهي اللهازم ، وليست هذه الإشارة من باب الكلام على النسب وإنما هي إشارة لغوية لا غير ، جاء في الأغاني في أخبار أبي كلدة ونسبه ما يلي : « فلمّا جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم ... » .

فقوله : تلهزموا معناه انتسبوا إلى قبيلة اللهازم أو تشبهوا بها ، وقد نجد في هذا الباب طرائف كثيرة ، فكما اشتقّوا من القبائل مادّة تفصح عن الانتساب إليها أو التشبه بها فكذلك اشتقوا من أسماء الأعلام والبلدان والحيوان أشباه هذه المادة . ورد في أخبار ابن سريج على لسان اسحق بن ابراهيم الموصلي ما يلي :

« هذا صوت قد تمعبد فيه ابن سريج ، فقال له : ما ظننت أنك يا أبا محمد مع علمك وتقدمك تقول مثل هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تمعبد ابن سريج وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجياً . »

فقوله : تمعبد يدلّ على التشبه بمعبد في الغناء ، ومن هذا النحو ما ورد في أخبار عبيدة الطنبورية ، فقد كان اسحق بن ابراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبرمكته وتوقيه أن يبلغ المعتصم عنه شيء يعيبه ... فالبرمكة في هذا المقام إشارة إلى بَرْمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي وهم البرامكة .

أمّا البلدان فقد قالوا في الانتساب إلى بعضها : تبغدد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبّه بأهلها .

وقد اقتصر في التشبه بالحيوان على مادّة وردت في أخبار ابن هرمة ونسبه ، جاء في خلال هذه الأخبار ما يلي :

« فلما رأى عبد الله تضاءل وتقنفذ وتصاغر وأسرع المشي ... فلا شك في أن تقنفذ معناها تشبه بالقنفذ في مشيته أو وضعه وغير بعيد أن « تقنبذ » العامية أصلها « تقنفذ » الفصيحة وقد حرّفوها فجعلوا الفاء باءً إلاّ أن بين المنيين ، العامي والفصيح ، شيئاً من التباعد ، فإنّ تقنفذ الفصيحة تدلّ على التضاؤل والتصاغر في العبارة التي جاءت في الأغاني ، أمّا « تقنبذ » العامية فان لها في لغة العامة في دمشق معنى آخر ، فان قولهم : فلان « متقنبذ » معناه أن له جلسة خاصة أو مشية خاصة أو وضعاً خاصاً فيه التصدّر أو الترفّع أو التكلف مما يحمل على السخرية . أمّا في اللغة فانهم يقولون : تقنفذه بالعصا ضربه كما يضرب القنفذ .

وكما اشتقوا من القنفذ مادّة فقد اشتقوا من النمر مادّة فقالوا : تنمّر فلان اذا غضب وساء خلقه ... وهذا باب طويل لا سبيل الى التوسع فيه في هذا المقال ، من كل ما تقدّم يتبيّن لنا مقدار سعة اللغة ، فقد رزقنا الله تعالى لغةً لا تجمد على حالٍ من الأحوال ، يتصرّف فيها أبناؤها كل متصرّف ، ولكن لا يجوز لنا الغلوّ في هذا التصرّف ، اني أعيش في قريةٍ من قرى الزبداني ، فأسمع أهلها في هذا الشهر الذي أكتب فيه هذا المقال وهو تشرين الثاني يقولون : تَشْرَنَتْ أي دخل الشجر في تشرين فاصفرّ ورقه وتناثر على الأرض ، ويقولون : شرّط بيني وبينك ، بتشديد الراء ، أي مدّ الشريط بين أرضي وأرضك وإذا كانت لفظة التشريط فصيحة ، والشريط هو الخوص المفتول الذي يشرّط به السرير ونحوه فان أختها التي ذكرتها : تَشْرَنَتْ عامية ، وعلى ما به لا يجوز لنا أن يستعمل كل واحدٍ منّا حريته في التصرف في أمور الاشتقاق ونحوه فيغلو ويفرط وإلاّ دخل الضيم على اللغة فأصبحت فوضى ، فاذا تصرف كل واحدٍ منّا في الألفاظ على مشيئته وهواه فلست أدري حينئذٍ عاقبة هذا الأمر .

ومن مظاهر سعة اللغة وخصائص مرونتها مادّة جاءت في أخبار ابراهيم الموصلي على لسان مخارق ، قال مخارق :

« فجئت الى ابراهيم الموصلي ، فاذا الباب مفتوح والدهليز قد كنس والبوّاب قاعد ، فقلت : ما خبر أستاذي ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاذا هو جالس في رواقٍ له وبين يديه قدور تغرغر وأباريق تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست فيه رطلية وكوز وكأس ...

فالذي يعنينا من هذا الخبر إنما هو لفظ الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسع رطلاً من النبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم وضعوا للفظة الرطل لفظة الرطلية التي تسع هـــذا الرطل ، وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

والى جنب هذا النوع من التصرف والمرونة نجد ألفاظاً اصطلح علماء اللغة على أن يسمّوها : الألفاظ التاريخية ، وهم يريدون بذلك أسماءً كانت تدلّ في عصرٍ من العصور على مسمّياتٍ ، ثم ذهب العصر وذهبت معه المسمّيات فبقيت الأسماء وحدها ، من هذا القبيل ما ورد في أخبـــار علوية ونسبه :

« وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج الى الشمّاسية دائماً يتنزّه ، فركب في زلاّل وجئت أتبعه فرأيت حرّاقة علي بن هشام ، فقلت للملاّح : اطرح زلاّلي على الحرّاقة ففعل ... » .

إن قوله : فركب في زلاّل ، يدلّنا على أن الزلاّل نوع من المراكب ولم أجد له تفسيراً في القاموس المحيط ، أمّا الحرّاقة فقد ورد تفسيرها ، فمن معاني الحرّاقات مشدّدةً سفن بالبصرة ، وفيها مرامي نيرانٍ يُرمى بها العدوّ .

وكثيراً ما ورد ذكر الحرّاقات في الأغاني ، من ذلك ما قاله هبة الله ابن ابراهيم المهدي : « اتخذ أبي حرّاقة فأمر بشدّها في الجانب الغربي بحذاء داره ، فمضيت اليها ليلة ، فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه فنسمعه وبيننا عرض دجلة وما أجهد نفسه . » .

وكذلك ورد ذكر الزلاّلات ، قال أبو العتاهيـــة :

« كان الرشيد يعجبه غناء الملاّحين في الزلاّلات اذا ركبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم . » .

من هذا كله يتبيّن لنا أن الحرّاقات والزلاّلات كانت مراكب لخلفاء بني العبّاس يتنزّهون عليها في دجلة على نحو الذهبيات في النيـــل . وسوآء أجاء في القاموس المحيط تفسير للزلال والحرّاقة أم لم يجـــئ انّا لا نعرف صورتها ولا نعرف عنها شيئاً ، فان هاتين المادّتين من الألفـاظ التاريخية التي ذهبت بذهاب عصرها ، وهذا هو السبب في أن معاني الألفاظ التاريخية غامضة في معظم الأحوال لأنّا لا نعرف عنها شيئاً ولا نستطيع أن نتصوّرها .

واذا كانت طائفة من الأسماء تذهب عنّا معانيها لذهاب مسمّياتها فان طائفة ثانية من الألفاظ تظهر في عصر من العصور ثم تموت ، من ذلك ما جاء في أخبار علوية في حكاية طريفة لا سبيل الى ذكرها كلها ، فقد وردت في هذه الحكاية العبارة الآتية :

« وعمل له علوية حكاية أعطاها للزفّانين والمخنّثين فأحرجوه فيها ... »

في اللغة زفَن يزفِن رقص ، فالزفّان الرقّاص . ولكن هذه المادّة لم يبق لها أثر في لغة هذا العصر ، فمن الذي يقول الزفّان بدلاً من الرقّاص ، فلكل عصرٍ لغة ، فكثير من الألفاظ تموت بموت العصر الذي شاعت فيه .

ومن الألفاظ التي ماتت على ما أعتقد لفظ الأَبْزَن الذي جاء في أخبار ابراهيم الموصلي ، قال علوية الأعسر :

« دخلت على ابراهيم الموصلي في علّته التي توفّي فيها وهو في الأَبزن وبه القولنج الذي مات فيه ... » .

فالأبزن ، مثلثة الأول حوض يُغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس ، معرَّب : أبْ زنْ ، وأهل مكة يقولون : بازان للأبزن الذي يأتي اليه ماء العين عند الصفا يريدون : آب زَنْ .. فمن الذي يستعمل في هذا العصر : الأبزن بدلاً من المغطس .

واذا كانت فئة من الألفاظ تموت بموت عصرها فانّ فئة ثانية منها تعيش في كل العصور ، فهي من بقايا الفصاح ، فعلى الرغم من غلبة أمم شتى على أرضنا في مواضي الليالي وعلى الرغم من منازعة لغة تلك الأمم للغتنا بقيت في لغة العامّة فضلاً عن الخاصّة ألفاظ وتراكيب فصيحة تدلّنا على قوة لغتنا وعلى غلبتها على اللغات التي نازعتها .

من هذا النوع من بقايا الفصاح طوائف كثيرة لا يتسع المجال للاستقصاء فيها وانما أقتصر على يسير منها .

جاء في أخبار ابراهيم الموصلي ما يلي : ثم بكرت على الفضل بن يحيى ، فاذا هو جالس وحده ، فلمّا نظر اليّ ضحك ثم قال لي : يا ضيّق الحوصلة ! حرمت نفسك عشرين ألف دينار .... وهذا التعبير نفسه لا يزال مستفيضاً في لغة العامّة يومنا هذا ، إلاّ أنهم حرّفوا الحوصلة وجعلوها الحوصليّة فقالوا : فلان حوصليته ضيّقة ، وهم يريدون بذلك ضيق صدره وقلة صبره .

ومن هذا الشكل قولنا : رأساً برأس فاننّا نجد في أخبار سياط ما يلي :

« دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت ، فقال له : ألك حاجة ، فقال : نعم ، لا تزد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه ، دعه رأساً برأس ، فانما هو ثمانية عشر صوتاً ...

أفلا نسمع هذا التعبير في عاميتنا كل يوم ، وقد فسّر في العبارة المتقدمة أوضح تفسير .

ومن طرائف الأمور أن نعرف في عصرنا هذا شيئاً من لغة العامة في عصر ابراهيم الموصلي ، فقد كان ابراهيم اذا سكر كثيراً ما يغنّي على سبيل الولع :

أنا جت من طرق موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بدّ من سكريا

لا يهمّنا أن يشكّ صاحب الأغاني في هذه الحكاية ، فقد ذكرها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وانما الذي يهمنا شيوع هذا النحو من العامية في أيّام ابراهيم الموصلي .

وأخيراً بقيت الإشارة الى بعض ألفاظٍ استعملت في عصرٍ ثم بدّلت في عصرٍ آخر ، إلاّ أنها لم تمت كما مات غيرها فهي لا تشبه لفظ الأزن الذي تقدم ذكره ، إنهم يقولون اليوم في رجال الفن : هذا محترف وهذا هاوٍ وفي اللغة هويه كرضيه فهو هوٍ ، وقديماً لم يستعملوا هاتين المادتين فقد كانوا يقولون : هذا متكسّب وهذا ملتذّ ، ففي حكاية طويلة على لسان جدّ حمّاد ما يلي :

فأقمت على تلك الحال حتى بلغ محمد بن سليمان بن علي خبري ، فوجّه إليّ فأحضرني وأمرني بملازمته فقلت له : أيّها الأمير ، لست أتكسّب بالغناء وإنما ألتذّ ... » .

فالتكسب لم تمت وإنما قامت مقامها : المحترف في لغة هذا العصر ، وكذلك الملتذّ فقد قامت مقامها : الهاوي ، وهذا دليل على انتقال اللغة من وجه إلى وجه على تراخي الأيّام .

ومن هذا النمط لفظة : المتحنة ، فنحن نقول في عصرنا : الهيأة الفاحصة الذين يتولّون امتحان الطلاّب ولكنهم كانوا يقولون في القديم : المتحنة ، وقد وردت هذه المادة في خبر أساقفة نجران مع النبي ﷺ :

« فصاحوا بهم : انزلوا يا اخوة القرود والخنازير ! فنزلوا إليهم ، فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة ، أحضروا المتحنة غداً . . . »



هذا قليل مما التقطته من الألفاظ في قراءة بعض الأغاني ، وهو غيض من فيض ، وإذا أردت أن أجد صفة للغتنا فاني لا أجد أصلح من الصفة التي كان يصفها بها إمام من أئمة القرن التاسع عشر وأعني به الشدياق ، فلم يأت ذكر اللغة في خلال كتاباته إلاّ قال : لغتنا الشريفة .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٠ -

الصريح

في الفرنسية	Explicite
في الانكليزية	Explicit
في اللاتينية	Explicitus

صرح الأمر صراحة صفا وخلص وبان فهو صريح أي واضح وخالصٌ مما يشوبه. وصرَّح المتكلمُ بما في نفسه أبداه وأظهره. وفي المثل: صرح الحق عن خالصه، يضرب في ظهور الأمر بعد استتاره.

واللفظ الصريح عند الأصوليين لفظ انكشف المقصود منه في نفسه لكثرة الاستعمال حقيقةً كان أو مجازاً، وتقابله الكناية.

والمعنى الصريح هو المعنى الواضح، والظاهر، والبيّن، خلافاً للمعنى الضمني أو المستتر أو المضمر (Implicite).

والشخص الصريح هو الذي يعبّر عما في نفسه بوضوح تام، أو يقول كل ما يبدو له دون إبهام أو مواربة.

الصفاء

في الفرنسية	Pureté
في الانكليزية	Purity
في اللاتينية	Puritas

صفا صفواً وصفاء خلص من الكدر. تقول صفا الماء راق، وصفا الجو خلا من الغيم.

وصفاء الذهن استعداد النفس لاستخراج المطلوب بلا تعب (تعريفات الجرجاني).

وإخوان الصفا وخلاّن الوفا اسم فرقة فلسفية سرّية تألفت بالعشرة، وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة، ويسمّون أيضاً أهل العدل، وأبناء الحمد، وضعوا بينهم مذهباً زعموا أنه يقربهم إلى الفوز برضوان الله، وذلك أنهم قالوا إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة والشريعة فقد حصل الكمال (عن أبي حيان التوحيدي)، والصافي مرادف للمحض «Pure»، (راجع هذا اللفظ).

الصفة

في الفرنسية	Attribut, qualité
في الانكليزية	Attribute, quality
في اللاتينية	Attributum, qualitas

الصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات أو الحالة التي يكون عليها الشيء: كالسواد، والبياض، والعلم والجهل الخ..

والصفة عند النحويين هي النعت، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وما يجري مجراها.

والصفة عند الفلاسفة هي الخاصة التي تحدد طبيعة الشيء. قال ابن سينا: «إن الشيء الواحد قد تكون له أوصاف كثيرة كلها ذاتية، لكنه إنما هو ما هو لا بواحدٍ منها، بل بجملتها» (النجاة، ص ١١).

والفلاسفة يفرقون بين صفات الذات (Attributs d'essence) وصفات الأفعال (Attributs d'action)، فصفات الذات هي ما لا يجوز أن يوصف الشيء بضدها، وصفات الأفعال هي ما يجوز أن يوصف الشيء بضدها.

ويفرقون أيضاً بين الصفات النفسية والصفات المعنوية . فالنفسية هي التي لا يحتاج وصف الذات بها إلى تعقّل أمر زائد عليها : كالإنسانية للانسان ، والمعنوية هي التي يحتاج وصف الذات بها إلى تعقل أمر زائد عليها : كالتحيز والحدوث .

ويطلق على الصفة في المنطق اسم المحمول ، فاذا وصف الشيء باحدى الصفات سمي الموصوف موضوعاً (Sujet) والصفة محمولاً (Attribut) كقولنا : زيد عالم ، فزيد هو الموضوع ، وعالم هو المحمول . فالموضوع والمحمول عند المنطقيين هما بمنزلة المسند والمسند إليه عند النحاة . وقد أطلق (اسبينوزا) اسم المحمول على المعنى الذي يدركه العقل في الجوهر من جهة ما هو مقوم لذاته ، فكل مدرك بذاته ولذاته فهو محمول كالامتداد فهو مدرك بذاته ولذاته على خلاف الحركة ، فانك لا تستطيع أن تتصورها إلا مضافةً إلى معنى آخر ، وهو الامتداد .

والصفات الإلهية (Attributs divins) هي ما يوصف به الله من صفات التعظيم كالقدرة والحياة والإرادة .. الخ . ولفلاسفتنا القدماء إزاء هذه الصفات موقفان : الأول موقف الصفاتية والآخر موقف المعتزلة . فالصفاتية يثبتون لله تعالى صفات أزلية ، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، حتى لقد بلغ بعضهم في اثبات الصفات إلى حد التشبيه . والمعتزلة يقولون بنفي الصفات لامتناع تعدد القديم . لأننا إذا قلنا انه تعالى قادر ، وعالم ، وحي ، ومريد ، وكانت هذه الصفات قائمة به منذ الأزل ، كانت قديمة مثله ولا قديم إلاّ الله . ومعنى ذلك ان الصفات عند المعتزلة ليست مختلفة عن الذات ، وإنما هي والذات شيء واحد . فالله تعالى عالم بعلم ، وعلمه ذاته ، قادر بقدرة ، وقدرته ذاته ، حيٌّ بحياة ، وحياته ذاته . وهذا يرجع الى إثبات ذات هي بعينها صفة ، أو اثبات صفة هي بعينها ذات . لذلك قيل ان المعتزلة نفاة الصفات معطلة الذات . (راجع : الكيفية ، والحال ، والمحمول)

الصفر

في الفرنسية Zéro

في الانكليزية Zero

وعلامته في العربية نقطة وفي اللغات الأوربية (0) وهو الحرف الأول من لفظ (Ouden) اليوناني ومعناه : لا واحد ، ولا شيء .

الصفر في اللغة العربية الخالي ، تقول بيت صفر المتاع ، وهو صفر اليدين أي ليس في يده شيء .

والصفر عند علماء الرياضيات هو الرتبة الخالية من الكم ، إلا أنه إذا أثبت في يمين العدد زاد قيمته عشرة أضعاف .

ودرجة الصفر نقطة الابتداء التي تقدر بعدها الأعداد والدرجات والمسافات والتغيرات ، تقول بدأنا انتاجنا الاقتصادي من درجة الصفر .

وساعة الصفر في اصطلاح الجيش الوقت السري لبدء العمل الحربي (مج) .

الصلابة

في الفرنسية Rigorisme

في الانكليزية Rigorism

وهذان اللفظان مشتقان من اللفظ اللاتيني (Rigor) .

اذا أطلقت الصلابة على احدى الكيفيات الملموسة دلت على ما نعبر عنه في اللغة الفرنسية بلفظ (Rigidité) ، وهي ضد اللين ، واذا أطلقت على إحدى الصفات المعنوية دلّت على الاشتداد والقوة لأن الصلب هو الشديد والقوي ، تقول فلان صلب في دينه ، وراعٍ صلب العصا ، اذا كان يعنف الإبل .

ويطلق هذا اللفظ في الفلسفة الحديثة على التشدد في تفسير القوانين وتطبيقها . كبعض الفرق التي تتمسك بحرفية النص ، وتتشدد في تطبيق الحدود . وهي نقيض الإباحية التي تسمح بالتحلل من قيود القوانين الأخلاقية لاعتقادها أن الأفعال طباع ، وأنه ليس للانسان كسب إرادي ولا قدرة على اجتناب المعاصي .

وللفظ الصلابة أو التشدد عند (كانت) معنى خاص وهو إطلاقه على الفعل المستقل عن كل دافع إلاّ دافع القانون ، لأن الواجب عنده أمر مطلق ، فاذا خالطه دافع قلبي أو نفعي فقد صفته الأخلاقية .

الصّمم اللفظي

في الفرنسية Surdité Verbale

في الانكليزية Word - deafness

الصمم ذهاب السمع ، تقول صُمّتْ أذنُه سدت ، وصَمَّ عن حديثه أعرضَ ولم يشأ أن يسمع .

والصمم اللفظي عجز المرء عن فهم معاني الألفاظ بالرغم من استعداده الطبيعي لسماع أصواتها .

والصمم الموسيقي (Surdité Musicale) عجز المرء عن إدراك ارتفاع الأصوات وعلاقاتها ، ونسبها ، ومحلها في السلم الموسيقي .

والصمم العقلي (Surdité mentale) عجز المرء عن إدراك معاني الأصوات عامة . وهو اضطراب عام يطلق عليه اسم (Asymbolie) أي العجز عن إدراك الرموز والإشارات كالصمم اللفظي والعمى اللفظي (Cécité verbale) والصمم الموسيقي .

الصميمي

في الفرنسية	Intime
في الانكليزية	Internal, inmost
في اللاتينية	Intimus

الصميم من كل شيء خالصه ومحضه . والصميم من القلب ونحوه وسطه . يقال هو من صميم القوم أي من أصلبهم وخالصهم ، والنسبة اليه صميمي .

وللصميمي في الفلسفة الحديثة معنيان :

١ — صميم الشيء داخله وباطنه ، وهو ضد الخارج والظاهر منه ، ويطلق على الأمر الباطن أو المستتر الذى لا يدركه الجمهور ، أو على الأمر الفردي أو الشخصي الذي لا يعرفه إلاّ صاحبه بالعرض أو بالذات والطبع . ومنه الحسّ الصميمي (Sens intime) الذي أطلقه (مين دوبيران) ومعظم فلاسفة التوفيق على الشعور أو الوعي ، وهو الحس الباطن أو الحس الداخلي . والفرق بين الحس الظاهر والحس الباطن أن للأول آلة في البدن ، على حين أن الثاني ليس له آلة محددة . ان من خصائص الظواهر النفسية أن يكون حدوثها مصحوباً بشعور داخلي مباشر . ويسمّى هـــذا الشعور الداخلي بالحس الصميمي .

٢ — والصميم من الشيء جوهره الذي به قوامه وهو ضد ظاهره ، يقال : ان هذا المؤلف يصيب صميم المسائل أي جوهرها وأعماقها ، وان هذين الجسمين متحدان في الصميم ، وان بين هذين الرّجلين علاقة صميمية أي علاقة روحية عميقة .

٣ — وقد انتشر لفظ الصميمي في أيامنا هذه انتشاراً واسعاً حتى صار

يطلق على كل أمر داخلي وعميق . كقول (لافل) : « توكيد اتحادنا الصميمي بالوجود ... واكتساب هذا الاتحاد الصميمي أو الكشف عن الذات يقوم على نفوذنا إلى أعماق الوجود نفسه » (Lavelle, la présence totale, P. 45 — 47) .

الصناعة

في الفرنسية	Technique, (art)
في الانكليزية	Technics, (art)
واصله في اليونانية	Technikos

الصناعة في الأصل حرفة الصانع ، وهي ، في عرف العامة ، العلم الحاصل بمزاولة العمل ، وفي عرف الخاصة ، العلم المتعلق بكيفية العمل (التهانوي) . وكل عمل يمارسه الإنسان حتى يمهر فيه ويصبح حرفة له يسمّى صناعة ، كالطب والفلاحة والحياكة والموسيقى وغيرها .

وقد يطلق لفظ الصناعة على الملكة التي يقتدر بها على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الامكان ، أو يطلق على الملكة النفسانية التي تصدر عنهـــا الأفعال الاختيارية من غير رويّة (الجرجاني) أو يطلق على الفلسفة والمنطق والرياضيات وغيرها ، يقال صناعة الفلسفة وصناعة المنطق .

والصناعة بالفتح تستعمل في المحسوسات وبالكسر في المعاني ، ويرادفها الصنعة وهي عمل الصانع وحرفته ، وإذا استعمل لفظ الصنعة في المعاني الفلسفية دلّ على الطريقة المنظمة التي تتبع في عمل يدوي أو ذهني .

وللصناعة في اصطلاحنا عدة معان :

١ — مجموع الطرق المحدّدة التي تتبع من غير روية لتحصيل بعض الأغراض ، كالطرق العملية المتبعة في بعض الحرف ، فهي قواعد أولية آليّة

تتوارثها الأجيال المتعاقبة وتنتقل من شخص إلى آخر بالتعليم والتدريب ، وهي على العموم لا تقتضي ما يقتضيه العلم من رويّة ونظر ، إلاّ أنها لا تخلو من بعض العناصر الفكرية التي تتغذى وتنمو بالتجريب ، وتهيء أسباب العلم . وتختلف درجة اشتمال الصناعة على هذه العناصر الفكرية باختلاف التقدم الحضاري ، فاذا كانت الحضارة أعلى كان اشتمال صناعاتها على العناصر الفكرية أكثر ، وإذا كانت أدنى كان اشتمالها عليها أقل .

٢ — مجموع الطرق المنظمة المبنية على المعرفة العلمية . وهي ضد الطرق العملية أو العادات التقليدية التي يمارسها العامل عفواً من غير تحليل وروية . والمقصود بالطرق المنظمة القواعد العلمية التي يتبعها الفنيّون والاختصاصيون في أعمالهم ، وهي ما نطلق عليه اليوم اسم القواعد التقنيـــة أو التقنيّات (Techniques) كالتقنيّات التربوية ، والتقنيّات المالية والادارية . وهي طرق مستمدة من العلم تقوم على تطبيق الحقائق النظرية تطبيقاً محكماً لتحصيل بعض النتائج . والفرق بين العلم والصناعة ان غاية العلم معرفة الحقيقة ، على حين أن غاية الصناعة هي الانتاج . وقد يطلق لفظ الصناعة على الأعمال المادية التي يقوم بها أرباب الحرف في المصانع ، ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Industrie) ، أو يطلق على قواعد السلوك الإنساني المستمدة من علم النفس والاجتماع ، وهو المقصود بقولهم صناعة الأخلاق النظرية أو فن (Art moral rationnel) الأخلاق المستمد من العلم .

٣ — وإذا أطلق لفظ الصناعة على الفن (Art) دلّ على عدة معان : وهي : آ — مجموع الطرق المتبعة في استخدام بعض الآلات والأدوات كصناعة العزف على احدى الآلات الموسيقية ، أو صناعة الشعر ، أو صناعة النحت . ب — مجموع الطرق المتعلقة ببعض أساليب الفن كأسلوب الفن العربي ، أو أسلوب الفن الفارسي أو أسلوب الفن البيزنطي . ج — مجموع الطرق الخاصة

بأسلوب فنان معين أو كاتب معين كأسلوب اسحق الموصلي أو أسلوب الجاحظ أو أسلوب أبي تمام .

٤ — والصناعات الخمس عند المنطقين هي البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة .

٥ — والصناعات السبع أو الفنون السبعة عند اليونان قسمان : الثلاثيات (Trivium) ، والرباعيات (Quadrivium) . فالثلاثيات قواعد اللغة والبلاغة والمنطق ، والرباعيات الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

٦ — والصناعات الجميلة أو الفنون الجميلة هي الطرق المتعلقة بكيفية تحصيل الجمال لا سيما في الفنون التشكيلية (Arts plastiques) كالتصوير والنحت والنقش والتزيين والعمارة .

٧ — وقد تكون الصناعة مادية أي عملاً من أعمال الصانع ، أو تكون معنوية كصناعة الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، أو تكون فنية كصناعة الشعر أو الموسيقى أو التصوير أو العمارة الخ ..

٨ — والصناعي (Technique) هو المنسوب إلى الصناعة ويطلق على الطرق الفنية أو العلمية أو على كل ما يستفاد بالتعلم من أرباب الصناعات . والصناعي أيضاً ضد النظري ويرادفه العملي ، وضد الطبيعي كما في قولنا حرير صناعي .

٩ — والصنعي (Artefact) هو المنسوب إلى الصنع ومعناه العملي أو المصنوع ، وهو خلاف المطبوع ويرادفه المفتعل ، وإذا استعمل هذا اللفظ في علم النفس دل على الأحوال النفسية الناشئة عن سبر أحوال الشعور ببعض الطرق الصناعية ، يقال الأحوال النفسية المصطنعة أو المفتعلة .

١٠ — والصانع (Artisan) هو الذي يحترف إحدى المهن أو يصنع الأشياء بيديه . ويطلق في الفلسفة القديمة ولا سيما في فلسفة أفلاطون على

صانع العالم (Démiurge) ، وهو المبدأ الذي ينظم الموجودات ويرتبها ، ويطلق على فعله اسم الصنع ، وهو تركيب الصورة في المادة .

١١ — وعلم الصناعة (Technologie) هو العلم الذي يبحث في طرق الصناعة عامة من جهة علاقتها بتطور الحضارة ، ويشتمل على ثلاثة أقسام (الأول) هو الوصف التحليلي للفنون والصناعات الموجودة في مجتمع معين أو في زمان معين . (والثاني) هو البحث في الشروط والقوانين المحيطة بكل نوع من الطرق الصناعية والكشف عن أسباب نجحها العملي . (والثالث) هو البحث في تطور الطرق الصناعية في مجتمع معين ، أو في نوع من المجتمعات ، أو في الإنسانية جمعاء . وجملة القول إن علم الصناعة هو النظر في الصناعة ، وقد يراد به الصناعة العملية نفسها . هذا ما أشار إليه (غوبلو) بقوله إنّ علم الأخلاق صناعة السعادة .

١٢ — راجع الألفاظ التالية : فن ، عمل ، علم .

الصنف

في الفرنسية	Classe
في الانكليزية	Class
في اللاتينية	Classis

الصنف من الشيء جزء منه متميز . وهو النوع والضرب والصفة ، يقال : عنده صنف من الأمتعة ، أي نوع منها .

١ — والصنف عند المنطقيين هو النوع المقيد بقيد كلي عرضي كالعربي والفارسي واليوناني ، فانّ المعاني المندرجة تحت الكلي إما أن يكون تباينها بالذاتيات أو بالعرضيات أو بهما معاً . والأول يسمى نوعاً ، والثاني صنفاً ، والثالث قسماً . وعلى ذلك فالصنف كلّي مقول على كثيرين متفقين بالحقائق متباينين بالعرضيات . ويطلق الصنف في الفلسفة الحديثة على الكلي الأعم من

الجنس والنوع ، أو على الكثيرين المشتركين في صفة واحـــدة أو في عدة صفات .

٢ — والصنف عند علماء الاجتماع طائفة من الأفراد الذين يضعهم الرأي العام أو القانون في مرتبة اجتماعية واحدة ، وهو مرادف للطبقة ، ويدل على الأفراد المتشابهين في الحال والمنزلة والمرتبة والدرجة . وقد أدّى التطور الاجتماعي إلى قلب النظام الطبقي القائم على التفاوت في النسب أو الدين أو الجنس إلى نظام قائم على التفاوت في مستوى الدخل ، أو في كيفية تحصيله ، حتى أصبح المجتمع الحديث مؤلفاً من الفلاحين والعمال والموظفين وأرباب العمل والباعة والتجار وأرباب المهن الحرة ، والمالكين وغيرهم . وللصنف بمعنى الطبقة في النظرية الشيوعية معنى أخص وهو أن المجتمع في طريقه إلى إرجاع الطبقات الاجتماعية إلى طبقتين إحداهما طبقة المتمولين ، والثانية طبقات الفقراء الكادحين . (راجع : البيان الشيوعي تأليف ماركس وانكلز ص ٢٠ — ٢١ من الترجمة الفرنسية لآندلر) وسيؤدي نزاع الطبقات عندهم إلى زوال الطبقة الثانية .

٣ — والصنف عند علماء الحياة حلقة من حلقات الأحياء ، ويرادفه الصفّ . والحلقات مرتبة من الأعلى إلى الأدنى على الوجه الآتي :

العـالم	Régne
الشعبة	Embranchement
الصنف أو الصف	Classe
الرتبة	Ordre
الفصيلة	Famille
الجنس	Genre
النوع	Espèce
السلالة	Race
الضرب	Variété

(راجع معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابي) .

٤ ـ ويطلق الصف أيضاً على ترتيب التلاميذ في المدارس كالصف الأول ، والصف الثاني ، والصف الثالث ، أو على ترتيب الجنود في الجيش ، أو على ترتيب الأفراد في الفرق الرياضية .

(راجع الألفاظ الآتية : الجنس ، النوع ، الضرب ، التصنيف ، الترتيب) .

الصنم

في الفرنسية	Idole
في الانكليزية	Idol
في اللاتينية	Idola

الصنم في اللغة تمثال من حجر أو خشب أو معدن يعبده الوثنيون ويزعمون أن عبادته تقربهم إلى الله ، وجمعه أصنام .

أطلق الصوفية لفظ الصنم على كل ما يشغل الإنسان عن الحق ، فقالوا : كل ما شغلك عن الحق فهو صنم .

وأطلق بيكون لفظ الأصنام بالجمع على ضلالات العقل ، فجعلها أربعة أقسام ، وهي :

١ ـ أصنام القبيلة (Idola tribus) ، وهي الضلالات الناشئة عن طبيعة الجنس البشري ، كميله الى الكسل ، أو انقياده للعواطف والأهواء ، وتسرعه الى التصديق والتعميم . فإنّ ذلك كله ينقله من الحكم على بعض الحالات الجزئية الى الحكم على كل الحالات ، ويوقعه في كثير من الضلالات ، كضلالات علم النجوم وعلم السحر والطلسمات ، وعلم الكيمياء القديمة . وخير وسيلة لاجتناب الوقوع في هذه الضلالات شك الإنسان في نفسه ، وابتعاده عن الأفكار الغامضة ، والتزامه الحياد التام في الحكم ، وامتناعه عن الانتقال بسرعة الى الحكم على الكلي بما حكم به على بعض أجزائه .

فالإنسان ليس محتاجاً الى أجنحة يطير بها من الجزئي الى الكلي ، وإنما هو محتاج الى أن يعلق بأجنحته أثقالاً من رصاص تمنعه من القفز والطيران السريع .

٢ — أصنام الكهف (Idola specus) أو (Idoles de la caverne) وهي الضلالات الناشئة عن سجية الفرد ، وطبعه ، وتربيته ، ومزاجه ، وبنيته الجسمية والعقلية . مثال ذلك ان العقول التحليلية لا تدرك الا الاختلاف والتباين ، والعقول التركيبية لا تدرك إلا التشابه والمماثلة . وكثيراً ما تؤدي تربية الفرد ومزاجه وبنيته الى الوقوع في الضلال . فكأن صفاته الفردية أشبه شيء بكهف لا يطلع المحبوس فيه إلا على ظلال الحقيقة ، ولا يدرك من الأشياء إلا ما تعوده .

٣ — أصنام الميادين العامة (Idola fori) أو (Idoles de la place publique) وهي الضلالات الناشئة عن الألفاظ الغامضة التي نستعملها دون تحليل معانيها أو دون معرفة مطابقتها لما نريد التعبير عنه . مثال ذلك أن بعض الفلاسفة يتكلمون على اللانهاية ، وعلى العلة التي لا علة لها ، والمحرك الذي لا يتحرك من غير أن يحللوا معاني هذه الألفاظ . ولو حللوها لوجدوا فيها كثيراً من اللبس والغموض وخير وسيلة لإصلاح الفلسفة توضيح معاني هذه الألفاظ وإبطال أكاذيبها .

٤ — أصنام المسرح (Idola theatri) أو (Idoles du théâtre) وهي الضلالات الناشئة عن المذاهب الفلسفية ، فإن لكل فيلسوف مذهباً يروي لنا فيه قصة العالم كما يقص علينا الروائيون كيفيات الوقائع والأفعال التي يتخيلونها وفقاً لمقتضيات المسرح . فكأن المذاهب الفلسفية مسرحيات تخلط الحقائق بالأوهام ، وكأن الوجود الذي يصفونه وجود متخيل لا وجود حقيقي ، وهذا كله يوقعنا في كثير من الضلالات كضلالات الفلاسفة التجريبيين الذين يجمعون ظواهر الوجود ، ويكدسونها بعضها فوق بعض كما تكدس

النملة موتها ، وضلالات الفلاسفة العقليين الذين يتعدون عن التجربة ليؤلفوا نظريات شبيهة بخيوط العنكبوت .

وعبادة الأصنام (Idolâtrie) هي عبادة التماثيل والصور لذاتها لا لغيرها لأن المؤمن اذا اعتقد أن هذه التماثيل ليست سوى صور حسية ترمز الى حقيقة دينية متصورة لم يكن وثنياً .

وكثيراً ماتطلق عبادة الأصنام في أيامنا هذه على عبادة الأشخاص البارزين ، أو على تقديس بعض الأشياء المشوقة .

الصواب

في الفرنسية Justesse

في الانكليزية Justness

وهو مشتق من اللفظين اللاتينيين Justus, Justitia

الصواب ضد الخطأ ، وهو الحق والصدق والسداد ، تقول أتى بالصواب أي أصاب . وحكم له بالصواب أي صوّب رأيه . وقد يدل الصواب على اللائق والأولى ، والمرضي ، والثابت .

والفرق بين الصواب والصدق والحق ، ان الصواب هو الأمر الثابت الذي لا يجوز إنكاره ، على حين أن الصدق والحق يدلان على المطابقة بين التصورات العقلية والأشياء الخارجية . فاذا كان ما في العقل مطابقاً لما في الخارج كان صدقاً . وإذا كان ما في الخارج مطابقاً لما في العقل كان حقاً والصواب والخطأ يستعملان في الفروع والمجتهدات ، والحق والباطل يستعملان في الأصول والمعتقدات .

الصورة

في الفرنسية	Forme, image
في الانكليزية	Form, image
في اللاتينية	Forma, imago

آ — الصورة في اللغة الشكل والصفة والنوع ، ولهـــا في عرف العلماء عدة معان :

١ — الصورة هي الشكل الهندسي (Figure géomètrique) المؤلف من الأبعاد التي تتحدّد بها نهايات الجسم ، كصورة الشمع المفرغ في القالب فهي شكله الهندسي . ومن قبيل ذلك صورة التمثال والأنف والجبل والغيم ، فهي تدل على الأوضاع الملحوظة في هذه الأجسام كالاستدارة ، والاستقامة ، والاعوجاج .. الخ ..

٢ — والصورة هي الصفة التي يكون عليها الشيء كما في قولنا ان الله خلق آدم على صورته .

٣ — والصورة هي النوع ، يقال : هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع ، يقال : صور الانتاج ، أي أنواع الانتاج .

٤ — وقد تطلق الصورة على ما به يحصل الشيء بالفعل كالهيئة الحاصلة للسرير بسبب اجتماع خشباته ، وهي بهذا المعنى علة ، أي علة صورية ؛ ويقابلها العلة المادية ، والعلة الفاعلية ، والعلة الغائية .

٥ — أو تطلق على ترتيب الأشكال ووضع بعضها مع بعض ، واختلاف تركيبها ، وتسمى بالصورة المخصوصة .

٦ — أو تطلق على ترتيب المعاني المجردة ، فيقال صورة المسألة ، وصور السؤال والجواب (راجع كليات أبي البقاء) .

٧ — أو تطلق على ما يجب أن يكون عليه الشيء حتى يكون مطابقاً للشروط القانونية كصورة العقد فهي شكله الكامل . وإذا أبطلت الدعوى في قانون المرافعات لخطأ في إجراءات المحاكمة دون موضوعها سمي إبطالها بالدفع الصوري ، أو الدفع الشكلي .

٨ — أو تطلق أخيراً على ما يرسمه المصور بالقلم أو آلة التصوير ، أو على ارتسام خيال الشيء في المرآة أو في الذهن ، أو على ذكرى الشيء المحسوس الغائب عن الحس ، تقول تصور الشيء أي تخيله واستحضر صورته .

ب — والصورة عند الفلاسفة مضادة للمادة ، وهي ما يتميز به الشيء مطلقاً فاذا كان في الخارج كانت صورته خارجية ، وإذا كان في الذهن كانت صورته ذهنية . غير أن المادة في نظرهم لا تتعرّى عن الصورة الجسمية .

١ — والفلاسفة يفرقون بين الصورة الجسمية (Forme corporelle) والصورة النوعية (Forme spécifique) بقولهم ان الصورة الجسمية جوهر بسيط متصل لا وجود لحامله دونه ، قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم ، أو هي جوهر ممتد في الأبعاد كلها ، مدرك في باديء النظر بالحس ، على حين أن الصورة النوعية جوهر بسيط لا يتم وجوده بالفعل دون وجود ما حل فيه (تعريفات الجرجاني) .

٢ — وهم يفرقون أيضاً بين الصورة الجوهرية (Forme substantielle) والصورة العرضية (Forme accidentelle) بقولهم ان الصورة الجوهرية هي ما يتميز به وجود الشيء ، لأن المادة لا تنتقل من حالة عدم التعين إلى حالة التعين إلاّ بالصورة اللابسة لها . فهي إذن جوهر لا في موضوع ، وهي المحددة لماهية الشيء ، والمقومة لوجوده الفعلي . مثال ذلك قولنا ان النفس صورة الجسد ، بمعنى ان الجسد ينقلب بعد الموت ، أي بعد انفصال النفس عنه إلى جثة هامدة ، فحياته ناشئة اذن عن اتحاده بصورة جوهرية نطلق

عليها اسم النفس . أما الصورة العرضية فهي ما يطرأ على الشيء من كيفيات تبدل أوضاعه وأحواله دون تبديل طبيعته .

٣ — ويرى الفلاسفة أن للفكر مادة وصورة ، أما مادته فهي الحدود التي يتألف منها ، وأما صورته فهي العلاقات الموجودة بين هذه الحدود . مثال ذلك إذا قلنا في قياس من الشكل الأول والضرب الأول : كل زئبق معدن ، وكل معدن صلب ، فكل زئبق صلب ، كانت مادة هذا القياس مؤلفةً من ثلاثة حدود ، وهي الزئبق ، والمعدن ، والصلب ، وكانت صورته مؤلفةً من العلاقة الموجودة بين هذه الحدود الثلاثة ، وهي علاقة صورية إذا وضعت لزم عن مقدماتها بذاتها لا بالعرض نتيجة ضرورية ، وإذا كان هذا القياس كاذباً فمرد ذلك إلى الخطأ الواقع في مادته لا في صورته .

٤ — وللقضايا المنطقية صفة صورية وهي انقسامها إلى أربعة أقسام : القضايا الموجبة ، والقضايا السالبة ، والقضايا الكلية ، والقضايا الجزئية .

٥ — وللمعادلات الرياضية صفة صورية أيضاً كالمعادلة : $(ب + حـ)^{٢} = ب^{٢} + حـ^{٢} + ٢ ب حـ$ فهي تتضمن علاقة صورية تصدق على جميع الأعداد الحقيقية .

٦ — وقد فرق (كانت) في نظرية المعرفة بين المادة والصورة ، فأطلق لفظ المادة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من الإحساس والتجربة ، وأطلق لفظ الصورة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من قوانين العقل ، ذلك لأن قوانين العقل عنده ترتب معطيات الحس ، وتفرغها في قوالب تعين على إدراكها وفهمها . فالزمان صورة الحس الداخلي ، والمكان صورة الحس الخارجي ، والزمان والمكان صورتان قبْليتان تنظمان المدركات الحسية ، وكذلك مقولات العقل ومعانيه الكلية فهي صور محيطة بالتصورت الجزئية .

٧ — ويطلق لفظ الصورة في فلسفة الأخلاق على ما في القانون الأخلاقي من معنى الأمر (كما في أخلاق الواجب) أو على ما فيه من معنى التقويم (كما في أخلاق الخير والسعادة) . أما مادة القانون الأخلاقي فهي كيفية الفعل المأمور به أو الحوادث الموضوعية المعترف بقيمتها الأخلاقية . والأخلاق الصورية المحضة هي الأخلاق المطابقة للشروط التي وضعها (كانت) في نقد العقل العملي (Critique de la raison pratique, 1 ère partie chap. I, théorème III) ، قال « اذا كان ينبغي للموجود العاقل أن يتمثل القواعد الأخلاقية على صورة قوانين كلية فمرد ذلك إلى أنها مبادىء مشتملة في صورتها دون مادتها على ما يحدد عمل الإرادة » وقال أيضاً : اعمل بطريقة تستطيع معها أن تجعل قاعدة عملك مبدأ تشريع كلي .

٨ — ويطلق لفظ الصورة في نظرية الكشطالت (Gestalt) على البنية والتركيب والتنظيم ، وهي النظرية المسماة بنظرية الصورة (Théorie de la forme) إلا أن أصحابها (كوهلر Köhler وورتايمر Wertheimer وكوفكا Koffka) وسّموها حتى جعلوها نظرية فلسفية عامّة تصدق على الظواهر النفسية ، والظواهر الحيوية ، والظواهر الفيزيائية ، وقوام هذه النظرية الاعتقاد ان الظواهر الطبيعية ليست مؤلفةً من أجزاء معزولة وإنما هي مؤلفة من مجموع من الوحدات المستقلة ذات التضامن الداخلي ، وعلى ذلك فإنّ كيفية وجود الجزء تابعة لبنية المجموع وقوانينه . ان معرفتنا بالكل لا يمكن أن تستنبط من معرفتنا بالأجزاء المنفصلة الملحوظة فيه ، لأن الجزء ليس متقدماً على المجموع تقدماً فعلياً ، ولا هو أقدم منه ، ولا هو أقرب منه إلى الإدراك المباشر . دع أن لكل نوع من الظواهر مراتب من الصور متتابعة في نظام مسلسل . ويكفي أن تتوافر بعض الشروط الخارجية حتى تتبدل الصور من تلقاء نفسها وتعمل على تحقيق الصورة الكاملة .

وليس هذا التبدل مشتملاً على معنى غائي ، لأن مجرد اسقاط الجزء من المجموع أو ضمّه إليه يؤدي بالطبع إلى تغير أوضاع الأجزاء الأخرى وتبدل كيفية تركيبها . وإذا وجد هناك مجموعات بصرية مؤلفة من عدة صور مدركة ، وكانت احدى هذه الصور أبسط من غيرها ، وأكثر منها انتظاماً وتناظراً فرضت نفسها على المدرك وتغلبت على جميع الصور الأخرى . وتسمّى هذه الصورة البارزة بالصورة الجيّدة أو الموافقة للادراك .

٩ — ويطلق لفظ الصورة في علم النفس أيضاً على بقاء الإحساس في الشعور بعد زوال المؤثر الخارجي . والصورة التالية (Image consécutive) هي الصورة التي تعقب الاحساس مباشرة . وهي صورة ايجابية تتلو الاحساس من غير أن تبدله . والفرق بين الصورة التالية والصورة الحقيقية أن الأولى تعقب الإحساس مباشرة على حين أن الثانية هي التي تعود إلى مسرح الشعور دون تأثير حسي مباشر (راجع : الشكل والمادة ، والجوهر) .

الصوري

في الفرنسية Formel

في الانكليزية Formal

في اللاتينية Formalis

١ — الصوري هو المنسوب إلى الصورة . ويطلق في فلسفة القرون الوسطى على الفعلي أو الحقيقي ، وضده العقلي أو المتعالي الذي يكون وجود الشيء فيه بالقوة أو على سبيل الكون . ومع أن لفظ الصوري لا يستعمل اليوم بهذا المعنى فان بعض المحدثين لا يزالون يطلقونه على الصريح من الأمور . لأن الصريح هو ما ظهر المراد منه ، يقال صوّر الشيء جعل له صورة ورسمه ونقشه والصورة كل ما يصور ، فمعنى الصوري إذن هو الظاهر ،

والخالص ، والبين كالنظام الصوري المصرح به عن محض الحق ، والاعلان الصوري الذي يطلق على اظهار الأمر بعد ستره .

٢ — والمنطق الصوري (Logique formelle) هو الصناعة النظرية المشتملة على القواعد والقوانين التي تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ . والفرق بينه وبين علم النفس ان هذا العلم يبحث في العمليات الفكرية كما هي كائنة بالفعل على حين أن المنطق الصوري يبحث فيها كما يجب أن تكون ، ومعنى ذلك ان المنطق علم قاعدي (Science normative) يتضمن البحث في قوانين الحدود والتصديقات والحجج والبراهين وأنواعها ، وقد سمي بالصوري لأنه يتضمن البحث في صُوَر هذه القوانين دون موادها .

٣ — والتربية الصورية (Education formelle) هي التربية المبنية على القول ان العقل البشري مؤلف من ملكات مختلفة ، وأنَّ تمرين هذه الملكات تمريناً جيداً يؤدي إلى استخدامها في أنواع أخرى من التمارين . ومعنى ذلك أن الملكات العقلية التي ينميها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استخدامها في جميع العلوم الأخرى ، كأن هذه الملكات أسلحة تشحذ بالتسنين حتى تصلح لقطع كل شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة ، أو ضرع يقوى بالامتراء .

٤ — وقد يطلق لفظ الصوري على التربية المبنية على الدراسات الكلاسيكية كالثقافة الصورية (Formal culture) أوالثقافة العامة (Culture générale).

الصورية

في الفرنسية Formalisme

في الانكليزية Formalism

الصورية مذهب قوامه الاعتقاد ان حقائق العلوم صور مجردة مستندة الى موضوعات وتعريفات مسلَّم بها . فكل مذهب ينكر قيمة العنصر المادي

وأثره في المعرفة فهو مذهب صوري . وكل تعبير رمزي مجرد عن موضوعات الفكر فهو تعبير صوري كما في علم الرياضيات . ومن قبيل ذلك القول في فلسفة الجمال بوجوب طلب الفن لذاته ، والقول في علم الأخلاق بوجوب استقلال القانون الأخلاقي عن كل ما يرغّب النفس فيه ، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لصورته (أي لنية الفاعل) لا لمادته .

الصوفي

في الفرنسية	Mystique
في الانكليزية	Mystic, mystical
في اللاتينية	Mysticus

١ — الصوفي (Le mystique) هو السالك طريق التصوف ، أو العالم بالتصوف ، وأشهر الآراء في اشتقاق هذا اللفظ أنه مأخوذ من فعل تصوّف أي لبس الصوف تقشفاً ، أو من الصفاء . لذلك قيل ان الصوفي هو الذي صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، وانقطع الى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر ، والحرير والوبر .

والفرق بين الصوفي والمتصوف أن الصوفي هو الفاني بنفسه ، والباقي بالله ، والمستخلص من الطبائع ، والمتصل بحقيقة الحقائق ، على حين أن المتصوف هو الذي يجاهد لطلب هذه الدرجة .

٢ — والتصوف (La mystique) هو التخلق بالأخلاق الإلهية . وقيل هو تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على السرمدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسوله في الشريعة (تعريفات

الجرجاني) . وقيل أيضاً هو طريقة سلوكية قوامها التقشف والزهد ، والتخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل لتزكو النفس ، وتنتقل من مقام أدنى الى مقام أعلى ، حتى تبلغ درجة الحلول أو الاتحاد أو الوصول أو الفناء .

٣ — أما مذهب التصوف (Mysticisme) فهو مجموع المبادئ التي يعتقدها الصوفية كما في تصوف الأفلاطونية الجديدة ، والتصوف المسيحي ، والتصوف الهندي والتصوف الإسلامي . فإنّ لكل من هذه المذاهب مبادئ فلسفية توضح الوسائل والغايات ، وتكشف عن الآداب التي ينبغي للصوفية أن يتأدبوا بها في مجتمعاتهم وخلواتهم .

ومعنى ذلك كله أن التصوف علم وعمل . أما العلم فهو ما يمكن تحصيله من مطالعة كتب التصوف مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي ، وابن سينا ، والسهروردي والغزالي ، وابن عربي ، والمأثورات المتفرقة عن الجنيد والحلاّج والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغيرهم . وأما العمل فهو ما لا يمكن تحصيله بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات .

ويسمى التصوف بعلم الباطن لاشتماله على كل ما يتعلق بمحاسبة النفس والرياضة والمجاهدة والذوق والوجد ، خلافاً لعلم الفقه المسمّى بعلم الظاهر ، لاشتماله على كل ما يتعلق بالأحكام العامة والعبادات والمعاملات . وإذا كان الصوفية يتبعون طريقة الرمز والمجاز للتعبير عن الحقائق فإن الفقهاء يتقيدون بظاهر النص في تفهم أحكام الشريعة .

٤ — وقد يطلق التصوف على النازع الصوفية أي على الأحوال الانفعالية والعقلية والخلقية التي يتميز بها الصوفي في رياضته ومجاهدته ، وأعلاها حالة الوجد (Extase) وهو شعور النفس بعد قطع علاقتها بالعالم الخارجي بوصولها إلى الله أو اتحادها به فانّ الاتحاد في نظر الصوفية هو امتزاج الذاتين واختلاطهما حتى يصيرا ذاتاً واحدة . ويسمّى هذا الاتحاد بمقام جمع الجمع وهو

الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله ، وهو المرتبة الأحدية . ومع ذلك فانّ الصوفي الحقيقي في نظر المتأخرين لا يتصف بحالة الوجد وحدها ، بل يتصف بالحياة والحركة والنمو . ومراحل هذا النمو كثيرة : منها التطلع إلى الموجود المطلق ، ومنها الزهد المصحوب بالتخلية والتصفية والتحلية ، ومحاسبة النفس ، وتوجيه الفعل والسلوك توجيهاً جديداً تتحقق فيه الحياة الكاملة . والفرق بين الزهد والتصوف ان الزهد مرحلة من مراحل التصوف تتميز بالإعراض عن اللذات ، وترك حظوظ النفس من كل ما في الدنيا ، على حين أن التصوف هو استغراق القلب بالكلية في الحق المطلق .

٥ — وجملة القول أن الصوفية يعتقدون انهم يستطيعون الوصول بالتأمل والرياضة ومجاهدة النفس إلى الاتحاد بمبدأ الوجود ، ولهم طريقان الأول صاعد ، وهو الاعتقاد أن مبدأ الوجود سامٍ ومتعالٍ ، وأن على الصوفي ان يقطع قلبه عن الدنيا ويهرب من الشواغل والعلائق ويقبل بكنه الهمة على هذا المبدأ المتعالي حتى يتحد به ، والثاني طريق هابط وهو الاعتقاد أن الحقيقة كامنة في النفس ، وأن على الصوفي أن يعمق النظر في ذاته حتى يكشف فيها عن مبدأ الوجود . وكلا الاتجاهين يهدفان إلى غاية واحدة وهي الاتحاد بالحقيقة الأزلية .

٦ — وقد يطلق التصوف في أيامنا هذه على التجرد من الشواغل والمنافع المادية . فكل فيلسوف يجاوز المعرفة الحسية ويؤله العقل ، ويعظم القيم المثالية ، ويصغي إلى نداء الضمير ، ويعتقد أن الله حاضر في قلبه وعقله فهو بمعنىً ما متصوف . ومن قبيل ذلك قولهم : تصوف العلماء المنقطعين إلى الكشف عن الحقيقة ، وتصوف الشعراء المنقطعين إلى تأمل الجمال . (راجع : الحق ، الوجود ، الوجد ، الوجدان ، الوحدة) .

الصيرورة

في الفرنسية	Devenir
في الانكليزية	Becoming
في اللاتينية	In fieri

الصيرورة في اصطلاحنا انتقال الشيء من حالة إلى أخرى أو من زمان الى آخر . وهي مرادفة للحركة والتغير من جهة كونها انتقالاً من حالة الى أخرى ، كالانتقال من القوة الى الفعل أو من العدم الى الوجود ، أو من الوجود الى العدم .

والشيء المتصف بالصيرورة مضاد للشيء الثابت أو للحالات الساكنة . وهو في حالة متوسطة بين العدم والوجود .

واذا كانت الصيرورة سدى الزمان فالديمومة لحمته . وأنت لا تستطيع أن تتصور احداهما دون تصور الأخرى ، لأن الصيرورة اذا خلت من الديمومة لم يكن بين حالاتها المتعاقبة ارتباط ، ولأن الديمومة اذا خلت من الصيرورة لم تؤلف زماناً متصلاً متميزاً بكثرة آونته المتعاقبة .

والفرق بين الصيرورة والمصير والكون أن الصيرورة حركة وانتقال وتغير ، والمصير منتهى الأمر وعاقبته ، والكون لفظ مفرد كلي يدل على عدة معان : منها حدوث صورة نوعية وزوال صورة نوعية أخرى ، ومنها حدوث الشيء دفعة كحدوث النور بعد الظلام ، ومنها حدوث الشيء على التدريج وهو الحركة ، ومنها الوجود بعد العدم ، والعدم بعد الوجود ، ومنها الوجود المطلق العام .

وقد زعم المتكلمون أن الكون والوجود والثبوت والتحقق ألفاظ مترادفة ، وزعم المعتزلة أن الكون والوجود مترادفان ، وكذا الثبوت والتحقق ، إلا أن الثبوت عندهم أعم من الوجود ، والتحقق أعم من الكون . (راجع : الكون ، الوجود) .

جميل صليبا

أدب الفقهاء

- ١٤ -

النظم التعليمي

ومن ألوان أدب الفقهاء ما يسمى بالنظم التعليمي ، وهو هـذه المتون العلمية المنظومة التي تزخر بها المكتبة العربية وتُكوّن سجلاً حافلاً من الكتب الدراسية التي لبث طلاب العلم في العالم العربي قروناً طويلة يستعملونها في دراساتهم المتنوعة ، ويقتبسون منها المعارف والفنون جيلاً بعد جيل . ويُرجَّح أن أول من تعاطى هـذا اللون من الأدب أبانُ اللاحقي الأديب العباسي المشهور ، فانه كان في خدمة البرامكة كاتباً لهم ومؤدباً لأبنائهم فنظم لهم كتاب كليلة ودمنة في رجز سلس ليسهل عليهم حفظه وهو الذي يقول في أوله :

هذا كتابُ أدبٍ ومحنة ... وهو الذي يدعى كليلة دمنة

فيه احتيالات وفيه رشد ... وهو كتاب وضعته الهنـد

وقد أجازوه عليه بآلاف الدنانير . ثم نظم لهم رجزاً آخر في أحكام الزكاة والصيام ، ولا شك أن غيره من الأدباء نهج هذا النهج في نظم العلوم ، لا سيما مع العلم بما حصل عليه أبان من جوائز مغرية على ذلك . والمهم أن الفكرة خرجت أولاً من عند الأدباء ثم تبناها العلماء ، والجانب الأدبي فيها هو هذه الصياغة المختصة بالشعر ، ولا ريب في أن التعبير الجميل عن الفكرة ، أيّ فكرة ، هو مما يدخل في مفهوم الأدب بالمعنى العام ، فلهـذا عددنا هذا الانتاج من ألوان الأدب .

ولمّا تداول العلماء هذا الفن من القول ، أبدؤوا فيه وأعادوا ، وأكثروا منه الى الحد الذي جاوز العد ، ولم يبق علم لم ينظموا فيه ولا أدب ولا فن ولا ضرب من ضروب المعرفة إلا أخضعوه للوزن والقافية ، إنْ في رجز أو غيره من الأبحر كالبسيط والطويل وغيرهما . فنظموا قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبيان ومتن اللغة كذلك ، ونظموا الفقه والأصول والكلام والتصوف والقراءات ومصطلح الحديث ، ونظموا في الطب والكيمياء والفلك والمنطق والفلسفة والجبر ، ونظموا في بعض الصناعات كالخط وتجليد الكتب وبعض الألعاب كالرماية والشطرنج ، ونظموا ما يرجع الى العادات والأخلاق وأدب المجتمع ، وما يتعلق بأمر الآخرة كالبعث والحساب والجزاء ، ونظموا في علم الجدول والسيميا وتعبير الرؤيا وغير ذلك مما لا سبيل الى حصره في هذا الفصل .

وتختلف هذه الأنظام في الطول والقِصَر بحسب الموضوعات التي تتناولها ، فمنها ذات العشرات ، ومنها ذات المئات ، ومنها ذات الألوف من الأبيات . واشتهرت الألفيات منها على الخصوص في بعض العلوم كألفيـــة ابن معطي وألفية ابن مالك ، وألفية السيوطي في النحو والصرف ، وألفية العراقي في السيرة النبوية ، وألفيته في المصطلح الحديثي وألفية السيوطي فيه أيضاً ، وألفية ابن الوردي في تعبير الرؤيا ، وألفية ابن الشحنة في الفرائض ، وألفية البرماوي في الأصول ، وألفية القباقبي في علوم البيان ، وألفية السيوطي فيه كذلك ، وألفية داود الأنطاكي في الطب وألفية أبي الوفاء المصري في المنطق ، وألفيته في العروض ، وألفية ابن شعبان في الخط وغير هذه من الألفيات المختلفة الموضوع .

وأما المنظومات التي جاوزت أبياتها الألف فمنها منظومة ابن زكرى التلمساني في علم الكلام المسماة بمحصل المقاصد ، ألف وخمسمائة بيت ونيف ، تحفة

الحكام في علم الفقه لابن عاصم ، مثلها ، منظومة الكواكبي في الأصول ألف وثمانمائة ، الشقرونية في الطب لعبد القادر ابن شقرون المكناسي مثلها ، الكافية في النحو لابن مالك ، نحو ثلاثة آلاف ، الأقنوم في مبادي العلوم لعبد الرحمن الفاسي وهو شبه موسوعة تكلم فيه على نحو مائة وخمسين علماً في أكثر من خمسة آلاف بيت .

ومن الغايات في هذا الباب منظومة بدر الدين الدمشقي المسماة بفصل الخطاب في وصل الأحباب ، تكلم فيها على العلاقة الزوجية وما يتعلق بها من آداب وأحكام في نحو أربعمائة واثني عشر ألف بيت ، منها عشرة آلاف بيت من نظمه ، والباقي مما استشهد به من نظم غيره (١) .

وعلى كل حال فالمعتبر من هذه الأنظام هو الكيفية لا الكمية ، وبإرادنا بعض النماذج منها ومن غيرها نعرف أن عملية النظم هذه لم تكن سهلة ، وإنما تقتضي معاناة لكي يكون المنظوم سائغاً سهلاً يحقق المراد منه ، الذي هو تقريبُ حفظه وعُلوقه بالذهن تيسيراً على الطلبة ، وتمكيناً لهم من تذكر قواعد العلم والاستشهاد بالبيت الذي يتضمن القاعدة المطلوبة في سهولة تامة ، لأن النظم يُقيّدها وهو لا يعزُب عن الذهن إلا قليلاً ، كما قال ميمون الفخّار في نظم الآجرومية :

والقصد من ذا الرجز المقرّب ... تعليم أولاد صغار المكتب
عسى الذي منهم به تعلما ... يقول يا رب ارحم المعلما
لمّا رأيتُهم شقُوا وتعبوا ... في حفظ مَنْثُور ولم يقتربُوا
أيقنتُ أن النظم فيما أدري ... أشهى وأولى من نفيس النثر

ويعجبني قول الشرف العمريطي في نظمها أيضاً :

وبعد فاعلم أنه لما اقتصر ... جل الورى على الكلام المختصر

---

(١) توجد نسخة من هذه المنظومة عند الأستاذ حماد بو عياد بناس .

وكان مطلوباً أشدَّ الطلب من الورى حفظُ اللسان العربي
كي يفهموا معاني القرآن والسُّنة الدقيقة المعاني
والنحو أولى أولاً أن يُعلما إذ الكلام دونه لن يفهما
وكان خير كتبه الكثيرة كرّاسةً لطيفة شهيرة
في عُربها وعُجمها والرُّوم ألفها الحبر ابنُ آجروم
وانتفعت أجلة بعلمها مع ما تراه من صغر حجمها
نظمتها نظماً بديعاً مقتدي بالأصل في تقريبها للمبتدي

فانظر هذه السلاسة وهذا الوضوح ، وقارن بين ما قاله أبان اللاحقي ، وهو أديب كبير ، في طالعة نظمه لكليلة ودمنة ، وطالعة العمريطي هذه ، يَبين لك فضل هذا العالم مع تأخره على ذلك الأديب مع تقدمه .

ومن أحلى المطالع قول ناظم كتاب المغني لابن هشام ، وهو يبين أيضاً أن سبب النظم هو التسهيل :

هذا بحمد الله نظم سهل مورده للطالبين نهل
ضمّنته قواعد الإعراب ومُلَح النحاة والأعراب
معتمداً على كتاب المغني لابن هشام شيخ هذا الفن
ترتيبه قصدتُ واختياره اخترت واختصرتُ في العبارة
ولم أزد على بناء القاعدة إلا الذي به تتم الفائدة
وأسأل الله الذي ألهمني لوضع هذا النظم أن يرشدني
وأن يديم به الانتفاعا حتى يكون صيّباً نفّاعا
ثم الصلاة مالها انصرام على رسول الله والسلام
ما أعربت آياته وفسّرت وأظهرت أسماؤه وأضمرت

وإذا كان أبان وغيره ينظم للجائزة فان أصحابنا الفقهاء ينظمون رغبة في الأجر والثواب من الكريم الوهاب لأنهم يعتبرون عملهم هذا من العبادة كما قال صاحب منظومة الظاء والضاد :

أفضل ما فاه به الإنســـان ... وخير ما جرى به اللسان
حمد الإله والصلاة بعــــده ... على النبي فهو أسنى عنـــده
وكل ما يُنظـــم للافادة ... فذاك معدود من العبـــادة
وقد نظمت جملة من الكَلِم ... في الظاء والضاد جميعاً تلتئم
فاسمع بُنَيَّ من أبيك سرْدَها ... واعرف هُديتَ حصرها وعدها
وابدأ إذا قرأتها بالظـــاء ... وثنِّ بالضـــاد على استواء

وهذه المطالع زيادة على بيانها للمراد من النظم فانها تعطينا مثالاً من العمل الأدبي أو التعبير الفني الذي يؤدي به الناظم معاني الكتاب وقواعد العلم الذي ينظمه ، وهي كما رأينا من حيث الصناعة غاية في الانسجام والبلاغة ، بحيث تجعل الطالب يتلقى حقائق العلوم وهو متأثر بسحر البيان ومأخوذ بسر الفصاحة ، واسمع هذا المطلع الجميل ، وتمتع بحلاوة لفظه ورقة معناه على طوله وهو من نظم الشقرونية في الطب :

الحمد لله الحكيم الرشد ... اللهم الخير لكل مهتـــد
المنزل الغيثَ من السماء ... الرازق الأقوات للنّمـــاء
سبحانه قـد سخر الرياحا ... مفيدةً عبـــاده صلاحا
وأرسل اللواقح العظيمـــة ... بين يديْ رحمته العميمة
ما طلعت من غرر السحائب ... مبشراتٍ جمـــةَ العجائب
تحمل غيثاً سابغ الأيادي ... لكـــل حاضر وكل باد
سيقَتْ لسقي بلد مَوات ... أحسِنْ بغيث شامل مُوات
فاخضرت الأرض بحسن ملبس ... رافلة في حلل من سندس
رائقـــة تجلى بحلى الزهر ... تسدي السرور وقت مد البصر
كم أصبحت عرائس الغصون ... تزهو بدُر بَرْدِها المصون
وافتر ثغر نَوْرها المعطـار ... مكللاً بلؤلؤ الأمطـار

أبدت سنابل تحيط بالثمر في نسق تحكي عقوداً من درر
نُوارها مختلف الأشكال يسمو على قلائد اللآلي
من ذي أكاليل وذي أبواق وذي مداهن وذي أحداق
غنى عليها النحلُ بالمزامر عن أمر من يقهر كل آمر
وكل نبت من حشيش أو شجر خلقه لحكمة ربُّ البشر
ما خلق الرحمن شيئاً عبثا من كل بَرّيّ وما قد حُرِثا
يرزقنا في كل فصل نِعَما سبحانه عم البلاد كرما
نحمده حمد مقر بالنعم معترف بعيشه بعد العدم
معتقد أن ليس يُذهب الضرر إلا الذي أجرى القضاء والقدر
ثم الصلاة والسلام السرمدي على الرسول المُنْتَقَى محمد
وآله والصحب والأتباع ما انهلَّ وابل على البقاع
وبعد فالقصد بهذي الجمل ذكر مزاج قُوتِنا المستعمل
طبع الحبوب ومركّب الغذا وما له نفع وما له أذى
وكل قوت في اصطلاح المغرب لدى الحواضر وعند العرب
كذلك الخضر والمقاتي وما يرى منهن في الأوقات
وبقلها البريّ والبستاني وغالب المأكول من لُحمان
ومن فواكه على العموم من طيّب يرضي ومن مذموم
وما يخصُّ اللحم من توابل وما يُجيد طعمه للآكل
وربما نذكر من مياه أمراً كثيرُ الناس عنه ساهِ
تتبعه أدوية نفيسة تذهب أمراضاً بدت خسيسة
كما نجيد القول في اللباس وفي المساكن ومأوى الناس
ونبسط التعبير في المقال كيما يرى مطابق السؤال
وأسأل الوهاب نيل الأرب فهو المرجي لبلوغ الطلب

وكان هذا النظم جواباً من العلامة ابن شقرون لسؤال من تلميذه الشيخ صالح ابن المعطي ، وهو ما أشار إليه بمطابقة السؤال ، والمنظومة كلها من هذا النمط ، ولولا أني أطلت بجلب مطلعها كله لأعطيت منها أمثلة في موضوعها لأنها مزدوجة الفائدة ، فهي تعليم الأدب وتدْبير الصحة .

وللعلماء في مطالع أنظامهم نوادر من ألطفها ما يحكى أن ابن مالك لما شرع في نظم ألفيته قال في مدحها :

وأستعين الله في ألفيـــة مقاصد النحو بهـــا محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضي رضا بغير سخط فائقة ألفيـــة ابن معط
فائقة منهـــا بألف بيت .

ولما نظم هذا الشطر توقّف ولم يُفتح عليه في تمامه ، ونام ليلته ؛ قالوا فرأى ابن معطى في نومه وهو لا يعرفه ، فأنشده أبياته هذه ، فأجاز شطره الأخير بقوله :.

والحيُّ قدْ يغلِبُ ألفَ ميْت

فاستيقظ ابن مالك من نومه واستحي مما قال في حق ابن معطي وحذف ذلك الشطر وقال عقب الأبيات الثلاثة التي قبله :

وهْو بسبق حائز تفضيـلا مستوجب ثنـائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة لي وله في درجات الآخرة

وتكررت الحكاية مع السيوطي ، فانه لما نظم ألفيّته في النحو قال في مطلعها :

النحو خير ما به المرء عُني إذ ليس علم عنه حقاً يغتني
وهـــذه ألفية فيه حوت أصوله وقعَ طلاب نوت
فائقة ألفيـــة ابن مالك لكونهـا واضحة المسالك
وجمعِها من الأصول ما خلت عنه وضبط مُرسلات أهملت

لكن لم يحكَ لنا عن السيوطي أنه رأى ابن مالك في نومه وعاتبه كما عاتب ابن معطي ابن مالك .

وقد دخلت هذه المنظومات في حياة طلبة العلم وتمكنت من نفوسهم ، فبقطع النظر عن استعمالهم لها في دراساتهم المتنوعة واحتجاجهم بأبياتها في مناقشاتهم العلمية ، هناك بعض أبيات ومقاطع منها تجري على ألسنتهم ، وربما على ألسنة العموم مجرى الأمثال لدلالتها الشاملة وحسن صياغتها ، كالشطر الثاني من قول ابن عاشر في نظمه المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين:

فصلٌ وطاعةُ الجوارح الجميع قولاً وفعلاً هو الإسلام الرفيع

فهذا الشطر نجد حتى العامة يرددونه في المناسبات المقتضية له كالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وممارسة الشعائر الدينية فيقولون « قولاً وفعلاً هو الإسلامُ الرفيع » .

ومن اللطائف ما يجري على الألسنة من قوله في باب الحج : (وأسْرِعَنْ في بَطْنِ وادي النار) وذلك في أماكن المرور الخطيرة وملتقى الطرق التي تكثر فيها السيارات ونحوها .

ومن هذا الباب ما يجري على الألسنة من قول ابن مالك في الألفية : (وحذف ما يعلم جائز ...) وذلك عند عـــدم التصريح بما يكره وما لا لزوم لذكره .

ومنه قوله (كما لنا إلا اتباع أحمدا) في باب الابتداء تمثيلاً لوجوب تقديم الخبر عند الحصر . على حسب ما أشار له الشطر الأول من البيت وهو قوله (وخبرَ المحصور قَدّم أبدا) فيجري تمثيله ذلك على لسان أهل العلم وجمهور المؤمنين عند اظهار التعلق بالتمسك بالسنة واتباع الرسول ﷺ .

ولا شك أن الكلام حين يرقى إلى هذه الدرجة من دورانه على الألسنة وجريانه مجرى الأمثال العامة ، يكون آخذاً بحظه من حسن الأداء وقوة

التعبير ، وذلك ما يؤكد القول بأن هذه الأنظام وان اشتملت على أغراض علمية صرفة أو تعليمية بعبارة أخرى ، فانها تكتسي حلة من البيان والوضوح تجعلها باعتبار آخر من الآثار الأدبية المرموقة .

وإلى هنا نكون قد تكلمنا على مُطلَق نظم العلوم ، أو جانب من النظم التعليمي هو المتعارف عند إطلاق هذا الاسم .

ولكنّ هناك نوعاً غريباً منه يجب أن نفرده بكلمة ، لأنه أدل على مقدرة أصحابنا الفقهاء ، وبراعتهم الأدبية ، وهو النظم الذي يستعملون فيه رموزاً واصطلاحات خاصة فيُلِمّون في المنظومة الصغيرة والأبيات القليلة بقواعد علم كامل من العلوم ويُحصّلون مسائله ويضبطون أصوله بحيث لو لم يتأتّوا لها ذلك التأتي اللطيف ويسلكوا لها ذلك المسلك العجيب لما وسعتهم الكتب المطولة والموضوعات المبسوطة لاستيفاء تلك الأغراض وتحصيل تلك المقاصد .

ومن أمثلته قصيدة حرز الأماني في القراءات السبع ، المعروفة بالشاطبية ، نظم أبي القاسم الشاطبي رحمه الله ، فانها على اختصارها في الجملة (إذ تبلغ ١٣٠٠ بيت) جمعت زبدة القراءات واحتوت من ذلك على علم غزير . ولذلك نجد الكثير من أهل العلم يحفظونها وقد خضع لها كبار الشعراء والبلغاء ، وحذاق أهل الرواية والقراء . قال ابن خلكان في ترجمته للشاطبي : « انه أبدع في حرز الأماني ، وهي عُمدة قراء هذا الزمان في تعلمهم ، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويقدّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز واشارات لطيفة ، وما أظنه سُبِق إلى أسلوبها » .

واصطلاحه هو الذي أشار إليه بقوله :

جعلتُ (أبا جادٍ) على كل قارئٍ ذليلاً على المنظوم أولَ أوّلا
ومن بعد ذكر الحرف أُسمي رجاله متى تنقضي آتيك بالواو فيْصَلا
سوى أحرفٍ لا ريبة في اتصالها وبالقَيْد أستغني عن القيد إن جلا

ومن هذا الباب قصيدة (غرامي صحيح) لابن فَرْح الاشبيلي التي جمع فيها ألقاب الحديث بأسلوب عجيب ومنهج غريب ، إذ سلك بها مسلك أهل الغزل في ظاهر اللفظ وحمل كل لقب من ألقاب الحديث على معنى يليق بهذا الغرض على طريق التورية ، حتى لو ألقيت على عربي فصيح خالي الذهن من اصطلاحات أهل الحديث لما فهم منها إلا معاني غزلية رقيقة تنشرح لها النفوس وتغتبط بها القلوب ، ومطلعها :

غرامي (صحيح) والرجا فيك (مُعضَل) وحزني ودمعي مطلق (ومسلسل)

ومن هذا الباب أيضاً قصيدة أبي الجيش محمد ضياء الدين الخزرجي الأندلسي أو السبتي المعروفة بالخزرجية في علم العروض التي سارت بذكرها الركبان ، والتي جمعت مهات هذا العلم في تسعين بيتاً ونيف بفضل ذلك الأسلوب البديع الذي ألمعنا إليه وهو الرمز والإشارة ، فبعد أن يقول في مطلعها :

وللشعر ميزانٌ يسمَّى عَروضَه بها النقص والرجحان يدريها الفتى

فيأتي به نظماً واضحاً لا غبار عليه حتى في الخَرْم الذي بأوله ، يقول رامزاً لأجزاء التفعيل العشرة مُشيراً إليها بحروف أبجد :

أصابتْ بسَهْمَيْها جوارحَنا فدا رِكوني بهمّة كوقعيهما سَوا

فما زارني فيها حبيبها ولا يدُ طُولاهُنّ يعتادُها الوفا

ومنه كذلك على طريقة التورية كما في نظم غرامي صحيح ، منظومة أبي القاسم المُهلّبي البلنسي لمثلث قطرب في اللغة وهو الذي يقول في طالعته :

يا مولَعاً بالغضب والهجر والتجنب في جده واللعب حبُّك قد برَّح بي

ان دموعي غَمر وليس عندي غِمر يا أيها ذا الغُمر أقصر عن التعتُّب

إلى آخرها . وقد شرحه أحد المغاربة نظما على هذا المنوال هو المثبت في مجموع المتون الكبير المطبوع طبع حجر بفاس .

ويظهر أن هذا النوع من النظم قد انفرد به الأندلسيون أو كانوا هم الذين نهجوا سبيله لغيرهم فاننا لا نعلم لمشرقي نظماً على منواله إلا ما كان للعلامة الصبان الذي عارض قصيدة غرامي صحيح بأخرى فائية على مثالها في التورية يقول في أولها :

(صِلُوا)(صحيحَ) غرام صبرُه ضعفا وبدلوا (قَطْع) من في حُبِّكُم شُغفا

كما عارض قصيدة الخزرجية بقصيدة لامية استعمل فيها نفس رموز أبي الجيش وهي التي يقول فيها :

وبعدُ فعِلمُ الشعر فَنٌّ مؤكد فبادر إليه واستمع فيه ما حلا

وبعدُ ؛ فهذه كلمة قصيرة في هذا اللون من ألوان أدب الفقهاء ، وهو النظم التعليمي ، لم نرد بها إلا التنبيه على وجه آخر من وجوه الإحسان ، الذي لهم في ميدان الأدب ، والمشاركة التي لا تزري بهم أبداً في الانتاج الأدبي سواء كان خاصاً بهم أو عاماً ، وإلا فان بحث النظم التعليمي لا تفي به كلمة قصيرة أو طويلة ، وما أحراه أن يُفرد بالبحث ويكون أطروحة لبعض الدارسين تلم بأطرافه وتشير على سبيل التفصيل لأبعاده التي ما نظن أن كتاباً واحداً أو رسالة جامعية مفردة تحيط بها .

عبد الله كنون



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الأول)

— ١ —

كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين محمد بن شاكر الدمشقي الكتبي من كتب التراجم المشهورة المطبوعة المتداولة . وقد طبع بمطبعة بولاق مرتين الأولى في سنة ١٢٨٣ هـ والثانية في سنة ١٢٩٩ ومع ذلك أصبحت نسخه نادرة وكثر طالبوه . فتجرد له الشيخ الفاضل محمد محي الدين عبد الحميد وأعاد طبعه بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٥١ وقد ضبط كثيراً من أشعاره وكَلِمِه وعلّق على تراجمه بفوائد تاريخية وأدبيّة ، وإذ كان الشيخ غير مختصّ بالتاريخ جاءت الطبعة دون ما كان يأمله أهل التحقيق والتدقيق وطلابها ، ووقعت فيه أوهام كثيرة كان على الشيخ الفاضل ان يستعين على تنقية الكتاب منها بذوي الاختصاص ، لأن مُراد النشر في هذه الأيام هو إبراز الكتاب في أبهى صوره على وجه السلامة والصحة ، وقد قرأت هذه الطبعة وعثرت بتلك الأوهام فعثرت عليها وإني مُوردها في هذه المجلة الكريمة لينتفع بها الأدباء فأقول :

١ — ورد في الجزء الأول ، ص ٩ « من هذه الطبعة في ترجمة إبراهيم ابن سليمان بن حمزة الدمشقي المعروف بابن النجار الكاتب المجود « ٥٩٠—٦٥١ » قوله — على ما تدعي طبعة الشيخ — :

لحا الله الحشيش وآكليها ... لقد خبثت كما طاب السُّلاف

كما تُصبي كذا تُضني وتُشقي ... كما يشقى وغايتها الخراف

وأصفر دائها والداء جمٌّ ... بغاء أو جنون أو نُشاف

وإبراهيم بن سليمان هذا تولى نقابة الأشراف بالاسكندرية فكيف يأكل الحشيش ويتركه إلى السُّلاف، وجاء بعد ذلك منسوباً إليه :

جُبلت على حبي لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبي من هواها بقدر ما أقول : وقلبي خالياً فتمكنا

ثم ذكر من شعر غيره فيه على زعمه «ص ١٠» :

لا تلم البغي[1] في فعله إن زاغ تضليلاً عن الحقّ
لو هذّب الناموس أخلاقه ما كان منسوباً إلى البَـــقّ

والصحيح أن هذه الأشعار لغيره وأن هذا المهجو هو «أحمد بن البقيّ» الوارد ذكره في الصفحة ١٣٤ الذي تصحف اسمه على الشيخ إلى «الثقفي» فازداد الثقفيون زيادة غير مباركة، فقد ورد في الصفحة ١٣٤ المذكورة «أحمد بن الثقفي، كان جيد الذهن ذكياً ولكن أدّاه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع فضرب القاضي المالكي عنقه بين القصرين في ربيع الأول من سنة إحدى وسبعمائة وطيف برأسه وقد تكهّل ...».

وقال تقي الدين المقريزي في حوادث سنة ٧٠١ : «ومات فتح الدين أحمد ابن محمد ... البَقي مقتولاً بسيف الشرع في رابع عشري[2] ربيع الأول ورُفع رأسه على رمح وسُحب بدنه إلى باب زويلة فصُلب هناك» ثم ذكر أمثلة من زندقته وقال : ومن شعره :

---

(١) هكذا ورد في طبعة الشيخ وإنما هو «البقيّ» أخذاً من نسبه «البقي» بدلالة قوله «ما كان منسوباً إلى البقّ».

(٢) من مصطلحات مؤرخي القرون المتأخرة «يضيفون العقد الى ما بعده كجمع المذكر السالم ويحذفون النون».

جُبلت على حُبّي لها وألفته ... ولا بد أن ألقى به الله مملنا (١)
ولم يخلُ قلبي من هواها بقدر ما ... أقول : وقلبي خالياً فتمكنا (٢)

وكيف لم يتنبه الشيخ إلى اختلاط شعر ابن النجار المذكور بشعر ابن البققي الزنديق ؟ وقد ورد في شعر ابن دانيال يهجوه « لا تلم البقّي في فعله » وأين عصر ابن دانيال من عصر ابن النجار الدمشقي المتوفى سنة ٦٥١ وكيف يقول ابن دانيال فيه بعد ذلك :

يظن فتى البق في أنه ... سيخلص من قبضته المالكي
نعم سوف يُسلمه المالكي ... قريبـــاً ولكن إلى مالك

وما معنى قول المؤرخ قبل هذين البيتين : « وقوله فيه لما سُجن ليقتل » ؟ وما صلة نقيب الأشراف إبراهيم بن سليمان الدمشقي بالقتل وهو نقيب ؟ قال الذهبي في المشتبه (ص٥٢) : « البقي مجد الدين أبو سالم مظفر بن عبد القاهر ابن الثقفي الحموي ... ونسيبه فتح الدين أحمد بن البقي الذي قتل على الزندقة بعد السبعمائة » . فتأمل .

٢ — وجاء في الصفحة ٢٣ قول تقي الدين اسماعيل بن ابراهيم محدث الشام :

قَصَصُ بنمل عذاره مكتوبة ... يا حُسن ما خَطَّ الجمالُ وأجمله!

وقد فتح الصاد وهو اسم مجموع قِصة بكسر القاف . ولذلك قال مكتوبة ولو أراد القَصص المفتوح القاف المفرد لأبقاه مذكراً وقال « مكتوب » وفيه كسر للوزن ، فالصواب كسر القاف .

---

(١) نقلت هذين البيتين آنفاً منسوبين الى إبراهيم بن سليمان بن حمزة ، وهما وكثير غيرهما للبققي .

(٢) السلوك « ج ١ ص ٩٢٥ ، ٩٢٦ » . وبراجع الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة « ١ : ٢٠٨ » .

٣ — وجاء في الصفحة ٢٤ « إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه أبو علي الحمدوني ، وجده حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد ... » . والصواب « الحمدويّي » بالياء لا الحمدوني ، فجده حمدويه لا حمدون ، قال عز الدين ابن الأثير في اللباب : « الحمدويّ (بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وبعد الواو ياء مثناة من تحتها) هذه النسبة إلى حمدويه وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه ... » .

٤ — وجاء في الصفحة قول ابن عز القضاة :

ولا غرو أن تحكي الأزاهرُ حسنها ... أليس جناها النحل قدماً من الزهر ؟

ولا ضرورة لحـــذف الياء من جمع الجمع « الأزاهير » ليكون أزاهر ، فالأفاعيل جمع الأفعال من حيث الوزن ، ولا تحذف الياء إلا للضرورة ، فالأصل « ولا غرو أن تحكي الأزاهير حسنها » بالياء ، جاء في نهج البلاغة « فهو كالأزاهير المبثوثة [1] » . والبحر يستوفي تفعيلته مع « الأزاهير » وتعوزه الياء عند حذفها .

٥ — وورد في الصفحة ٢٨ « وكان الأمير سيف الدين يشكر — رحمه الله تعالى — يكتب إليه : يقبل الأرض ... » . فليت شعري مَن هذا الأمير يشكر ؟ لقد تصحف اسمه على الشيخ لأنه غير مختص بالتاريخ والصحيح « تنكز » بالتاء والنون والكاف والزاي ، وقد ترجم له ابن شاكر في كتابه كما جاء في الصفحة ١٧٤ قال : « تنكز الأمـــير الكبير المعظم المهيب سيف الدين نائب السلطنة بالشام ... » وهو أمير مشهور السيرة محفوظ الاسم .

٦ — وجاء في الصفحة ٢٩ في حاشيتها « والحاوي في فقه الشافعية تأليف قاضي القضاة الماوردي » . ولم يبلغ الماوردي — رحمه الله — منصب « قاضي القضاة » بل بلغ رتبة « أقضى القضاة » وهي بينها ، قال ياقوت الرومي

(١) شرح نهج البلاغة « مج ٢ ص ٨٦ ؛ طبعة البابي القديمة » .

الحموي : « علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، يكنى أبا الحسن ويلقب أقضى القضاة ، لقّب به سنة ٤٢٩ . وجرى من الفقهاء كأبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية ...[1] » .

٧ — وجاء في الصفحة ٣٩ في ترجمة أشعب بن جبير المدني الطامع « فقلت لهم هذا أبان بن عثمان قد طبخ هريسة وهو يغرفها فاذهبوا إليه » . والصحيح « وهو يفرّقها » أراد بذلك صرف الصبيان عن نفسه وليس في الغرف ما يفيد التفريق فقد يجوز أنه يغرفها لعياله ولكنه لم يكن طباخاً .

٨ — وجاء في الترجمة نفسها « ولما مات ابن عائشة المغني جعل أشعب يبكي ويقول : قلت لكم زوّجوا ابن عائشة من الماسية حتى يخرج بينها مزامير داود فلم تفعلوا ولكن لا يُغني حذر من قدر » . فلم يسأل الشيخ الفاضل محمد محيي الدين الذي « حقق الكتاب وضبطه وعلق حواشيه » مَن هذه الماسية ؟ إنها رُبَيْحة الشمّاسيّة بالشين فالسين[2] .

٩ — وجاء في الصفحة ٤٢ « وكانت أعلامه سوداء » وجاء في الحاشية قول الشيخ : « كانت أعلام العباسيين سوداء » . وهذا خطأ والصواب « سُوداً » بالجمع والنصب ، ومنشأ الغلط زيادة النساخ همزة بعد الألف قال تعالى « ومن الجبال جُدَد بيض وحُمرٌ مختلف ألوانُها وغرابيب سود » وقال عنترة :

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبةً سُوداً كخافية الغراب الأسحم

١٠ — وفيها « فقال الهيثم إن عاش هذا ليكوننّ أشعر أهل الأندلس » . والصواب « لئن عاش . . . » ليصح وجه التوكيد بالنون ، ولا يصح مع الشرط

---

(١) معجم الأدباء « ٥ : ٤٠٧ طبعة مرغوليوث الأولى » .

(٢) الأغاني « ٨ : ١٨٦ طبعة دار الكتب المصرية » .

المجرَّد في مثل هذه العبارة الواجبة التأكيد بل في مثل العبارة غير الواجبة التأكيد كقوله تعالى « فإمَّا تَرَيِنَّ من البشر أحــــداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً (١) » .

١١ — وورد في الصفحة ٥٥ في ترجمة إبراهيم بن معضاد « فلما وصلوا إليه قال له : قبير جادك دبير » والصواب « جاءك » لأنهم خرجوا به إلى مكان دفنـــه ، فهو قد جاء المكانَ لا جادَّه ، وما دخل الجُود في أمر مريض أراد أن يرى قبر نفسه ؟

١٢ — وجاء في الصفحة (٦٠) من هذا الجزء ترجمة « أحمـــد بن الدويتي ـ رحمه الله ـ » وهو تصحيف غريب لأحمد بن الدَّبَيْثي الأديب الشاعر المتصرف المشهور السيرة عنـــد المختصين بالتاريخ (٢) منسوب إلى « دَبَيْثا » من قرى العراق الشرقية وهو ابن عم جمال الدين محمد بن سعيد ابن الدَّبيثي المؤرخ المحدث المقرئ . وابن خلكان وشيخه زكي الدين المنذري المصري وغيرهما يضمُّون الدال في المنسوبين إلى هذه القرية ، فأين بقي دُويت الشيخ ؟

١٣ — وجاء في الصفحة ٦٢ في الترجمة الشديدة الإيجاز للامام الناصر لدين الله العباسي « كتب إليه خادم اسمه يُمْن ورقة تتضمن عتباً فكتب إليه الناصر : يمن يمن يمن يمن ثمن ثمن ثمن ثمن » . ولم يضبط الشيخ كلمة من هذه الكلمات ليكون القارئ المستفيد على بينة منها ، والصواب « بِمَنْ يَمُنْ يُمْنْ ، ثَمَنُ يُمْنٍ ثُمنُ ثُمنٍ » .

(١) سورة مريم « الآية ٢٦ » .

(٢) ترجمة ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب وابن كثير في البداية والنهاية وابن العماد في الشذرات .

١٤ — وجاء في الصفحة ٦٤ في ترجمة الإمام ابن تيمية العلامة الحنبلي المشهور «نشأ في تصوف تام وعفاف وتأله» . والصواب «في تصوّن» من الصون وهو التنزيه ولم تكن لابن تيمية صلة بالتصوف ولا كان التصوف من شأنه كما هو معلوم باجماع المؤرخين .

١٥ — وجاء فيها في ترجمته «وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهُوري فصيح» بضم الهاء وهو خطأ والصواب فتح الجيم وتسكين الهاء وفتح الواو ، جاء في مختار الصحاح «وجهـــر بالقول : رفع به صوته وبابه قطع وجَهْوَرَ أيضاً ورجُل جَهْوَري الصوت وجَهِير الصوت» .

١٦ — وجاء في الصفحة ٦٦ في ترجمة الإمام المذكور «وقد أثنى عليه خلق من شيوخه ومن كبار علماء عصره كالشيخ شمس الدين بن أبي عمر ... والقاضي الجوني وابن دقيق العيد» . ولم يسائل الشيخ نفسه مَن هذا القاضي الجوني ؟ وهل نسبُه مكتوب على الصحّة ، والصواب «الخُوَيّيّ» نسبة إلى «خُوَيّ» . قال الذهبي في المشتبه : «والخُوَيّي قاضي خُوَيّ أبو نُعيم ... وشمس الدين أحمد بن الخليل الخُوَيّي قاضي دمشق ، وأبو قاضيها شهاب الدين محمد» . والثاني هو المُراد في ترجمة الإمام ابن تيمية والمختصون بالتاريخ يعرفونه ، ولولا ذلك ما استوقف النظر تصحيف النسب من تسميته .

١٧ — وجاء في الصفحة ٧٣ في الترجمة المذكورة آنفاً «وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة تسع وتسعين وستمائة وقيامه بأعباء الأمر بنفسه واجتماعه هو بنائبه حللوشاه ونبولاي» فمن هذان الرجلان ؟ سكت عنها الشيخ ، والذي يعرف تاريخ المغول من المختصين بالتاريخ يعلم أنهما «ختلوشاه» ومنهم من يسميه «ختلغ شاه» ومنهم خطلوشاه ، والثاني «بولاي» وهو الأمير المغولي القائد المشهور الذي أغار على بلاد الشام على عهد غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان .

١٨ — وورد في الصفحة ٨٦ « ابن نقادة من شعره لغز في يوسف ... » والمعروف في أمثال هذا الاسم « نفاذة » بضم النون ، كما في المشتبه للذهبي ـ ص ٥٣٣ ـ قال : « نُفاذة جماعة » .

١٩ — وجاء في الصفحة ٩٠ وكتب ابن العزازي إلى ابن النقيب ملغزاً في شبّابة وأحسن ... فأجابه ناصر الدين بن النقيب :

أنت عجمية أعربت عنها لسلمان يكون لها انتساب

فعلّق الشيخ في الحاشية ما هذا نصّه « سلمان : أراد به سلمان الفارسيّ ـ رضي الله عنه ـ وغرضه أن يقول : إنها صنع من بلاد فارس » . وليس ذلك بمتّسق ، وإنما أراد أنها مصنوعة من نوع من القصب يعرف قديماً وحديثاً بالفارسيّ وهو ينبت في عدة بُلدان ، فهي كسلمان الفارسي في كونها من القصب الفارسي ولم يكن سلمان شبّابياً .

٢٠ — وورد في الصفحة ٩٢ قول العزازي :

أحبِبْ بما تطلع الجنوب منها وما تبـــدي الكلل

فما الذي تطلع الجنوب وما الجنوب بالنسبة إلى الغزل ؟ والصواب « الجيوب » وهو جيب القميص فمنه تبدو بعض محاسن البدن كما هو معروف مألوف .

٢١ — وورد في الصفحة ١٠٤ قول شمس الدين بن خلكان :

أيّ ليل على المحب أطالَهْ سائق الظّعْن يوم زمّ جمالَه ؟

وفتح الشيخ الظاء من الظعن ولا محل له لأن مصدر « ظعَن يظعن » والصواب « الظُّعْن » بضم الظاء وتسكين العين لأنه جمع ظعينة ، جاء في مختار الصحاح والظعينة : الهودج كانت فيه امرأة أو لم تكن والجمع ظُعْنٌ وظُعُنٌ وظعائن وأظعان » والأول هو الموافق لوزن البيت .

٢٢ — وجاء في الصفحة ١٠٩ قطعة من ترجمة فجعلها الشيخ ترجمةً مستقلة مع أن الإنسان المذكور فيها ليس هذا موضع ترجمته وهو « صدر الدين ابن وكيل بيت المال » وإنما موضعها في الجزء الثاني ففي الصفحة « ٥٠٠ » منه « محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون البارع صدر الدين ابن المرحل ويعرف في الشام بابن الوكيل المصري الأصل العثماني الشافعي » . فاسم المترجم « أحمد » كاسم من قبله واسم من بعده ، وقد سقط من هذه النسخة، لأنها كما يظهر لي كانت المسودة .

٢٣ — وورد في الصفحة ١١٣ في ترجمة أحمد بن محمد بن سالم أبي المواهب ابن صَصرى نجم الدين قاضي القضاة « بلغه أن الشيخ صدر الدين ابن الوكيل نظم فيه بليقة يهجوه » . فقال الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه الحواشي : « كذا ولم أعثر على ما يراد بالبليقة وأمل ظاهر السياق يدل على أنه أراد ورقة أو نحوها مما يكتب فيه أو ينقش عليه » . قلت : فالبليقةُ ضرب من النظم العاميّ أفلم تقرأ هذا الجزء لترى في ترجمة شرف ابن أسد المصري (ص ٣٨١) قول المؤلف نقلاً عن الصفدي « رأيته غير مرة بالقاهرة وأنشدني له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك » . فالبلاليق جمع البليقة ، وفي الجزء الثاني ترجمة صدر الدين ابن الوكيل (ص ٥٠٢) قول المؤلف : « وشعره مليح إلى الغاية وكان ينظم الشعر والموشح والدوبيت والمخمّس والزجل والبليق » .

٢٤ — وجاءت في الصفحة ١١٩ ترجمة « أحمد بن محمد بن علي سيف الدين السامَريّ » نسبة إلى سامَرا وضبطها الشيخ « السَّامُرّي » بضمّ الميم وقال في الحاشية : « سامرا ويقال سامراء ويقال سُر من رأى ويقال سُر من راء مدينة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخاً وقد ينسبون إليها السرمريّ » . قلت : كل هذا القول صحيح والغلط في ضمّ الميم والصواب فتحها ، قال

عز الدين ابن الأثير في اللباب : « السامَرّي بفتح السين وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مشددة ، هذه النسبة إلى مدينة سر من رأى بالعراق فوق بغداد وهي مشهورة فخففها الناس وقالوا سامرا ... » والمهم من هذا الكلام فتح الميم[1] .

٢٥ — وقال في ترجمة هـذا السامَرّي أيضاً : « ومن شعره في ابن المقدسي لما حُبس في العرزاوية ... » ولم يسائل الشيخ نفسه عن هـذه العرزاوية ، بل تركها كأنها صحيحة معروفة مشتهرة ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٥٩٣ « وعذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ودفنت بالعذراوية » . وقال المحققون في الحاشية : العذراوية هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق . عن عقد الجمان[2] » . في الصواب « لما حُبس في العَذراوية » . وهذا هو الذي حفظناه .

٣٦ — وجاء في الصفحة ١٢٤ قول الشاعر :

وجهه في مجالس الحكم تجدي ... من رآه بشراً وكيساً وفضلا

والصواب « يجدي » ولعله من غلط الطبع فليست غايتنا من النقد التشدد بل وجه الحق والتحقيق وغلط الطبع كثير .

٣٧ — وجاء في الصفحة ١٤٣ « وقد عارض هذا الوشح السِّراج النجار الحلبي » وقال المحقق في الحاشية ما معناه أنه ورد في نسخة « ث الحار » . ولم يزد على ذلك مع أن الواجب عليه الترجيح إذا تبين له وجهه ، والصواب « المحّار » . وجاء في الصفحة ٢١٩ من الجزء الثاني « عمر بن مسعود الأديب سراج الدين الجان » فتصحف عليه إلى « المجان » وجاء في الصفحة ٥٠٦

(١) كرر المحقق الضابط للكتاب هذا الوهم في الصفحة ٢٠٢ بضمه ميم سامرا .

(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

« وقال موشح (كذا) يعارض به السراج المختار » . فتصحف هذه المرة إلى المختار فهذه ثلاثة تصحيفات .

قال ابن حجر العسقلاني : « عمر بن مسعود بن عمر الأديب سراج الدين المحار الحلبي نزيل حماة الكناني الشاعر المشهور تعانى الآداب ونظم الموشحات ففاق فيها وله شعر حسن (١) ... » .

والمحّار المشتغل بالمحائر جمع المحارة بالحاء وهي من المراكب شبه العمّارية وتعرف بالعراق باسم الكجاوة الفارسيّ .

٢٨ — وورد في ترجمة الملك الأمجد بهرام شاه قوله « ص ١٥٢ » :

ما هواك وإن تقادم عهده فشفيع وجهك ما يزال يُجِدُّه

والشطر الأول مكسور وكان ينبغي للشيخ الفاضل أن يراجع ديوان بهرام شاه والصواب « باقٍ هواك وإن تقادم عهده » .

٢٩ — وجاء في الصفحـــة ١٦٠ « وأنوش الدمشقي » وفي ص ١٦١ « كسفدي الشمسي » والصواب فيها « آقوش الدمشقي وكشتغدي الشمسي » . وفي ص ١٦١ « وبكتون الجوكندار » والصواب « وبكتوت » بالتاء .

٣٠ — وجاء في الصفحة ١٦٦ « ذكر أولاده ـ رح ـ : الملك السعيد ناصر الدين بركة وأمه بنت حسام الدين بن كرخان الخوارزمي » . وفيه تصحيف والصواب « بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمي » قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٦٣٨ : « فاشتد القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزمية فانكسروا عندما قتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وانهزموا ولم تقم لهم بعدها قائمة ، وقتل بركة خان مملوك من الحلبيين وتشتت أمر الخوارزمية (٢) » .

٣١ — وورد في الصفحة ١٧٦ « وكان الناس يُجفلون قدامه إلى بلاد تورين السلطانية » وتورين تصحيف توريز وهو الاسم الثاني لهذه المدينة المشهورة وقد اشتهر في عصر المغول وقل استعمال تبريز .

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة « ٣ : ١٩٣ » .
(٢) النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٢٥ » .

٣٢ — وجاء في الصفحة ١٨٠ « بستان السفلاطوني بالمنجبة » بالفـــاء والصواب « السقلاطوني بالقاف[١] وقد اشتهر كثير من الأعيان بهذه النسبة .

٣٣ — وورد في الصفحة ١٨٤ في ترجمة توبة بن علي بن مهاجر التكريتي « وقال له : يا مولانا الصاحب أشتهي منك شفاعة إلى شيخ الخانقاه السميصانية حتى ينزلن فيها » . وما هذه السميصانية ؟ والصواب « السميساطية » ويجوز الصميساطية ، قال السمعاني في « السميساطي » من الأنساب « السميساطي هذه النسبة إلى سميساط وهي بلد بالشام والمشهور بهذه النسبة أبو القاسم علي ابن محمد بن يحيي السلمي السميساطيّ من أهل دمشق وظن أنّ الخانقاه التي في دهليز جامع دمشق من بنائه والأوقاف التي لها هو وقفَها على الصوفية و ...[٢] من أهل القرآن ... » ولعل العامة حرفوها إلى السميصاتية بالتاء لا بالنون كما وردت في تحقيق الشيخ وضبطه .

٣٤ — وورد في الصفحة ١٨٦ « قال سعد الدين بن خيمونة : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملاً في حياة أبيه ، ووجدوه مختلّ العقل سيّيء التدبير ، رفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ ... » ليْتَ شعري من سعد الدين بن خيمونة هذا ؟ وهل فخر الدين هو شيخ الشيوخ ؟ ذهب الأمر على الشيخ فذاك « سعد الدين ابن حَمُّوية » وهذا « فخر الدين ابن شيخ الشيوخ » قال سبط ابن الجوزي في أخبار سنة ٦٥١ :

« وفيها ورد الخبر بوفاة سعد الدين محمد بن المؤيد ابن حَمُّويه ابن عم صدر الدين شيخ الشيوخ بخراسان ، وكان هذا زاهداً عابداً ورعاً لطيفاً

(١) منسوب الى الثياب السقلاطونية وهي من أفخر الثياب ، من الحرير المطعم بالذهب وكان سقلاطون بغداد من أشهر السقلاطون كما جاء في مستدرك المعجمات العربية لدوزي المستشرق الهولاندي « ١ : ٦٦٣ » .

(٢) كلمة غير واضحة .

يتكلم في الحقيقة وله مجاهدات ورياضات وقدم وحج وسكن الشام ، فأقام بقاسيون مدة في زاوية يتعبد ومعه جماعة من أصحابه ... »(١) ، وقال في حوادث سنة ٦١٤ « وفيها قدم شيخ الشيوخ تاج الدين ابن حمويه إلى بغداد رسولاً من العادل وقدم بعده ولده فخر الدين رسولاً من الكامل(٢)... » .

٣٥ — وورد في الصفحة ١٩٢ قول الحطيئة :

أغُرْبالاً إذا استُودعتِ سراً   وكانوناً على المتحدثينـــا ؟!

بضم الغين والصواب كسرُها ، ولم نجد الضمّ في رواية ولا كتاب ، ولا من الأوزان المألوفة في العربية .

٣٦ — وجاء في الصفحة ١٩٦ قول أبي الجمد :

وما بنـا الناس لو أنا نزيدكم   فاصبر فؤادك أو مُت هكذا ألما

والناس تصحيف « البأس » فالصواب « وما بنـا البأس لو أنا نزيدكم » ولا موضع للناس هنا .

٣٧ - وجاء في الصفحة ٢٠٤ « وقال الشريف محمـــد بن أسعد الحراني المعروف بالنحوي : كان الوزير ... » .

فمن هذا الشريف الحراني ؟ تصحف على الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشيه فهو « الجَوّاني » نسبه إلى « الجَوّانية » قال ياقوت : « الجوانية » بالفتح وتشديد ثانيه وكسر النون وياء مشدّدة : موضع أو قرية قرب المدينة إليها ينسب بنو الجواني العلويون منهم أسعد بن علي يعرف بالنحوي كان بمصر ، وابنه محمد بن أسعد ذكرتها في أخبار

(١) مرآة الزمان « مختصر الجزء الثامن ص ٧٩٠ من طبعة حيدر آباد الدكن بالهند »
(٢) المرجع المذكور « ص ٥٨١ ، ٥٨٢ » ورد اسمه في الكتـــاب المذكور وغيره مرات .

الأدباء (١) » . فهذا محمد بن أسعد الجُوّاني وذكرُهُ مستفيض في التواريخ وكتب التراجم وهو مشهور عند المختصين بالتاريخ .

٣٨ — وورد في الصفحة ٢٠٦ قول جعفر ابن ورقاء الشيباني :

ولما عبثن بأوتارهنّ ... قبيل التبلج أيقظنني

جَسَسْنَ البهوم وأتبعنها ... بنقر المثاني فهيجنني

فما هذه البهوم يا ليت شعري ؟ تصحفت على الشيخ فهي « البُموم » جمع البمّ من أوتار العود الأربعة وهي البمّ والزير والمثنى والمثلث ، جاء في مختار الصحاح « البمّ : الوتر الغليظ من أوتار المزهر » .

٣٩ — وجاء في الصفحة ٢١١ في ترجمة جنكيز خان « وفوّض الأمر الى أوركناي أحدهم » . فعلق عليه الشيخ ما هذا نصه « كذا ولعله أوعطاي أحد أولاد جنكز خان » . قلت : أوعطاي تلفّظ آخر لهذا الاسم التتاري ولكن الأول مصحّف من « أوكتاي » فيجب التنبيه على ذلك ، قال ابن العبري في ذكر أبناء جنكيز خان : « والثالث أوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله وإصابة رأيه » (٢) .

٤٠ — وقال فيها أيضاً : « وكان اسمه قبل أن يلي الملك تمرحين » . والحقيقة أنه لا تمرحين ولا تسرحين بل هو « تموجين » بالواو والجيم ، قال ابن العبري : وكان رجل مؤيدٌ من غير هذه القبيلة يقال له تموجين ملازماً لخدمة أونك خان » ، « كلمني الله وقال إن الأرض بأسرها أعطيتها لتموجين وولده وسمّيته جنكز خان » (٣) .

---

(١) معجم البلدان في « الجوانية » .

(٢) تاريخ مختصر الدول « ص ٣٩٥ » وورد هكذا عدة مرات .

(٣) المرجع المذكور « ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ » .

٤١ — وجاء فيها « وولي بعده موزكونا وهو القان الذي هولاكو بعض مقدميه » . وقد تصحف على الشيخ أيضاً فهو « مونككا » قال ابن العبري في ذكر أبناء سرقوتني بيكي : « وكان لها من الأولاد أربعة بنين مونككا ، قوبلاي ، هولاكو ، أريغ بوكا » ثم قال : « وفيها اجتمع أولاد الملوك وأمراء المغول فوصل من حدود قراقورم مونككا بن تولي خان »[1] .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٢١٢ في ترجمة جنكيز خان أيضاً « فقال لهم جنكيز خان : إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة واتباع النسق الذي أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم » . فما هذا النسق ؟ الظاهر أن عطف النسق خطر ببال الشيخ فظن هذا ذاك . الصحيح « اليسق » بالياء وهو قانون جنكيز خان باجماع المؤرخين على كون أوله ياءً لا نوناً ، وقد تكرر هذا الخطأ في الضبط بالصفحة المذكورة نفسها في هذه العبارة « وقرّر لهم أن كل مَن لم يُمض حكم النَّسق » والعبارة الأخرى « فقال لم تعملُوا بالنسق » والصواب « اليسق » .

٤٣ — وورد في الصفحة ٢١٥ قول جوبان بن مسعود أمين الدين الدنيسري :

فما لاحظتــه إلا يضرّج خدّه خجلاً

والصواب: فما لاحظتُـــه إلا تضرّج خدّه خجلاً

٤٤ — وجاء في الصفحة نفسها :

نقش زهر البان إذ نابـه واهتز عند الصبح عجباً وفاح

وفيه تصحيف ظاهر والصحيح « نَفَّشَ زهر البان أذنابه » ففيه تنفيش وأذناب جمع الذنَب لا نقش ولا رقش .

٤٥ — وورد في الصفحة ٢١٦ قول الشاعر « اربح وخذ نسيئة » والصحيح « بنسيئة » فبعده « واشرب وكل وامطل وادفعْ » فهو من مجزوء الكامل ، أما « اربح وخذ نسيئة » فهو من مجزوء الرجز .

(١) المرجع المذكور « ص ٤٣٤ ، ٤٥٦ » وقد ورد مرات أخرى .

٤٦ — وجاء في الصفحة ٢٢٣ قول عرقلة الدمشقي .

بروق الفوادي أم بروق المباسم أشاقك وهناً أم هديل الحمائم ؟

والصحيح « أشاقتك » لأن جمع التكسير قد تقدم على الفعل فلا يجوز التذكير ولعله من غلط الطبع .

٤٧ — وورد في الصفحة ٢٢٦ قوله :

ولا زال ظل النيرن فانه طويل وعيش المرء فيه قصير

وإنما هو « ظل النيربين » فتصحف على الشيخ الفاضل ، قال ياقوت الحموي : « نيرب بالفتح ثم السكون وفتح الراء وباء موحدة ... قرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط بساتين ، أنزه موضع رأيته ، يقال فيه مُصلى الخضر عليه السلام ... وقد ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعر له وسماها (النيربين) بلفظ التثنية ، وأورد ثلاثة أبيات موضع الشاهد منهنّ هو :

فما ذكرتها النفس إلا استخفني إلى برد ماء النيربين حنين »

قال مصطفى جواد : وذكرها في شعره الشريف محي الدين يوسف بن زيلاق الموصلي قال :

لبست جنان النيربين محاسناً وقفت عليها كل طَرف يرمق

٤٨ — وجاء في حاشية الصفحة ٢٣٥ قول الشيخ في بعض تعليقاته « زائدتان على الوزن ولا يحتاجها المعنى » . وتعديته « يحتاج » بنفسه لا يحتاج إليها الفصيح فالفصيح في تعديته « لا يحتاج إليهما الوزن » مُعدّى بحرف الجر « إلى » . وسبيل الأول سبيل الشعر لا النثر الفصيح .

٤٩ — وورد في الصفحة ٢٤١ قول الحسن بن أبي حَصينة :

قل لبني الدنيا ألا هكذا فليفعـــل الناس بالناس

والشطر الثاني مكسور وهو من السريع ، والصواب « فليفعل الناس مع الناس » أو « فليفعلنّ الناس بالناس » .

٥٠ — وورد في الصفحة ٢٤٤ « ولما مات ابن الحباب شمت به ابن المهذب » . والصواب هو ابن الجبّاب بالجيم هكذا حفظناه وهو مصري ، قال الذهبي في المشتبه – ص ١٣٨ – : « وبموحدة [الجبّاب] أبو البركات عبد القوي ابن الجبّاب المصري وأقاربه ، كان جدهم عبد الله يعرف بالجبّاب لجلوسه في سوق الجباب » . وكرّر الشيخ هذا الخطأ في ترجمة عبد العزيز بن الحسين ابن الجبّاب[1] « ص ٥٧٧ » .

٥١ — وجاء في الصفحة ٢٤٥ قول الحسن المذكور آنفاً :

وما طرباً صفنا القريض وإنما جلا النور مرآة القرائح مرآها

وفي الشطر الثاني تصحيف والصواب « جلا نور مرآة القرائح مرآها » يعني أن مرآها أضاء القرائح .

٥٢ — وجاءت في الصفحة ٢٥٣ ترجمة أبي الجوائز الحسن بن علي الكاتب وفيها « وذكره الخطيب في تاريخه وقال : عُلِّقت عنه أخبار وحكايات وأناشيد » . هكذا ببناء « علقت » للمجهول ، ولم يكلّف محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه نفسه الرجوع إلى تاريخ الخطيب البغدادي وهو مطبوع متداول ميسور ليرى أن ضبطه للفعل خطأ فالذي علّق عن أبي الجوائز هو الخطيب نفسه ، قال : « سكن بغداد دهراً طويلاً وعَلَّقْتُ عنه أخباراً وحكايات وأناشيد ، رواها لي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ولم يكن ثقة[2] ... » فالفعل « علّقتُ » مستند الى الخطيب المؤلف مبني للمعلوم .

٥٣ — وجاء في الصفحة ٢٦١ في ترجمة الحسن بن محمد الصاغاني « وحضرت دفنه في الحريم الظاهري » . ولم يكن ببغداد موضع اسمه « الحريم الظاهري »

---

(١) أورده بصورة « ابن الحَبّاب » وذكر أن جميع التسمية واردة على الصواب وذلك في الحاشية .

(٢) تاريخ بغداد « ٧ : ٣٩٣ » .

وإنما هو الحريم الطاهري نسبة إلى القائد المشهور طاهر بن الحسين الخزاعي بالولاء ، قال ياقوت الحموي : « الحريم الطاهري بأعلى مدينة السلام بغداد في الجانب الغربي منسوب الى طاهر بن الحسين بن مُصعب بن زريق وبه كانت منازلهم وكان مَن لجأ اليه أمِنَ ، فلذلك سمي الحريم وكان أول من جعلها حريماً عبد الله بن طاهر بن حسين وكان عظيماً في دولة بني العباس[1] ... » .

٥٤ — ووردت في الصفحة « ٢٦٦ » ترجمة الأديب « الحسن بن محمد ابن الطراح قوام الدين » فعلّق على اسمه ما هذا نصه « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب مع طويل البحث » . قلنا : هو في كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني ففيه « الحسن بن محمد بن جعفر ابن عبد الكريم بن أبي سعد قوام الدين ابن الطراح الشيباني الصاحب[2] ... » واستوفى ترجمته وذكر شعره ، ولو أحصيتُ المراجع التاريخية التي فاتت الشيخ المحقق لهذا الكتاب لكانت عشرات .

٥٥ — وجاء في ترجمة قوام الدين ابن الطراح هذا في الصفحة نفسها « وكتب إليَّ أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على امتناعي عنه وهو الذي ربّاني وكفلني بعد الوالد فقال :

لو كنت يا ابن أخي حفظت إخائي ما طبت نفساً ساعة بجفائي

فان كان أخاه في النثر وهو الصحيح تاريخاً فكيف يكون في الشعر ابن أخيه ؟ ! فالصواب « لو كنت يا ابن أبي حفظت إخائي » . وهذا أمر واضح لا يحتاج إلى دليل .

٥٦ — وجاء فيها في الترجمة أيضاً « ثم سافر الى الشام ثم كرَّ منها راجعاً إلى العراق مع غارات وكنت سألته ... » فما غارات هذه ؟ الصحيح

(١) معجم البلدان في « الحريم » .

(٢) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٤ ، ٣٥ » .

« مع غازان » وهو السلطان محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان . وهو الذي أسلم وأعلن إسلامه وأسلم معه ألوف مؤلفة من المغول والتتار ، وهذا التصحيح الذي ذكرته واجب أدبياً وتاريخياً ، والمرجع التاريخي فيه الدرر الكامنة قال ابن حجر : « ولما طرق غازان الشام رجع [ابن الطراح] معه الى العراق وكانت وفاته بها »[1] .

٥٧ — وورد في الصفحة ٢٧٠ في ترجمة المستضيء بأمر الله العباسي « ورد المظالم الكبيرة » وهذا يعني أنه لم يرد المظالم الصغيرة مع أنها مظالم محرم عليه عدم ردّها وإن كانت صغيرة ، والصواب « الكثيرة » لا الكبيرة ، وهذه عادة المؤرخين في المبالغة .

٥٨ — وقال في الترجمة المذكورة ــ ص ٢٧١ ــ « وحاجبه مجد الدين أبو الفضل ابن الصاحب وأبو سعد محمد بن الفرج » . وفي الثاني تصحيف يعرفه المختصون بالتاريخ وصوابه « المعوّج » من التعويج ، جاء في أخبار سنة ٥٧٣ من مرآة الزمان في هجوم الباطنية على الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء « وتفرق من كان معه إلا حاجب الباب ابن المعوج » وجاء في آخر الخبر « وأما ابن المعوّج حاجب الباب فاسمه محمد بن أبي نصر وكان شاباً عاقلاً جميلاً ذا مروءة مات في اليوم الذي جرح فيه ولم يبلغ ثلاثين سنة ، وله نوادر مع اللصوص : أُتي بلصّ قد سرق فقال : افرشوه . يعني مدّوه على الأرض ... » وذكر نادرة أخرى قال فيها لبعض المنحرفين « لا بد أن أقوّمك . فقال : كنت قوّمتَ جَدّك ــ يعني المعوّج ــ فضحك واستتابه وأطلقه[2] » . فالنادرة أثبتت أنّ جده المعوّج لأن المعوّج هو الذي يحتاج إلى التقويم .

(١) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٥ » .
(٢) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٤٧ ، ٣٥٠ » .

٥٩ — وجاء في الصفحة ٢٧٤ « وقال بعضهم : يا هذا كيف سرّك غمّه وغمّنا ؟ » وفي العبارة نقصان والصواب « كيف سرّك ما غمّه وغمّنا ؟ » سقط الاسم الموصول فنقص من الجملة المحصول .

٦٠ — ووردت في الصفحة ٢٧٥ ترجمة « أبي علي الحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصاري الفقيه الشافعي الشاعر » فعلّق على اسمه في الحاشية قوله : « بعد طويل البحث لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب » ، قلت : فهل فتشت معجم الأدباء ؟ قال ياقوت في ترجمته (الحسين بن عبد الله ابن رواحة بن إبراهيم بن عبـــد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الأديب الفقيه الشاعر المجيد (١) ...) .

وترجم له ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٥٨٥ قال : (ولما عاد السلطان الى مضاربه أمر بمواراة الشهداء وكان من جملتهم الشيخ جمال الدين أبو علي الحسين بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة بن ابراهيم ابن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي الحموي وهذه النسبة نقلتها من نسخة بخط الشيخ جمال الدين هذا وكان رجلاً عالماً فاضلاً شاعراً زاهداً ... (٢)) .

وترجم له العماد الاصفهاني قال : (ابن رواحة الحموي الفقيه أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة ذكر أنه من ولد عبد الله بن رواحة صاحب النبي (ﷺ) ... لقيته كهلاً ، لكل فضيلة أهلاً ، وهو مقيم بحماة للاحتساب وإقراء فقه الشافعي والآداب ...) . وذكر محقق الخريدة (٣) الأستاذ الدكتور شكري فيصل أن له ترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر وفي سير النبلاء للذهبي ، وفي معجم الأدباء .

(١) معجم الأدباء « ٣ : ٤٧ » طبعة مرغوليوث .
(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « ٢ : ٣٠٠ — ٣٠٢ » .
(٣) خريدة القصر وجريدة العصر « قسم الشام ج ١ ص ٤٨١ — ٤٩٦ » .

قلت : وترجم له زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري المؤرخ المحدث في وفيات سنة ٥٨٥ قال : (وفي شعبان توفي الأديب البارع أبو علي الحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي الشافعي »[١] . وذكر المعروفيّ المحقق أن له ترجمة في العقد المذهب لابن الملقن ، قلت : وله ترجمة في تاريخ الذهبي الكبير فقد ذكره في وفيات سنة ٥٨٥ قال : (الحسين بن عبد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي الفقيه الشافعي الشاعر ابن خطيب حماة[٢] ...) فهذه تسعة مراجع لترجمة ابن رواحة الأنصاري هذا غير الفوات .

٦١ — وورد في الصفحة ٢٩٧ في ترجمة خالد بن يوسف النابلسي ثم الدمشقي الحافظ المفيد (وسمع ببغداد من ابن الأخضر وابن مينا) . وليس في محدثي بغداد في عصره ولا في غيره من اسمه (ابن مينا) وإنّما هو (ابن مَنينا) قال الذهبي في المشتبه ـ ص ٤٨٣ ـ (وبالفتح والتثقيل أبو المثنّا عن أبي أمامة ... ويتصحف بعبد العزيز بن معالي بن مَنينا صاحب قاضي المرستان . وأخوه عبد الواحد عن أبي البدر الكرخي) ، وقال الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١٢ : (وفي ليلة الثامن والعشرين من ذي الحجة [توفي] الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز بن معالي بن غنيمة بن الحسن البغدادي الأشناني المعروف بابن مَنينا ببغداد ودفن من الغد بمقبرة جامع المنصور ... ومَنينا بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون مفتوحة[٣]) .

٦٢ — وجاء في الصفحة ٣٠٢ في ترجمة الملك الأشرف الهمام خليل بن قلاوون الصالحي (فلما ارتفع النهار إذا بطُلْب كثير قد أقبله يقدُمُه زين الدين

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروفي البغدادي » الترجمة ٨٠ ص ٨١ » .

(٢) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ ، الورقة ٢١ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ١ ص ٩١،٩٢ » .

كتبغا) . ولم يضبط الشيخ كلمة (طلب) بل ضبط (يقدمه) والطُّلب لا يوصف بكلمة (كثير) وحدها وإنما يوصف بكثير العدد أو بكبير ، فالأصل إذن (وإذا بطُلب كبير) . جاء في مرآة الزمان (في مائة طلب كل طلب خمسمائة فارس [١]) . وذكر المستشرق الكبير دوزي (الطلب) بضم الطاء وتسكين اللام وجمعه على الأطلاب وأنه بحسب قول القريزي : كلمة كردية تعني أميراً معقوداً له لواء ويقود سرية من الفرسان وأن الكلمة شاعت في الشام ومصر في عصر صلاح الدين وما بعده .

٦٣ — وجاء في الصفحة [٢] ... مدح القاضي شهاب الدين محمود الحلبي للملك الأشرف لما افتتح عكاء وقد وردت هذه القصيدة في الكتاب الذي طبعته باسم الحوادث الجامعة (ص ٤٧٠) وبينها اختلاف يسير كان ينبغي للمعلق عليه أن يشير إليه ، ففي فوات الوفيات (كانت تخيلنا آمالنا فترى) وفي كتاب الحوادث (كانت تخيلها آمالنا فترى) وهذا أصح . وفي الفوات (أما الحروب فكم قد أنشأت فتناً) وفي الحوادث (أمُّ الحروب فكم قد أنشأت فتنا) وهو الصواب ، كما يقال : الخمر أم الخبائث . وفي الفوات (عارٌ وراحتهم ضرب من الضرب) وفي الحوادث (ضرب من الوصب) وهو الواضح المقبول وسقط من نصِّ الفوات بيت هو :

تسلموها فلم تخلُ الرقاب بها … من فتك منتقم أو كف منتهب

وفي الفوات :

مرفوعة نصبُوا أضغانهم فغدا … للكسر والحطم منهم كل منتصب

وما دخل الأضغان في الكسر والحطم ؟ وفي الحوادث (أضمافهـــا) يعني المجانيق ، وسقط بيت آخر هو :

(١) مختصر الجزء الثامن « ص ٦٩٥ طبعة حيدر أباد الدكن » .
(٢) لم يرد في أصل المقال رقم الصفحة . (المجلة)

وحالت النار في أرجائها وعلت فأطفأت مابصدر الدين من كُرَب

وفي الفوات :

وخلفت بالدم الأسوار فانقمت طيباً ولولا دماء الخبث لم تطب

وهو مصحّف والصواب :

وخلّقت بالدم الأسوار فانفغمت طيباً ولولا دماء الخبث لم تطب

فالتخليق من الخلوق لنوع الطيب المشهور والانفغام للطيب أيضاً وهذه رواية مؤلف الحوادث .

وفي الفوات :

الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت لك السعادة ملك الشرق والغرب

وفي الحوادث :

الله أعطاك ملك البرّ فابتدأت بك السعادة ملك البحر فارتقب

وفي الفوات :

(بكل فتح مبين المنح مرتقب) وفي الحوادث (مبين النجح) وهو أصح وأوضح وأملح من ذلك .

٦٤ ــ وجاء فيها ــ ص ٣٠٦ ــ :

وغاص زُرق القنا في زُرق أعينهم كأنها شَطَن تهوي إلى قُلُب

في الحاشية : (الشطن : الحبال) مع أنه ضبط الشطن بالتحريك أي الفتح فكيف يفسر المفرد بالجمع فالصواب (شُطُن) بضمتين ، وقد قاسه الشاعر اضطراراً على سُقف وأُسد لتقارب وزنيها .

٦٥ ــ اسمان للمكانِ من ملوك الفرس .

وفي الصفحة ٣٠٨ من تعليقه على قصيدة شهاب الدين الحلبي ونصها (كيقباذ وكيخسرو اسمان للمكان من ملوك الفرس) . الصواب : للملكين .

(١) الصواب : للملكين .

٦٦ — وجاء في الصفحة ٣١٨ في التعليق على ترجمة (راجح الحلي) الشاعر المشهور قول الشيخ : (ولراجح ترجمة قصيرة في شذرات الذهب ٥ : ١٢٣ سماه فيها شرف الدين راجح بن اسماعيل الحلي . (وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ ذكر فيها ما ذكره صاحب الشذرات وزاد) . وهذا القول الأخير يشعر القارئ غير الحافظ لسني الوفيات أن ابن تغري بردي عاش بعد ابن العماد صاحب الشذرات لأنه ذكر في كتابه ما ذكره صاحب الشذرات ، وهذا غير صحيح فابن تغري بردي توفي سنة (٨٧٤ هـ) . وابن العماد توفي سنة ١٠٨٩ هـ . والشيخ محمد محي الدين أعاد طبع وفيات الأعيان وسها عن أن ابن خلكان ترجم راجحاً الحلي استطراداً في ترجمة الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين بعد إيراده قصيدته البائية في رثاء الملك الظاهر المقدم ذكره . قال : (وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق ودفن بظاهرها بجوار مسجد التاريخ شرقي مصلى العيد ومولده في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة وهو من مشاهير شعراء عصره)[1] .

وليس مرادي أن أستدرك مراجع ترجمة راجح الحلي على الشيخ فلم يكن هذا وأمثاله من وكدي في هذا النقد . ولكني ذكرت ما كان الشيخ قميناً بعلمه لا غير لأنه أعاد طبع وفيات الأعيان كما ذكرتُ آنفاً .

(يتبع) مصطفى جواد



(١) الوفيات « ج ١ ص ٤٣٩ ، ٤٤٠ طبعة إيران وهي أصح الطبعات الى الآن » .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٤ —

١٠١) العَنْفَقَة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما بين الشفة السفلى والذقن لخفة شعرها . ج عَنافق .

في (ق) . — العَنْفَق ، خفة الشيء ومنه العنفقة لشُعَيْراتٍ بين الشفة السفلى والذقن .

★ ★ ★

١٠٢) الصَّبيّ

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — مستدق اللحي .

في (ق) . — . . . وناظر العين ، وعظم أسفل من شحمة الأذنين ، . . . وطرف اللحيين . ج أصْبية وأصْبٍ .

★ ★ ★

١٠٣) الذَّقَن

ف Menton (m.)

ز Chin

في الأصل . — مجتمع اللحيين .

في (ق) . — مجتمع اللحيين من أسفلها ويكسر . مذكر . ج أذقان .

في (ل) . — الجزء البارز من الوجه ، تحت الفم .

أضفت :

آ) ذَقَني (ذو علاقة بالذَّقَن)

ف Genien (qui a rapport au menton)

ز Pertaning to the chin; genial; genian

ب) رباط ذقني ، عُصابة ذقنية (= مُخَنِّق)

ف Mentonnier

ز Relating to the chin

★ ★ ★

١٠٤) الشَّجْرة

ف Fassette du menton

ز . . . . . .

في الأصل . — ملتقى الصَّبِيَّيْن (= النقرة في ذقن الصبي) ثم الحلق .

في (ق) . — الشجر محركةً ما بين اللحيين . والشجرة بسكون الجيم النقطة في ذقن الغلام .

في متن اللغة . — كما في القاموس .

قلت : ومثلها (النونة) انظر (الرقم ١١٦) .

★ ★ ★

١٠٥) الحَلْق

ف Gorge (f.)

ز Throath

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — الحلق ، الثوم ، والحُلْقوم .

في معجم متن اللغة . — مساغ الطعام والشراب في المريء . ج حلوق وأحلاق وحُلُق .

في (ل) . — هو القسم الأمامي من العنق .

أضفت :

١ — حلْقي

ف ، ز Guttural

٢ — حروف حلقية

[أ ح خ ع غ ه]

ف Lettres gutturales

ز Guttural letters or consonants

★ ★ ★

١٠٦) الجِران

ف ، ز . . . .

في الأصل . — ما أقبل على الصدر .

في (ق) . — جِران البعير مقدم عنقه من مَذْبحه إلى مَنْحَره .

★ ★ ★

١٠٧) النَّكَفَتان [المفرد : نكفة]

ف Parotide

ز Parotid gland

في الأصل . ـ غدتان في أصل اللِّهْد كاللوزتين .

في (ق) . ـ النكفتان بالضم وبالفتح وبالتحريك اللُّهْزِمتان عن يمين العنفقة وشمالها .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . ـ النكفة غدة لعابية موجودة أمام الأذن . شكلها مثلث وهي نموذج الغدد كالعنقود . من الوحشي يمر منها السُّباتي [١] والوريد الوداجي [٢] الخ . وهي التي تفرز اللعاب النكفي .

١) Carotide ٢ .) Jugulaire

ما أضفت :

١ ـ استطالات النكفة الماضغة

ف Prolongement massétérien de la parotide

ز Processus mendibularis parotidis

٢ ـ نُكاف (التهاب الغدة النكفية الساري)

ف Oreillons ; parotidite épidémique

ز Epidemic parotidis ; mumps

٣ ـ نُكافي

ف Ourlien

ز Pertaning to mumps

٤ ـ نَكَف

ف Ourles

ز Mumps

★ ★ ★

١٠٨) اللُّغْنُد

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — لم يُذكر له شرح .

في (ق) . — اللغد (بالضم) واللغدود (بالضم) واللِّغديد (بالكسر) ، لحمة في الحلق أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن ، أو ما طاف بأقصى الفم إلى الحلق من اللحم . ج لغاديد ، ألغاد . أو اللغد منتهى شحمة الأذن من أسفلها .

قلت : لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب خصصت (اللُّغْد) لشحمة الأذن لما يقابل :

ف Lobule ou bout de l'oreille

ز Ear - lap ; lobule of the ear ; lobe of the ear

★ ★ ★

١٠٩) الحُلْقوم

ف Gosier (m.)

ز Gullet ; throath

في الأصل . — الحلقوم متصل بالرئة وهو مخرج الريح .

في (ق) . — حلقمه قطع حلقومه ولم يُذكر له تعريف .

في معجم متن اللغة . — الحلقوم الحلق والميم زائدة وهو مجرى الطعام والشراب . ج حلاقيم .

في (ل) . — هو القسم الباطن من العنق ، يشتمل على البلعوم ومدخل المريء والحنجرة . ومن معانيه بالفرنسية : عضو الصوت .

ما أضفته :

١ — بُلْعُوم

ف Pharynx (m.)

ز Pharynx ; fauces ; throath

٢ — بلعوم أنفي

ف Naso . pharynx ; épipharynx

ز Pharyngonasal cavity ; epipharynx

٣ — بلعوم حنجري

ف Pharynx laryngé ; laryngopharynx

ز Laryngopharynx

٤ — بلعوم فَوْهي

ف Pharynx buccal ; oro - pharynx

ز Oro - pharynx

٥ — بلعومي

ف Pharyngien

ز Pharyngeal ; faucial

★ ★ ★

١١٠) المريء

ف Œsophage

ز Œsophagus ; esophagus

في الأصل . — المجرى ، مجرى الطعام من الحلق وأعلاه متصل بعكدة اللسان.

ملاحظتي . — قوله (المجرى مجرى الطعام) تعريفاً للشيء بالشيء لا يُحتمل وقوعه من المؤلف العالم . هذه ملاحظة أولى . فهو من خطأ النسخ . فالصحيح (المري) بدون (جيم) . فالناسخ صحّفها باضافة الجيم ذهولاً منه

لوجود (مجرى الطعام) بعدها . ثم إني لم أجد في المعاجم العربية ، للمجرى تعريفاً (ولو تلميحاً) يرادف المريء .

أما [المريء كأمير فهو مجرى الطعام والشراب وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم . ج أمرئة ومُرُوء كما في (ق)] . وهذا من (مَرَأَ الطعام مثلثة الراء ، مراءةً فهو مريء ، هنيء حميد المغبّة . وكَلأٌ مريء غير وخيم . ومَرُؤت الأرض مراءةً فهي مريئة حَسُنَ هواؤهـــا) . كل هذا دعاني لأضع الكلمة مصححةً في (الرقم ١١٠) ولم ينتبه إليها المحقق .

في (ل) . — المريء : أول قسم من الأنبوب الهضمي من البلعوم إلى سُدْفة المعدة . أعضاد هذا القسم الأمامية والخلفية متطابقتان احداهما على الأخرى بالحالة الطبيعية ، ولا تتباعدان إلاّ حين مرور الكتلة الطعامية .

ما أضفته :

١ — تشنج المريء

ف Œsophagisme

ز Œsophagism ; spasm of the œsophagus ; œsophageal spasm

٢ — شَقّ المريء

ف Œsophagotomie

ز Œsophagotomy

٣ — مريئي

ف Œsophagien

ز Œsophagical ; œsophageal

★ ★ ★

١١١) عَكَدَة اللسان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما اتصل بالحلق (ولم يُجعل عليها تشكيل) .

في (ق) . — العُكدة بالضم أصل الصمصم . وبالتحريك أصل اللسان وأصل القلب .

قلت : وضعتُها مشكولةً بالتحريك لينطبق عليها تعريف الأصل .

(انظر الرقم ٩٥) أيضاً .

★ ★ ★

١١٢) الحَنْجَرَة

ف ، ز Larynx (m.)

في الأصل . — ما غلظ من أعلى الحلقوم وأسفل اللسان والغلصمة .

في (ق) . — الحنجور السفط الصغير والحلقوم كالحنجرة . ج حناجر .

في (ل) . — عضو الصوت . وهي القسم من الرغامى ــ الشريان معلق على العظم اللامي ومحتو على قِطَع غضروفية (غضاريف درقية ، حلقية) التي تحمل الأوتار الصوتية .

أهم ما أضفته :

١ — التهاب الحنجرة

ف Laryngite

ز Laryngitis

٢ — تشنج الحنجرة

ف Laryngospasme ; spasme glottique

ز Laryngospasm ; spasm of glottis

٣ — تنظير الحنجرة

ف Laryngoscopie

ز Laryngoscopy

٤ — حنجرة بلعومية

ف ، ز Laryngo - pharynx

٥ — حنجري

ف Laryngé ; laryngien

ز Laryngeal

٦ — خَزْع الحنجرة (*)

ف ، ز Laryngotomie

★ ★ ★

١١٣) العنفقة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الشَّعَر تحت الشفة السفلى .

في (ق) . — شُعيرات بين الشفة السفلى والذقن .

ملاحظتي . — في الأصل وردت (الغلصمة العنفقة) كأنها مترادفتان . فأما الغلصمة فليس من معانيها ـ في المعاجم كلها ـ ما يجعلها مرادفة للعنفقة . فبالتأمل اتضح لي وجوب نقل (الغلصمة) إلى (الرقم ١١٢) تتمةً لما بعد (وأسفل اللسان ... والغلصمة) فيستقيم المعنى كما فعلتُ تصحيحاً فوضعتها في (الرقم ١١٢) في شرح الأصل . وحذفتها من (هـذا الرقم ١١٣) [أنظر أيضاً العنفقة في الرقم ١٠١] .

★ ★ ★

(*) قلت : الخزع هو القطع والكلمة الخاصة هي (تَقْب الحنجرة) أي ثقبها والثقيب ما ثُقِبَت غلصمته .

١١٤) الشارب

ف Moustache (f.)

ز Mustache ; mustachio

في الأصل . — الشعر الذي على الشفة العليا .

في (ق) . — الشوارب ما سال على الفم من الشعر وما طال من ناحيتي السَّبَلَة والسبلة كلها شارب .

في (ل) . — الشارب ، من الذقن : القسم الذي ينبت على الشفة العليا .

★ ★ ★

١١٥) النَّبَرة

ف . . . . . .

ز Pit of the lip

في الأصل . — النقرة (بالقاف) الحَزْمة على الشفة العليا .

في (ق) . — منقَطَع القَمَحْدُوة في القفا .

في معجم متن اللغة . — النقرة في القفا حفرة في آخر الدماغ منقطع القمحدوة وهو وهدة فيها . (ومعان عديدة أخرى ولا ذكر للشفة إطلاقاً) .

ملاحظتي . — النقرة ، في الأصل المطبوع ، خطأ عن النسخ والصحيح (النبرة ، وهي الحفرة في ظاهر الشفة العليا) . وأما (النُّقرة ، كالنقير والنِقر والأُنقور ، فهي النكتة في ظهر النواة) فوضعت الكلمة مصحجةً (في الرقم ١١٥) ولم ينتبه إليها المحقق .

قلت : يرادف النبرة ، الطُرْمة (مثلثةً) وهي النبرة في وسط الشفة العليا في (ق) . وهي بياض في وسط الشفة العليا ، وتسمى التي في السفلى : التُرْفة كما في (متن اللغة) . فهل هي البياض كما في المتن ، أم هي النبرة كما في (ق) ؟ وهل الطرمة والترفة شيء واحد أي هي النبرة للشفة العليا فحسب كما في (ق) أم الطرمة للشفة العليا ، والترفة للسفلى كما في (المتن) ؟

هذا وقد جاء في (كتاب المُثَنّى) لأبي الطيّب بن علي الحلبي اللغوي الذي حققه عز الدين التنوخي رحمه الله والمنشور في مجلة المجمع العلمي عام ١٩٦٠ المجلد ٣٥ ص ٤٤٦ ما يلي : (وقالوا : يقال للّحْمة المتدلية في وسط الشفة العليا : الطُرْمة ولمثلها من الشفة السفلى : التُرْفة . فإذا ثنّيْتها جميعاً قلتَ : لفلانٍ طُرْمتان ولم تقل تُرْفتان ، يغلّبون الطرمة على الترفة) ثم في الحاشية (١) من ص ٤٤٦ ما يلي : قال ابن المكرم في ل (طرم) : (والطرمة مثلثةً : نتوء في وسط الشفة العليا ، وهي في السفلى التُرفة فاذا جمعوا قالوا : طُرْمتين فغلّبوا لفظ الطُرمة على التُرفة) اهـ . وأقول : تأمل ، هذا الاختلاف البيّن في شرح كلمتين ، بين أن يكون : النبرة ، أو البياض ، أو اللَّحْمة أو النتوء في احدى الشفتين كلتيها أفلا يحق لنا أن نتساءل بعد هذا : أيهن أصح ؟ ! .

★ ★ ★

١١٦) الهَزْمة

ف ، ز

في الأصل . — النقرة على الشفة العليا [قلت الصحيح النبرة لا النقرة انظر الرقم ١١٥] .

في (ق) . — الهزمة ، الحفرة . من (هزمه يهزمه فانهزم ، غمزه بيده فصارت فيه حفرة . وكل موضع منهزِم منه : هَزْمة) .

في معجم متن اللغة . — الهزمة الحفرة التي تكوّنها الغمزة في الجسم . والنقرة في الصخر ، والثغرة في أعلى الصدر ، وفي التفاحة . ج هزمات . والخُنْعُبة وهي مشقّ ما بين الشاربين بحيال الوترة .

ملاحظتي . — الخنعبة هي النّونة أو الهنة المتدلية وسط الشفة العليا أو منشقّ ما بين الشاربين حيال الوَتَرة . والنونة النقرة الصغيرة في ذقن الصبي (كما في ق) . ومثلها (الشُّجْرة) انظر (الرقم ١٠٤) .

هذا وإن كان يراد من الهزمة : التي بين الترقوتين كما جاء في ملاحظة المحقق فهي (الثُغرة) بالثاء بعدها غين ، لا (النُقرة) بالنون بعدها قاف . فتكون (النقرة) مصحَّفةً ، صحيحها الثغرة بالضم وهي : نُقرة النحر بين الترقوتين ؛ ومن البعير هزمة يُنحر منها ؛ ومن الفرس فوق الجُؤْجُؤ (ق) .

★ ★ ★

١١٧) اللحية

ف Barbe (f.)

ز Beard

في الأصل . — لم يُذكر لها تعريف .

في (ق) . — شعر الخدين والذقن ج لِحىً ولُحىً . والنسبة لِحَوي . ورجل ألحى ولِحْياني طويلها أو عظيمها ، ولحية كَثَّة إذا كثف أصلها .

في (ل) . — شعر الذقن والخدين .

أضفت :

لِحْياني

ف Barbu

ز Bearded

★ ★ ★

١١٨) السِّناط

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الذي ليس في عارضيه من الشعر إلا القليل .

في (ق) . — بالكسر وبالضم كَوْسَج لا لحية له أصلاً . أو الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج ، وكذا السنوط والسنوطي بفتحها .

قلت : أما الكوسج فمُعرَّبة عن الفارسية (كُوسه) بالضم لمن ليس في وجهه شعر ولا شاربان . ومثله الثَّطّ كالأَثَط : الكوسج أو القليل شعر اللحية .

★ ★ ★

١١٩) الأسْنَط

ف Imbarbe ; glabre

ز Beardless

في الأصل . — (أشظ ، إذا لم يكن في وجهه شعر) .

ملاحظتي . — لم أجد (أشظ) في المعاجم التي بين يدي وأحسبها من خطأ النسخ . فهي مصحفة عن (أسنط) من (سَنُط ككرم فهو سنيط أسنط) . فالمؤلف جعل (السّناط – رقم ١١٨) لخفيف العارضين لم يبلغ حال الكوسج ؛ وخصّ (أسنط) لمن ليس في وجهه شعر حسبما جاء في شرحه في الأصل . [فالناسخ ظن السكون فوق السين ثلاث نقط (ٌ) فكتبها (ش) فانجرفت معه نقطة النون للطاء فكتبها (ظ) فصارت أسْنط (أشظ) بالتصحيف] . فوضعتها في (الرقم ١١٩) مصححةً كما بدا لي ، ولم ينتبه إليها المحقق .

★ ★ ★

١٢٠) لحية كثّة

ف Barbe hirsute

ز Hirsute beard

في الأصل . — إذا كثف أصلها .

قلت : والأُحْنَط : العظيم اللحية الكثّها .

★ ★ ★

١٢١) سُنّة الانسان : الوجه ، المُحيّا

ف ، ز Face ; visage

في الأصل . — سنّة الإنسان وجهه وهي قسمته .

في (ق) . — السنّة الوجه أو حرُّه أو دائرته أو الصورة أو الجبهة والجبينان . الخ من المعاني الكثيرة .

أما الوجه في (ق) : فمعروف . ومستقبل كل شيء ج أوجُه ووُجُوه وأُجوه .

وأما الجبهة ففي (ق) : موضع السجود من الوجـــه أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية .

وأما المحيّا في (ق) أيضاً : فهو كالمُحَمَّيّا جماعة الوجه أو حرُّه .

في متن اللغة . — السُّنَّة (من الشيء) : صورته ووجهه أو حُرُّه أو دائرته . ومن الخد : صفحته . والسنة : الجبهة والجبينان . والسنة : أمر الله وحكمه . والطريقة والسيرة والطبيعة . والسنة : الخط الأسود على متن الحمار ؛ والطريق سنَّهُ أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم ج سُنَن .

في (ل) . — الوجه ، الناحية الأمامية السفلية من الرأس . هيكله في الإنسان يشتمل على ١٤ عظماً متلاحمـــات فيما بينهن — إلا الفك السفلي — ومثبتات بمتانة في الجمجمة .

ما أضفته (في الضغة) :

١ — بُرْعُم جبهي

ف Bourgeon frontal

ز Frontal process or protuberance

٢ — برعم الفَكّ السفلي

ف Bourgeon maxillaire inférieur

ز Mandibular process

٣ — برعم الفك العلوي

ف Bourgeon maxillaire supérieur

ز Maxillary process

٤ — برعم الأنف الظاهر

ف Bourgeon nasal externe

ز Lateral nasal process

ـ ه — برعم الأنف الباطن

ف Bourgeon nasal interne
ز Median nasal process

وعلى وجه عام ، أضفت :

آ) وجه راحي

ف Face palmaire
ز Palmar, volar surface

ب) وجه طاحن (الأسنان)

ف Face triturante des dents
ز Bite plane, occlusal plane (of teeth)

ج) وُجَيْه

ف Facette
ز Facet ; facette

د) وَجْهي

ف ، ز Facial

ه) زاوية وجهيّة

ف Angle faciale
ز Facial angle

★ ★ ★

١٢٢) المسنون

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — من الوجه : القليل اللحم .

في (ق) . — رجل مسنون الوجه ، مملّسه حسَنُه سهلُه ، أو في وجهه وأنفه طول .

★ ★ ★

١٢٣) المكلثم

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — المستدير (من الوجه) .

في (ق) . — الكلثوم كزنبور الكثير لحم الخدين والوجه . والكلثمة : اجتماع لحم الوجه بلا جهومة .

★ ★ ★

١٢٤) الريان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — من الوجه ، الكثير الماء الحسن البشرة .

★ ★ ★

١٢٥) الأخيل

ف Lentigineux

ز Lentigineous ; freckly

في الأصل . — الذي فيه خيلان (المفرد خال) .

في (ق) . — الخال شامة في البدن ج خيلان وهو خيل ومخيل ومخيول وهي خيلاء .

في معجم متن اللغة . — الخال يذكر والأخيل هو الكثير الخيلان .

في لاروس ذي المجلدين . — من به خيلان .

قلت : الخال آفة في الجلد بلون أسود أو وردي ، بقعة بسيطة أو بارزة مشعرة ، يرادفها :

شامة

ف Grain de beauté

ز Boty spot , mole

ما أضفتـــه :

١ — الخال (شامَة ، وَحْمة)

ف Lentigo; naevus (marque de naissance)
ز Lentigo ; freckle

٢ — خال أنبوبي ؛ شامة انبوبية

ف Môle tubaire
ز Tubal mole

٣ — خال ، وَحْمة مشعَّرة

ف Naevus pileux
ز Pilose nevus ; hairy mole

٤ — خال وخيم ، شامة مخرِّبة

ف Môle destructive
ز Malignant mole

٥ — شامة زُنَّارية الشكل

ف Nævus zoniforme
ز Linear nevus ; nævus nervosus

٦ — شامة صباغية

ف Nævus pigmentaire
ز Pigmented mole

٧ — شامة ضخامية

ف Nævus hypertrophique
ز Naevus hypertrophicus

٨ — شامة عديمة اللون

ف Nævus achromique
ز Non pigmented nevus

٩ — شامة ناعمة

ف Nævus molluscum
ز Nevus molluscifomis

★ ★ ★

١٢٦) الأُنثَيان (= الأذنان)

ف Oreille (f.) ; organe de l'ouie
ز Ear ; organ of hearing

في الأصل . — الانثيان : الأذنان .

قلت : قد غلب إطلاق الأنثيين على الخصيتين كما في (ق) : الانثيان الخصيتان ، والأذنان (واحدها أذُن بالضم ، معروفة ، مؤنثة) .

في (ل) . — الأذن ، عضو السمع . وعلى التخصيص الجزء الخارجي من العضو على طرفي الرأس . والأذن في الإنسان والثدييات تتألف من ثلاثة أقسام :

الأول) أذن خارجية مع صَوان (١) ومجرى السمع (٢) المسدود بالطبلة (٣) .
الثاني) أذن وسطى وهي جوف (٤) (أو صندوقة الطبلة) (٥) يتصل بالبلعوم بوساطة بوق أو نفير (٦) أستاكيوس وفي هذا الجوف سلسلة من ثلاث عُظَيات (هن : مِطْرقة (٧) ، سَنْدان (٨) ، رِكاب (٩)) تنقل اهتزازات الطبلة إلى النافذة البيضوية (١٠) التي هي بدورها تنقلها إلى الأذن الداخلية .
الثالث) أذن داخلية (أو التّيه) وتحتوي على عضو التعديل (١١) (المؤلف من : قُرَيْبة (١٢) ، كيس صغير (١٣) ، قنوات نصف دائرية (١٤)) وعلى الجهاز السمعي (١٥) المؤلف من القوقعة (= المَحارة) المحتوية على خلايا قورتي السمعية المدباء اهـ . ما يوافق الأرقام بالفرنسية والانكليزية :

١) Pavillon (pinna ; auricle)
٢) Conduit auditif (auditory canal)
٣) Tympan (tympanum)
٤) Cavité (cavity)

٥) Caisse du tympan
٦) Trompe , trompette (tube , trumpet)
٧) Marteau (hanner)
٨) Enclume (anvil)
٩) Étrier (stirrup)
١٠) Fenêtre ovale (oval window)
١١) Organe d'équilibration
١٢) Utricule (utricule)
١٣) Saccule (vestibular saccule)
١٤) Canaux demi - circulaires (semi circular duct)
١٥) Appareil auditif (auditory, acoustic apparatus)

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (المقالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعتها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضيفاً إليها ما يوافقها بالانكليزية .

ملاحظة . — بعد ما أسرد ما ورد في أصل (المقالة) من الكلمات المتعلقة بالأذن ، سأضع ما يقابل المصطلحات العربية (التي وضعتها لجنة المصطلحات الطبية) بالفرنسية مضيفاً اليها ما يوافقها بالانكليزية .

★ ★ ★

١٢٧) الفرع

ف Bord supérieur de l'oreille
ز . . . . .

في الأصل . — من الأذن أعلاها حيث تنتهي غصون (بالصاد) .

قلت : غصون بالصاد المهملة خطأ والصواب (غضون) بالضاد المعجمة . المفرد (غَضْن ويحرك : كل تَثَنٍّ وتكسّر في ثوب أو درع أو جلد أو أذن أو غيرها وغضون الأذن متابتها كما في (ق) .

في (ق) ومتن اللغة . — الفرع من كل شيء : أعلاه . ومن الأذن أعلاها .

★ ★ ★

١٢٨) الغُضروف

ف Cartilage auriculaire

ز Auricular cartilage

في الأصل . — ما (حلب) من أعلى الأذن .

قلت : حلب بالحاء خطأ والصحيح (ما صلُب بالصاد) .

في (ق) . — كل عظم رخص يؤكل وهو مارن الأنف ، ورؤوس الأضلاع ورهابة الصدر ، وداخل قوف الأذن .

قلت : قُوف الأذن ، مستدار سمّها .

في متن اللغة . — كل عظم لين رخص في أي موضع كان (مارن الأنف ، رؤوس الأضلاع وما أشبه) .

في (ل) . — الغضروف نسيجٌ مقاوم ومطاط ، يؤلّف هيكل المُضغة قُبَيْل ظهور العظم ولا يبقى منه في الكهل سوى في صَوان الأذن ومارن الأنف وفي رؤوس العظام .

ملاحظتي . — بعد هذا الشرح العام ؛ الأصلح أن يقال (غضروف الأذن) تخصيصاً (وكذا غضروف الأنف ، غضروف العظم الخ) .

★ ★ ★

١٢٩) المَحارة (= الصَّدَفَة)

ف Limaçon (m.)

ز Snail ; cochlea

في الأصل . — المحارة ، الصدفة (محركةً) .

في (ق) . — المحارة جوف الأذن . والصدفة لحمةٌ تنبت في الشحمة عند الجمجمة كالغضاريف .

في (ل) . - الحلزون (= المحارة) جزء الأذن الداخلية كقوقعة البزّاق حيث يميَّز (حلزون عظمي وهو وقبة محفورة في العظم ، وحلزون غشائي في داخل هذا الأول فيه المتقبّلات السمعية أي عضو قورتي) .

ملاحظتي . — (المحارة ، والقوقعة ، والحلزون ، كل هذا مما خصصته لجنة المصطلحات الطبية لما يقابل الكلمة الفرنسية Limaçon المذكورة (في الرقم ١٢٩ هذا) .

★ ★ ★

١٣٠) الوَتِد

ف ، ز Tragus

في الأصل . — الشاخص في مقدّم الأذن وبين الوجه .

في (ق) . — الوتد بالفتح والتحريك وككتف : الهُنَيَّة الناشزة في مقدّم الأذن .

في متن اللغة . — الوتد والوتدة : الهنيّة الناشزة في مقدم الأذن مثل الثؤلول تلي أعلى العارض من اللحية .

في (ل) . — نُوَيْتِئ مثلث الشكل في الثقبة الخارجية لمجرى السمع .

★ ★ ★

١٣١) الصِّماخ

ف Méat (m.)

ز Meatus

في الأصل . — خرق الأذن الذي فيه السّم وهو ثقبها .

في (ق) . — الصماخ كالأصموخ خرق الأذن .

قلت : الخَرْت بالتاء بالفتح والضم ، أخص وأصلح . (فالخرت هو الثقب في الأذن) . وللخرق معان شتى وإن جاز استعماله على المصدر إسماً من خرقه

مَزَّقه والثوبَ شقّه .[وكذا الخُرْبة بالباء الموحدة ، سمة خرق الأذن]
[انظر الرقم ١٣٣] .

★ ★ ★

١٣٢) الشَّحْمة

ف Bout de l'oreille ; lobe de l'oreille ;
lobule de l'oreille

ز Ear - lap ; lobule of the ear ;
lobe of the ear

في الأصل . — ما تدلّى من أسفل الأذن .

في (ق) . — بعد معان شتى : ومن الأذن مُعَلَّق القرط .

قلت : الشّنف كذلك . فهو منتهى شحمة الأذن من أسفلها وقد خصصتها لجنة المصطلحات الطبية لما ذكرتُ من الفرنسية . كما خصصت حِجَّة الأذن لما يقابل (– Lobule de) .

في (ل) . — من الأذن الجزء الرخو المستدير الذي يعلّق فيه القرط .

★ ★ ★

١٣٣) الخُرْبة

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الحزبة (بالحاء المهملة والزاي) الثقب الذي يعلّق فيه القرط.

ملاحظتي . — ليس بين معاني كلمة (حَزَب) ما يمكن استعماله شرحاً لثقب الأذن الذي يعلّق فيه القرط فالحزبة كما في الأصل خطأ عن النسخ والصحيح (الخُرْبة بالخاء المعجمة والراء) وهي كل ثقب مستدير ، وسمة خرت الأذن ، ومن الإبرة ثقبها كخربها بفتح فسكون ، وخُرَّابتها بضم فتشديد الراء . وجاء في فقه اللغة للثعالبي في كلامه على الأذن أن الصماخ من فعل الخالق ، والخُرْبة من فعل المخلوق [انظر الرقم ١٣١] .

★ ★ ★

١٣٤) الحِتار

ف ، ز Helix (m .)

في الأصل . — الحتار حرف أعلى الأذن .

في (ق) . — الحتار من كل شيء كفافه وحرفه وما استدار به . والحَتْرَة مجتمع الشدقين .

قلت : على هذا فالأصلح أن يقال (حتار الأذن) تخصيصاً .

في (ل) . — هو الانثناء الذي يؤلف إطار صوان الأذن .

أم ما أضفته عن الأذن :

١ — أذن خارجية

ف Oreille externe
ز External ear

٢ — أذن داخلية (= تيه)

ف Oreille interne ; labyrinthe
ز Internal ear ; labyrinth

أقسامها :

١َ — أنبوب قوقعي

ف Tube cochléaire
ز Spiral canal of modiolus

٢َ — اخدود وعائي

ف Strie vasculaire
ز Stria vascularis

٣َ — تيه عظمي

ف Labyrinthe osseuse
ز Osseous labyrinth

٤ً — تيه غشائي

ف Labyrinthe membraneuse

ز Membranous labyrinth

٥ً — حصيات الأذن ، غبارات أذنية

ف Otolithes ; otoconies

ز Otoliths ; otoconia ; ear dust ; otolites

٦ً — خلايا ديترس الدعامية

ف Cellules de soutien de Deiters

ز Deiters ' supporting cells

٧ً — خلايا سمعية

ف Cellules auditives

ز Auditory cells

٨ً — خلايا كلوديوس

ف Cellules de Claudius

ز Claudius ' cells

٩ً — خلايا هنزن

ف Cellules de Hensen

ز Hensen's cells

١٠ً — دهليز عظمي

ف Vestibule osseux

ز Osseous vestibule

١١ً — دهليز غشائي

ف Vestibule membraneux

ز Membranous vestibule

١٢ً — صفحة حلزونية

ف Lame spirale

ز Lamina spiralis

١٣ً — صفحة قاعدية ، غشاء قاعدي

ف Lame basillaire
ز Basillar membrane

١٤ً — عضو قورتي

ف Organe de Corti
ز Spiral organ of corti

١٥ً — عقدة قورتي

ف Ganglion de Corti
ز Corti's ganglion

١٦ً — عُمُد قورتي

ف Piliers de Corti
ز Corti's pillars or rods : pillar cells

١٧ً — غشاء رَيْسنر

ف Membrane de Reissner
ز Reissner's vestibular membrane

١٨ً — غشاء ساتر

ف Membrane tectoria
ز Tectorial membrane

١٩ً — قُرَيْبة

ف ، ز Utricule

٢٠ً — قناة قوقعية

ف Canal cochléaire
ز Cochlear duct

٢١ً — قناة اللنفا الداخلية

ف Canal endolymphatique
ز Endolymphatic duct

٢٢ً — قنزُعة حلزونية

ف Crête spirale

ز Prominentia spiralis

٢٣ً — قنوات نصف دائرية عظمية

ف Canaux demi - circulaires osseux

ز Semi · circular canals

٢٤ً — قنوات نصف دائرية غشائية

ف Canaux demi - circulaires membraneux

ز Semicircular ducts

٢٥ً — ثوقعة عظمية ، محار عظمي

ف Limaçon osseux

ز Cochlea

٢٦ً — كييس صغير

ف ، ز Saccule

٢٧ً — مجرى السمع الباطن

ف Conduit auditif interne

ز Internal acoustic (auditory) meatus or canal

٢٨ً — مرقاة دِهليزية

ف Rampe vestibulaire

ز Scala vestibuli

٢٩ً — مرقاة طبلية ، سلّم طبلية

ف Rampe tympanique

ز Scala tympani

٣٠ً — نفَق قورتي

ف Tunnel de Corti

ز Corti's tunnel

٣ — أذن وسطى أو متوسطة

ف Oreille moyenne
ز Middle ear

يرادفها : آ) طبلة الأذن

ف Tympan
ز Tympanum

ب) جوف الطبلة

ف Cavité du tympan
ز Tympanic cavity

ج) صندوقة الطبلة

ف Caisse du tympan
ز Ear - drum

وعلى وجه عام أضفت :

١) اذني = متعلق بالأذن

ف Otique
ز Otic ; aural

٢) أذينة

ف Oreillete
ز Oricle of the heart

٣) التهاب الأذن

ف Otite
ز Otitis

٤) صلابة الأذن

ف Dur d'oreille
ز Dull of hearing ; hard of hearing

٥) طبيب الأذن ، آذاني

ف Otologiste

ز Otologist

٦) مبحث الأذن ، طب الأذن

ف ، ز Otologie ; otiatrie

٧) منظار الأذن

ف Otoscope ; speculum d'oreille

ز Otoscope ; ear - speculum

٨) ناتئ المطرقة

ف Apophyse du marteau

ز Process of the malleus

٩) وتيرة ، وترة الأذن

ف Anthélix

ز Anthelix ; antihelix

١٠) وَقْر = ثقل السَّمْع

ف Dureté de l'oreille

ز Hardness of hearing ; dullness of hearing ; paritial deafness

★ ★ ★

١٣٥) الأذن الخَذْواء

ف Oreille pendante

ز . . . . .

في الأصل . — (الخوذاء) بالخاء المعجمة بعدها واو ثم ذال : المسترخية .

ملاحظتي . — الخوذاء ، خطأ عن النسخ . والصحيح (خذواء) بالذال بعدها واو ، كما وضعتها مصححة في (الرقم ١٣٥) . من (خذا يخذو خذواً استرخى . وأذن خذواء وخذاوية بيّنة الخَذاء . خذيت أذنه كرضي خذاً ، استرخت من أصلها وانكسرت مقبلةً على الوجه يكون خِلقةً أو حَدَثاً) . وليس في كلمة (خوذ) من المعاني ما يصح اطلاقه نعتاً للأذن المسترخية . ومثلها (الأذن الخطلاء ، وهي المسترخية) .

والأُخذى هو بالفرنسية (Oreillard) وبالانكليزية (Lopeared) .

★ ★ ★

١٣٦) الأذن الشَّرْفاء

ف Oreille d'âne

ز . . . . .

في الأصل . — الضخمة .

في (ق) . — الطويلة .

في متن اللغة : — الشرفاء ، الناقة الضخمة الأذنين ؛ الأذن الطويلة عليها شعر.

★ ★ ★

١٣٧) الأذن الصَّمْعاء

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — الصغيرة اللطيفة .

في (ق) . — الصغيرة اللطيفة المنضمة إلى الرأس والسالفة .

★ ★ ★

١٣٨) الأذن السكّاء

ف ، ز . . . .

في الأصل . — أصغر من الصمعاء .

في (ق) . — السكّاء من الدروع ، الضيّقة . ومن الطرق ، المنسدّ . والسَّكَك محركةً صِغَر الأذن ولزوقها بالرأس وقلة إشرافها ، أو صغر قوب الأذن وضيق الصماخ وهي سكّاء .

قلت : وفي المثل (كل شَرْفاء وَلود ، وكل سكّاء بَيوض) . معنى هذا أن ذوات الآذان الظاهرة « من الإناث » وَلود ؛ اما ذوات الآذان الخفيّة فهن بَيوض « دجاج وسواها » .

ما أضفته (عن الأذن) زيادةً :

الأخْرم

ف Qui a les oreilles percées

ز . . . . . .

الأصْلم

ف Qui a les oreilles coupées

ز . . . . . .

الأقنف

ف Qui a les oreilles épaisses

ز . . . . .

أذن خَرْماء (الخرماء)

ف Oreille percée

ز . . . . . .

أذن قَنْفاء (القنفاء)

ف Oreille épaisse

ز . . . . . .

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي



الشيخ ناصيف اليازجي

بعض رسائله وقصائده التي لم تنشر

دعتنا جامعة هارفارد لكتابة بحث عن المعاهد والأعمال الثقافية الأمريكية في سورية الكبرى أثناء القرن التاسع عشر، فأخرجنا كتاباً باللغة الانكليزية طبع في مطبعة جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٦. (١) وقد أخرجنا قبل ذلك، برعاية جامعة لندن، كتاباً آخر عن المعاهد والأعمال الثقافية البريطانية في فلسطين أثناء القرن التاسع عشر طبع في المطبعة نفسها في سنة ١٩٦١.(٢) وقد وقفنا أثناء جمع مادة الكتابين والتنقيب في السجلات الرسمية وفي دفاتر الجمعيات الدينية والعلمية في لندن وادنبره وواشنطون ونيويورك وغيرها على حقائق جديدة وتوصلنا إلى استنتاجات تناقض بعض ما نُشر دون تحقيق وفصلنا ذلك كله في الكتابين.

وكان من أهم ما وقفنا عليه بين أوراق المبشرين الأمريكان حقائق جديدة عن الشيخ ناصيف اليازجي وعدداً من رسائله وبعض قصائده التي لم تنشر. أما الحقائق فمعظمها لا ذكر له في الكتب التي تترجم له في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى. وأما الرسائل فعددها تسع موجهة كلها إلى القس عالي سمث وتبين مسائل ذات صلة بالتعليم وتاريخ الأدب في سورية. وأما القصائد فعددها ثلاث واحدة منها على الأقل تستحق اهتمام الأدباء والمؤرخين على السواء.

---

(1) American Interests in Syria, 1800 — 1901.

(2) British Interests in Palestine, 1800 — 1901.

يقول معظم المؤلفين الذين ترجموا للشيخ ناصيف أنه ساعد المبشرين الأمريكان في ترجمة التوراة إلى اللغة العربية ، ولا يزيدون على ذلك ولا يبيّنون نوع مساعدة من لم يعرف سوى اللغة العربية . فلا غنىً عن توضيح ذلك وغيره ، فقد صرف الأمريكان قبل أن يصلوا إلى مشروع ترجمة التوراة نحو ربع قرن يستخدمون من يعلمهم اللغة العربية ومن يتولى التعليم في بعض المدارس الابتدائية التي أخذوا ينفقون على فتحها . وكان من هؤلاء طانيوس الحداد الذي صار معلماً في أول مدرسة فتحت في بيروت في سنة ١٨٢٦ . وكان من طلابها الأذكياء ميشيل عرمان ، فاختاره المبشرون أحد ستة كوّنوا منهم ما يشبه مدرسة داخلية في بيروت ، يتخرج منها الطالب معلماً أو واعظاً .

حاول المبشرون أن يستخدموا الشيخ ناصيف كما استخدموا طانيوس الحداد وأمثاله تمهيداً لإدخالهم في المذهب البروتستنتي ، ولكنهم وجدوا الشيخ ناصيف متحفظاً ، فقد أعرض عن الجواب عندما أرسل عالي سمث يرجو أن يقرئه مقامات الحريري . ولكن حوالى سنة ١٨٣٠ تمكن سمث من استخدام الشيخ في نسخ الكتب ، فبدأت بذلك صلة علمية مع المبشرين الأمريكان استمرت مدى الحياة دون أن تمس مسألة المذهب .

وكان الشيخ حينئذ يصيب شيئاً من راتب وظيفة كاتب في ديوان الأمير بشير وشيئاً من نسخ الكتب وشيئاً من تعليم من يقصده في منزله . فلم يكن بعدُ مُعْسراً مضطراً إلى خدمة الأمريكان دون غيرهم . وظلت صلته بهم مقصورة على نسخ الكتب حتى سنة ١٨٣٩ عندما لبى رجاء طانيوس الحداد فبدأ إقراء ميشيل عرمان شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، على نفقة الأمريكان .

وعندما سقط الأمير بشير في السنة التالية اضطر الشيخ ناصيف إلى الإقامة في بيروت وطلب الرزق فيها من أبواب النسخ والتعليم والتأليف .

فانتهز الأمريكان هذه الفرصة واستخدموه في أول الأمر مصححاً في مطبعتهم في الوقت الذي استخدموا فيه بطرس البستاني معلماً في مدرستهم في بيروت . ولكل منها مع المبشرين قصة طويلة ، شرحنا تلك ، الخاصة بالمعلم بطرس البستاني في بحث مطول في اللغة الانكليزية (١) ، وجعلنا هذا البحث خاصاً بالشيخ ناصيف .

وذكر استخدام الشيخ ناصيف في المطبعة الأمريكية يستوجب تصحيح بعض أوهام عنها تكرر ورودها حتى في كتب الباحثين . فالشائع أنها طبعت في مالطة ثم في بيروت كتباً في اللغة العربية كانت عاملاً في (إحياء التراث العربي) . وباعثاً للنهضة الحديثة . وهذا كله مخالف للحقيقة ، فسجلات المبشرين أنفسهم وقوائم الكتب التي طبعت في مالطة تثبت أن الكتب كلها كانت في اللغات الإيطالية واليونانية والأرمنية دون العربية . أما الكتب التي طبعت بهذه اللغة في مالطة فقد صدر بعضها من مطبعة جمعية تبشيرية انكليزية استخدمت فارس الشدياق مصححاً ، ومن مطابع تبشيرية أخرى .

أما في بيروت فالثابت من السجلات والقوائم أن المطبعة الأمريكية ظلت مكرسة للكتب الدينية الخاصة بطائفة البروتستانت ومنها الترجمة الامريكية للتوراة . ولم يطبع فيها شيء من (التراث العربي) بل صدر ما طبع منه حتى أول النصف الثاني من القرن التاسع عشر من بولاق واستانبول ، وبعد ذلك من المطابع الأهلية في بيروت وغيرها . ولكن للمطبعة الامريكية فضل في طبع بعض الكتب المدرسية في الرياضيات والطبيعيات استعملت في المدارس التي أسسها الأمريكان ، ثم في طبع كتب طبية وعلمية استعملت في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأمريكية الآن) . وفيها أيضاً طبع عدد من كتب الشيخ ناصيف وخاصة المدرسية منها .

(1) The American Missionaries in Beirut and Butrus al - Bustani (St. Antony's Papers No. 16, Oxford), p 137 — 182 .

ومن أول هذه الكتب كتاب في الصرف والنحو أكمله الشيخ ناصيف وسلمه للطبع في صيف ١٨٤٥ كما يتضح من كتابه المؤرخ في ١٦ آب إلى عالي سمث الذي كان حينئذٍ في أمريكا. ولعل الأمريكان أرادوا تسهيل مهمة المعلمين في مدارسهم فطلبوا من الشيخ ناصيف أن يضع لهم ما هو أسهل من الألفية وأيسر من الكتاب الذي كان عندئذ مستعملاً في مختلف المدارس النصرانية وهو (كتاب بحث المطالب وحث الطالب) للمطران جبريل فرحات الحلبي الماروني، وكانت مطبعة (بروباغندافيدي) الكاثوليكية في مالطة قد طبعته في سنة ١٨٣٦ .

وفيما يلي نص كتاب الشيخ ناصيف المذكور، باملائه وشكله وأغلاطه، نقلاً عن الصورة الشمسية التي بيدنا . وهذا الكتاب هو أوفى الكتب التسعة، ويثبت أن الشيخ أصبح بحاجة ماسة الى مال الأمريكان، لكنهم في صيف ١٨٤٥ كانوا في أزمة مالية اضطرتهم الى اغلاق بعض المدارس والحد من نشاط المطبعة وإيقاف رواتب بعض الموظفين السوريين ومنهم الشيخ ناصيف، فاقترح هذا الحصول له على مساعدة مالية من أمريكا أو انكلترا «لأجل تهذيب الناس وتنويرهم، في اللغة والأدب والتاريخ، دون الاقتصار على الأمور الدينية التبشيرية :

الجناب الأكرم حضرة سيدي الأجل المحترم حفظه الله تعالى .

غب إبلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق والسوال عن خاطركم الكريم إن شآ الله تكونوا بأحسن حال وأنعم بال وان تلطفتم بالسوال عن حال هذا المحب القديم فاننا حين تاريخه بحمد الله على كل خير غير أننا لا نقدر أن نصف ما عندنا من الوحشة والأشواق ونحن دايماً نتذكر ألطاف جنابكم وصحة مودتكم الأكيدة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا بروية وجهكم الكريم وأنتم بالخير والسلامة . ثم ان جنابكم قد فارقتمونا على أننا متى فرغنا من الكتاب الذي كتبناه في أصول العربية نرسله إلى جنابكم ونطلب شغل غيره

من الخواجا هويتن (١) . أما الكتاب فسلمناه الى الخواجا هرتر (٢) والظاهر أنه يوخر إرساله إلى أن يكون مرسل لكم حوايج في صندوق فيرسله معها خوفاً من زيادة المصروف وهذا لا نعلم متى يكون . وأما الشغل فقد وقع في يدنا نسخة لقاموس الفيروزبادي بخط جميل في الغاية مقابلة بأمر الأمير حسين بن رستم عن يد جماعة من العلماء كما هو مكتوب في آخر الكتاب فاجتهدنا أننا استقرضناه لكي ننسخه لجنابكم غير أننا أرسلنا سالنا جناب الخواجا هويتن انه إذا كان عنده شغل لنا الزم منه يرسل لنا إياه وإلا فنشتغل فيه لأننا فرغنا من شغل كتاب الصرف والنحو فحضر لنا جواب مع الخواجا طمسن (٣) ان مالنا عندهم شغل يخص الديانة وهم ما لهم اذن يصرفوا مال المجمع (٤) على أعمال خارجة عن الديانة . غير انه استحسن أن جنابكم تعرفون بعض أناس في أميركا وانكليتارا يصرفون على أعمال دنيوية مثل كتب تواريخ ولغة وفنون أدبية وانه يوجد جمعيات وأشخاص مفردة ينفقون على مثل ذلك لأجل تهذيب الناس وتنويرهم وان جنابكم تدبرون هذا التدبير مع وجودكم في [تلك] البلاد . ومن جهة نساخة القاموس حضر الخواجا لوري (٥) وأفهمنا أن تتم نساخته على كيس بعض الأخوة فأخـــذنا في تتميمها لأننا كنا ابتدينا فيها وقصدنا تعريف جنابكم عن ذلك لكي تدبروا ما يحسن عندكم لأننا لا نريد أن نترك شغل جنابكم الذي تعودنا عليه وتعود علينا من نحو خمسة عشر سنة من غير انقطاع ولو حصل لنا أربح منه أضعافاً نظراً إلى المحبة والألفة المعهودة . وها نحن قد عرفنا جنابكم والأمر

(1) George Whiting المبشر

(2) George Hurter مدير المطبعة

(3) William Thomson المبشر

(4) American Board of commissioners for Foreign Missions اسم المجمع

(5) Thomas Lourie المبشر

إليكم عما يشاء الله وكنا قد أصحبنا الكتاب بأبيات من الشعر فأردنا أن نذكر صورتها هنا وهي محررة في الوجه المقابل عساكم ترونها وعسانا نراكم بكل خير وسلامة ودمتم بحفظ الله . ه

المحب الداعي
ناصف
اليازجي
ه

١٦ اب سنة ٤٥

قف بين ريحان العقيق وضاله ... وقل السلام على العقيق وآله
وقل السلام على المنازل من فتىً ... لم يبقَ غير سلامه وسؤاله
ربعٌ وقفت منادياً أطلالهُ ... فبليت حتى صرت من أطلاله
قد كان لي صبرٌ كبعض سهوله ... واليوم لي شوقٌ كبعض جباله
لا تنكروا سلب الحبيب حشاشتي ... ماذا على متصرّفٍ في ماله
ركب النوى فحرمت نظرة وجهه ... ونفى الكرى فحرمت طيف خياله
من كان يهوى الغانيات فانني ... أهوى التي ليست تمرُّ بباله
الخايض الغمرات لم تبلُلْ له ... قدماً ولم تقطع شراك نعاله
سبّاق غاياتٍ ينــال بفعله ... ما لا ينال سواه في آماله
البرُّ بين لســانه وفؤاده ... والبحر بين يمينه وشماله
متأخرٌ في عصره متقــدم ... في فضله متفرد في حاله
ليس التفاوت في الزمان وإنما ... يقع التفاوت فيـه بين رجاله
بيني وبينك بحر ماءٍ زاخرٌ ... يا بحر عــلمٍ فاقه بزلاله
تبدو الجواهر منك بارزة لنا ... فوق الذي قد زُجَّ في أقفاله
عجباً له لم يحلُ لمّا خضته ... إن اللئيم مولّعٌ بخصاله
قد ضم منك الفُلك أفناناً كما ... ضمّت سفينة نوح من أجياله
شِيَم الليالي ان تباعد صاحباً ... حتى يكون زوالها كزواله
هي كالهباء فماسكٌ بحبالها ... تحت الرجاء كماسكٍ بحباله

من كان يعرف ما مضى من دهره أغناه عن مستقبل بثساله
يوم يمـــر كأمسه بغروره وغـد يمر كيومه بحـاله
يا من يودّع راحلاً لفراقه أترى رجوت تحيّةً لوصاله
هذا اليسير من الفراق وإنما سترى فراقاً ليس من أشكاله

★ ★ ★

لم يجب عالي سمث على هذا الكتاب والقصيدة ، ولكنه على ما يظهر أوصى زملاءه باستبقاء الشيخ ناصيف حرصاً على الاستفادة منه عند البدء في مشروع ترجمة التوراة ، بعد انفراج الأزمة المالية . ولكن الأزمة دامت نحو سنتين ، فلم يستطع الأمريكان في أثنائها أن يخصصوا للشيخ سوى مكافآت على شراء الكتب أو نسخها ، واجمال على استعمال نسخ كتاب الصرف والنحو الذي ظل مخطوطاً . وهذا كله مفصل في الكتابين التاليين نثبتها بنصها دون تغيير .

الجناب الأكرم دام محروساً

بعد ابلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق قبله أرسلنا إلى جنابكم كتاباً به نسأل عن خاطركم ونعرّفكم عن مباشرتنا نساخة قاموس الفيروزبادي الذي ما سمحوا لنا الخواجات بنساخته على كيس المجمع بدعواهم ان المجمع لا يدفع مصروفاً لغير الأعمال الدينية وعلى ذلك لم يَعُد لنا عندهم شغل إلا إذا كنتم تمينوا لنا نفقة من بعض المجامع القايمة لمثل هـــذه الأعمال الدنيوية في طرفكم وأصحبنا تحريرنا المذكور بأبيات من الشعر واعتذرنا عن تأخير ارسال الكتاب الذي راجمناه في علم العربية بانتظار الخواجات فرصةً لارساله مع حوائج أخَر يرسلونها إليكم ولم يحضر لنا جواب فخشينا أن لا يكون تحريرنا وصل إلى يدكم وبناء على ذلك اقتضى تحرير هـذه الأسطر والغاية القصوى أن نستفيد بها علم صحتكم التي لا نزال نسأل عنها

وندعو بها كما نسأل عن رجوعكم بالسلامة وندعو بتقريبه وعلى الله الإجابة والقبول ودمتم كما رمتم ه

٣ شباط سنة ٤٦

المحب الداعى
ناصيف
اليازجى
ه

يكرم براحات الجناب الأكرم الخواجا عالي سميث الاميركاني المحترم دام بقاه

بعد السوال عن خاطركم العزيز اننا كتبنا عن التاريخ (١) إلى صاحبه فاجاب انه إذا أردتم أن تكتبوا عنه إلى البلاد فليكن الثمن الف غرش فصاعداً على حسب ما يمكن لأنكم تعلمون انه يستحق أكثر من ذلك وهو واصل بعد أن تستكفوا من الوقوف عليه عرفونا كيف يحسن عند جنابكم كذلك الشماس مبارك طلب منكم الكتاب الذي كتبناه في النحو فارسلتم له النسخة السابقة التي كتبها ملحم وهي لا تخلو من اختلال في الخط من غلط النساخة وفيها بعض عبارات مختلفة عن النسخة التي سلمناها لجنابكم وهي الأصح والأولاد يريدون أن يأخذوا منها نُسَخ لاجل الدرس فيلزم أن يكون ذلك عن النسخة الصحيحة فاذا كان يمكن نرجوكم ارسال هذه النسخة تبقى عنده بعض أيام لكي ينسخ النحو فقط منها ويرجّعها تحت الحفظ لان النسخة التي أرسلتموها لا يريد أن يعلّم بها وليس عنده

(١) على الغالب هذه اشارة إلى كتاب « الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان » للأمير حيدر أحمد الشهابي ، وقد سماه الشيخ ناصيف « تاريخ الأمير حيدر » في كتاب آخر الى عالي سمث أخبره فيه مقدار ما تمّ نسخه من الكتاب .

الآن كتاب يوافق للتعليم غيرها فتوقفت المصلحة ونرجوكم تطمنونا على صحتكم وتهدوا منا جزيل السلام بالاكرام لحضرة المصونة والمحروس ودام بقاه .

٣٠ تموز سنة ٤٧ الداعي لجنابكم

ناصيف

اليازجي

في سنة ١٨٤٧ هذه ألّف المبشرون الامريكان لجنة برئاسة عالي سمث للبدء بترجمة التوراة ترجمة جديدة إلى اللغة العربية ، وعيّنوا لمساعدته المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي . فهل كانت الحاجة ماسة إلى هذه الترجمة ؟ وما هي مؤهلات كل من الرجال الثلاثة لهذا العمل ؟

تُرجمت التوراة إلى اللغة العربية قبل ذلك ، ومن أقدم الترجمات تلك التي ظهرت حوالي سنة ٧٥٠ للميلاد برعاية مطران اشبيلية . ومن أقدم الترجمات المطبوعة ما ظهر في باريس ولندن منذ القرن السابع عشر . ولعل أشهر الطبعات العربية تلك التي ظهرت لأول مرة في روما سنة ١٦٧١ . وقد أعيد طبعها مراراً حتى القرن التاسع عشر ، عندما جاء المبشرون البروتستانت من الانكليز والاميريكان إلى الشرق الأدنى العربي وأرادوا نشر مذهبهم بين النصارى العرب . فأخذوا يعيدون طبع التوراة كما صدرت من روما ، مع حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة ولا يعتبرها البروتستانت كذلك . وقد سبّب ذلك اضطراباً ومشاحنة في أنحاء سورية . فكان عرض الامريكان الاستغناء عن طبعة روما بحذف ما لا يناسبهم وإصدار الباقي من مطبعتهم محررا من بعض الأغلاط .

صرف عالي سمث نحو عشرين سنة منذ وصوله إلى سورية وهو يتعلم اللغة العربية حتى أتقنها كما يتبيّن من بعض رسائله فيها ، والتي نأمل نشر بعضها في مقالة أخرى . أما بطرس البستاني فقد تعلم في مدرسة عين ورقة المارونية ، اللغة العربية وشيئاً من السريانية واللاتينية والايطالية ، ثم تعلم من سمث وزملائه الانكليزية ومبادئ المذهب البروتستانتي الذي اعتنقه . أما ناصيف اليازجي فقد تعلم القراءة والكتابة على كاهن ، والطب القديم من أبيه عبد الله ، ولكنه بعد ذلك علّم نفسه بنفسه ، فقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي ، وظل محافظاً في الأمور اللغوية والدينية ، ولم يتعلم لغة أجنبية .

كان تعاون هؤلاء الثلاثة في ترجمة التوراة ابتداء من خريف ١٨٤٨ على هذا الوجه : يقدم البستاني مسودة يراجعها مع سمث ، ثم يحققها هذا مع اليازجي . والراجح ان البستاني اعتمد على الترجمات العربية التي كانت معروفة حينئذٍ ، لأنه لم يكن بعد قد تعلم شيئاً كافياً من العبرية أو اليونانية ويصح هذا القول أيضاً على سمث ، ولكن هذا كان يستشير زملاءه والاختصاصيين في مختلف البلاد .

أما المساعدة المطلوبة من الشيخ ناصيف فكانت مقصورة على تحرير الترجمة من الكلمات والعبارات التي لا يقبلها الذوق العربي السليم ، ولكن ظلت يده مغلولة بسبب القواعد التي وضعها المبشرون وأهمها اثنتان : عدم تغيير ما في الترجمات السابقة من كلمات وعبارات جعلها الاستعمال مألوفة ، تجنب اتخاذ الكلمات والعبارات القرآنية .

ودامت مدة استخدام الشيخ ناصيف نحو عشر سنوات انتهت بموت سمث في سنة ١٨٥٧ ، وكان الشيخ قد أصبح في أثناء ذلك موظفاً عند الأمريكان له راتب معين ، فقربه ذلك من سمث الذي كان حينئذٍ رئيسهم . وقد وجدنا بين أوراق سمث ثلاث رسائل من الشيخ يسأل فيها عن صحة سمث

وصحة زوجته وابنه ، ورسالة رابعة يطلب فيها سلفة راتب شهر لدفع أموال أميرية مقدارها خمسمئة قرشاً . نكتفي بالإشارة إلى هذه الرسائل ، ولكننا نثبت فيما يلي أبياتاً من قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً قدمها الشيخ إلى سمث بمناسبة عودته من أحد أسفاره بحراً ، وقد وجدنا القصيدة بين أوراق سمث أيضاً :

١ قد طلع البـدر من المغربِ فمن رأى هـذا ولم يعجبِ
٢ والبحر في البحر أتى راكباً فى طى(١) فلك طيب المشرب
٣ شخص ، إذا أقبل ، لكنّه من شخصه يخرج فى موكب
٨ احاط بالعـلم واسراره احاطة الهـالة بالكوكب
٩ اوشك ان يحصى لغات الورى من معجم فيهـا ومن معربِ
٢١ (٢)لابسـاً ثوبَ سوادٍ كما يلبس بدرٌ حلـّة الغيهب
٢٢ عالٍ سميت اسماً جديراً به وأنسب الأسمـاء بالأنسب
٢٣ هيـّجت بي في الشعر وجداً ولم يبق انـا لولاك من مأرب
٢٤ والشعر مثل المهر في خُلقه ان طال عهد الربط لم يُركب

ووجدنا بين أوراق سمث قصيدة أخرى للشيخ ناصيف وبخطه ، وهذه القصيدة فريدة في بابها نظراً لصناعتها ومادتها . وهي في اثني عشر دوراً اخترنا منها ستة نثبتها فيما يلي . والقصيدة كلها تشيد بنصر الدولة العثمانية على روسيا في حرب القرم سنة ١٨٥٦ ، وتمدح السلطان عبد المجيد الذي أعلن العدل والمساواة بين رعاياه في الخط الهمايوني :

٤ جادت الأيام بالعيش الخصيب وأتانا الله بالفتـح القريب
ولسان الحـال فينا كالخطيب قام يدعو لأمـير المؤمنين

دور

(١) ورد الكلمتان في الأصل بلا نقط . (المجلة)
(٢) يلاحظ أن البيت فيه خرم وهـو حذف أول الوتد من أول البحر السريع وكان الأصل : ولابساً . (المجلة)

٥ عين أعيـان الزمان المُصطفى غرّة الدنيـا وتاج الخلفا
قال ان الله حسبي وكفى فأتاه الله بالنصر المبـين

دور

٧ ملكٌ كالغيث قد أحيى البلاد وأقام العـدل ما بين العباد
وهو الغازى الذي اعتاد الجهاد وحباه الله بالروح الأمين

دور

٩ يا لهـا من دولة بين الدُوَل أشرقت كالشمس في برج الحمل
أحسنت في كل قولٍ وعمل انمـا الله يحب المحسنين

دور

١٠ دولة بالعـدل قامت والأمان إذ تولاّها سليمان الزمان
صارت الدنيا بها روض الجنان ورباها نزهـةٌ للناظرين

دور

١٢ متّع اللهم بالملك السعيد وأدِمْ سلطاننـا عبد المجيد
ربِّ واجعل ظلّه الوافى المديد سابغاً فوق جميـع العالمين

★ ★ ★

كان موت سمث نهاية توظيف الشيخ ناصيف عند الامريكان ، إذ لما عُيّن كونيليوس ڤانديك لإكمال عمل سمث في ترجمة التوراة لم يُجدد تعيين الشيخ ناصيف ولا تعيين المعلم بطرس ، بل اعتمد ڤانديك ، الذي أتقن اللغـة العربية اتقاناً مكّنه أن يؤلف فيها الكتب ، على مساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأما البستاني فقد استقلّ عن الامريكان وأسس مدرسة أهلية غير طائفية واشتغل بالتأليف والنشر ، وأما الشيخ ناصيف فقـد اكتفى بتعليم العربية في مدرسة البستاني وغيرها ، وانصرف إلى تأليف المزيد من الكتب المدرسية واللغوية . ولعل أقدم الاولى هو كتاب « فصل الخطاب في لغة الأعراب » الذي طبع لأول مرة في مالطه سنة ١٨٣٦ ، ثم طبع مراراً في بيروت .

والنماذج السابقة من نثر الشيخ ناصيف وشعره الذي لم ينشر جديرة باهتمام اللغويين والادباء والمؤرخين . وقلما يجد المدقق في الشعر ما يؤخذ على الشاعر ، ولكن نثر الرسائل فيه ركاكة وكلمات غير قاموسية وبعض الأغلاط التي يستغرب وقوعها . ولا يجوز لنا إرجاع ذلك إلى تهاون أو تبسيط لأن المكتوب له كان اعجمياً ، فالشيخ ناصيف كان يعلم حق العلم ان سمث تمكن من اللغة العربية تمكناً جعله يكتبها كأحد أدبائها . ولكن لا شك ان سبب ذلك سهو لا جهل . ونثبت فيما يلي نص كتاب غير مؤرخ ترد فيه عبارة « إذا كنتم تريدوا » ثلاث مرات ، بالاضافة إلى هفوات أخرى يراها القارىء في النص الآتي وصورته الشمسية المقابلة :

يكرم براحات الجناب الاكرم الخواجا سميث الامركاني المحترم دام بقاه

غب ابلاغ ما وجب ولاق انه قد وصل تحرير الجناب الكريم مع كتاب التاريخ المرسل ونحن نذكر ان تاريخ الامير حيدر الذي نسخناه كان إلى حد الفرنساوية وتاريخ القس حنانيا إلى مقاربة قتل جرجس باز فاذا كنتم تريدوا وصل تاريخ الأمير ببعضه يلزم أن نرجع إلى نهاية المنسوخ عندكم ونوصل الاول بالثاني غير ان هـذا الجزء الذي أرسلتموه ناقص بين سنة ١٢٠٩ وسنة ١٢١٨ وبينهما حديث الفرنساوية لانه كان سنة ١٢١٣ فربما توجد الأوراق الفاقدة منه عند صاحبه وإذا كنتم تريدوا وصله بتاريخ القس حنانيا فذلك أيسر غير ان الكتاب يكون لمورخَين وهذا لا باس منه لانه لا يلزمنا ذكر ذلك وإذا كنتم تريدوا أن يكون هذا مجلداً بذاته فلا باس غير انه كما نرى لا بد من الوقوف على نهاية الحديث الذي نريد أن نكمّله من هذا الكتاب على أحد الأوجه لأن الغالب على ظننا أن قتل جرجس باز غير مذكور في الذي نسخناه وهذا لا يتم إلا بحضور جنابكم إلى هذا الطرف فعرفونا ما يحسن ودام بقاكم (١) .

الداعي لجنابكم
ناصيف
اليازجي

(١) الكلمة في الأصل بلا نقط . (المجلة)

[illegible]

[illegible] انه قد وصل تحرير جنابكم الكريم مع كتاب التاريخ الكامل
ونحن نذكر ان تاريخ الامير حيدر الذي نسخناه كان الى عهد الفرنساوية وتاريخ [illegible]
خاليا الى محاربة قتل جرجس باز فاذا كنتم تريدون وصل تاريخ الامير بعضه لزم
ان ترجع الى نهاية المنسوخ عندكم وتوصل الاول بالثاني غير ان هذا الجزء
الذي ارسلتموه ناقص بين سنة ١٢٠٢ و١٢١٢ سنة وبينها حديث الفرنساوية لانه كان سنة ١٢١٣
[illegible] الاوراق [illegible] عند صاحبه فاذا كنتم تريدون وصله بتاريخ
[illegible] خاليا فذلك ليس غير ان الكتاب يكون لمورخين وهذا لا باس منه
لان الامير ما ذكر ذلك فاذا كنتم تريدون ان يكون هذا الجلد ابتداء فلا باس
غير انه لا بد من الوقوف على نهاية الحديث الذي تريدون ان تجعلوه من
هذا الكتاب على احد الاوجه لان الحادث على علمنا ان قتل جرجس باز
غير مذكور في الذي نسخناه وهذا الامر الا لمقصود حاصل في هذا الطرف
[illegible] بعدم [illegible]

[illegible]

صورة شمسية من نثر الشيخ ناصيف اليازجي

بقي أن نقول كلمة عن المرحلة الأخيرة من علاقة الشيخ ناصيف بالمبشرين الامريكان ، فبعد موت سمث أصبحت صلته بهم واهية ولكنها لم تنقطع ، إذ رجعوا إليه أحياناً لتصحيح بعض المطبوعات . وكانت آخر وظيفة تقلدها عندهم هي تدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي فتحت في آخر سنة ١٨٦٦ . والغالب انه تولى التدريس فيها في السنة العلمية الثانية فقط ، أي ١٨٦٧ — ١٨٦٨ ، لأنه لا ذكر لاسمه بين معلمي السنة الأولى ، وتقرير رئيس الكلية دانيال بلس عن السنة الثالثة يذكر الشيخ يوسف الأسير لا الشيخ ناصيف معلماً للغة العربية .(١) ولعل سبب التغيير ما جاء في تقرير بلس المؤرخ في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٨ : « يظهر ان الشيخ ناصيف ، على سعة علمه في اللغة العربية ، لا قدرة له على تعليم الطلاب أو تنبيه عقولهم لحب المعرفة » .

ومع هذا ربما اضطر الشيخ ناصيف إلى ترك التدريس من تلقاء نفسه ، لأن صحته قد ساءت حينئذٍ ، ثم أصيب بفالج عطله عن العمل والحركة في السنتين الأخيرتين من حياته ، قبل أن وافاه الأجل في شباط سنة ١٨٧١ .

عبد اللطيف الطيباوي



---

(١) اطلعنا على جميع تقارير دانيال بلس الخطية في خزانة رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت .

ملاحظات

على «الموسوعة العربية الميسرة»

— ٤ —

حرف السين

(٢٢٦) ص ٩٤٢ (ساد ... جندي فرنسي ... كتب فاضحة ، منها (بؤس الفضيلة) و (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) .

ومن التصحيح على هذا : أ — جندي : ضابط . ب — بؤس الفضيلة : حسنَتين (كذا) أو بؤس الفضيلة . د — (قصة جوليت) و (أزهار الرذيلة) : قصة (نجوليت أو ازدهار الرذيلة) .

(٢٢٧) ص ٩٤٢ (سارتر ... ومن رواياته : الغثيان ... وسبل الحرية .. ومن مسرحياته (الفاضلة) .. و (موتى بلا مدفن) .. ومن أشهرها (الذباب) .. وترجمت إلى العربية بعنوان (الندم) والأيدى القذرة .. ترجمت إلى العربية .

أ — الغثيان وسبل الحرية والفاضلة وموتى بلا مدفن ... مما ترجم إلى العربية وقد ترجمت الثانية بعنوان دروب الحرية والثالثة بعنوان البغي الفاضلة والرابعة بعنوان موتى بلا قبور .. وهي مما ترجمته دار الآداب ببيروت ، وترجمت لسارتر كثيراً غيرها .

ب — ترجمت الذباب بعنوان الذباب أيضاً .

(٢٢٨) ص ٩٤٥ (سافون ، أعظم شاعر يونانية ..) صحيح اللفظ سافو أو صافو .

(٢٢٩) ص ٩٤٧ (سامانيون ، أو الدولة السامانية) : السامانية (نسبة إلى سامان) .

(٢٣٠) ص ٩٤٨ (ساميون ... يشمل ... الأكاديين ... سرجون ملك آكاد ...) .

وردت (اكاد) في الموسوعة مرة بالهمز ومرة بالمد . ويبدو أن الهمز هو الصحيح .

(٢٣١) ص ٩٥٠ (سان سيمون ... أهم أعماله (خطابات من مقيم في جنيف) الصحيح : رسائل من ...

(٢٣٢) ص ٩٥٤ (ساند ، جورج ... روائية فرنسية ... أول قصتين لها : (السيدة الأولى) ١٨٣١ و (وردي وأبيض) كتبتهما بالاشتراك مع جول ساندو ... كتبت وحدها ... (أحاديث جدتي) ... و (الشتاء في ماجوركا ...) .

أ — ساند : صاند Sand تلفظ بالفرنسية أقرب الى الصـــاد .
ب — لم أعثر لها على قصة بعنوان (السيدة الأولى) ، ولم أقف على (وردي وأبيض) لأعرف الترجمة الصحيحة للعنوان : ولكن الذي لا شك فيه أن (أبيض) يجب أن تكون (بيضاء) لأنهـــا Rose et Blanche .
حـ — أحاديث جدتي : أحاديث جدة أو حكايات جـدة . د — الشتاء في ماجوركا : شتاء في ماجورك .

(٢٣٣) ص ٩٦٣ (ستاندال .. روائي فرنسي ... ومن أشهر السير التي ألفها سيرة هنري برولار) التي ترجمت الى لغات عدة .

أ — ستاندال : ستَنْدال Stendhal . ب — سيرة هنري برولار ... : توهم عبارة الموسوعة أن المترجم له فيهـــا شخص ما ، وهو لدى التحقيق ستندال نفسه ، وليذكر أن اسم ستندال الحقيقي : Henri Beyle :

(٢٣٤) ص ٩٧٠ (سجاح . . شاعرة أدبية ...) : سجاح ليست شاعرة ..

(٢٣٥) ص ٩٧٠ (سجع ... تواطؤ الفقرتين من النثر على حرف واحد ... والتزم الكتاب العباسيون السجع ، وظهرت مدرسة ابن العميد والصاحب ابن عبّاد التي اتصفت بسجع الفقرات ثم مدرسة القاضي الفاضل ... وعد السجع أعلى مرحلة من البلاغـــة فاتبعوه في مؤلفاتهم ، حتى المؤرخين في تواريخهم مثل العتبي وابن العماد ... » .

أ ــ تواطؤ الفقرتين : تواطؤ الفاصلتين (ينظر التلخيص للقزويني) . ب ــ لم يلتزم الكتاب العباسيون كلهم السجع ، ويكفي أن نذكر ابن المقفع والجاحظ ، ولذا وجب أن تقول الموسوعة : « التزم الكتاب المتأخرون من العصور العباسية السجع . . » . جـ ــ كلمة (مدرسة) لا دلالة لها ولا موجب (وان استعملها الزيات في كتابه تاريخ الأدب ...) د ــ أعلى مرحلة ... في العصور العباسية المتأخرة (وفيما يسمى بالفترة المظلمة ...) هـ ــ حتى المؤرخين : حتى المؤرخون . و ــ ابن العماد : العماد (أي العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ ، لأن ابن العماد وهو عبد الحي ... الحنبلي توفي سنة ١٠٨٩ وليس كلامه في كتابه « شذرات الذهب » سجعاً .

(٢٣٦) ص ٩٧٨ ، « سرفانتس ... رواية دون كيخوته ... أروع الكتب في الأدب العالمي » .

أ ــ دون كيخوته ت (مترجمة إلى العربية) . ب ــ أروع : من أروع .

(٢٣٧) ص ٩٧٩ « سركيس ، يوسف اليان ... له ... « معجم المطبوعات العربية والمعربة » ... لاشتماله على كل ما طبع باللغة العربية حتى عام ١٩٢٩ » .

أ ــ لم يشتمل على كل ما طبع ... فقد فات المؤلف شيء غير قليل ، وان المؤلف نفسه ضرب صفحاً « عن كتب الروايات الحديثة والكتب الدينية النصرانية ... ما خلا بعض حكايات لها علاقة بالتاريخ والأدب » وعن ذكر

« جميع الكتب المطبوعة في بلاد الهند وبلاد العجم .. طبع حجر ... وكذلك الكتب المطبوعة في المغرب بمدينة فاس ... » - ينظر التنبيه على الصفحة د من المعجم .

ب - ١٩٢٩ : ١٩١٩ .

(٢٣٨) ص ٩٨١ « سعد بن أبي وقاص ... فتح فارس بعد معركة القادسية ومعركة جلولاء . . » .

فتح سعد ما يعرف بالعراق ، أما فارس (إيران) فلم يفتحها سعد وإنما فتحها قادة آخرون منهم النعمان بن مقرن وحُذيفة بن اليمان ...

(٢٣٩) ص ٩٨٢ « سعدي الشيرازي ، أحد أنبياء الشعر الثلاثة عند الفرس (الفردوسي وأنوري) ... عاصر محنة غزو المغول للعالم الإسلامي ودخولهم بغداد التي رثاها ... كتب كتابيه « الكلستان » و « البستان » ... عني الترك بكتبه فترجموها وشرحوها ، وكذلك ترجمت هـــذه الكتب إلى العربية » .

أ - يُذكر سعدي على أنه أحد الشعراء الكبار الثلاثة . وهذا ما يمكن أن يوجه لقارئ موسوعة ميسرة لأنه هو الشائع المعروف المقرر لدى الفرس أنفسهم ، أما مسألة « الأنبياء الثلاثة » فهي خاصة ليس لها من ذيوع الدلالة ما للشعراء الكبار الثلاثة .

ب - الكلستان : گلستان ، ولا تدخل عليها « ال » وإذا دخلت بقيت خارج القوسين . ومناسب أن تترجم إلى العربية كأن يقال (الروضة) كما فعل سعدي نفسه ، وكما فعل الأستاذ محمد موسى هنداوي لدي ترجمته العربية ، أما محمد الفراتي فقد جعل عنوان ترجمته (روضة الورد) - ولا بد من النص على أن (گلستان) كتاب نثري .

جـ - البستان : بوستان أو الـ (بوستان) لأن (البستان) العربيـــة (أو المعربة) ليست دقيقة فيما قصد إليه سعدي أي (مكان الرائحة) الطيبة ... - وبوستان ديوان شعر .

د ــ عني الأتراك ... : كانت عناية الترك فائقة ، ولكن عناية الهند جديرة أن تذكر ... وعناية الغرب كذلك .

هـ ــ لم تترجم كتب سعدي (كلها) الى العربية .

و ــ مناسب جداً أن تذكر ـ وهي تكتب لعرب ـ أن لسعدي شعراً باللغة العربية ...

(٢٤٠) ص ٩٨٢ (سعود بن عبد العزيز ... خلف أباه الملك عبد العزيز ابن سعود ..) .

الصحيح عبد العزيز بن عبد الرحمن (الفيصل آل سعود) .

(٢٤١) ص ٩٨٦ (السكاكي ... كتابه (مفتاح العلوم) .... ألف حوله كثير من الشروح والمختصرات والتعليقات ...) .

مفتاح العلوم ـ ط . والذي ألف حوله (كله) شرحاً وتلخيصاً قليل (ينظر حاجي خليفة ٣ : ١٧٦٣) لم يطبع منها شيء . أما الكثير فكان حول قسم منه ، القسم الثالث ، قسم المعاني والبيان .. (ينظر حاجي خليفة) وقد طبع كثير من الشرح والتلخيص للقزويني والتفتازاني وغيرهما .

(٢٤٢) ص ٩٩٣ (سكينة بنت الحسين . نبيلة شاعرة ...) : ليست سكينة شاعرة وأخشى أن يكون مرد الموسوعة أنها كانت تجتمع الى الشعراء أو ما روي أنهـــا (كانت أحسن الناس شَعراً . . .) ـ ينظر الأغاني ط . دار الكتب ١٦ : ١٤٤ .

(٢٤٣) ص ٩٩٣ (سلاجقه ... وفي سنة ١٠٥٥ استنجد الخليفة العباسي القائم بزعيمهم طغرلبك ، للتخلص من سيطرة البويهين ... تمكن السلاجقة بزعامة ألب أرسلان ... من فتح الكرج وهزموا البيزنطيين في معركة ملاذكرد وأسروا الامبراطور البيزنطي رومانوس ...)

أ ــ لم يثبت (ولم يصح) أن الخليفة العباسي استنجـــد بطغرلبك ـ والترحيب غير الاستنجاد .

ب — لم تكن للبويهيين (والملك الرحيم) سيطرة تذكر على الخليفة العباسي أيام طغرلبك وزحف السلاجقة .

جـ — ملاذكرد : ملازكرد (ينظر ابن الأثير ـ ط . الاستقامة ٨ : ١٠٩ عام ٤٦٣ . (أما ياقوت ـ معجم البلدان فيقول مَنازْجِرد ... وأهله يقولون منازكرد ...)

د — رومانوس : يسميه العرب أرمانوس (ينظر ابن الأثير ...)

(٢٤٤) ص ٩٩٨ (سلاي ... شاعر فرنسي من جماعة البرانس) : پارناس .

(٢٤٥) ص ٩٩٨ (سلمان الفارسي ... كان ... من مؤسسي التصوف ...

لم يقل أحد أن سلمان الفارسي من مؤسسي التصوف ، لأن التصوف بالمعنى الصحيح غير الزهد والتقشف ، ولم يبدأ أيام سلمان . والفرق كبير بين أن يكون سلمان من مؤسسي التصوف وأن يعتز متصوفة به ويدّعوه ـ ان الموسوعة الميسرة نفسها لم تذكر سلمان الفارسي لدى حديثها عن (التصوف) ص ٥٢٥ .

(٢٤٦) ص ١٠٠٣ (السماوي ، محمد ... شاعر عراقي ... له دواوين مطبوعة ...)

أ — ليس للسماوي ديوان مطبوع . ب — ديوانه مخطوط . جـ — الذي طبع له منظومات وأراجيز دينية تدخل فيما يسمى بالشعر التعليمي ـ ينظر علي الخاقاني ، شعراء الغري ١٠ : ٤٧٥ — ٥٠٣ ، رفائيل بطي ـ الأدب العصري ٢ : ٢٣ . هـ — يقترن بذكر السماوي ذكر الكتب والمخطوطات والنسخ .

(٢٤٧) ص ١٠١٦ (السمهودي ... له ... (الوفا بأخبار المصطفى) .

العنوان الصحيح : (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) ـ ط . اختصر به كتاباً له باسم : (اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) ـ وهو في عداد المفقودات .

(٢٤٨) ص ١٠١٧ (سميراميس ...) . لم تذكر الموسوعة ما اقترن باسمها من تشييد (الجنائن المعلقة) ببابل ـ وهي تعد في عجائب الدنيا .

(٢٤٩) ص ١٠١٨ (سنان : أحد أبناء ثابت بن قرة الحراني . كان يحلق بأبيه في معرفته بالعلوم وتمهره في الطب) .

يحلق : يلحق (ينظر ابن أبي أصيبعة ـ عيون الأنباء) .

(٢٥٠) ص ١٠١٩ (سنت اكسوبيرى ... كتب (بريد الجنوب) و (هروب الليل) .. و (قبطان الحرب) .. (الأمير الصغير) ...

أ ـ سنت اكسوبيري : سنت اكزوپَري Sainte - Exupéry .

ب ـ هروب الليل : طيران الليل Vol de nuit (وهي مترجمة إلى العربية) ...

(٢٥١) ص ١٠١٩ (سنت بيف ... ناقد ومؤرخ أدبي فرنسي ... كتب أحاديث الاثنين الأولى والجديدة ...) .

أ ـ أحاديث الاثنين الأولى والجديدة : (أحاديث الاثنين) و (أثانين جديدة) .

ب ـ أهملت الموسوعة ذكر كتابه پور رويال (Port - Royal) وهو مهم جداً حتى رأى المؤلف نفسه ، ويعتز به اعتزازاً خاصاً .

(٢٥٢) ص ١٠٢١ (سنجر ... انتصر على ابن أخيه في معركة ساوي ...)

ساوى : ساوة (وينظر ابن الأثير ـ ط . الاستقامة ٨ : ٢٨٧ عام ٥١٣) .

(٢٥٣) ص ١٠٢٩ (سوخوم ... عاصمة جمهورية انجاز ...)

انجاز : ابخاز (وقد يحسن أن يقال بلاد الأبخاز أو أبخازيا) .

(٢٥٤) ص ١٠٣١ (السوربون : اسم يطلق غالباً على جامعة باريس) . ليس الإطلاق صحيحاً ، وإنما هو (أو هي) جزء من جامعة باريس .

(٢٥٥) ص ١٠٣٢ (السوريانية : لغة آرامية ...) .

الصحيح : السريانية (لغة الآراميين) .

(٢٥٦) ص ١٠٣٤ (سوفوكليس ... وصلنا من مسرحياته سبع ...)

أ ـ وصلنا : وصل إلينا ب ـ ترجم الدكتور طه حسين ستاً من مسرحياته ...

(٢٥٧) ص ١٠٤٥ (سيبويه ، عمر بن عثمان ... ولد بالبيضاء من مدن شيراز ...)

أ — عمر : عمرو . ب — ولد بالبيضاء : (وقيل إن ولادته كانت بالبيضاء) — ابن خلكان ٣ : ١٣٤ — ٥ ، وينظر الخطيب البغدادي ١٢ : ١٩٥ .

حرف الشين

(٢٥٨) ص ١٠٦٢ « شاتوبريان . . كاتب فرنسي ... كتبه ... (أتلا) و (درينيه) ... »

الصحيح أتالا Atala ، رَنَ (اورَنه) René — مترجمان الى العربية .

(٢٥٩) ص ١٠٧٣ (شبلي شميل ١٨٥٠ — ١٩١٧ ...) . يجعل الزركلي في الأعلام ٣ : ٢٢٧ ولادته عام ١٨٥٣ ، وكحالة في معجم المؤلفين عام ١٨٦٠ . ولم تذكر الموسوعة بين كتبه المهمة : (فلسفة النشوء والارتقاء) .

(٢٦٠) ص ١٠٧٤ (شتاينبيك ... رواياته ... (أعناب الغضب) ... (في مغيب القمر) ترجمت الى العربية .

أ — شتاينبيك : شتاينبك (Steinbeck) . ب — اعناب الغضب : ترجمت إلى العربية بعنوان (عناقيد الغضب) . ج — في مغيب القمر ترجمت مرة أخرى بعنوان أفول القمر . د — مما ترجم له أيضاً : مراعي السماء ، العاقر ، شارع السردين المعلب ، اللؤلؤة .

(٢٦١) ص ١٠٧٨ (الشدياق ....) لم تذكر له الموسوعة (الساق على الساق ...) .

(٢٦٢) ص ١٠٨٣ (الشريف الرضي ... درس اللغة والفقه والحديث والأدب وأخذ عن الفارسي والربعي وابن جني والمرزباني ... وكان إمامياً معتزلياً ... جمع من المختارات الأدبية : (المجازات النبوية ... وكتب التفسير : ... (تلخيص البيان في مجاز القرآن) ...

أ ـ أخذ عن الفارسي ... هؤلاء أساتذة اللغة (والأدب) ، ولم تذكر الموسوعة أساتذته في الفروع الأخرى وأهملت ذكر الشيخ المفيد وهو اسم لا يمكن أن يهمل . ب ـ لا داعي إلى الإلحـــاح على اعتزال الشريف (في موسوعة ميسرة بخاصة) . جـ ـ ليس (المجازات النبوية) من المختارات الأدبية وإنما هو بيان لما في الأحاديث النبوية من استعارات ... د ـ وليس تلخيص البيان .. تفسيراً بالمعنى المألوف للتفسير وإنما هو كما يدل عليه عنوانه ـ والكتابان ـ ط .

(٢٦٣) ص ١٠٨٣ (الشريف المرتضى ... وأشهر كتبه الأدبية أماليه المسماة (درر القلائد وغرر الفوائد) ... وله ديوان شعر كبير) .

أ ـ درر القلائد وغرر الفوائد : غرر الفوائد ودرر القلائد ـ ط .

ب ـ ديوانه ـ ط .

(٢٦٤) ص ١٠٩٦ (الشنفرى ... شهر بسرعة الجري) : شدة العدو (قيل : أعدى من الشنفرى) .

(٢٦٥) ص ١٠٩٧ (شينيه ، اندريه ... أمر روبسيير بالقبض عليه) : شنيه ، اندره André Chénier ... روبسپير .

(٢٦٦) ص ١٠٩٨ (شهرزاد ... ألف ليلة وليلة ... بمجرد ذيوع ترجمة جالان لليالي استلهم المؤلفون قصة شهرزاد أمثال بيير لويس وجونيه ودي رونيه في فرنسا ... واستلهم كتاب العربيـة حديثاً قصتها فاستوحاها طه حسين في أحلام شهرزاد والقصر المسحور . وتوفيق الحكيم في مسرحيته) .

أ ـ يفهم من القول بمجرد ... الخ المعاصرة بين جالان وبيير لويس أو المعاصرة بين ذيوع الترجمة وبيير لويس ، وهذا غير صحيح ، فقد ترجم جالان ألف ليلة وليلة سنة ١٧٠٤ (ولنقل انه انتهى منها سنة ١٧١٧)

وقد عرفت وذاعت في عصره (ولنقل أواسط القرن الثامن عشر) ، ويعد پيير لويس Louys من كتّاب القرن العشرين (١٨٧٠ — ١٩٢٥) ونشر كتابه المقصود Les Aventures du roi Pausole سنة ١٩٠١ . أما دي رونيه (وصحيحه دي رنيه H. de Régnier) فقد توفي سنة ١٩٣٠ . وصحيح جونيه : جوتيه Gautier (١٨١١ — ١٨٧٢) .

ب — لم يؤلف طه حسين وحده القصر المسحور وإنما ألفه بالاشتراك مع توفيق الحكيم . ج — في مسرحيته : في مسرحيته شهرزاد) .

(٢٦٧) ١٠٩٩ (شو ... ومن مسرحياته ... بيت الأرامل) التي ترجمت إلى العربية ... ثم ... (القديسة جان دارك) ... وترجمت إلى العربية ...)

أ — مما ترجم لشو : كانديدا . ب — القديسة جان دارك : القديسة جان Saint Joan ، أما الترجمة العربية فقد صدرت بعنوان (جان دارك) فقط .

(٢٦٨) ص ١١٠١ (شوقي ، أحمد ...) توهم كتابة الاسم على هذه الصورة بأن شوقي اسم الأب وأحمد اسم الابن ، والحقيقة أن أحمد شوقي اسم واحد . ولم تذكر الموسوعة (الشوقيات) بين آثاره ـ وهي أهم ما يذكر .

(٢٦٩) ص ١١٠٥ (الشيرازى ، صدر الدين ... أكبر فلاسفة الفرس في عصر الصفويين والقاجريين يعرف بالخوند وملا ...)

الصحيح أ — يمكن أن يعد أكبر فلاسفة الفرس ... في (التصوف ممثــلاً في الإشراق . ب — القاجريين : القاجاريين . ج — الخوند : الـ « آخند » (أو آخوند) .

الدكتور علي جواد الطاهر



شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

مقدمة في نشأة شعر الوقوف على الأطلال

الحب عاطفة كبيرة من عواطف النفس الإنسانية .. ولعله أقوى هذه العواطف إطلاقاً . وقد شعر بها الناس في جميع الأزمان شعوراً قوياً . ولا يضاهيها في ذلك عاطفة من العواطف الأخرى . ويستغرق الحب من فنون الأدب العالمي، قديمه وحديثه ، شيئاً كثيراً ، ويشغل فيه حيزاً كبيراً .

والمرأة المحبوبة أو الإنسان المحبوب يصبح كائناً ممتازاً ، ويكتسب قيمة جديدة ليست للإنسان العادي . يسبغها عليه صاحب الحب في شيء كثير من الخيال . والأشياء التي يكون لها علاقة بهذا الإنسان المحبوب تكتسب هي أيضاً هذا الامتياز ، وهذه القيمة الجديدة ، بالقياس إلى الأشياء الأخرى . وتغدو بذلك ذات قدرة على إثارة الإحساسات والمشاعر التي يثيرها الإنسان المحبوب نفسه ، وعلى إثارة إحساسات ومشاعر خاصة أخرى .

وهذه الأشياء التي لها علاقة بالإنسان المحبوب تتمثل في بعض أدوات خاصة ، ذات قوة على الرمز والإيحاء ، مثل : الثياب والمناديل والهدايا المختلفة وغيرها . وتتمثل أيضاً في بعض حوادث معينة رافقت أطواراً في حياة الإنسان المحبوب . وتتمثل كذلك في أماكن خاصة شهدت جانباً من هذه الحياة ، وصارت كلها ذات قدرة على إيقاظ الذكرى .

وفي كل هذه الحالات يكون الإنسان المحبوب هو مبعثَ الإحساسات والمشاعر . وليست هذه الأشياء سوى وسائلَ للرمز إليه .

والدار التي قضى المحبوب شطراً من حياته في جنباتها من أبرز هـذه الأشياء وأقواها على إثارة الحنين والذكريات . قال نصيب الأسود الشاعر (١) :

أما والذي حَجَّ المُلَبُّونَ بيتَهُ وعلَّمَ أيامَ الذبائحِ والنَّحْرِ
لقد زادني للغَمْرِ حبًا وأهلِهِ ليالٍ أقامَتْهنَّ ليلى على الغَمْرِ
وهل يأْثَمَنِّي اللهُ في أن ذكرتها وعلَّلْتُ أصحابي بها ليلةَ النَّفْرِ
وسكَّنتُما بي من كلالٍ ومن كرى وما بالمطايا من جُنوحٍ ولا فَتْرِ

ويبدو لي أن هذا الحنين الذي يشعر به الإنسان في دار الحبيب ، بعد أن خلت هذه الدار من الحبيب ، هو الأصل وهو السر العميق في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، والبكاء عليها ، في الشعر العربي القديم .

ولسائل أن يسألنا الآن : إذا كان هذا الحنين الذي ينشأ في كل نفس إنسانية هو السبب في نشأة شعر الوقوف على الأطلال فما بال هذا الشعر قد ظهر عند العرب ، ولم يظهر عند غيرهم من الأمم ؟

ولنا أن نجيب على هذا السؤال بأن هذا الحنين هو الأساس الذي يقوم عليه شعر الوقوف على الأطلال في الحقيقة ، لأن هذا الشعر مرتبط بشعر الغزل ، ومتصل به دائماً في الأدب العربي ، ولا نجده قائماً بذاته وحده . فهو يأتي قبل الغزل في أغلب الأحيان ، ويأتي في ثنايا أبيات الغزل في بعض الأحيان . ويكون متصلاً به على كل حال . ولكن هذا الحنين الدفين في أعماق القلب ، الذي هو الأساس الأول في نشأة شعر الوقوف على الأطلال ، ليس

---

(١) الأبيات في لسان العرب (غمر) وانظر أمالي القالي ٢/٢٠٣ .

شرطاً كافياً ، وإنما هناك شروط أخرى ، وجدت في حياة العرب ، ولم توجد عند غيرهم من الأمم . هذه الشروط تتمثل في حياة العرب الاجتماعية التي كانوا يحيونها في البادية .

فقد طبعت بيئة البادية حياة العرب الاجتماعية في الجاهلية بطابع خاص ، بدا أثره في جميع أنماط هذه الحياة . وتقوم حياة البادية على رعي الإبل والأغنام في الوديان التي تنبت الكلأ في مواسم المطر . فكان الأعراب من أصحاب الإبل والأغنام يرتحلون بأموالهم وأهليهم يتبعون مواقع الغيث ، ومنابت الكلأ . وهذه الرحلة تسمى « النُّجْعَة » . ثم ينتقلون بها جميعاً من مكان إلى مكان ، حتى يعودوا إلى منازلهم الأولى في الصيف ، ويقيموا فيها على مياههم من الآبار وغيرها .

ومن حياة التبدي للنجعة ، ثم الارتحال في البادية من موضع إلى موضع طلباً للماء والكلأ ، ثم الرجوع إلى المحاضر قرب المياه الدائمة في شهور الصيف نشأ شعر الوقوف على الأطلال في الشعر العربي في الجاهلية . ونفسر ذلك فيما يلي في تفصيل وفضل بيان .

لقد قسمت النجعة أيام السنة في حياة العرب إلى قسمين اثنين :

١ — حياة التبدي : وهي الخروج إلى البادية بالأموال في مواسم المطر للرعي وطلب الماء في الوديان والرياض .

٢ — حياة الحضر : أي الرجوع من البادية ، والإقامة في المنازل المعروفة الدائمة على المياه والآبار في فصل الجفاف .

وقد شرح ذلك أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (— ٢٧٦ هـ) في كتابه المعروف بكتاب « الأنواء في مواسم العرب » .

قال ابن قتيبة : « معنى التبدي أن يخرجوا إلى البوادي يتتبعون الكلأ ومساقط الغيث . فلا يزالون كذلك إلى هَيْج النبات وانقطاع الرُّطْب وجفوف

الغدران . ثم يرجعون إلى محاضرهم ومياههم التي كانوا عليها[١] » . « والمقام في النُّجعة ثلاثة أزمنة كَمَلاً ، الربيع الأول وهو الخريف ، والشتاء ، والربيع الثاني . وهذه تسعة أشهر لمن تقدم في الخروج وتأخر عن الحضور »[٢].

وهكذا كان الأعراب بحكم حياتهم في الصحراء يُضطرون إلى التبدي والنجعة ، ثم إلى الارتحال من مكان إلى مكان طلباً للماء والمرعى كما قلنا . فكانوا يرعون الأرض التي ينزلونها حتى تنفد أعشابها ، وتنضب أمواهها ، فيقوضون بنيانهم ، ويرتحلون إلى أرض أخرى يجدون فيها العشب والماء ، بعد أن يتركوا في الأرض الأولى آثاراً باقية تدل على الحياة الماضية التي كانت فيها ، ثم رحلت عنها بعيداً .

وكان الأعراب في نزولهم على المياه تجتمع منهم عدة أحياء على ماء واحد وفي منزل واحد . فتنشأ مع الأيام ألفة ومودة وصلات قربى بين النازلين معاً ، تقرب بينهم ، وتكون سبباً في تعرف الفتيان والفتيات بعضهم ببعض ، في أثناء الأعمال اليومية في النهار ، وفي ساعات السمر على النار المشبوبة وسط البيوت في الليل .

وقد أطلق العرب على الناس الذين ينزلون معاً في مكان واحد كلمة « الخليط » . وهي بمعنى الصديق ، والقوم المجتمعين المتآلفين الذين أمرهم واحد ، وحياتهم واحدة في النجعة[٣]. وقد دخلت هذه الكلمة حيز الشعر ، وأصبحت كلمة شعرية غنية بالرمز والإيحاء ، تتردد في شعر الشعراء كثيراً ، ولا سيما في شعر الوقوف على الأطلال في مطالع القصائد .

---

(١) كتاب الأنواء ص ٩٦ .
(٢) كتاب الأنواء ص ١٠٠ .
(٣) انظر اللسان (خلط) .

وبعد حين من الدهر يُضطر الخليط النازلون في مكان واحد إلى الافتراق والرحيل . فكان كل فريق منهم يرحل إلى جهة ، ويذهب في سبيله إلى غير لقاء مأمول . وكان ذلك يسوءهم كثيراً ، فلذلك كثر ذكر الخليط والفراق والرحيل في شعر الوقوف على الأطلال عند العرب . جاء في لسان العرب في مادة (خلط) : « وإنما كثر ذلك (أي ذكر الخليط) في أشعارهم لأنهم كانوا ينتجعون أيام الكلأ ، فتجتمع منهم قبائل شتى في مكان واحد . فإذا افترقوا ورجعوا إلى أوطانهم ساءهم ذلك » .

قال بَشامةُ بنُ الغَدير :

إنَّ الخَليطَ أجدُّوا البَيْنَ فابتَكَروا   لِنيَّةٍ ، ثم ما عادوا ولا انتظروا

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيّ :

إن الخليط أجدُّوا البين فابتكروا   واهتاجَ شوقَكَ أحْداجٌ لها زُمَرُ

وقال جَريرٌ :

بان الخَليطُ ولو طُوِّعْتُ ما بانا   وقطَّعوا من حبالِ الوصلِ أقرانا

وكل هذه الأبيات مطالع قصائد للشعراء المذكورين (١) .

وكلمة « الخليط » الشعرية هذه مأخوذة من « الخِلْطَة » ، بكسر الخاء ، وهي بمعنى المودة والعِشْرة .

وكثيراً ما كان الأعراب في رحلاتهم وأسفارهم يمرون بهذه المنازل التي كانوا نزلوا بها ، ثم خلفوها . فيجدونها خالية ساكنة ، تضرب في جنباتها الرياح . ويقفون قليلاً لينظروا إلى الآثار الباقية فيها ، وقد عدا عليها الخراب ، فيذكرون أياماً ماضية أصابوا فيها سروراً وسعادة ،

(١) انظر الأبيات وغيرها في اللسان (خلط) .

ونعموا فيها بالحب والمودة . ثم يسيرون لشؤونهم وقد حز الألم في نفوسهم ، وفاض الدمع من عيونهم ، لذكرى هذه الأيام الحبيبة إلى قلوبهم .

وهكذا فإن نمط الحياة الاجتماعية التي تدعو الأعراب إلى الارتحال من منزل إلى منزل ، ثم المرور بهذه المنازل المتروكة ، ورؤيتها خالية ساكنة ، والحنين الذي يثيره في النفس رؤيتها ، وتذكر الأيام الماضية فيها ، كل هذا في رأينا هو السبب في ظهور شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

ولسنا نرى هذا الرأي دون أن نجد له آثاراً في آراء غيرنا من النقاد العرب القدامى ، فقد قال ابن رشيق القيرواني في كتابه « العمدة » : « وكانوا قديماً (أي العرب) أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر . فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار . فتلك ديارهم ، وليست كأبنيـــة الحاضرة . فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً ، لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ، ولا يمحوها المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمن طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل [1] » .

يلفت نظرنا من كلام ابن رشيق هذا إشارته إلى تنقل العرب في حياتهم ، وإلى ذكر الديار في أشعارهم ، وذلك نتيجة لحياة التنقل . وهذا يقوي رأينا الذي شرحناه وفصلناه في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

وقال الآمدي في كتابه « الموازنة » : « العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها . فإن كانت على سَنَن الطريق قال الذي له أرب في الوقوف لصاحبه أو أصحابه : قف وقفا وقفوا ، وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال : عوجا وعرّجا وعوجوا وعرّجوا » [2] .

---

(١) العمدة ١/١٩٨ ـ ١٩٩ .
(٢) الموازنة ١/٤٠٩ .

وفي هذا الكلام أيضاً إشارة موجزة إلى حياة العرب في التنقل والارتحال من منزل إلى منزل ، ثم الاجتياز بهذه المنازل بعد حين من الدهر . وهذه الإشارة ، على الرغم من إيجازها الشديد ، تقوي رأينا في نشأة شعر الوقوف على الأطلال عند العرب .

* * *

وتعترضنا هنا قضية الأولية في نشأة شعر الأطلال في الشعر العربي القديم . وزعم بعض الرواة أن امرأ القيس قد سبق إلى معان جديدة في الشعر ، وفنون طريفة فيه ، فاستوقف على الدار وبكى على الأطلال .

يقول ابن سلاّم الجمحي في كتابه « طبقات الشعراء » على لسان من يقدمون امرأ القيس على غيره من الشعراء : « فاحتج لامرئ القيس من يقدمه ، قال : ما قال ما لم يقولوا (أي الشعراء) ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، استحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء . منها : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقة النسيب ... »(١) .

ونفهم من كلام ابن سلاّم أن امرأ القيس هو الذي ابتدع شعر الوقوف على الأطلال . ولكن ابن سلام نفسه يشك في هذه الدعوى . ويستدل على صحة شكه بقول امرئ القيس نفسه (٢) :

عُوجا على الطلَلِ المُحيلِ لعَلَّنا ... نَبْكي الديارَ كما بكى ابنُ خِذامِ

ونرى هنا امرأ القيس نفسه قد اعترف بأن شاعراً قبله قد سبقه إلى بكاء الأطلال . ويقول الرواة بأن هذا الشاعر من طيّئ . ولكنهم لا يعرفون اسمه ولا العصر الذي عاش فيه .(٣) هل كان قبل امرئ القيس أم كان حياً في زمانه ؟ لسنا ندري من ذلك شيئاً .

(١) طبقات الشعراء ٤٦ . وانظر العمدة ١/٩٤ ، والشعر والشعراء ٥٧ .
(٢) ديوانه ١١٤ .
(٣) طبقات الشعراء ٣٣ ، ولسان العرب (خذم) .

وهكذا نرى أن هذا القول ضعيف ، لا ينتهي بنا إلى اليقين في هذا الموضوع . وإنما ينتهي بنا إلى الشك وحسب . فلنبحث إذاً في الموضوع من وجه آخر . وذلك أننا إذا قرأنا شعر امرئ القيس وغيره من شعراء عصره نجد شعر الأطلال عندهم تاماً ناضجاً ، مؤتلف الأجزاء في ألفاظه ومعانيه . كما أننا نجده قائماً ثابتاً في شبه قاعدة فنية ، يلزمها الشعراء في مستهل قصائدهم . وكل ذلك يوحي إلينا أن شعر الأطلال عند امرئ القيس وأصحابه كان نتيجة تطور طويل ، في طريق طويلة ، قطعها هذا الشعر في تطوره وتغيره وتكامله خلال عصور سابقة لعصر امرئ القيس وأصحابه .

على أن امرأ القيس إن لم يكن هو الذي فتح هذا الباب ، وسبق غيره من الشعراء إلى الوقوف على الأطلال ، والبكاء في الديار ، فلا يبعد عندنا أن يكون هو الذي أكثر من هذا البكاء في قصائده ، وأطال فيه ، وصرف القول فيه على فنون كثيرة ، وأتى فيه بأكثر معانيه ، حتى صار بعض الرواة ومن اتبعهم من الأدباء والنقاد العرب القدامى ينسبون إليه اختراع هذا الفن وسبقه إليه .

والنتيجة أن امرأ القيس قد جوّد شعر الوقوف على الأطلال ، وأطال فيه ، وزاد في معانيه وصوره . ولكننا ، مع هذا ، لا نقبل رأي القائلين بأنه هو الذي ابتدعه ابتداعاً ، من غير مثال سابق عليه . والحق بعدُ أنه لا حاجة بنا إلى افتراض أسبقية شاعر معين في مثل هذه الفنون والمعاني الراسخة في نفسية المجتمع وأجياله المتتابعة خلال العصور ، والمستمدة من أصول حياتهم الاجتماعية في بيئتهم الخاصة ، كما بيّنّا آنفاً .

* * *

سار الشعراء الجاهليون منذ امرئ القيس على ابتداء قصائدهم بالوقوف على الأطلال ، والبكاء على الديار ، والاستطراد إلى وصفها . وجعلوا من ذلك (شبه قاعدة فنية) ، لا يخرجون عليها إلا في أحوال نادرة . ويبدو لنا أن (الوسيلة الفنية الكبرى) لافتتاح القصائد عند الشعراء الجاهليين هو التغزل بالمرأة المحبوبة ، وأن الوقوف على الديار والبكاء على أطلالها (وسيلة فنية صغرى) ، يقدمون بها بين يدي هذا الغزل نفسه في أغلب الأحيان .

وهذه أبيات من الشعر الجاهلي نسوقها مثالاً وإيضاحاً لما قلناه . وهي تعتبر أنموذجاً جيداً لابتداء القصائد في الشعر الجاهلي . قال عبيد بن الأبرص الأسدي في ابتداء قصيدة له (١) :

لمن الدارُ أقفرتْ بالجنابِ ... غيرَ نُؤْيٍ ودِمْنة كالكتابِ
غيَّرتْها الصَّبا ، ونفحُ جَنوب ... وشمالٍ تذرو دُقاقَ الترابِ
فتراوحنها ، وكلٌّ مُلِثٌّ ... دائم الرعدِ مُرْجحِنُّ السحابِ (٢)
أوحشتْ بعد ضُمَّرٍ كالسعالي ... من بنات الوجيه أو حَلاَّبِ (٣)
ومُراحٍ ومَسْرَحٍ وحُلولٍ ... ورعابيبَ كالدُّمى وقِبابِ (٤)
وكهولٍ ذوي ندىً وحلوم ... وشبابٍ أنجادَ غُلْبِ الرقابِ (٥)

---

(١) ديوانه ٢١ ــ ٢٣ .

(٢) تراوحنها : تناوبن عليها . والملث : المطر الدائم . والمرجحن : الذي يهتز .

(٣) الضمر : الخيل القليلة اللحم . والوجيه والحلاب : فرسان كريمان مشهوران من خيل العرب .

(٤) المراح : مأوى الابل في الليل . والمسرح : مرعاها في النهار . والحلول : الجماعة المقيمون . والرعابيب : النساء البيض الحسان .

(٥) الحلوم : العقول . وغلب الرقاب : غلاظها ، وهذا دليل القوة .

هيَّج الشوقَ لي معارفُ منها حين حلَّ المشيبُ دارَ الشبابِ
أوطنتْها عُفْرُ الظباء ، وكانت قبلُ أوطانَ بُدَّنٍ أترابِ(١)
خُرَّدٍ ، بينهن خَوْدٌ سبتْني بدلالٍ ، وهيَّجتْ أطرابي(٢)
صَعْدَةٌ ما علا الحقيبةَ منها وكثيبٌ ما كان تحت الحِقابِ(٣)

★ ★ ★

إننا إنمـــا خُلِقْنا رؤوساً من يُسَوِّي الرؤوسَ بالأذنابِ
لا نقي بالأحساب مالاً ، ولكن نجعل المالَ جُنَّةَ الأحسابِ

نرى الشاعر في هذه الأبيات قد وقف على الديار ، ثم شرع في نعتها وقد خربت وتغيرت . ثم طار به خياله ، حين رآها خالية موحشة ، إلى تصور الحياة الجميلة الغنية التي كانت تضطرب في جنباتها في الأيام الماضية . ثم ذكر هواه القديم في هذه الديار ، إذ سبته صبية حسناء ناعمة . وبدأ يصف محاسنها متغزلاً . وبعد ذلك كله أخذ في غرضه الأصلي الذي بنى قصيدته عليه ، وهو الفخر هنا .

كان الغزل إذاً وسيلة إلى الغرض العام في القصيدة ، وكان شعر الوقوف على الأطلال وسيلة إلى هذا الغزل . ومهما يكن من أمر فقد كان شعر الوقوف على الأطلال مستقلاً عن الغزل ، ولم يكن معنى من معانيه كما يبدو للوهلة الأولى ، وإن كان متصلاً به من حيث الجو العام الذي تسري فيه أنفسام عاطفة الحب .

---

(١) أوطنتها : سكنتها . بدن : أي نساء بادنات صحيحات الأجسام .
(٢) الخرد : الخفِرات ، مفردها خريدة . والخود : الحسناء الشابة . وأطرابي : أشواقي .
(٣) صعدة : أي هي مستوية كالرمح في أعلاها . والحقيبة : العجيزة . والكثيب : تل الرمل ، شبه به عجيزتها . والحقاب : نطاق تشده المرأة في وسطها .

هذا وقد جاء شعر الأطلال مستقلاً استقلالاً تاماً عن الغزل في قصائد كثيرة ، وقف أصحابها على الديار ، وبكوا أطلالها . ثم خلصوا منهـــا إلى أغراضهم العامة خلاصاً مباشراً ، دون أن يخرجوا من شعر الأطلال إلى الغزل ، كما هي العادة المألوفة في القاعدة الفنية العامة .

★ ★ ★

أنشد الشعراء الجاهليون بعد امرئ القيس شعراً كثيراً في الوقوف على الديار ، والبكاء على الأطلال . وسار الشعراء الإسلاميون على خطى الجاهليين في الإكثار من شعر الوقوف على الأطلال . واتبعهم في ذلك شعراء العرب في العصور التالية .

وسوف نعرض في الفصول الآتية من بحثنا هذا للشعر الذي قاله شعراء العرب في الوقوف على الأطلال في هذه العصور الأدبية . فنتتبعه من أقصى الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجري . فنرى أولاً المعاني العامة التي أتى بها الشعراء في هذا الشعر . وهذا هو الفصل الأول من بحثنا . ثم نرى مسألة تطور هذا الشعر خلال العصور التي ذكرناها ، ونبين أسباب هذا التطور . وهذا هو الفصل الثاني من بحثنا .

وبعد هذين الفصلين ندرس الشعور الفني الذي يثيره في نفوسنا شعر الوقوف على الأطلال حين قراءتنا له . ونحلل هذا الشعور الفني إلى عناصره التي تشترك في تأليفه . وهذا هو الفصل الثالث من بحثنا . ثم نختم كل ذلك بخاتمة نبين فيها الأسباب في حياة شعر الوقوف على الأطلال واستمراره خلال هـذه العصور الأدبية .

وستكون خطتنا في دراسة كل هذه الأمور خطة الإيجاز ، والوقوف على الخطوط العامة في الموضوع ، دون الاهتمام بالتفاصيل الجزئية الدقيقة .

الفصل الاول

المعاني العامة في شعر الوقوف على الأطلال

تمهيـــد

المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الجاهلية في شعر الوقوف على الأطلال ليست بكثيرة . ويمكننا في سهولة ويسر أن نستقصي هذه المعاني ، ثم نضع لها ثَبْتاً إحصائياً إن لم يكن تاماً كل التام فهو يقرب من التام . ويمكن لنا أن نستقري طرفاً من هـذه المعاني من الأبيات الأولى ، من معلقة امرئ القيس التي بدأها بالوقوف على الأطلال (١) .

وقد عرض الآمدي لهذا الأمر في كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري في (فن الابتداء) ، أي فن ابتداء القصيدة . فأثبت في البدء المعاني التي يريد أن يوازن فيها بين الشاعرين في قوله :

« وأنا أبتدئ ـ بإذن الله ـ من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدِّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتعفية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يَخْلُف قطينَها الذين كانوا حُلولاً بها من الوحش ، وفي تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها (٢) » .

---

(١) ديوان امرئ القيس ٨ ـ ٩ .
(٢) الموازنة ١/٤٠٥ .

ولكن الآمدي ، حين الموازنة الحقيقية في الكتاب ، ذكر هذه المعاني كما في التصنيف الآتي :

١ — الابتداء بذكر الوقوف على الديار (ص ٤٠٦ و ٥١٣) .

٢ — التسليم على الديار (ص ٤١٧) .

٣ — تعفية الدهور والأزمان للديار (ص ٤٢٠) .

٤ — إقواء الديار وتعفّيها (ص ٤٢١) .

٥ — تعفية الرياح للديار (ص ٤٢٣ و ٤٦٤) .

٦ — في البكاء على الديار (ص ٤٢٥ و ٥٣٤) .

٧ — في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب (ص ٤٢٨ و ٤٧٠) .

٨ — فيما يخلّف الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معنـــاه (ص ٤٣٣ و ٥٠٥) .

٩ — فيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها (ص ٤٣٥) .

١٠ — في الدعاء للدار بالسقيا والخصب والنبات (ص ٤٣٦ و ٤٩٧) .

١١ — في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار (ص ٤٣٩ و ٥١٢) .

١٢ — أوصاف الديار ووصف أطلال الديار وآثارها (ص ٤٤٦ و ٤٥٥) .

فزاد كما نرى معنى هاماً ، لم يذكره أولاً ، وهو ما سماه « ما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها » .

وقد تتبعنا نحن المعاني التي أتى بها شعراء العرب في الوقوف على الأطلال من أقصى الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث ، واستقصيناها ، وصنفناها في الجدول الآتي ، بعد ضم المعاني التقاربة بعضها إلى بعض في معنى واحد عام . وقد صار عندنا ما يقرب من اليقـين أن معاني شعر الوقوف على الأطلال لا تخرج ، أو لا تكاد تخرج ، عما نذكره في هذا الجدول :

١ ـ ذكر الوقوف على الديار . ٢ ـ تعيين مكان الديار . ٣ ـ التسليم على الديار . ٤ ـ تعيين زمن الوقوف على الديار . ٥ ـ ذكر مدة فراق الديار . ٦ ـ سؤال الديار ، وتكليمها ، واستعجامها عن الجواب . ٧ ـ الدعاء للديار بالسقيا . ٨ ـ وصف الديار ، ووصف بقاياها . ٩ ـ تخريب الديار . ١٠ ـ الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها من أهلها . ١١ ـ حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ١٢ ـ استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم وبين الشاعر . ١٣ ـ ذكر صاحبة الديار والتغزل بها .

وقد أتي امرؤ القيس بالقسم الأعظم من هـذه المعاني ، التي ذكرناها في الجدول ، في شعره الذي قاله في الوقوف على الأطلال ، على تفاوت منه في الإكثار من ترداد بعضها ، والإقلال من ذكر بعضها . وقد تتبعنا المعاني التي أتى بها في شعره ، واستقصيناها في الجدول الآتي :

١ ـ ذكر الوقوف على الديار . ٢ ـ تعيين مكان الديار . ٣ ـ التسليم على الديار . ٤ ـ سؤال الديار ، واستعجامها عن الجواب . ٥ ـ وصف الديار ووصف بقاياها . ٦ ـ تخريب الديار . ٧ ـ الحيـــوان الذي يألف الديار . ٨ ـ حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار . ٩ ـ استعانة الشاعر بأصحابه ، والمشاركة الوجدانية بينهم . ١٠ـ ذكر صاحبة الديار ، والتغزل بها .



وهنا بعض ملاحظات لا بد لنا من ذكرها :

أولى هذه اللاحظات أنه ليس من الضروري أن يبدأ الشاعر قصيدته بالمعنى الأول من هذه المعاني دائماً ، أي بالوقوف على الديار . فقد بدأ شعراء العرب قصائدهم بأكثر هذه المعاني التي ذكرناها في الجدول .

واللاحظة الثانية هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يتبع الشعراء في إيراد المعاني في قصائدهم هذا الترتيب الذي أوردناه في الجدول . إنهم يبدءون بأي معنى من هذه المعاني يختارونه ، ويسيرون في إيرادها على أي ترتيب يختارونه أيضاً .

واللاحظة الثالثة هي أنه ليس من الضروري أيضاً أن يأتي أحد الشعراء بهذه المعاني جميعاً ، في قصيدة واحدة . فقد يأتي ببعض هـــذه المعاني ، ويهمل بعضها ، في قصيدة واحدة ، دون أن يكون هنالك أية قاعدة فنية ، أو أي سبب آخر ، في إيراد هذا المعنى أو إهمال ذلك .

ولا يسعنا في بحثنا أن نعرض لكل هذه المعاني بالدرس ، لأن ذلك يطول . ولذا سنقتصر على البحث في بعض المعاني التي تعد أساسية في شعر الوقوف على الأطلال ، وكان الشعراء يهتمون بها في شعرهم اهتماماً أكبر من اهتمامهم بغيرها ، ويرددونها كثيراً . وهذه المعاني هي التي طرأ عليها التطور خلال العصور الأدبية . فلذلك سنقتصر عليها في البحث ، وهي :

١ — سؤال الديار وتكليمها واستعجامها عن الجواب .
٢ — وصف الديار ووصف بقاياها .
٣ — تخريب الديار .
٤ — الحيوان الذي يألف الديار بعد خلائها .
٥ — حالة الشاعر النفسية حين الوقوف على الديار .

١ — سؤال الديار وتكليمها

اعتاد شعراء العرب في شعر الوقوف على الأطلال أن ينادوا الديار بعد الوقوف عليها ، واعتادوا أن يسألوها عن أهليها الذين كانوا حلولاً فيها في الماضي ، ثم تحملوا عنها . واعتادوا أن يطلبوا إليها تكليمهم وتحديثهم عن

أخبارهم . وقد استطاعوا أن يجعلوا لهذه الديار أشخاصاً تسمع لهم ما يقولون . ولكنهم لم يصلوا إلى أن يجعلوها تجيبهم ، وتحدثهم حديث الأيام الماضية ، والذكريات الخالية . فقد كان جواب الديار على سؤالهم وكلامهم الصمت المطبق ، والسكون العميق ، لخلوها من الناس ، وعجزها عن الكلام .

قال امرؤ القيس :

يا دارَ ماويَّةَ بالحائلِ فالسُّهبِ فالخَبْتَيْنِ من عاقلِ
صَمَّ صَداها ، وعفا رسمُها واستَعْجَمَتْ عن منطق السائلِ

فالدار قد بادت حتى لا يسمع لها صدى . واستعجمت فلا تستطيع رداً على نداء الواقف بها .

والقاعدة العامة في شعر الوقوف على الأطلال هي : سؤال الديار عن أهليها من قبل الشعراء . ثم محاولة تكليمها والتحدث إليها . هذا من جهة . والسكوت عن الجواب من قبل الديار ، في كل الأحوال ، من جهة ثانية .

والصفات العامة التي توصف بها الديار في معرض سؤالها وتكليمها وسكوتها عن الجواب هي : الصمم والخرس والعجمة .

قال الأسودُ بن يَعْفُرَ النَّهْشَليُّ :

هل بالمنازل إن كلَّمتَها خَرَسُ أم ما بيانُ أثافٍ بينها قَبَسُ

نعم ، فالمنازل خرساء لا تكلم الواقف بها ، والأثافي صامتة لا تبين شيئاً . والرماد ساكت لا يرد جواباً .

ويقول عنترة العبسي :

أعْياكَ رسمُ الدار ، لم يتكلمِ ، حتى تكلم كالأصم الأعجمِ

أطال عنترة الوقوف في الدار ، وأطال في سؤالها وتكليمها حتى أعيا ، وحتى أعيته عن الجواب . ولكن سكوتها أوحى إليه بما يريد ، كأنها كلمته بالرمز والإيحاء .

وقد استطاع بعض الشعراء أن يصل إلى درجة إعطاء الديار نفحة الروح ، والقدرة على الكلام . ولكن هذه القدرة كانت ضعيفة خفيفة لا تكاد تبين شيئاً .

قال عوف بن عطية :

وقفتُ بهـــا أُصُلاً ما تُبين لسائلها القول إلا سِرارا

لقد ذُهِل الشاعر عن نفسه ، واستغرق في الذكريات ، حتى خيل إليه أن الديار تبين له القول ، ولكن في صوت خافت رفيق ، كأنها تسر إليه ما بقلبها من أحزان ، وتهمس في أذنه ما أبقت لهـا الأيام من ذكريات وآلام .

٢ — وصف الديار ووصف بقاياها

يمكننا باستقراء شعر الأطلال أن نعرف بقايا الديار ، ونستقصيها ونصنفها في ضربين اثنين ، هما :

الرسوم ، وهي البقايا التي تكون على الأرض ، وتظهر لاصقة بها ، كبقايا الرماد والدمن وما تناثر من الفرش . والرسوم واحدها رَسْم ، وهو ما لصق بالأرض من آثار الدار .

الأطلال : وهي البقايا التي تظهر شاخصة ماثلة فوق الأرض ، كالأوتاد والأثافيّ وبقايا الخيام . والأطلال واحدها طَلَل ، وهو ما شخص وبرز فوق الأرض من آثار الديار .

وهذه البقايا من الرسوم والأطلال التي ذكرناها لم يخرج شعراء العرب جميعاً خلال العصور عن ذكرها في شعر الوقوف على الأطلال ، سواء كانوا من سكان البادية ، أو من أهل المدن الذين قطنـــوا الحواضر في الجاهلية والإسلام .

* * *

وقد اتبع الشعراء في وصفهم هذه البقايا طريقتين اثنتين :

الأولى هي (الطريقة المباشرة) في الوصف . ويتعمد الشاعر في هذه الطريقة إلى ذكر الديار ، وتعداد بقاياها ، دون أن يلجأ إلى مخيلته ليستمد منها بعض صور فنية يشبه بها هذه البقايا .

والطريقة الثانية هي (الطريقة البيانية) في الوصف . ويعمد الشاعر في هـذه الطريقة إلى (البيان) بمعناه البلاغي ، وهو الوصف والتصوير عن طريق التشبيه والاستعارة وما إلى ذلك .

ولن نعرض هنا للشعر الذي قيل في الأطلال على الطريقة المباشرة ، لأنه قليل في مادته ، ولا يغني شيئاً كثيراً في موضوعه .

ونقف عند الشعر الذي قيل على الطريقة البيانية ، وهو أغلب الشعر الذي قيل في الأطلال وأجوده ، لنرى التشبيهات والصور الفنية التي أتى بها الشعراء .

ولا بد لنا من الإشارة هنا إلى أن الوصف في الشعر عامة يكون في أغلب الأحيان على الطريقة البيانية . والسر في ذلك هو أن غاية الشعر هي التزيين والتجميل أو التأثير في النفس ، كشأن سائر الفنون الجميلة . وتحقيق هـذه الغاية أقرب ، والوصول إليها أيسر عن طريق التصوير البياني . فالشاعر ، في هذه الطريقة ، يستشف في شيء من الأشياء عناصر الجمال والزينة أو عوامل التأثير في النفس ، ثم يسبغها على الشيء الذي يصفه . فيزيد بذلك زينته وجماله ، أو يقوي عامل التأثير والإيحاء فيه .

وقد وصف هؤلاء الشعراء الديار بجملتها . كما أنهم وقفوا عند بقاياها ، فوصفوها جزءاً جزءاً . وسنعرض في الصفحات التالية للصور الشهيرة التي أتوا بها في وصف الديار عامة ، ونتبعها بالصور التي أتوا بها في وصف الأجزاء من بقايا الديار واحداً واحداً .

(يتبع) ✻✻✻ عزة حسن

المحتسب

في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها

تأليف : أبي الفتح بن جني

- ٣ -

ص : ٩٨ س ٢ « ... ويلزم فيه زيادة النون في زرجون ... » .

في ت « ... ويلزم منه ... » وهو الصواب .

س ٤ - ٦ « أما « جَبْرائيل وميكائيل » بياءين بعد الألف والمد فيقوى في نفسي أنها همزة مخففة مكسورة ، فخفيت وقربت من الياء ، فعبَّر القراء عنها بالياء ، كما ترى في قوله عز وجل : « آلاء » عند تخفيف الهمز « آلاي » بالياء ... » .

ولا معنى لقوله : « كما ترى في قوله ... » في هذا الموضع . والصواب في ت : « كما قالوا في قوله ... » .

هذا ، وما أرى لفظ « آلاء » يصح في هذا الموضع أيضاً ، وصوابه فيما أرجح « اللائي = اللائي » فقد اختلف في قراءة هذا الحرف في أربعة مواضع (سورة الأحزاب ، الآية ٤ ، وسورة المجادلة ، الآية : ٢ ، وسورة الطلاق ، الآية : ٤ وفيها موضعان) وهو الحرف الذي ربما عبر القراء عن مذهب من قرأه بحذف الياء وتسهيل الهمزة فيه بين بين = بالياء ، ومن

ذلك قول الداني في التيسير ص: ١٧٧ « ... وورش بياء مختلسة خلفاً من الهمزة ... » وقول أبي حيان في البحر المحيط ٢١١/٧ : «... وورش بياء مختلسة الكسرة » . وقد أبان عن ذلك الإمام أبو شامة في إبراز المعاني ، ص: ٦٧ في تحقيق مذهب أبي عمرو في هذا الحرف وتركه الإدغام في قوله تعالى : (واللائي يئسن من المحيض) [سورة الأحزاب : ٤] وذلك قوله : « ... على أني أقول : سبب الإظهار عدم التقاء المثلين بسبب أن أبا عمرو ، رحمه الله ، كان يقرأ هذه الكلمة بتليين الهمزة بين بين ، وعبروا عنه بياء مختلسة الكسرة ... ». وانظر بسط الخلاف في قراءة هذا الحرف النشر ٣٩٨/١ ، والتيسير ، ص: ١٧٧ — ١٧٨ ، وإبراز المعاني ، ص ٤٣٤ — ٤٣٥ ، وشرح شعلة على الشاطبية ، ص: ٥٤٤ — ٥٤٥ ، والإتحاف ، ص: ٥٧ — ٥٨ ، ٣٥٢ — ٣٥٣ ، ٤١٢ ، ٤١٨ .

س ١٢ — ١٣ « وأيضاً فإنه إذا كان هذا النقل فإنما يكون في المتصل ، نحو : يستعدّ ويردّ ويفرّ ، فأما في المنفصل فإن ذلك لن يجيء في شيء منه إلا في حرف واحد شاذّ ... » .

في ت : « ... فإن ذلك لم يجيء ... » وهو محض الصواب ، إلا أن لفظ « يجيء » فيها يشبه أن يكون قد صُحّف إلى « يجز » .

س ١٥ « ... والأعلام فيما يكثر فيه ما لا يكون في غيره ... »

في ت « ... والأعلام ممّا ... » وهو الصواب .

س ١٨ — ١٩ « ... وأنت لا تقول في نحو : هذا قوم موسى : هذا قومْمّوسى ، لما ذكرناه من أن المنفصل في هذا النحو لم تنقله العرب كما نقلت المتصل » .

والصواب في « قومّوسى » أن يضبط بضم الواو لا بسكونها ، فهذا هو الوجه الذي لا يقال ، لأنه لا تنقل حركة الحرف الذي أسكن للادغام

في هذا النحو من المنفصل إلى الساكن قبله . ومن ثم منع المتقدمون إدغام المثلين والمتقاربين من المنفصل إذا كان ما قبل أولهما ساكناً صحيحاً .

س ٢٠ – ٢١ « ... وذلك لأن المدّ إنما كان فيه لبقاء نية الهمزة المخففة ولفظه فيه . هذا هو القول ، كقولهم بالمد ... » .

في ت : « ... لبقاء نية الهمز المخفف ... » وهو الوجه ، لتذكير الضمير العائد عليه في قوله : « ولفظه » . وفيهـــا أيضاً : « لقولهم : بالمد » وهو الصواب أيضاً .

س ٢١ – ٢٢ « وإن كانت الألف والياء بعدها أتمّ صوتاً وأبعد ندى منها وبعدها غيرها من الحروف الصحاح ... » .

في ت : « ... وأبعد مدى ... » وهو الصواب .

ص ٩٩ س ٤ – ٦ « ... من قبل أن واو العطف لم تسكن في موضع علمناه ، وإنما يسكن بعدها مما يخلط معها فيكونان كالحرف الواحد ، نحو قول الله تعالى : « وهْو الله » وقوله سبحانه : « وهْو وليّهم » بسكون الهاء ... » .

في ت : « ... نحو قوله [تعالى] : « وهْوَ اللهُ » وكذلك الفاء في قوله [سبحانه] : « فهْو وليهم » [سورة النحل : ٦٣] بسكون الهاء ... » وهو أتمّ .

ص ١٠٠ س ٩ – ١١ : « إلا أنه جاء على حذف الزيادة كقوله :

عمرَكِ اللهَ ساعة حدثينـــا ودعينا من قول من يؤذينا

إنما هو : عمرتكِ الله تعميرا – دعاء لها – فحذفت زيادة التاء والياء » .

في ت : « ... فحذفت زيادتاه : التاء والياء » وهو محض الصواب .

س ١٢ – ١٣ : « وقد يمكن أن يكون وحدَه مصدر هو يحد وحداً فهو واحد » .

في ت : « ... مصدر وحد وهو يحد وحْدا ... » وهو أتم وأجدر بالصواب .

ص ١٠١ س ١ – ٢ « قيل : جاز ذلك لأنه أطلق عليها اللفظ الذي يعتاد حينئذ فيها ، ويطلقه الناس عليها ، فخوطب الإنسان على ذلك باللفظ الذي يعتاده أهل الوقت إذ ذاك ... » .

في ت : « ... فخوطب الإنسان بعد ذلك باللفظ الذي كان يعتاده ... » . وهو أشبه بالصواب .

س ٩ « وقراءة الزهري : « المرّ » بفتح الميم وتشديد الراء .

في ت : « ... وتشديد الراء بدل الهمزة » .

س ١٢ – ١٣ « قال أبو الفتح : أما قراءة الحسن وقتادة : « بين المَرِ » بفتح الميم وخفة الراء من غير همز فواضح الطريق ... » .

في ت : « ... بفتح الميم وكسر الراء ... » ويعززه قوله قبل أسطر في حكاية هذه القراءة : « ... بفتح الميم وكسر الراء خفيفة من غير همز » . وبعيد أن يذكر تخفيف الراء دون حركتها . وربما كان لفظ « خفة » في المطبوع مصحفاً عن « خفض » .

ص ١٠٣ س ١٣ – ١٤ « ومن ذلك قراءة أبي رجاء ... وقرأ سعد بن أبي وقاص والحسن و ... وقراءة سعيد بن المسيب ... » .

في ت : « ... وقراءة سعد ... » وهو الصواب .

ص ١٠٧ س ٩ – ١٠ « ... فلما كان أمراً عارضاً ، وظلا في أكثر اللغات خالصاً ... » .

ولا معنى للخلوص هنا ، وصوابه كما في ت « ... قالصا » من « قلص الظل » إذا انقبض وانزوى وانضم .

ص ١٠٧ – ١٠٨ « ألا ترى إلى قوله :

وكحل العينين بالعواور

وكيف صحح الواو الثانية وإن كان قبلها الواو الأولى بينها ألف وقد جاوزت الطرف ... » .

والصواب كما في ت · « ... وبينها ألف » بزيادة الواو ، و « قد جاورت ... » بالراء المهملة .

ص ١٠٨ س ٣ - ٥ « ... وكما جعل حذف النون من قوله :

ارهن بنيك عنهم أرهن بني

أراد بنيّ ، فحذف الياء الثانية لتخفيف القافية ... » .

وما من مفعول ثان لـ « جعل » في هذه العبارة ، والصواب كما في ت : « وكما حذف النون من قوله ... » بإسقاط « جعل » إلا أن لفظ « النون » مُصحّف فيها إلى « التنوين » .

س ٧ — ٩ « ... وكما أنشدنا أبو علي للفرزدق من قوله :

تنظرت نصراً والسماكين أيْهما علي من النيث استهلت مواطره

أراد : أيّهما ، فاضطر إلى تخفيف الحروف فحذف الياء الثانية ... » .

في ت : « ... إلى تخفيف الحرف ... » بالإفراد ، وهو الصواب .

ص ١٠٩ س ٢ — ٥ « ... وذلك كقول الشاعر :

رجْلان من ضبـــة أخبرانا إنا رأينــا رجلا عريانا

فهو عندنا نحن على : قالا إنا رأينا ، وعلى قولهم لا إضمار قول هناك لكنه لما كان أخبرانا في معنى قالا صار كأنه قالا لنا ، فأما على إضمار قالا في الحقيقة فلا » .

في ت : « ... صار كأنه قال : قالا لنا ... » وهو أحرى بالصواب .

س ١٧ — ١٩ : « ... لكن من حذف فمنه السؤال ، وعلتـــه توالي الحركات مع الضمات ، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب » .

الحديث عن قراءة من قرأ : « ويعلمْهم » بإسكان الميم . وفي ت « ... ففيه السؤال » وهو أوجه ، وفيها أيضاً : « ... توالي الحركات مع الضمائر » وهو محض الصواب .

ص ١١٤ س ٥ – ٦ : « ... فأنت مقيم عليه ومحقوق به ، ولست دخيلاً فيه عن غير أول ... » .

الصواب « ... ومحفوف به » وهي في ت تشبه أن تكون كذلك ، إلا أن الفاء الأخيرة أعجمت فيها بنقطتين . وفي ت أيضاً : « ... من غير أول ... » وهو أشبه بالصواب .

س ٧ – ٨ « ولما أريد مثل هـــذا في الثناء على الله تعالى ولم يجز أن يكون تابعاً لسلف ولا موجوداً له فيه نظير ... » .

في ت : « نعم ولما أريد مثل هـذا ... » بزيادة « نعم » وهو أشبه بأسلوب أبي الفتح . وفيها أيضاً : « ... تابعاً فيه لسلف .. » وهو الصواب .

س ١١ – ١٢ : «... فكذلك قوله عز وجل : « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به » أي كانوا ممن يؤمن بالحق هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته فقد اهتدوا » .

في ت : « ..... – أي كانوا ممن يؤمن بالحق – « فقد اهتدوا » = من هذا الجنس على سمته وانتشار جهاته » . وهو النظم البين للعبارة ، وأما تلك فلا يكاد يكون لها معنى مفهوم .

س ١٩ : « ... يقال : رؤف به ، ورأف به ، ورئف ... »

في ت : « ... ورئف به ... » وهو أحسن .

ص ١١٥ س ٣ : « ... وكأنه عليه السلام إنما رأى لقول الله تعالى : « لئلا يكون للناس عليكم حجة ... » .

في ت : « ... إنما رأى هذا لقول الله تعالى ...» ولا يستقيم الكلام إلا بهذه الزيادة ، لئلا يخلو فعل « رأى » من مفعول .

س ١٨ – ١٩ « ... أما قراءة الجماعة : « فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بها » تقرباً بذلك ، أي فلا جناح عليه أن يطَّوَّف بها تقرباً بذلك إلى الله تعالى ... »

وقد خلت ت من « تقرباً بذاك » بعد الآية ، وهو الصواب . وأظن كاتب الأصل المغربي كتبها خطأ ثم وضع عليها علامـــة الإسقاط إلا أنه لم يُتَنبّه لذاك .

س ٢٠ : « ... ولو لم يكونا من شعائرهما لـكان التطوف بهما بدعة لأنه إيجاب أمر لم يتقدم إيجابه ... »

في ت : « ... لأنه إيجاب رسم ... » وهو أوجه وأعلى .

ص ١١٦ س ١ - ٢ : « ... كما لو تطوّف بالبصرة أو بالكوفة أو بغيرهما من الأماكن على وجه القربة كما تطوّف بالحرم ... »

في ت : « ... كما يطَّوّفُ بالحرم ... » وهو الصواب .

س ٤ - ٥ « ... كالقصر بالسفر ، وترك الصوم ، ونحو ذلك من الرخص المسموح فيها » .

في ت : « ... كالقصر في السفر ..... المفسوح فيها » وهو أشبه بالصواب .

ص ١١٧ س ٣ - ٦ « ... وكأنه لما قال :

أسقى الإله عدوات الوادي وجوفـــه كل ملث غادي
كلُّ أجش حالك السواد

فقد سقى الأجش ، فرفعه بفعل مضمر ، أي سقاها كل أجش ... » .

في ت : « ... وكما أنه لما قال .... ، أي فسقى الأجش = رفعه بفعل آخر مضمر ... » وهو الصواب الذي يقوم به المعنى ، وأما ما جاء في المطبوع فلا يكاد يحصل منه معنى مفهوم .

وقد ضبط في المطبوع لفظ « كل » من قوله « كل ملث غادي » بالرفع ، والصواب أن يضبط بالنصب كما في كتاب سيبويه ١/١٤٦ ، والخصائص ٢/٤٢٥ .

س ١٢ - ١٣ « ... ورثات رُوحي بأبيات ... »

في ت : « ... ورثات زَوجي ... » وهو الصواب ، وكذلك حكاها

أبو الفتح نفسه في الخصائص ١٤٦/٣ ، وهي كلمة مأثورة عن امرأة من العرب ، انظر اللسان (رثأ) .

السطر الأخير « ... فكذلك ليس البرَّ بأن تولوا بنصب البر كما في قراءة السبعة » .

في ت : « ... فكذلك ليس البرَّ بأن تولوا ، أي ليس البرَّ أن تولوا ، بنصب البر كما في قراءة السبعة » وهو أوفى وأتم .

ص ١١٨ س ٢ - ٣ « ... لو لم يكن شاذاً لما جوزنا قياساً عليه ما جوزناه ، ولكنَّا نوجب فيه البتة واجبا ... » .

في ت : « ... ولكنَّا نوجبه فيه ... » . وهو الصواب .

س ٢٢ « وقد يمكن أن يكون أيضاً يتطيّقونه يتفعّلون ... »

في ت : « ... يتفعّلونه ... » وهو الصواب ؛ فإن أبا الفتح لزم في هذا البحث أن يلحق الضمير بميزان ما يزنه من الأفعال المعدّاة إليه .

ص ١١٩ س ٣ - ٤ « وليس يقوى أن يكون يتطوّقونه يتفوعلونه ولا يتفعولونه ، وإن كان اللفظ هنا كاللفظ بيتفعّل ، لقلتها وكثرته » .

في ت : « ... وإن كان اللفظ بها ... » وهو محض الصواب .

س ٥ - ٦ « ... وكذلك يؤنس بكون يطيّقونه يفعّلونه قراءة من قرأ : يطوّقونه » .

في ت : « ... يفعّلونه لا يفيعلونه قراءة ... » وهو أتم .

س ١٤ « ... فمحمول هذا أن في هذه الأسماء الأعلام التي أصلها الصفات معاني الأفعال » .

في ت : « ... فمحصول هذا ... » وهو الصواب .

س ١٧ : « ... فهي تحقق في العِلْم معنى الصفة مدحاً كانت الصفة أو ذماً » . وصواب ضبط « العلم » بفتح العين واللام ، وهو ظاهر .

ص ١٣٠ س ٤ « ... لأنه إنما العرف فيه أن يسمى من الأسماء الحاملة لمعاني الأفعال مما كان فيه معنى المدح ... »

في ت : « ... ماكان فيه ... » ولعل الصواب « بما » .

ص ١٢٤ س ٥ ـ ٦ « ... لأنه جعل الصحه في الواو دليلاً على أنه أراد العواوير ، ولو لم يرد لذلك لوجب أن يهمز فيقول : العوائر » .

في ت : « .... ولو لم يرد ذلك ... » وهو الصواب .

س ١١ ـ ١٤ « ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فاضطجع

ثم أبدل الضاد لاماً فقال : الطجع ، وقد كان يجب إذا زالت الضاد أن ترجع تاء افتعل إلى اللفظ ... » .

في ت : « ... وكما قال :

مال إلى أرطاة حقف فالطجع

أراد : فاضطجع ، ثم أبدل الضاد .... » وهو الصواب .

ص ١٢٦ س ٦ ـ ٧ : « وقال الآخر :

حدبا حدابير من الوخشنّ تركن راعيهن مثل الشنّ

وجاء في التعليق عليه في الحاشية ٣ : « ... والوخشن : يريد به الوخش ، وزاد فيه نوناً ثقيلة ، والوخشن : رذالة الناس وصغارهم وغيرهم ، يكون للواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد . وفي نسختي الأصل : الرخشن بالراء ، وهو تحريف » . اهـ . وكذلك جاء البيت ص ٢٩٠ أيضاً .

وفي ت : « ... من الدخشنّ » بالدال المهملة ، وهو الصواب ، وكذلك ورد في اللسان (دخشن) . وأظنه كذلك في الأصل المغربي إلا أن الدال اشتبهت بالراء . والدخشن ـ بتخفيف النون ـ الحدّبة ، وهو ضرب من النبات ، وقد شدد الراجز النون ضرورة .

ص ١٢٨ س ١٥ : « ... هذا لعمري هو أصل الحرف : رأى يرأى كرعى يرعى ... » .

في ت : « ... هو أصل هذا الحرف ... » وهو أتم .

ص ١٣٠ س ٤ - ٥ « ... لأنه لم يكن البدل عن استحكام العلة علةً فيراعى حال الوقف من حال الوصل .... » .

في ت : « ... عن استحكام علة فيراعى ... » وهو الصواب ، ويشهد بذلك قوله بعد أسطر : « ... ولعلمهم أيضاً أن البدل من الواو لم يكن عن استحكام علة فيعاودوا الأصل لزوالها ... » .

ص ١٣١ س ١٨ « ... اللهم أن يسمع شيء منه فيؤدى على ما فيه ... » والصواب : « اللهم إلا أن يسمع ... » وفي ت « ... إلا أن يسمع » بإسقاط « اللهم » وإثباتها أحسن وأشبه بأسلوب أبي الفتح .

ص ١٣٣ س ٧ - ٩ « ... وأن فَعْلَى إذا كانت اسماً وكانت لامها ياءً فإنها تقلب إلى الواو ، نحو التقوى والبقوى والفتوى والرعوى والثنوى والعوّى ... » .

وقع في ت لفظ « الشَّرْوى » بدل « الثنوى » وكلا اللفظين مما يصح التمثيل به في هذا المقام . وقد يؤنس بأن ما في ت أشبه بأن يكون اللفظ الذي مثل به أبو الفتح أنّه عرض لهذه المسألة في المنصف ٢/١٥٧ وما بعدها ، وفي الخصائص ١/١٣٣ وما بعدها ، ومثل في كليهما بمعظم ما مثل به ها هنا ، وكان مما ساقه لفظ « الشروى » دون « الثنوى » . بيد أنه عرض لها أيضاً في سر الصناعة ١/٩٨ وما بعدها وكان فيما مثل به « الثنوى » دون الشروى » .

س ١٦ « ومثل الطاغية وكونها مصدراً على فاعلة ... »

في ت « ... في كونها ... » وهو أرجح .

ص ١٣٤ س ٥ – ٦ « ... ومثلها البالة من قولهم : ما باليت بهم بالة ، أصلها بالية ...» .

في ت : « ... في قولهم ... » وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٧ س ١٩ « ... إلا أن العرب قد تجري الوصل مجرى الوقف تارة ، وتارة الوقف مجرى الوصل ... »

في ت : « ... وتارة تجري الوقف مجرى الوصل ... وهو أشبه بالصواب .

ص ١٣٩ س ٧ « ومن ذلك قراءة الزهري .... وروي أيضاً ... »

في ت : « .... وروي عنه أيضاً ... » وبهذه الزيادة يتم الكلام . وانظر شواذ ابن خالويه ، ص : ١٦ .

س ١١ « ... أعمن الرجل : أتى عَمّان » .

والضبط الصحيح كما في ت : « أتى عُمان » .

ص ١٤٠ س ١٠ – ١١ « ... وذلك كقوله : أعطيته فأخذ ، ودعوته فأجاب ، ولا تقول هنا : أعطيته وأخذ ... » .

في ت : « وذلك كقولك .... » وهو ما يقتضيه قوله بعد : « ... ولا تقول هنا ... »

س ١٨ « ... أي لا تطع من فعل كذا ، بعدد أفعاله ... »

في ت : « ... من فعل كذا وفعل كذا بعدد أفعاله ... » وهو الصواب الذي يقتضيه سياق الكلام .

ص ١٤٣ س ١٤ — ١٥ « ... فيقول على هذا : قد تناظر القوم بينهم الحقوق ، كقولك : قد تسامحوا فيها .. »

في ت : « ... فتقول على هذا ... » بالخطاب ، وهو ما يقتضيه قوله بعد : « ... كقولك »

س ١٦ « ويقول عليه : لله متبايعان رأيتها ، فقد تناظرا ، أي تسامحا ولم يتحاجا » .

في ت : « وتقول عليه ... » بالخطاب أيضاً وهو الوجه ، وفيها أيضاً : «.... فقد تناظرا ولم يتناظرا ... » وهو محض الصواب الذى لا يقوم معنى الكلام بغيره ، ويكون « تناظرا » من المناظرة بمعنى المسامحة . و « لم يتناظرا » من المناظرة بمعنى المحاجّة والمجادلة .

ص ١٤٤ س ١ « .... وذلك أنه ليس في الأسماء شيء على مَفْعُل بغير تاء ، لكنه بالهاء ، نحو المقدُرة و ... »

في ت « ... بغير هاء » ويرجحه قوله عقبه : « لكنه بالهاء » وقوله بعد أسطر « ... فطريقه عندنا أنه أراد مألكة ، وهي الرسالة ، غير أنه حذف الهاء وهو يريدها ... » .

س ٧ « ... وكما قال ملك بن جبار الطائي ... »

في ت « ... مالك بن .... » وهذا هو المعروف في أسمائهم ، ويظهر أنه كتب في الأصل المغربي بإسقاط الألف .

ص ١٤٥ س ٢٢ « ... هذا ينبغي أن يقال إذا عري الوضع من غرض معتمد ... »

في ت : « ... هذا إنما ينبغي ... » وهو أشبه بسياق الكلام .

ص ١٤٧ س ٩ « ويدل على أن الهمزة المحركة إذا خففت في نحو هذا .... »

في ت : « .... الهمزة المتحركة ... » وهو المألوف في عبارة أبي الفتح كما تقدم في نظير لها .

ص ١٤٨ س ١ – ٢ « فإن قلت : أسكن الهمزة تشبيهاً لها بالألف من حيث تساوتا في الجهر ، وفي الزيادة ، وفي البدل ، وفي الحرف ...... » في ت : « .... وفي الحذف » وهو الوجه .

★ ★ ★

هذا جملة ما استدركته حتى ختام الكلام في « سورة البقـــرة » . وقد اجتمع لي من هذا القبيل فيما يلي ذلك قدر صالح ربما عرضتـه في مقالة تالية . وما أظنني ـ بعد ـ إلى غلوّ إذا ما رغبت إلى القائمين بالكتاب أن يعيدوا معارضته بالأصل ثانية ، وأن يستعينوا على استكمال تحقيقـــه بأصول أخرى ، ويجعلوا ما يستدركونه في ملحق يرفقونه بالجزء الثاني منه ، ولعلهم فاعلون .

أحمد راتب النفاخ



شخصية ذي القرنين

في القصص الإسلامية والأساطير القديمة

لعلّ قصّة ذي القرنين وما حيك حوله في الآداب القديمة وفي الأدب العربي من أمتع ما يجده الباحث في القصص الإسلاميّة ، ومع هذا يجدر بي أن أقول قبل التقدم في الحديث إن الإمتاع فيها لا يتأتّى من أحداثها العجيبة الفائقة أو تكوينها القصصي المدهش ؛ فهي لا تختلف في هذا كثيراً عن بقية قصص الأنبياء والأمم السالفة التي نعرفها في الروايات الإسلاميّة . لكن جهة الإمتاع فيها ، إذا ما نظرنا اليها عن قرب ، تتأتى من عناصرها المكوّنة لها عبر عصور التأريخ المختلفة لأنّ أمماً كثيرة تعاونت على تكوينها القصصي ، ففيها شيء من عناصر التأريخ الروماني ثم أضيفت إليها عناصر من الإسرائيليات ، وشيء من الأدب الفارسي والهندي ، وأخيراً إضافات كوّنها القصّاص المسلمون ، فتكونت من مجموع ذلك قصة عجيبة في تكوينها . هذا فضلاً عن قيمتها في التعبير عن النظرات التأريخيّة والجغرافيّة والأسطورية والأدبيّة عند المسلمين . فالكتب التأريخية تعنى بالإسكندر وبشخصيته وفتوحاته ، أمّا كتب القصص الإسلاميّة فلا تكتفي بالعناصر التأريخية المكوّنة لهذه الشخصية ، لأنها تقصد إلى الإمتاع وإلى الإثارة ، فلا تكتفي بنقل الوقائع التأريخية بل تستعين على وضع القصة بمصادر قد تمتّ إلى الأدب الشعبيّ المفعم بالخيال . وقد تستعين بالأساطير القديمة . وفي الأساطير القديمة انتقلت شخصيّة الإسكندر إلى عالم الآلهة وأشباه الآلهة ، وظلّت كلّ أمّة تحوك حولها من نسج خيالها شيئاً ، حتى إذا وصلت إلى المسلمين وجدناها وقد

اجتمعت فيها تلك العناصر المختلفة ، يأخذها الرواة المسلمون ليجعلوها ذات علاقة بالمعاني الإسلاميّة .

لقد ساعد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم أكثر القصاص المسلمين على التطرق إلى حديثه والتفصيل في أخباره ، ولذلك لا يكاد فصل من الفصول التي كتبت عنه ـ في كتب التاريخ أو في كتب القصص والأخبار ـ يخلو من الاستشهاد أو التصدير بالآيات القرآنية التي ورد فيهـــا ذكر ذي القرنين ، وهذه الآيات هي :

« ويسألونك عن ذي القرنين . قلْ سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنّا مكنّا له في الأرض وآتيناه من كلّ شيء سبباً فأتبع سببا ، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما . قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تعذب وإمّا أن تتّخذ فيهم حسنا ، قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ إلى ربّه فيعذبه عذاباً نُكرا ... » إلى قوله « وكان وعدُ ربي حقّاً »[1].

فابن هشام يقول بأن يهود المدينة هم الذين أثاروا حديث ذي القرنين إذ حمّلوا النضر بن الحارث ورجالاً من قريش أن يسألوا النبي ﷺ عن الرجل الطوّاف في الأرض ، فكان حديث القرآن عن ذي القرنين .[2] وان كان الطبري يرجّح أن الذي سأل النبي ﷺ عن ذي القرنين كان من أهل الكتاب وليس من المشركين من قومه[3] .

---

(١) سورة الكهف : راجع تفسير الطبري المسمى جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) جـ ١٦ ص ٧ ــ ٢٣ ، الزمخشري : الكشاف (ط الاستقامة ١٩٤٦) جـ ٢ ص ٧٤٣ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية (ط وستنفيلد) جـ ١ ص ١٩٧ .

(٣) جامع البيان ، جـ ١٦ ص ٧ .

ترى من هو ذو القرنين وما حديثه (١) ؟ .

تختلف المصادر الإسلاميّة في شخصيّة ذي القرنين ، فلم تجزم أنّ ذا القرنين هو الإسكندر . فالثعلبي في قصصه يقول « قال أكثر أهل السير هو الإسكندر » (٢) والمسعودى يقول : « وقد تنازع الناس فيه فمنهم من رأى أنه ذو القرنين ومنهم من رأى أنه غيره » (٣) . والمقدسي يقول في حديثه عن الاسكندر : « وكثير من الناس يرون هذا ذا القرنين » (٤) أما المصادر المتأخرة فقد جاء في بعضها أنّ الاسكندر الماقدوني هو المعروف بذي القرنين صراحةً (٥) . وان كان شيء من الخلط قد ظهر عند بعضها كقول صاعد الأندلسي الذي جعل الإسكندر المقدوني جدّاً للاسكندر ذي القرنين .. (٦)

أما الجاحظ فقد عبّر عن شكّه بصورة أوكد وأوضح إذ يقول عند حديثه عن الحيوان المعروف بذي القرن : « ... فمن خصال ذي القرن انّ منه وإليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القرآن ويزعم بعضهم أنه هو الإسكندر » (٧) . وما يلبث الجاحظ أن يزيد في هذا التشكيك في رسالته التربيع والتدوير التي ترد فيها شكوكه بصورة أسئلة متوالية متحدّية فيقول :

(١) كتب العالم القدير مولانا أبو الكلام آزاد فصلاً قيما في شخصية ذي القرنين يرفض فيه أن يكون هو الاسكندر ، ويأتي بتأييدات تأريخية على ما يذهب إليه جديرة بالعناية : انظر : ثقافة الهند : ثلاثة أعداد (مارس ، يونيو . سبتمبر) سنة ١٩٥٠ .

(٢) قصص الأنبياء (ط ١٣٠١) ص ٢٧٤ .

(٣) مروج الذهب (١٩٥٨) جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٤) المقدسي : البدء والتأريخ (ط ٣ ١٩) ، جـ ٣ ص ١٥٥ .

(٥) القفطي : تأريخ الحكماء (ليبزك) ص ٣٦ .

(٦) طبقات الأمم : (ط لويس شيخو) ، ص ٣٠ وجاء النصّ عند القفطي أيضاً المصدر المذكور .

(٧) الحيوان : (ط هرون) : جـ ٣ ص ٢٤٥ .

« وخبّرني عن هرمس أهو ادريس وعن ارميا أهو الخضر ، وعن يحيى بن زكريا أهو ايليا وعن ذي القرنين أهو الإسكندر . ومن أبوه ومن أمّه ومن قيرى وعبرى ... » (١) .

إن السبب في التساؤل هو أنّ بعض الروايات قد زعمت أنّ ذا القرنين كان من نتاج ما بين الإنس والجن كما كانت الملكة بلقيس ، وقد ذكر الجاحظ نفسه شيئاً من هذه الروايات في الحيوان أيضاً (٢) . كما قال البيروني عن ذي القرنين فيما بعد بأنه يُعتقد فيه اعتقادات عجيبة ، وبأنّ أمّه كانت من الجنّ كما يعتقد ذلك أيضاً في بلقيس ، فإنه يقال انّ أمّها كانت من الجنّ (٣) ... » .

إن هذه المزاعم التي ترددها المصادر الإسلامية في نسب ذي القرنين وفي شخصه وأحاديثه ، ليست هي في الواقع إلاّ تلك الأقاصيص الشعبيّة التي كانت تدور على ألسن الأمم المختلفة ، لكنّ رغم هذه الشكوك التي تتردد على ألسن الكتّاب المسلمين فإنّ حديث ذي القرنين لا يرد إلاّ متّصلاً بحديث الإسكندر وفتوحاته ، وهما في كثير من المصادر التي رأيتها شخصية واحدة ، سواء كانت هذه المصادر تأخذ بالعناصر التأريخية وحسب مكتفية بها ، أو تضيف إليها أحاديث القصّاص وخيال الروايات الشعبية . ففي كتاب ألف ليلة وليلة ليس هناك شكّ أبداً في أن ذا القرنين هو الإسكندر إذ تصدّر القصّة بالعبارة التالية (حكي أن اسكندر ذا القرنين) (٤) وهذه هي التسمية التي عرف بها الإسكندر عند العامّة .

---

(١) التربيع والتدوير (ط شارل يلا) ، ص ٢٧ .

(٢) الحيوان : ج ٤ ص ٦٩ .

(٣) الآثار الباقية (ليبزك) ص ٤٠ .

(٤) الف ليلة وليلة (ط ١٩٢٧ ـ الآباء اليسوعيين) ، الكتاب الثالث ص ١٠٣

ترى ما هو السبب في التسمية بذي القرنين ما دام اسم الإسكندر مشهوراً شهرة تكفيه عن أي لقب آخر ؟ .

هنا يتجلّى الخيال الإسلامي بأجلى مظاهره والقابليّة العجيبة عند القصّاص المسلمين على الإضافة والتأويل والتبرير ، فتحاول الروايات القصصيّة أن تزوّدنا بشتى الأسباب لتسميته .

فهو ذو القرنين لأنّه ملك الروم وفارس ، أو لأنّ في مقدّم رأسه شبه القرنين من لحم . وقيل لأنه رأى في المنام كأنه أخذ بقرن الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب ؛ وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر . أو أن الملك الموكّل بجبل قاف هو الذي سماه بهذا الاسم (١) . وتنسب بعض هذه التأويلات إلى أئمة الشيعة خاصّة (٢) .

ولعل من أذكى التحقيقات التي قام بها أي كاتب إسلامي في هذا الصدد ، هو ذلك الفصل الرائع الذي يقدّمه لنا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني في موضوع ذي القرنين . ويبدو أنّ الرجل قد تهيأت له المصادر اللازمة لمعلوماته ، ولذلك فهو يرفض الروايات الشائعة ويرجّح شيئاً آخر ، يقول :

قال أكثر من بحث عن سالف الأمور وتصفح ما حدث منها في متقادم العصور إن التسمية بذي القرنين لا تعرف في غير هذه اللغة ولا يوجد منها علم إلاّ عند هذه الأمّة ، ومتى سمعنا غيرهم ينطق بها ووجدنا بعض

---

(١) انظر مجموع الروايات في كلّ من الطبري : جامع البيان ، الثعلبي : قصص الأنبياء ، المسعودي : مروج الذهب ، وقد ذكرت صفحاتها سابقاً .

(٢) المسعودي : مروج ج ١ ص ٢٨٨ ، الثعالبي : ثمار القلوب (ط ١٩٠٨) ص ٢٢٤ .

الأمم يذكرها فبحثنا عن أصلها ومأخذها وسألناهم عن معناها وتأويلها أصبناها راجعة إليهم وأحلنا في الإسناد عليهم ، قالوا ولم نعثر على كثرة التفتيش والتكشيف وشدّة الطلب والتنقير من ملوك الأمم وأولياء الدول وقادة الجيوش وساسة الجنود ممن ارتفع فشهر أو خمل ـ عمّن لزمه هذا الاسم أو حصل له معناه أو استحقه بلازم خلقةٍ أو مستجدّ صفة ـ فأمّا نحن فقد وجدنا في التواريخ القديمة المأخوذة عن السريانية واليونانية أنّ حنا ميرس ـ وهو الثالث من ملوك بابل ـ خرج عليه اطركسركس فحاربه وظفر به فقتله ونزع قرني رأسه فجعلها اكليلاً يلبسه فسمّي ذا القرنين . فهذا كما تراه تسمية مأخوذة من الأمم السالفة منقولة عن تلك اللغة إلى هذه . على أنّ العرب قد سمّت بها من ملوكهم نفراً ، وخصّت بها هذا الملك السائح الذي ورد القرآن بذكره ، واجتمعت الإنس على تفخيم قدره ..[(1)] »

ومن الطريف أن هناك اتجاهاً في المصادر الإسلاميّة نلمحه لمحاً من خلال الروايات الكثيرة ، هو أنّ شخصيّة ذي القرنين عند المسلمين هي أقرب إلى الإسلام من شخصيّة الإسكندر ، ولذلك فهم حينما يتحدّثون عن ذي القرنين ـ بهذا الاسم ـ يطلقون لخيالهم العنان ، لكنهم قد لا يجرؤون على الكثير من التصرّف في شخصيّة الإسكندر ، فكأن شخصيّة ذي القرنين أقرب إلى المجال القصصي من شخصيّة الإسكندر ، وكأنّ شخصيّة الاسكندر تصبح ملكاً للقصاص المسلمين حين يطلقون عليه اسم ذي القرنين . فذو القرنين في القصّة الإسلاميّة يأمرهم أن يبنوا له مسجداً وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع ، وهو يدعو إلى التوحيد ... الخ[(2)]

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٣ ، ينقل هذا عن الجرجاني .

(٢) الثعلبي : قصص الأنبياء : ص ٢٧٧ .

. إن أوّل ما حيّر أذهان الكتّاب المسلمين وقصّاصيهم وقد رأوا ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم هو السؤال التالي :

هل كان ذو القرنين نبياً ؟ ولماذا ذكر بين الأمثلة المضروبة في القرآن ؟

هنا نجد طرائف من الإجابات عند القصاص المسلمين ، وعند المؤرخين . فالثعلبي في قصصه يقول :

« اختلف العلماء في نبوّته فروي عن النبي (ﷺ) أنه قال لا أدري أكان ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صحّ الحديث لكان الخوض في مثل هذه المسألة تكلفاً . ثم اختلفوا بعد فيه ، فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً ، وملكاً عادلاً فاضلاً ، وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل ، والصحيح إن شاء الله أنه كان نبياً غير مرسل ، لما روى وهب وغيره من أهل الكتاب قالوا : كان ذو القرنين رجلاً من الروم ابن عجوز من عجائزها ليس لها ولدٌ غيره ، وكان اسمه الإسكندر ، ويقال كان اسمه عيّاشاً وكان عبداً صالحاً فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى إليه ياذا القرنين إني قد بعثتك إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجّتي عليهم وهذا تأويل رؤياك ، وإني باعثك إلى أمم الأرض كلّهم . . . (١) »

أما ابن إسحاق صاحب السيرة فيقول : « . . فحدّثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح . قال ابن هشام : واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه (٢) » ونقلت رواية عن ابن عبّاس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك ، وقال الجرجاني تعليقاً عليها « وهذه رواية مهجورة لا يلتفت العقلاء إليها .. (٣) » .

(١) المصدر نفسه ص ٢٧٦ .
(٢) السيرة النبوية : جـ ١ ص ١٩٧ .
(٣) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٦ .

ونقل ابن قتيبة عن وهب بن منبّه ان ذا القرنين رجل من الاسكندرية اسمه الاسكندروس ، ويخطئ ابن قتيبة إذ يجعله في الفترة بعد عيسى عليه السلام[١] على حين تجمع المصادر على أنه قبل المسيح .

وهكذا اختلطت الروايات التأريخية بروايات القصّاص ممّا جعل القاضي الجرجاني يعلق على هذه الروايات قائلاً :

« .. وقد روى المفسّرون والقصّاص في تأويل هذه الآيات أخباراً لم نجد في نقلها طائلاً ، إذ كانت النفس لا تثق بخبرهم ولا تسكن إلى صحّة نقلهم ، وكان اختلافهم يدلّ على اختلاطهم ... [٢] » .

والقرآن الكريم لا يتطرق إلى مثل هذه التفاصيل التي تذكرها المصادر الإسلاميّة ، فجاءت هذه الإضافات من اجتهاد القصّاص والرواة المتأخرين الذين صاروا يستعينون بمصادر غير إسلاميّة . إلاّ أننا حين نلتفت إلى ما يقوله العلماء المسلمون المحققون نجد الشكّ عظيماً في هذه القصص التي يتداولها القصّاص والمفسّرون ، وقد تنقلها كتب التاريخ الإسلامي نفسها مصدّقة أو شاكّة . فشخصية الإسكندر عند المحققين أو المطلعين على شيء من الأصول اليونانية تظهر بصورة هي إلى الواقع التأريخي أقرب منها إلى الخيال القصصي الذي تلاعبت به أيدي القصّاص . ولذلك نجد هنا إنكاراً شديداً لما يرد على ألسن القصاص من روايات ، وإعراضاً تاماً عن نقل شيء منها ، فأوّل ما يلفت نظرنا في حديث أبي حيّان التوحيدي مثلاً عن الإسكندر أنه لا يذكره في أيّة مناسبة باسم (ذي القرنين) ، ولا يلتفت إلى الروايات الشائعة حول شخصه ، فلا يشير إليه إلاّ إشارات تاريخية موثوقاً بها أو ــ في أقلّ تقدير ــ هي أقرب إلى الواقع التاريخي منها إلى الخيال القصصي .

(١) ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشه) ص ٥٤ .
(٢) الثعالبي . ثمار القلوب ص ٢٢٥ .

ولذلك نجد التوحيدي يتجه إلى أبي سليمان السجستاني المنطقي ـ وهو رجلٌ يوناني الأصل ذو صلة بالفلسفة والعلوم العقليّة ، يأخذ التوحيدي عنه الشيء الكثير في المنطق والفلسفة ـ فيسأله التوحيدي في شيء من هذا الأمر فيأتيه الجواب جواب رجل مطلع على شرائع اليونانيين وأحكامهم فيقول :

« وليس ليونان نبيّ يعرف ولا رسول من قبل الله صادق . وإنما كانوا يفزعون إلى حكمائهم في وضع ناموس يجمع مصالح حياتهم ونظام عيشهم ومنافع أحوالهم في عاجلتهم ، وكانت ملوكهم تحب الحكمة وتؤثر أهلها وتقدّم من تحلّى بجزء من أجزائها ، وكان ذلك الناموس يُعمل به ويرجع إليه حتى إذا أبلاه الزمان وأخلقه الليل والنهار عادوا فوضعوا ناموساً آخر جديداً بزيادة شيء على ما تقدم ، أو نقصان على حسب الأحوال الغالبة على الناس ، والمغلوبة بين الناس . ولهذا لا يقال : إن الإسكندر في أيام ملكه حين سار من المغرب إلى المشرق كانت شريعته كذا وكذا وكان يذكر نبياً يقال له : فلان أو قال : أنا نبي . ولقد واقع دارا وغيره من الملوك على طريق الغلبة في طلب الملك وحيازة الديار وجباية الأموال والسبي والغارة ، ولو كان للنبوّة ذكر وللنبي حديث لكان ذلك مشهوراً مذكوراً ومؤرّخاً معروفاً ... »(١)

ويقوم التوحيدي بنقل أحاديث عن الإسكندر كلّهـا تدلّ على حكمة رجل سياسيّ يزن الأمور ، ولذلك يضع التوحيدي أقوال الإسكندر إلى جانب أقوال الحكماء والفلاسفة .

ولعلّ هذا الجانب من شخصيّة الإسكندر هو الذي حمل القصّاص المسلمين على وصفه بالنبوّة والاختلاف في أمره ؛ على أنّ بعضهم اكتفى بأن جعله في مرتبة سليمان بن داود في الحكمة والعلم والملك ، ولذلك ينسب

(١) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة (ط أحمد أمين ..) ج ٢ ص ٢٢ .

حديث إلى النبي ﷺ يقول فيه : « ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران . فأمّا المؤمنان فسليمان وذو القرنين . وأمّا الكافران فنمرود وبختنصر »(١) . كما ينسب إلى محمّد بن علي بن الحسين (رضي الله عنه) انه قال : الأنبياء والملوك أربعة يوسف ملك مصر وداود وسليمان ملكا ما بين الشام إلى اصطخر وذو القرنين ملك ما بين المغرب والمشرق »(٢) .

* * *

لقد أوشكت شخصيّة الإسكندر أن تصبح اسطورة من الأساطير العجيبة التي تعرض لها كلّ أمة من الأمم بالتحوير والتبديل بما يناسب أدبها وطبيعة تفكير أبنائها ، ولقد امتدّت أسطورة الاسكندر عبر البلاد التي قام الاسكندر المقدوني بفتحها من المحيط الهندي إلى شرقي البحر المتوسط . ولقد كانت العناصر الأولى المكوّنة لهذه الشخصية ذات أصول يونانية ، لكن ما لبثت هذه الأصول وهي تنتقل من جيل إلى جيل ومن أرض إلى أرض حتى اختلطت بعناصر ، بعضها من أصول بابليّة قديمة ، وبعضها الآخر من اضافات مسيحيّة ، وأخرى اسلاميّة . فالأصل اليوناني لسيرة الإسكندر لم يصل إلى المسلمين مباشرة ، بل عن طريق الروايات التي جاءت بنتيجة الاحتكاك بحضارات الأمم المختلفة . وقد وصل هـذا الأصل إلى اوربة وآدابها عن طريق نقولٍ ترجع إلى القرن الثاني الميلادي ظهرت لأوّلِ مرّة في مصر . إلاّ أنّ هذه المنقولات ليست إلاّ خليطاً من عناصر بعضها تاريخي أصيل ، والبعض الآخر وقع تحت تأثير الأساطير البابليّة عن سيرة گلگامش وغيره من الأبطال(٣) .

(١) الثعالبي : ثمار القلوب : ص ٢٢٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) Ency . Britanica , art . Alexander . 14 th ed . (1929)

أما وصولها إلى المسلمين فقــــد كان بالدرجة الأولى عن طريق الأدب الفارسي الذي كان في أحيانٍ كثيرة واسطة مهمّة بين الأدب اليوناني والحضارة الإسلاميّة . فقد قامت الدولة الساسانية على أعقاب دولة الطوائف التي خلفها الاسكندر في بلاد الرافدين وغيرها ، فنقلت الأصول اليونانية إلى اللغة الفارسية عند قيام الدولة الساسانية التي عملت أيضاً على إحياء التراث الفارسي ، وبذلك اختلطت الأصول اليونانية بالفارسية ، وحينما انتقلت إلى العرب المسلمين ـ شفاهاً أو كتابةً ـ كانت قد تطعمت بالعناصر الفارسيّة . ولذلك ليس بغريب مثلاً أن تنسب إلى ابن المقفع ـ وهو المثقف بالثقافة الفارسيّة ، إلى جانب اتقانه اللغة العربيّة ـ ترجمة بعض كتب المنطق الأرسطوطالي ، أو تنسب إلى سالمٍ مولى هشام بن عبد الملك ترجمة رسائل أرسطو إلى الإسكندر (١) ، فلا بدّ أن هذه الأصول قد وجدت في اللغة الفارسية فاستعان بها هؤلاء الكتّاب على نقل التراث اليوناني ، وليس هناك تأييدات كافية بأنّ هؤلاء الكتّاب الديوانيين كانوا على شيء من العلم باليونانية . بل هناك ما يدلّ على أنّ كتباً في تاريخ الإسكندر أو قصته قد ترجمت من الفارسية إلى العربية (٢) .

وهكذا انتقلت قصّة الاسكندر إلى المسلمين ثمّ قامت كلّ أمّة بقسطها من التحريف والإضافة فظهرت قصّة الإسكندر عند كلّ أمّة بصورة تتناسب والقصص الدائر عندها . فالاسكندر في القصص المسيحيّة رسول أو هو أحدُ القديسين ، وأبوه عُدَّ في بعض الأساطير المسيحيّة من الشهداء

(١) ابن النديم الفهرست (ط القاهرة) . ص ١٧٧ .

(٢) ذكر بروكلمان مخطوطة في قصة الاسكندر ترجمت من الفارسية إلى العربية في آيا صوفيا ٣٠٠٣ ـ ٣٠٠٤ : بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ت النجّار) ج ٢ ص ١٠٤ .

المسيحيين ، بل كثيراً ما يستشهد على قصته بأقوالٍ من الإنجيل(١) . أمّا في الأدب الفارسي فهو ابن الملك دارا(١) وحين نأتي إلى القصص الإسلامية يصبح الإسكندر شخصيّة إسلاميّة ، بل هو في الجزيرة العربيّة سابق على الإسلام ، وتورد شيئاً من هذا كتب التاريخ الإسلامي نفسها ؛ فأبو حنيفة الدينوري في أخباره الطوال جعل الاسكندر يفتح الجزيرة العربيّة ويوغل فيها حتى يبلغ مكة فيتدخل في إعادة تنظيم القبائل فيها ، ويحجّ البيت الحرام(٢) والمسعودي ـ في إحدى رواياته ـ يجعله عربيّ الأصل لأنّ « بعض التبابعة غزا مدينة روميّة وأسكنها خلقاً من اليمن وأنّ ذا القرنين الذي هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها ... »(٣) .

وهكذا يصبح المؤرخ الإسلامي حاطب ليلٍ ، يأخذ دون أن ينظر فيرى .

والطريف في القصص الإسلاميّة التي وصلتنا عن الاسكندر ان الروايات ـ على اختلافها وتناقضها ـ تكاد تجمع لنا شيئاً من كلّ أصلٍ من هذه الأصول سواء كانت يونانيّة أو بابليّة قديمة أو فارسيّة أو اسلاميّة أو سوى ذلك ، نلمحها رغم محاولة القصّاص المسلمين إسباغ الطابع الإسلامي عليها وعلى شخصيّاتها . وأهمّ هذه النواحي التي يتجلّى فيها هذا (التجميع) هي قصّة أصل الإسكندر ومولده ، ذلك المولد العجيب الذي اختلفت فيه الروايات أيما اختلاف :

فالإسكندر عند بعض القصّاص المسلمين هو « أخو دارا بن دارا وذلك أنّ دارا الأكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف كان تزوّج أمّ الإسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هيلانة ، وانها حملت

(١) Ency . Britanica .

(٢) الدينوري : الأخبار الطوال (ط ١٩٥٩ ـ تراثنا ص ٣٣ ـ ٣٤) .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٨٨ .

إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال في زوال ذلك منها ، فاجتمع رأي أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها (سندروس) فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كلّه ، فانتهت نفسه عنها لبقيّة نتنها وعافها فردّها على أهلها وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاماً فسمّته باسمه واسم الشجرة التي غسلت بمائها (سكندروس) فهذا أصل اسمه ..[1] » .

على أن المسعودي يقول بأنّ الإسكندر نفسه قد تزوج بابنة دارا بعد أن فتح بلاد فارس وقتل ملكها دارا ثم سار إلى أرض السند والهند[2] .

إنّ أثر النقل عن المصادر الفارسيّة حول أصل الإسكندر لا يحتاج إلى جهدٍ كبير لإظهاره ، إذ أنّ القصص الفارسيّة تحاول أن تجعل الإسكندر فارسياً ، ولقد ظهرت روايات كهذه حتى عند الطبري في تأريخه . والجدير بالذكر أن الطبري يوجّه اهتماماً كبيراً إلى تاريخ ملوك فارس ، ولا يحظى بهذا الاهتمام الكبير تاريخ الروم ، ويبدو أنه ينقل عن مصادر فارسيّة ، ولذلك يجيء حديث الإسكندر عنده ضمن (خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين)[3] ، وينقل أن الاسكندر هو أخو دارا الأصغر . هذا فضلاً عن أن المصادر الإسلاميّة ربما اختلطت فيها الشخصيّات الفارسيّة بشخصيّة الاسكندر وقصّته . فقد جاء في المصادر الإسلاميّة أنّ أحد الخطباء حين قام على

---

(١) الثعلبي : قصص الأنبياء ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ . وقد ذكر هذه القصة كثير من كتب التاريخ الاسلامي انظر مثلاً : الثعالبي : تاريخ غرر السير (ط ١٩٦٣ ــ باريس) ص ٤٠٠ ــ ٤٥٠ .

(٢) مروج الذهب : جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك (ط ١٩٣٩ ــ الاستقامة) جـ ١ ص ٤٠٨ .

سرير الاسكندر وهو ميّت قال : « الاسكندر كان أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس (١) » . هذا القول نفسه ينسب في مصادر عربيّة أخرى أيضاً الى الموبذ حين قام يرثي قباذ الملك . وينقل المبرّد قوله « كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس » (٢) . ولست أدري ان كان هذا الاختلاف كان في الأصل من المصادر الفارسيّة أو هو من عمل المصادر العربيّة التي نقلت هذه الأقوال . فقد نقل المسعودي عدداً ضخماً من الحكم والأقوال التي ألقيت عند قبر الإسكندر دون أن يشير إلى أصلها الذي نقلها عنه (٣) . أما الثعالبي فيتبرع بذكر أسماء الحكماء الذين رثوا الإسكندر على قبره بإلقاء مواعظهم وحكمهم السائرة ، فيعدّد من بينهم أسماء عجيبة في امتزاجها ، ـ بينهم أرسطوطاليس ، أفلاطون ، بطليموس . طوبيقا (كذا !) ديمقراطيس ، سقراط (!) . (٤) الخ .

ويظهر في الروايات الإسلامية عنصر آخر ربما استطعنا أن نرجعه إلى أصول بابليّة تأثرت بها قصّة الإسكندر قبل وصولها إلى المسلمين . فقد تردد أن الاسكندر كان من نتاج ما بين الملائكة والإنس وذلك أنّ أمّه كانت آدمية وكان أبوه من الملائكة ـ كما تقدم ذكره ـ . إنّ الاعتقاد بعلاقة الجنّ والإنس يرد في الأخبار المنسوبة إلى العرب قبل الإسلام ، كحديث السعلاة التي نزلت في بني تميم حتى ولدت منهم (٥) . ومن هذا الباب حديث الملكة بلقيس والقول في نسبها في الجن والإنس . وقد وردت في القصص

(١) الجاحظ : البيان والتبيين (ط هرون) ج ١ ص ٨١ .
(٢) المبرد : الكامل (ط ١٩٥٦) ج ٢ ص ١١ .
(٣) المسعودي : مروج ، ج ١ ص ٢٩١ .
(٤) الثعالبي : تاريخ غرر السير ، ص ٤٥٠ ــ ٥١ .
(٥) الجاحظ : الحيوان : ج ١ ص ١٨٧ .

الإسلامية أقاصيص يبدو أنها من أصل بابلي ، كقصّة هاروت وماروت اللذين كانا ملكين مطيعين أهبطا إلى الأرض ليجرّبا فيها الغواية والفتنة ولبثا في الأرض فترة حتى عرضت لهما الزهرة (وهي اناهيد بالفارسية) ففتنتهما ، فشربا الخمرة وقتلا ، وكانت لهما صلة بالإنسيّة ، فمسخت الزهرة كوكباً - وهي النجم المعروف . والمصادر القصصيّة الإسلاميّة تجعل القصّة ذات هدف وعظيّ ، وتنسب بعض رواياتها إلى المصدر الأوّل من الإسلام ، بل إلى النبي ﷺ نفسه (١) .

لقد رويت عن أصل الإسكندر ومولده روايات تسوغ الادعاء بأن الإسكندر ولد من نتاج الانس والجنّ . ولقد روت المصادر الاسلاميّة روايات أشبه أن تكون ذات أصل لاتيني . والسبب في ظني هذا هو التقارب العظيم بين ما روته المصادر الاسلاميّة - القصصيّة أو التاريخيّة - في هذا الشأن وما تورده مصادر سيرة الاسكندر اللاتينية التي انتقلت محرّفة ومزيدة إلى الآداب الأوربية . وسأنقل فيما يلي ما كتبه البيروني (المتوفّى سنة ٤٤٠ هـ) - وهو ممّن اتصل بمصادر الثقافات القديمة وكتب في موضوعات شتى من العلوم والتاريخ والعقائد .. الخ .. يصف البيروني مولد الاسكندر قائلاً .

« إن نقطينابوس ملك مصر هرب من اردشير الأسود واختفى في مدينة ماقيدونيا يتنجم ويتكهن ، احتال على اولمفيدا امرأة يلبس ملكها وهو غائب حتى كان يغشاها خداعاً ويري نفسه على صورة أمون الإله في شبه حيّة ذات قرنين كقرني الكبش (٢) إلى أن حبلت بالاسكندر وكاد يلبس عند

(١) الثعلبي : قصص الأنبياء : ص ٣٨ - ٤١ .

(٢) أمون (Ammon) في الأصل إله ثيبا ، ثم أصبح يُعبد في أماكن كثيرة . وبعد استيلاء اليونان على واحة سيوا يظهر أمون في الأدب اليوناني وذلك لصلته بهذه الأرجاء . فكان أمون يصوّر في النقود اليونانية على هيأة رأس لزيوس مضافاً اليه قرون وعلٍ ذات فروع هي في الأصل قرون أمون . وقد زار الاسكندر معبده في سيوا ورحّب به الكهنة على أنه ابن الإله زيوس .

رجوعه أن ينتفي منه وينفيه فرأى في المنام انه نسل الإله أمون فقبله وقال : لا معاندة مع الآلهة »[١] .

وبعد النظر إلى ما تقدّم من حديث البيروني ، لننظر إلى ما تقوله المصادر الاوربيّة عن سيرة الاسكندر ، وقد وصلت هذه السيرة إلى الآداب الاوربيّة بروايات مختلفة عن مولده ، نشأته وفتوحاته . جاء في الكتاب الأوّل :

إنّ أبا الاسكندر الحقيقي هو نيكتانيبوس[٢] ، وهو أحد ملوك مصر الهاربين منها . وقد كان هذا الأب ساحراً عظيماً له قدرة عجيبة على تطبيق أعماله السحريّة على نماذج مصنوعة من الشمع لسفن وجيوش اعدائه ، فيسيطر سيطرة تامّة على حركاتها الحقيقية . على أن هذا الرجل يلجأ إلى مقدونيا وهناك يشتهر كمنجّم . وتتعرف عليه اوليمبياس بهذه الصفة لتستشيره إذ لم ترزق بولد . فيمدها هذا بأنّ (زيوس أمون) سيزورها في هيئة تنين . . ثم يقوم هو نفسه باتخاذ هذا المظهر . ويولد الاسكندر في الوقت الملائم ، وتثور شكوك (فيليب) لكنّ ظهور التنين من جديد يؤيد ألوهيّة أبوّته . وكان الطفل في أوّل أمره قميئاً مشوّهاً وإنه كان على حظ عظيم من الشجاعة والذكاء .. »[٣] .

ولا حاجة بنا إلى القول بأنّ التطابق بين القصتين يكاد يكون تاماً .

---

(١) البيروني : تحقيق ما للهند من مقوله (ط الهند ١٩٥٨) ص ٧٤ .

(٢) ومما يذكر عن الاسكندر المقدوني انه طلب الى جميع المدن اليونانية أن تعامله معاملة إلهٍ ، وكان ذلك سنة ٣٢٤ ق . م . ولعلّ هذا من العوامل التي ساعدت على القصص التي تنسج حول شخصه .

(٣) Ency . Brit . art . Alexander

وبستمرّ الكتاب الثاني والثالث في الحديث عن فتوحات الاسكندر وانتصاراته ، ثم موته أخيراً في بابل .

أمّا الإضافات التي أضافها القصّاص المسلمون فكثيراً ما كانت ساذجة وبسيطة في ظاهرها ، تنصبّ بالدرجة الأولى على إظهار الاسكندر بمظهر المؤيد للإسلام ، أو تجعله من أصل عربيّ ـ كما ذكر سالفاً ..

* * *

ولعلّ من أطرف ما يختم به حديث الاسكندر ما رواه القاضي الجرجاني من تحقيق في أصله يستعين عليه بما ينقله عن مصادر تأريخيّة فارسيّة أو يونانيّة . وهو في الحقّ أقرب الكتّاب إلى الواقع التأريخي . يقول القاضي الجرجاني :

(... وهذه جملة من سيره مأخوذة من تواريخ يونان وفارس ، وأمّا روايات القصّاص وأهل المبتدأ ، فمرفوضه عند أهل التحصيل :

زعمت يونان أنه لما ولد الاسكندر عرض مولده على المنجمين فحكموا له بما آل إليه أمره . وترعرع الاسكندر فهجس في نفسه صدق ما حكموا له به . وهلك أبوه فيلفس وللاسكندر عشرون سنة ، فخلفه على ملكه فركب البحر يؤم المغرب فوطىء أرضه حتى انتهى إلى أقاصيها ثم رجع على طريق افريقية ومصر والشام متوجهاً إلى المشرق حتى قتل دارا واستولى على ممالكه وسار حتى أوغل في المشرق فقتل فورا ملك الهند وأقام ببلاده مدّة ، ثم سار حتى أتى تبت فدان له ملكها وأهدى له شيئاً كثيراً من الذهب والمسك ثم سار حتى أتى الصين فتلقاه ملكها بالطاعة وأهدى له هدايا عظيمة من الذهب والحرير والوبر وأنواع العطر وآلات الصين وعدل إلى نواحي يأجوج ومأجوج فبنى السدّ ودخل الظلمات من ناحية القطب الشمالي في أربعمائة رجل فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، وخرج إلى طريق خراسان ولما انتهى إلى نهر بلخ عقد عليه جسراً من ثلثمائة سفينة ، وبنى على غربيه

قصراً فاغتاله بعض أصحابه ، فسقاه سماً فمرض بقومس وتحامل حتى أتى شهرزور وثقل بها وهلك ببابل العتيقة وكان أشقر أبرش قصيراً أحنف وابتدأ اليونانيون تاريخ ملكه من أول سنة سبع وعشرين من سني عمره وهو وقت ابتداء جولاته فكانت مدته بذلك إحدى عشرة سنة وثلثمائة وستة وعشرين يوماً . ولم يكن يدعو إلى دين وإنما كان يأمر بالتناصف وترك التظالم »(١) .

★ ★ ★

فخلاصة ما تقدّم أن قصّة ذي القرنين يمكن أن تعدّ نموذجاً للقصص الإسلامي الذي يجمع بين العناصر التأريخية والعناصر الخيالية التي تعاونت على تكوينه . فالمؤرخ والقاصّ يستعين أحدهما بالآخر ؛ وفي كثير من الأحيان يصعب علينا أن نميّز بينهما : بين من يقصد إلى الحقيقة التاريخيّة لذاتها ومن يتخذ الحدث التاريخي وسيلة للخلق والإبداع في مجال أوسع ، دون الارتباط بالواقع .

فقصة ذي القرنين التي جاءت ملخصة جداً في القرآن الكريم شغلت اذهان المؤرخين والمفسّرين والقصّاص . ولعلّ السبب في اختلاف المسلمين في شخصه هو أنّ الاختلاف قد وقع قبل المسلمين في المصادر اليونانية والفارسية ، فنقلته المصادر الإسلامية نفسها ولم يخل تاريخ القصّة من تأثيرات بابليّة أو مصريّة قديمة ، فلم تلبث هذه التأثيرات أن ظهرت في القصّة الاسلاميّة أيضاً . فالقصص الإسلامي كان من أرحب المجالات التي اختلطت فيها عناصر الحضارات القديمة باتجاهاتها المختلفة ، تأريخيّة كانت أو أسطورية ، رغم أن الرواة المسلمين جهدوا في أن يسبغوا على الروايات الطابع الديني الذي يجعلها مقبولة لدى المجتمع الاسلامي .

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب ص ٢٢٧ ـ ٢٨ .

وليس هناك ما يسوغ كون المسلمين أعرضوا عن القصص اليونانية ، إذ لو دققنا النظر لوجدنا القصة الاسلامية لا تخلو من عناصر يونانية أو فارسية ونود لو قام باحث بالبحث عنها في ثنايا القصص الإسلامي .



المصادر والمراجع

١ — آزاد (مولانا أبو الكلام) : شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن بحث نشر في مجلة (ثقافة الهند) : الأعداد : مارس ، يونيو ، سبتمبر ، سنة ١٩٥٠ .
٢ — ألف ليلة وليلة (ط. الآباء اليسوعيين - ١٩٢٧) .
٣ — بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (ترجمة عبد الحليم النجار) .
٤ — البيروني : (١) الآثار الباقية (ط ليزك) .
(٢) تحقيق ما للهند من مقولة (ط الهند ١٩٥٨) .
٥ — التوحيدي (أبو حيان): الإمتاع والمؤانسة (ط. أحمد أمين وأحمد الزين).
٦ — الثعالبي : (١) تاريخ غرر السير (ط باريس ١٩٦٣) .
(٢) ثمار القلوب (١٩٠٨) .
٧ — الثعلبي : قصص الأنبياء المسمّى عرائس المجالس (ط ١٣٠١) .
٨ — الجاحظ : (١) البيان والتبيين (ط عبد السلام هرون) .
(٢) التربيع والتدوير (ط پيلا) .
(٣) الحيوان (ط عبد السلام هرون)
٩ — أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال (ط تراثنا ١٩٥٩) .
١٠ — الزمخشري : الكشاف (ط الاستقامة - ١٩٤٦) .
١١ — صاعد الأندلسي : طبقات الأمم (ط لويس شيخو) .

١٢ — الطبري : (١) تاريخ الأمم والملوك (ط الاستقامة ١٩٣٩) .
(٢) جامع البيان (ط بولاق ١٣٢٨) .
١٣ — ابن قتيبة : المعارف (ط عكاشة ١٩٦٠) .
١٤ — القفطي : تاريخ الحكماء (ط ليزك) .
١٥ — المبرد : الكامل (ط ١٩٥٦) .
١٦ — المسعودي : مروج الذهب (ط ١٩٥٨) .
١٧ — القدسي (المطهر بن طاهر) : البدء والتأريخ (ط هوار ، ١٩٠٣) .
١٨ — ابن النديم : الفهرست (ط الاستقامة ـ القاهرة) .
١٩ — ابن هشام : السيرة النبوية (ط وستنفيلد) .
(٢٠) Encyclopædia Britanica, art. : Alexander; under the heading of : The Romance of Alexander.

(بغداد) الدكتورة وديعة طه النجم



نظرة تعليلية لبعض آراء المستشرقين

عن معاملة فقه الخراج لأهل الذمة

ظهرت في المدة الأخيرة طبعات جديدة ومتعددة لبعض أمهات كتب الخراج ،أشرف على نشرها وتحقيقها بعض المستشرقين الذين قاموا بنشر النص العربي بأكمله أو مختارات منه ، مع ترجمة له والتعليق عليها ، وذلك بآراء لا تتفق هي وروح النص ومضمونه . ومن بين ما أعادوا نشره كتاب الخراج لكل من يحيى بن آدم والإمام أبي يوسف .(١) وعلى الرغم من ظهور هذين الكتابين في عدة طبعات بالعالم العربي وبأوربة ، فالطبعة الجديدة ، كانت غير أمينة . والواضح أن هدف هؤلاء في تقديم نصوص فقه الخراج بصورة مشوهة ، كانت غايته تقديم أسس نظرية زائفة ، يمكن استخدامها للنيل من عدالة التشريع الخراجي .

---

(١) أهم الطبعات التي تناولت كتاب الخراج بالتقديم والتعليق هي :

Ben Shemesh . Taxation in Islam. 1958 — 1959 — 1963

وكتبه الأخرى عن الخراج والتي نشر بها كتب يحيى بن آدم ـ قدامة بن جعفر وأبي يوسف (كتاب الخراج لأبي يوسف)

Lokkegaard : Islamic Taxation Fagan

وقد نشره كذلك بالفرنسية

Dennett, D. C : Conversion and Poll - Tax in Early Islam. Harvard, 1960

Aghnides. N. P : Mouhammedan Theories of finance 1961

Laoust. H : le precis de Droit, Paris 1960.

وقد تناسى هؤلاء أن التشريع الخراجي وأحكامه ، ما هي إلا نظريات قياسية عامة تتسم بروح التسامح والعدل ، إذ لم يمهل فقه الخراج على التشيّع وإخفاء أخطاء الولاة والعمال في تطبيق أحكام الخراج ، بل إنه وجّه اللوم إلى تلك الزمرة من العمال الذين خرجوا على حدود تلك الأحكام . وقد تجاهل هؤلاء التعليق على بعض النصوص التي تناولت فساد بعض الولاة ، وما كان أحد ينكر عليهم ذلك العداء في آرائهم استنادا على تلك النصوص مثل ما نحا من قبل ڤان ڤولتن وغيره . ولكن هؤلاء المستشرقين طرقوا موضوعاً أخطر وأعمق من هذا ، فلقد حاولوا تفسير وترجمة تلك النصوص الواضحة بشكل يخدم أغراضهم ، بعد تزييف تلك النصوص .

ومن المؤكد أنّ التشريع الخراجي قد وضع الخطوط العريضة لحدود تطبيق أحكامه ، تاركاً وسائل تنفيذها طبقاً لمقتضى وظروف ممارستها . وقصد أساساً التخفيف على أهل الذمة ، عاملاً بأحكام القرآن الكريم والسنن النبوية الشريفة التي أوصت بالرأفة وحسن معاملة أهل الذمة . وليس بالمستغرب أن أحكام الخراج وهي أحكام نظرية ، لم تخرج إلى حيز التنفيذ في أكثر حالاتها ، بل أبقي على القوانين الخراجية السائدة قبل الفتح الاسلامي في كثير من المناطق ، وذلك بعد تكيفها والتخفيف من قيودها بحيث تتمشى وروح الاسلام الخلاقة العادلة . وقد أيّدت تلك النظرة العديد من الدراسات الحديثة التي تعتمد على وثائق خراجية ترجع إلى الفترة التي عاصرت سن تلك الأحكام الخراجية .(١) وقد ظهر بحث في مجلة J. E. S. H. O بالمجلد

---

(١) H. J. Bell : the greek Papyri in the British Museum London, 1907—17.
Grohmann . A the Library. Arabic papyri in the Egyptian Cairo
عبد المنعم مختار : المقاطعات الشرقية للامبراطورية البيزنطية تحت الحكم العربي الى تعريب الدواوين (اطروحة بالهنغارية بودابست ١٩٦٣) .
الخراج والنظام الضرائبي في مصر الأموية : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مجلة ٤١ ج ٤ .

السادس ، تناول بصفة عامة بعض تلك الطبعات ، وناقش هذا الزيف وسوء فهم النصوص الخراجية ، إلا أن البحث لم يتناول الموضوع من وجهة النظر العربية .

وهنا لا بدّ من تقديم عرض موجز عن تطور أحكام الخراج ، إلى أن اكتملت بشكلها التشريعي ، في نهاية القرن الأول الهجري ، وذلك حتى يمكن تناول تلك الفترة التي ناقشها هؤلاء المستشرقون . فقد أخذ العرب عند وضع الأحكام الخراجية ، عن الكثير من الأحكام التي كان رسول الله ﷺ يعامل بها المناطق الداخلة تحت لواء الاسلام . وكانت تلك الأحكام منطلق التشريع في عهد الراشدين ، وفي العهد الأموي للدولة العربية .

وقد حاول بعض المستشرقين القيام بمقارنات تحليلية لتلك الأحكام ، ولكن الصواب جانبهم ، إذ لم يضعوا في اعتبارهم بساطة النظام الخراجي في عهده المبكر ، وأنه كان يفي باحتياجات المجتمع العربي الأول . فلقد دخل المعاهدون في حمى رسول الله ﷺ وصاروا من أهل العهد ، وفرضت عليهم جالية [1] قدرها دينار واحد . وخصص مدخول جزية الرأس لتدبير شئون المجتمع العربي . [2]

وإذا نظرنا إلى خراج الأرض « Tributum Soli » ، فلقد كان بسيطاً وغير معقّد ، إذ لم يكن للمجتمع الاسلامي الأول إقطاعات وأراضٍ واسعة . فأهل خيبر كانوا يناصفون ، وأهل (مقنا) كانوا يرابعون ، أما غيرهم فكان يدفع القدر المسمى . وقد أنفق مردود هذا الخراج في شئون الحفاظ على

---

(١) ورد في المعاجم أن الجالية هم أهل الذمة أنفسهم . وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من هذه العبارة . (المجلة)

(٢) أبو يوسف : كتاب الخراج ، طبعة القاهرة ص ٥٩ ، أبو الفرج : الاستخراج ، ص ١٢ يحيى بن آدم ، طبعة ليدن ، ص ٥١ ، بلاذري : فتوح البلدان ، صفحات ٧٠ ، ٧١ .

سلامة المجتمع الاسلامي.(١) وقد أقرّ الاسلام النظم الموروثة بالنسبة للغنيمة الحربية ، طبقاً اشروط وأحكام عامة تخدم المجتمع . واعتبرت فدك فيئاً لله ولرسوله وكان يصرف من مردودها في شئون المسلمين طبقاً لأحكام القرآن . (٢)

وكما هو واضح ، فإن النظام الخراجي في عهده الأول كان بسيطاً وغير معقد ويفي باحتياجات المجتمع المتواضع . ولكن عندما خرج العرب من جزيرتهم لنشر كلمة الله والجهاد في سبيله ، وأفاء الله سبحانه وتعالى على المسلمين أرضين واسعة ، تغيّرت المقاييس والمعايير المستخدمة . فقد وسّع الله على المسلمين من فضل خيره ، وفتحت بلاد الفرس والروم ودخل أهلوها ضمن إطار المجتمع الاسلامي ، وصاروا جزءاً لا يتجزأ منه . ووجدت العاصمة العربية الأولى نفسها في حِلّ للاتجاه نحو الاجتهاد في سنّ الأحكام والأسس الخراجية ، غير أنها لم تتعد حدود الروح السمحة التي تتسم بها أحكام القرآن والسنة .

وقد حاول المستشرقون منذ عهدهم الأول بالاستشراق ، تفسير هذا التطور في خطوطه العامة ، بما يتفق مع ما يحملون من آراء مُسْمّمة . وفي سبيل ذلك استخدموا التناقض الظاهري بين أحكام التشريع الخراجي ، وبين الوثائق المالية الخراجية ، للتوصل إلى الزعم بأن هناك تضارباً حاداً بين التشريع وواقع الحال ، وبأن أهل العهد عاشوا أحقاباً طويلة من الاضطهاد والاستغلال . ولو فحص هؤلاء المستشرقون تلك الوثائق الخراجية وأحكام الخراج النظرية لتبين لهم بأن هذا التناقض ظاهري ، لم يتعارض مع روح التشريع الاسلامي ، ولتبين لهم بأن ذلك لم يكن إلا استجابة لحكمة التشريع في التخفيف عن أهل الذمة ، وهذا ما أثبتته الوثائق الخراجية نفسها .

---

(١) بلاذري : صفحات ٣٦ ــ ٤٢ ــ ٧٠ ــ ٧٢ . أبو يوسف ــ نفس المصدر .
(٢) بلاذري : صفحات ٤٢ ــ ٤٤ وأبويوسف : ص ٥١ .

ولم يتعدَّ الطابع المميز للتشريع الخراجي مضمون اصطلاح « عفو ـ فضل طاقه » الذي أوضح مدى المفهوم الإنساني بعدالة التشريع هذا ، التي اتبع كقاعدة أساسية في شئون الجباية . وقد أساء هؤلاء الذين نشروا كتاب الخراج حديثاً ؛ إلى مضمون هذا الاصطلاح ، وفسّروه بشكل يفقد التشريع روحه العادلة ، ويقضي به إلى الجشع المطلق . وقادهم إلى ذلك الفهم عدم إمكانهم متابعة الأحكام العامة والتي وضعت من الناحية النظرية فقط في مسائل خراج البلاد المفتوحة عن طريق الصلح أو عن طريق الحرب والفتوة . وهذا ما أدّى بهم إلى التضارب في الرأي . ومما لا شك فيه ، أنَّ هذا الاصطلاح قد رسم الأسس والطرق المتبعة في فرض وجباية الخراج في سورية ومصر والعراق ، بل وفي معظم الأقاليم الاسلامية في الشرق . وقد وردت مفردات هذا الاصطلاح في ثنايا الروايات الخراجيــة ، عند تناولها مسائل فرض الخراج وملكية الأرض وحق الانتفاع بها ، سواء كان المنتفع عربياً مسلماً ومن الموالي أو من أهل الذمة . كما وأنها وردت في الكثير من الروايات التي تناولت المسائل المتعلقة بالجهاز المالي وعن المعاملات التي اتبعت خلال القرن الأول الهجري . وتبدو هذه المفردات الثلاث ؛ للباحث المتسرع ، في معناها العام ، لذلك غمُضت عليه . وقد استغلَّ هؤلاء تلك المعاني العامة للتدليل على صحة زيف آرائهم المسممة . والواقع أن فقهاء الخراج استخدموا تلك المفردات في استشهاداتهم التشريعية بمعناها الخاص ، ولكي توضح المسألة المختلف عليها . وانتهز هؤلاء تلك الفرصة ، فأدمجوا استشهادات وتفسيرات الفقهاء لنص متن الأحكام الأساسية ، لكي يوجدوا تضارباً مزعوماً . والواقع فان اختلاف الفقهاء كان حول فهمهم لنص المتن وليس الاختلاف في المتن .

ومن المعلوم فان جزية الرأس قد مرّت بعدة مراحل تشريعية ، وتطورت أحكامها ومعايير جبايتها التي كانت تحمل طابعاً موحداً في العهد الاسلامي المبكر ... فلقد اضطر عمر الفاروق ، عندما وسّع الله على العرب ، إلى الاتجاه نحو الاجتهاد في اتخاذ وسنّ الأحكام ، وذلك لصالح الأمة الاسلامية . فلم يكن من المعقول أن يعامل أثرياء ودهاقين العراق مثل معاملة علوج سواد العراق ، وغيرهم من أهل العهد بالجزيرة العربية الذين كانوا لا يجدون قوت يومهم إلا بجهد وعناء . لذلك كان تغيير المقدار الموحد في جبايتها ، طبقاً لأحوال وظروف الأقاليم الاسلامية . ففي العراق احتفظ من الناحية النظرية بالنظام الساساني ، وكانت الجزية الواجبة : على الموسر ٤٨ درهما ، وعلى الوسط ٢٤ وعلى المحتاج الحراث العامل بيده ١٢ درهما (١) . وفي مصر حددت الجزية بمقدار موحد على كافة السكان ، وجبيت دينارين للرأس (٢) غير أن تطبيق الجباية من الناحية الواقعية لم يخضع لأحكام التشريع الخراجي ، إذ أدمجت تلك الضريبة ضمن خراج الأرض ، ولم تكن تجبى حسب تلك الأحكام، بل تنوعت مقاديرها حسب طاقة السكان ، فمنهم من كان يعفى منها ، وغالباً ما كان السكان لا يدفعونها مباشرة . وتؤيد الوثائق الخراجية رواية ابن عبد الحكم عن جباية جزية

---

(١) بلاذري : كانت الجزية بالشام في أول الأمر جريباً وديناراً . ثم وضعها عمر بن الخطاب على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعين درهماً . وجعلهم طبقات لغنى الغني وإقلال المقل وتوسط المتوسط ، ص ١٣١ وكذلك على أهل حلب وانطاكية ص ١٥٢ .

صفحات ١٣١ ـ ١٥٧ ـ ٢٦٨ ، أبو يوسف صفحات ٣٦ ـ ٣٨ ـ ١٢٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر صفحة ١٥٢ .

(٢) ابن عبد الحكم : صفحات ٧٠ ـ ٨٢ ـ ٨٤ ـ ٨٥ ، ٨٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة . القاهرة ١٢٩٩ هـ صفحات ٧٠ ـ ٧٤ . أبي حبيش : كتاب الغزوات . مخطوط بليدن ص ٩٥ .

الرأس(١) . وفرضت الجزية في سورية طبقاً لمعايير متنوعة وطبقاً لحال البلاد وقت الفتح وبالتالي عن كيفية الفتح(٢) . غير أن ذلك كان في أيام الفتح الأولى ، والمؤكد أن تلك المعايير قد تغيرت بعد ذلك .

وهناك من الروايات الخراجية ما يوضح أمر التخفيف في جباية الجزية ومنها ما يؤكد على جبايتها على قسط واحد ، غير أن الوثائق الخراجية أثبتت صحة الروايات الأولى ، وقدمت أمثلة عديدة على أن الجزية كانت تؤدى على أقساط شهرية ، وذلك ما يخالف معظم الروايات .

وكان قرار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسائل اعتبار أراضي الفتح ملكاً للأمة ، كان مخيباً لآمال فئة من الارستقراطية العربية المتعطشة للثراء ولتملك الأرض . وبذل هؤلاء جهداً كبيراً لاقناع عمر بن الخطاب باقرار أحكام الفيء في الأراضي المفتوحة . ولما كان عمر يهدف إلى صالح الأمة الاسلامية وخيرها والحفاظ على كيان ووحدة العرب ، لذلك وضع الأقاليم المفتوحة تحت تصرف الدولة ، وخصص إيراداتها لصالح المسلمين ولذريتهم من بعدهم ، وللانفاق على الشئون العامة . وكان أهم قرار اتخذه ، هو ضم الأراضي المفتوحة عنوة إلى تلك المفتوحة صلحاً ، ووحد الأحكام بها . وهذا ما هدد مصالح تلك الفئة المتعطشة للثراء وغيرهم من دهاقين الفرس وكبار الملاك الروم . فلقد ظنت الفئة الأولى أنها ستحصل على الأرض طبقاً لأحكام الفيء وغنيمة الحرب [أربعة أخماس الغنيمة] ، وكذلك تقسيم من عليها من فلاحيها . وقد تصرف عمر تصرفاً حكيماً ، فهو كان يخشى أن تتشتت الأمة العربية وتتمزق وحدتها في الوقت الذي يُحتاج فيه إليهم للجهاد

(١) أوراق البردى في المتحف البريطاني لبيلل : برديات ١٤٢ ــ ١٤٢١ ، سجل الخراج رقم ١٨٤٧ ، ١٤١٠ .

(٢) انظر هامش رقم ٦ .

في سبيل الله . وقد أحسن العمل بحديث رسول الله ﷺ : « جعل رزق أمتي في سنابك خيلها وأزجة رماحها ، فان زرعوا كانوا من عامة الناس » . وبذلك صرفهم عن الانهماك في الأمور الحياتية وعن التنازع والتصارع في سبيل تملك الأرض . وخير دليل على صواب قرار عمر ، موقف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما سئل في قسمة الأرضين ، إذ قال : « لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لقسمت السواد بينكم » . فلو قسم عمر الأرض وفلاحيها على أجناد الفتح لتفتتت الأرض وأصبح إنتاجها غير مثمر ، وهذا يضر باقتصاد الأمة وبأهل العهد أساساً .

وقد صوّر لنا الدكتور طه حسين في كتابه « الفتنة الكبرى » ذلك الجانب من المحاولات والمؤامرات التي نجحت فيما بعد في اقتطاع مساحات شاسعة من أراضي الدولة وعامة المسلمين ، خلال الفترة التي بدأت بعد وفاة الفاروق عمر .

لذلك أقرّ عمر العمل بالنظم الخراجية القديمة ، وبصفة خاصة النظام الروماني المسمى Ager Puplicus ، الذي أعطى أهل الذمة حق الانتفاع بأراضيهم نظير دفع عائد سنوي للدولة ، وهو جزء من إنتاج الأرض وإجارة نقدية . غير أن التشريع العمري يختلف مع القانون هـذا في الأوجه التي تصرف فيها عائدات الأرض . وقد جاهر عمر في سبيل إقرار أحكامه ، واضطر للدخول في جدال فقهي مع هؤلاء الذين يبغون تقسيم الأرض . فانقسم بذلك معسكر صحابة رسول الله وأنصاره إلى فرقتين ، فرقة تؤيد عمر وفيها علي وعثمان وطلحة ، وفرقة تعارضه تمثل الأرستقراطية القرشية وزعمائها الأمويين وعلى رأسها عبد الرحمن بن عوف والزبير . أما بلال فانه وقف محايداً بين الطرفين داعياً إلى الأخذ بسنة الرسول الكريم في أراضي

اليهود وغيرهم من سكان الواحات الشمالية .(١) واضطر عمر إلى عقد اجتماع ضمّ خيرة أصحاب رسول الله للتوصل إلى قرار لا يخرج عن السنن المعمول بها . فخرج الاجتماع باقرار عمر في أحكامه . وكان هـــذا القرار من أهم القرارات الثورية وأشدها أثراً في تاريخ الاسلام حديثة وقديمة .

وبدأ عمر في سن وإقرار أحكام الخراج ، لذلك كلف عثمان بن حنيف بمسح سواد العراق ، فقدره عثمان بـ ٣٦ مليون جريب (٢) ، ومسح كذلك الإقطاعات الكبيرة المخصصة للأغراض الدينية ، وتلك التي كانت من أملاك الدولة الساسانية ، وكذلك الأراضي التي هجرها أصحابها أو التي لا صاحب لها ، هذا إلى جانب الأراضي المصادرة . وقد درّت تلك الأراضي بعائد يبلغ ٧ مليون درهم . وقد بلغت إيرادات الصوافي على عهد عمر أربعة آلاف ألف (٣) . وفرض الخراج نظرياً على أساس الجريب ، وطبقاً لنوعية محصول الأرض وحالة الري بها . ولكن تلك الأحكام كما يبدو وضعت في وقت متأخر(٤) وكان خراج سواد العراق في السنوات الأولى من المسح ٨٦ مليون درهم ، سرعان ما ارتفعت إلى مائة مليون بعد بضع سنين من الاستقرار واستزراع المهجور من الأرض (٥) ولم يكن هذا الارتفاع من جباية الخراج كما يحاول بعض المستشرقين ترويجه وهو أن ذلك كان بنتيجة الضغط واستنزاف إمكانيات أهل العهد ، بل يرجع ذلك إلى الاستقرار ورجوع الحياة إلى مجراها الطبيعي . ولم يتمكن عمر من القيام بمسح بقية الأقاليم الإسلامية ، لذلك أقرّ الخراج على أساس عمليات المسح التي تمت قبل الفتح .

---

(١) أبو يوسف: صفحات ١٤ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٦٨ ـ سورة الحشر آية ٧ ـ ٨ ـ ٩.
(٢) بلاذري : صفحات ٢٢٦ ، ٢٧٨ . أبو يوسف : ص ٣٦ .
(٣) أبو يوسف : ص ٥٧ .
(٤) انظر كتاب الخراج .
(٥) أبو يوسف : ص ٣٦ ـ بلاذري ص ٢٧ .

أما سورية فقد عوملت طبقاً لحكم أساس وضع أيام الفتح الأولى ، أما الأراضي التي فتحت عنوة فانها عوملت بقدر طاقتها وبقدر ما تتحمله ، وأما تلك التي فتحت طبقاً لصلح تمّ بين أهلها وبين قادة الفتح ، فانها كانت تدفع المقدار المسمى في عهد الصلح ، رغم أن العرب كانوا يوَدّون أن يتم فرض الخراج طبقاً لقدر الطاقة ، لما يتسم ذلك بطابع العدل . وسرعان ما عوملت سورية عند استقرار الأوضاع طبقاً للأحكام السائدة بها قبل الفتح بعد تكيفها مع الروح التشريعية العادلة .

وقد ساد في مصر القانون الرومي . مع أن فقه الخراج قدم مجموعة للأحكام التي وضعت كأساس للجباية ، فإن الروايات الخراجية تضاربت في نوعية الأحكام المستخدمة وذلك لعدم وضوح حقيقة أمر الفتح وهل تم صلحاً أم عنوة . غير أن ذلك كله لم يتعارض مع حقيقة الأمر الواقع ، إذ استمر العمل بمقتضى القوانين الرومية ، وبقدر طاقة أهل البلاد .

هذه هي أحكام الخراج في مجملها على عهد الخلفاء الراشدين ، وهي تتفق مع الروح الفقهية مضموناً وشكلاً . ورغم الابقاء عليها خلال العصر الأموي ، إلا أنها لم تطبق بالشكل الذي فرضه التشريع الفقهي الخراجي ، بل تم الاجتهاد في سنّ الأحكام ، وبحيث استفادت فئة من الحكام والولاة من الثغرات التشريعية . وهذا ما دفع إلى تخريج أحكام جديدة تسد تلك الثغرات التي أتاحت الفرصة لبعض الولاة واتباع البلاط الأموي في استقطاع أراضي شاسعة ، بطرق غير مشروعة تتعارض مع التشريع المصري ، مثل وضع اليد على الصوافي والأرض المهجورة أو على أرض الدولة نفسها .(١) وقد حصل هؤلاء على الأراضي بطرق أخرى منها الحصول عليها في مناسبات

(١) فان فلوتن : السيادة العربية ، القاهرة ١٩٣٤ ــ صفحات ٣٢ ، ٣٤ ــ طبري : جزء ٢ صفحات ١٦ ، ٥٥ ، وكتب الخراج والتاريخ .

خاصة كتعويض عن خدماتهم للدولة ، أو كهبة ، أو بطريق الشراء من المنتفع الأصلي . وقد حرمت الأحكام الحصول على الأرض الخراجيه بالشراء ، إذ أنها تتحول إلى أرض عشروية ، إن كان المشتري مسلماً . وهذا يعرض الدولة لفقد جزء كبير من دخلها بنتيجة الاختلاف في جباية الخراج والعشور .

وعندما خرج الأمر من يد الدولة ، سارعت بسن أحكام خراجية لا تخرج في جوهرها عن مضمون التشريع العمري ، وبمقتضاها لا يسقط الخراج عن الأرض التي انتقلت إلى حوزة مسلم بالشراء أو بإسلام المنتفع بها . ولما كان ذلك يتعارض مع مبدأ الزكاة ، لذلك وضعت تفسيرات جديدة خرجت بمقتضاها أحكام الاجارة التي كانت تعود بنفس مردود الخراج تقريباً . وكل هذا يبين ضعف الحكومة المركزية بدمشق وعدم قدرتها على الوقوف تجاه تلك الفئة المنتفعة من كبار عمالها . وهذا ما أورث حكم بني أمية الفوضى والشقاق الذي انتهى بسقوط عهدهم .

أما الجزية فكانت أساساً مفروضة على غير المسلمين من أهل الذمة ، كرمز لحماية الدولة وكاعفاء ، غير أنها جبيت طبقاً لظروف خاصة وطارئة من المسلمين الجدد ، عندما بدأ الكثير من أهل الأقاليم الإسلامية الشرقية في اعتناق الإسلام ، للحصول على الاعفاء منها . فأخذت موجات اعتناق الإسلام في الازدياد ، وأحست السلطة المركزية بخطر تلك الموجة الزائفة الإيمان (١) وأخذ بيت المال يفقد أهم موارده ، إذ كان على الدولة أن تدفع لهؤلاء المسلمين الجدد مخصصاتهم (٢) وقد هدد هؤلاء بسبب النفع والمصالح المادية ، الجهاز الاداري الذي كان يعتمد في مصاريفه ، أساساً ،

(١) فان فلوتن : ص : ٣٧ . الحسيني : الادارة العربية ، القاهرة ، صفحة ٢٢٢ .
(٢) فان فلوتن : ص ٣١ ــ بلاذري صفحات ٤٤٣ ــ ٤٤٥ .

على عائد الجزية في الاحتفاظ بكيانه بينما الخراج ومردوده قد خصص لاعاشة المسلمين ولمخصصات ديوان الجند ولم يؤثر إسلام هؤلاء على الخراج بقدر ما استفادوا منه .

وهددت تلك الموجات المجنونة غير الصادقة الايمان التي أثارها الشعوبيون وأصحاب المذاهب ، هددت سلامة الدولة ، إذ هُجرت القرى ، ولم تُفلح الأراضي . وتكدس هؤلاء في المراكز السكانية التي كانت بؤرة ترعرعت فيها تلك الاتجاهات الشعوبية والخارجة عن الدولة . لذلك أجبرتهم الدولة على العودة إلى أقاليمهم ، واتبع الحجاج بن يوسف تجاههم أقسى الاجراءات ، وأجبرهم على دفع الجزية من جديد ، وكذلك بقية الضرائب التي كانت تجبى منهم قبل إسلامهم الصوري (١) . وقد شمل ذلك جميع المسلمين الجدد ، إذ كان من الصعب التفريق بين صادق الإيمان وبين مدعيه . وقد سبب ذلك في أواخر عهد الدولة الأموية الفوضى في البلاد ، إذ التحق هؤلاء بالخارجين عليها (٢) وعموماً فقد عمل بهذه الاجراءات تجاه القبائل التركية والإيرانية في خراسان وفي مناطق ما وراء النهر ، حيث لم تسد تعاليم الاسلام السمحة بين السكان بسبب تعصبهم وميولهم الشعوبية وتمسك معظمهم بوثنيتهم السابقة . ورغم ذلك فان فقه الخراج أثار الكثير من اللوم على العمال ورغم تضارب آراء الفقهاء فإنّ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه شدّد على العمال الذين يجبون الجزية من هؤلاء ، ويقول في رسالة له بهذا الصدد : وتستأذنني في أخذ الجزية منهم ، وان الله جلّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ داعياً إلى الاسلام ولم يبعثه جابياً ... » . ورغم ذلك فان تلك الفئة من المستشرقين تحاول أن تستغل الخلاف الشكلي الواقع بين التشريع والممارسة لاتهام الإسلام والنيل منه .

* * *

(١) فان فلوتن : صفحات ٤٠ ـ ٤١ - ٤٢ .

(٢) موير : تاريخ الخلافة : ص ٣٢١ ـ ٣٢٧ ، وكتب التاريخ عن دور هؤلاء .

وهنا نرجع إلى تلك الروايات الفقهية التي حاول هؤلاء المستشرقون إساءة فهمها ، ومعظم هذه الروايات تدور حول اصطلاح « عفو ـ فضل ـ طاقة » كقياس اتبع في جباية الخراج . وحاول هؤلاء إخضاع هذه الاصطلاح للأحكام المتبعة في الأرضين المفتوحة عنوة وصلحاً . وأهم هذه الروايات هي :

١ ـ أورد يحيى بن آدم بإسناده ، بأن ابراهيم بن سعد سأل ابن عباس عن الأحكام المتبعة في الجباية ، فقال ابن عباس : انّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (١) .

٢ ـ وعن يحيى بن آدم باسناده ، قال : أخبرني رجل من ثقيف قال : استعملني علي بن أبي طالب « رضي الله عنه » على بُزُرْج سابور فقال : لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم ولا تبيعنّ لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتملون عليها ، ولا تقيمنّ رجلاً قائماً في طلب درهم قال : قلت : يا أمير المؤمنين إذاً أرجع إليك كما ذهبت من عندك ... قال : وإن رجعت كما ذهبت ، ويحك إنّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل (٢) .

وقد ذكر أبو يوسف نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وفي مكان حدوثها ، فالعامل عند يحيى بن آدم كان على بُزُرْج سابور أما عند أبي يوسف فهو على عُكبراء ورواية أبي يوسف أكثر تفاصيل (٣) .

وتتفق هاتان الروايتان مع رواية ابن عباس الأولى .

---

(١) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمش الرواية رقم ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ ، وفي طبعة ابن شمس الرواية ٢٣٤ .
(٣) أبو يوسف : ص ١٥ ـ ١٦ . وفي طبعة فاغان ص ٢٤ .

٣ — وعن أبي يوسف بإسناده ... قال : حدثني الأعمش عن إبراهيم ابن المهاجر عن عمرو بن ميمون قال : بعث عمر رضي الله عنه حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على ما دونه ، فأتياه فسألهما : كيف وضعتما على الأرض لعلكما كلفتما أهل عملكما ما لا يطيقون ؟ . فقال حذيفة : لقد تركت فضلاً . وقال عثمان : لقد تركت الضعف ، ولو شئت لأخذته (١) .

وقد أورد أبو عبيد في كتاب الأموال نفس الرواية مع اختلاف في الإسناد وأصل الرواية ، فالخليفة هنا هو علي بن أبي طالب (٢) .

وقد قدم أبو يوسف رواية أخرى تتفق ومضمون الرواية السابقة . وقد تجاهلها هؤلاء المستشرقون ولم يعلقوا عليها .

والرواية بالإسناد السابق .. قال عمر لحذيفة وعثمان بن حنيف رضي الله عنهم : لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق . الخ ... وقد شرح أبو يوسف الحكمة من قول عُمَر رضي الله عنه لعماله .. وكيف أنه دقق في الاستفسار عن قواعد الجباية (٣) وشرح أقوال العاملين [فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيقة ، ولو شئت لأضعفت . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل] وكيف أن عمر أقرّ تلك الجباية .

وقد حاول كل من ناشري كتاب الخراج ليحيى بن آدم ، أي ابن شمش واسمه ينم عن هدفه ، وفاغان أن يقدما تفسيراً غير واضح للعفو . فالعفو هو المسامحة والإعفاء . أما معنى الفضل فكان غير واضح لديهما ، رغم تعميمها

---

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ .
(٢) أبو عبيد : كتاب الأموال : ص ٤٦٢ رواية رقم ١١٦ .
(٣) أبو يوسف : صفحات ٨٤ - ٨٥ .

في معنى الكلمتين والهدف من مساواة الفضل والعفو لديها ، إنما هو لحمل القارئ على التصور بأن أهل الذمة نواقعون تحت جور وجشع العرب . والواقع فإن مفهوم هذا الإصلاح يتغيَّر من نص إلى آخر ، إذ له معنى خاص في كل رواية من الروايات المذكورة .

ورغم غموض التعريف عند استخدام عفو وفضل ، إلا أن المعنى الأساسي لمضمون كل منها يضطرنا لمناقشة استعمالها في الروايات الخراجية التي تناولها هؤلاء بالتعليق وتلك التي لم يلتفتوا إليها . ففي رواية أبي يوسف نجد بأن ذكر العفو اقترن بمفهوم الفضل . وعفو هنا تقابل قدر الطاقة والاحتمال ، وهذا ما يؤيده سرر الرواية الأخيرة لأبي يوسف فيما يخص معاملة أهل الذمة إذ قال عثمان بن حنيف : وضعت على الأرض أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل (١) .

وتتفق رواية أبي عبيد مع جوهر رواية أبي يوسف ، إلا أن (عفو) جاءت في معنى خاص في كلا الروايتين وتتقابل مع فضل وطاقة واحتمال . غير أن الاحتمال والطاقة لا يمكن أن تترادفا في مضمونها مع فضل أو مع معنى التساهل والتسامح . كما وان تفسير عفو ومساواتها بفضل لا يعني التساهل واللين والسماح . ففضل في هذه الرواية تبعد عن مفهوم عفو بالمعنى العام للكلمة . والواقع أن سبب ترادف عفو وفضل والتقابل اللفظي لها إنما يرجع إلى محاولة أبي يوسف شرح ما غمض بسبب الإسناد ، وبسبب تكرار الرواية وتغيير سلسلة الإسناد ومناسبة الرواية . فالرواية الأولى لأبي يوسف تقرن (عفو) بمفهوم طاقة الأرض وهذا بخلاف مفهومها في الرواية التالية .

---

(١) أبو يوسف : ص ٣٧ — ١٣٤ — ١١٩ — ١٢٣ .

قال أبو يوسف : حدثنا سفيان عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : ليس في أموال أهل الذمة إلا العفو (١) وعفو هنا لا يمكن أن تفسّر بالتساهل فلقد ورد هذا النص عند السؤال : هل تؤخذ الزكاة من أهل الذمة ؟ وهناك رواية أخرى لأبي يوسف لا تتفق مع مفهوم العفو بالرواية السابقة ، قال أبو يوسف : كتب عدي بن أرطاة ـ عامل كان لعمر بن عبد العزيز ـ إليه : « أما بعد فإن أناساً قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم العذاب ... » فكتب إليه عمر : « أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جُنّة لك من عذاب الله ، وكأن رضاي ينجيك من سخط الله . إذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ما قبله عفواً وإلا فاحلفه ... » (٢) . وعفو هنا تحمل معنى طيب الخاطر وعدم التردد فمن دفع الخراج وطبقاً لقدر الطاقة ، وليس بالمعنى السابق . وهذا المعنى ليس كما تمسك به هؤلاء المستشرقون من الرواية الأولى ، التي تربط بين عفو وفضل . وهناك رواية أخرى لابن عبيد يرتبط فيها معنى عفو بالإبراء والإعفاء من الصدقة والزكاة التي لا تجبى من أهل الذمة . وهذه الرواية تتفق مع رواية أبي يوسف السابقة (٣) . ففي كلتا الحالتين ، لا زكاة أو صدقة على أهل العهد ، إنما العشور فقط .. إذ ليس على أموال أهل الذمة إلا العفو (٤) .

أما الرواية التي يقترن فيها العفو بمعنى قدر الطاقة والاحتمال ، فهي روايتا أبي يوسف ويحيى بن آدم الثانيتان . وهذا المعنى لا يتفق ومعنى الإبراء بالنسبة للزكاة في أموال أهل الذمة . وهـذا مما يوضح اختلاف كل منها

(١) أبو يوسف : ص ١٢٣ .
(٢) أبو يوسف : ص ١١٩ .
(٣) أبو عبيد : رواية رقم ٢٥٣ .
(٤) أبو يوسف : ص ١٢٣ .

بالنسبة للاستعمال اللفظي لعفو . وقد أوضح مقال مجلة Jesho بشكل عام ذلك . والواضح مما سبق هو أن (عفو) إنما هي اصطلاح فقهي فني ، له معان متعددة . فمثلاً معناه في ردّ علي بن أبي طالب على عامله على بُزُرْج سابور : [إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل] . وهو جباية الزائد عن الحاجة والفائض أي الفضل .

والمفردة الجديدة في الاصطلاح ، هي « الطاقة » التي تترادف في بعض معانيها مع إحدى المعاني الخاصة للعفو . وقد ورد اللفظ هذا في الفصل الذي تناول موضوع الجزية والخراج عند أبي يوسف وابن آدم . [1] وعلى العموم فان مفهوم الطاقة هنا واضح ولا يحتاج لإيضاح ، كما ورد في الروايات التالية :

أورد يحيى بن آدم باسناده ... عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : أوصى الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً ، أن يوفي لهم بعهودهم ، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[2] .

وعنه كذلك باسناده ... عن رسول الله ﷺ انه قال ... ويضع عليهم الإمام الجزية بقدر ما يرى ولكن لا يكلفون فوق طاقتهم[3] .

وهذه الرواية توضح بأن الجزية لم تكن ثابتة وإنما تتغير حسب مقتضى الحال .

وقد أورد أبو يوسف نفس الرواية بالإسناد نفسه[4] .

وقد ورد في الرواية التي تناولت مناقشة عمر بن الخطاب لعامليه حذيفة وعثمان بن حنيف ، مضمون الطاقة بدون ذكر اللفظ ، ولكن اقترن ذلك

---

(١) أبو يوسف : صفحات ١٢٤ ، ١٢٥ وهي تتفق مع الرواية المذكورة بصفحة ٣٧ .
(٢) يحيى بن آدم : ص ٥٤ .
(٣) نفس المصدر ص ٥١ .
(٤) أبو يوسف ص ١٢٥ .

بمفهوم الفضل والضعف وقد فسّر ذلك أبو يوسف في روايته الثانية لنفس الحالة وأوضح ذلك المعنى (١) .

وقد جاء في تلك الروايتين ذكر فضل كاصطلاح فقهي له مفهوم خاص ، وله أهمية كبرى في الفقه الخراجي . وقد حملت كلمة فضل مضمونين مختلفين في الروايات الخراجية . أولها ارتباط فضل بمفهوم عفو ، واستخدمت كتأكيد وإيضاح للفظ عفو غير الواضح (٢) . وقد جاء معني فضل في استعمال جديد يعني الطاقة ، وفي الرواية الثانية التي كررها أبو يوسف ، وتحمل نفس المضمون والأحداث . وقد ربطت معنى عفو بفضل ، والفضل بالطاقة (٣) .

وحيث تكرر في الروايات السابقة لنفس الأحداث الواحدة ، اصطلاح ـ عفو ـ طاقة ـ عفو ـ فضل ، وضعف ـ فضل ، فان هذا يؤكد لاصطلاح : عفو ـ فضل ـ طاقة ، ذات الأساس التشريعي الإنساني الذي عومل بمقتضاه أهل الذمة ، بحيث لا يكبدون ما يرهقهم وما هو فوق طاقتهم ، وليس كما يريد هؤلاء المستشرقون إقناعنا به وبأن أهل الذمة لم يترك لهم ما يزيد عن حاجتهم الأساسية والملحة . وتفسير الاصطلاح هذا انما هو : أمرنا بأن نأخذ منهم عفو فضلهم والفضل هو قدر الطاقة والاحتمال . (٤) كما فسره لنا أبو يوسف ويحيى بن آدم .

ولقد حاول لوكفارد ناشر كتاب الخراج لأبي يوسف أن يفسر مفهوم « عفو ـ فضل ـ طاقة » تفسيراً لا يتفق وروح التشريع الخراجي ، إذ قال : إن جمع الخراج بمقتضى العفو لا يعني إلا القدرة القصوى . وهي تعني أن

---

(١) أبو يوسف ص ٤٨ .
(٢) أبو يوسف ص ١٦ ـ لوكيفارد ص ٨٠ .
(٣) أبو يوسف ص ٤٨ .
(٤) أبو يوسف ص ٧٩ .

العفو أو الفضل (الفائض) الذي يحصل عليه دافع الضرائب (أي أهل العهد) ، إنما قُدّر بمقدار مرتفع قدر الإمكان (١) . والعكس هو الصحيح ، فعبارة : عفو ـ فضل ـ طاقة ، تحمل في مضمونها أسساً جذرية لصالح دافع الضرائب ، وهي تحدد وتغلّ يد جامع الضرائب كما رأينا في النصوص المختلفة .

والواقع أن تلك الروايات التي ذكرت في هذا البحث تتفق مع المستندات البردية التي أبدت ما جاء بتلك الروايات من أحكام خراجية ، وبأنها قد طبقت بروح عادلة ، رغم أن تلك البرديات لا تتفق مع أصول الجباية بكتب الخراج ، ولكنها أثبتت بأن تلك الأصول إنما هي أمور نظرية فقط ، وأن التطبيق لم يأخذ بتلك الأصول نصاً ولكن أخذ عنها الروح المتسامحة فقط .

وأنقل هنا نص إحـــدى روايات كتب الخراج عن معاهدة الرها ، وما لازمها من تفسيرات خاطئة حاول هؤلاء المستشرقون استخدامها لتزييف تلك الحقيقة ، وقد أوردت كتب الخراج ، والفتوح هذا النص ، والجدير بالذكر أن تلك المعاهدة التي ... مدار النقاش ، وبشأن الرها ، قد كانت هي الأساس الذي اتبعه العرب مع مدن الثغور والعواصم الشامية ، رعاية لمصالح أهل تلك المناطق ، والنص كما جاء بكتب الخراج كالتالي :

« ووجه [أبو عبيدة] عياض بن غنم الفهري إلى الجزيرة ، ومدينة ملك الروم يومئذ الرّها . فعمد لها عياض بن غنم ولم يتعرض بشيء مما مَرّ به من القرى والرساتيق ولم يلق كيداً ولا جنداً حتى نزل الرها . فأغلق أصحابها أبوابها ، وأقام عياض عليها لبثاً لم يسم لي . فلما رأى صاحبها الحصار ويئس من المدد فتح لها باباً في الجبل ليلاً فهرب وأكثر من كان معه من الجند وبقي في المدينة أهلها من الأنباط وهم كثير ، ومن لم يرد الهرب

(١) لوكيغارد : ص ٧٩ وأبو يوسف : ١٦ ... يحيى بن آدم : روايات رقم ٢٣٢ ـ ٢٣٥ ٢٣٦ .

من الروم وهم قليل . فأرسلوا إلى عياض بن غنم يسألونه الصلح على شيء سموه . فكتب عياض بذلك إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فلما أتاه الكتاب بعث به إلى معاذ بن جبل فاقرأه إياه ، فقال له معاذ : إنك إن أعطيتهم الصلح على شيء مسمى فعجزوا عنه لم يكن لك أن تقتلهم ولم تجد بدأ من إبطال ما اشترطت عليهم من التسمية ، وإن أيسروا أدوه على غير الصغار الذي أمر الله به فيهم ، فاقبل منهم الصلح وأعطهم إياه على أن يؤدوا الطاقة ، فان أيسروا أو أعسروا لم يكن لك عليهم إلا ما يطيقون ، وتم لك شرطك ولم يبطل . فقبل ذلك أبو عبيدة وكتب إلى عياض بن غنم ، فلما أتى عياض ابن غنم الكتاب ، أعلمهم ما جاء فيه ، فاختلف عليه في هذا الموضع ، فقال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقة . وقال آخر : أنكروا ذلك وعلموا أن في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب إن أخذوا بالطاقة وأبوا إلا شيئاً مسمى . فلما رأى عياض إباءهم وحصانة مدينتهم وآيس من فتحها عنوة صالحهم على ما سألوا . والله أعلم أي ذلك كان ، إلا أن الصلح قد وقع وفتحت عليه المدينة لا شك في ذلك [1] . »

والواقع أن نوعية الخراج المفروض على الأرضين المفتوحة عنوة أو صلحاً ، قد قادت إلى تضارب آراء المؤرخين العرب . فلقد كان فتح الصلح عادة على شيء مسمى يوضع عليها ، وطبقاً للأسس المتبعة . أما بصدد الرُّها ، فان إصرار العرب على قدر الطاقة في فرض الخراج ، إنما يرجع إلى أسباب إنسانية عادلة . وهذا ما جعل فاغان ودنّيت الذي أخذ عنه تفسيره للنص ، يميل إلى مبدأ قدر الطاقة كأساس متبع [2] . فلقد علق دنّيت على النص : « وقد عرضوا فقط على أساس شروط يضعونها هم أنفسهم فقط » وهـــذا

(١) أبو يوسف ٤٠ . بلاذري ص ١٧٧ ، ١٧٨ . ابن الأثير : الكامل : ج ٢ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) دنّيت : ص ٥٠ عن فاغان .

لا يتفق مع المبدأ الذي اتبعه العرب مع المدن المفتوحة صلحاً . وقد حاول لوكيفارد أن يجعل من قدر الطاقة أساساً لفتح المدينة عنوة ، وهذا ما لم تنص عليه الرواية الحالية . والواقع ان تضارب آراء المؤرخين العرب وكذلك آراء المستشرقين ، إنما يرجع إلى عدم تفهم وضع أهل الرها بالنسبة للفتح ، وكذلك عدم توصلهم لحكمة تمسك جيش الفتح بقدر الطاقة والواقع أن الدافع لذلك إنما يرجع إلى اعتبارين هامين أولها وقوع المدينة في منطقة الثغور ، وثانيهما تحايل أهل الرها وسوء قصدهم ، ومحاولتهم التهرب من التزاماتهم تجاه العرب . ومن الأكيد فان أهل الرها كانوا حريصين على أموالهم ووجدوا : « ان في أيديهم أموالاً وفضولاً تذهب أن أخذوا بالطاقة » . فتحايلوا وعرضوا مبدأ الصلح على شيء بسموه ، وهذا ما لا يتناسب مع إمكانياتهم التي تتيح لهم القيام بالأعباء التي يمكن القيام بها . بينما كان العرب ينتهجون خير الأحكام التي هي دائماً في صالح أهل العهد ، فلو قبل العرب هـذا القدر المسمى الذي هو الآن دون طاقتهم والأقل من إمكانياتهم ، فقد يجيء اليوم الذي يصبح هذا القدر المسمى فوق طاقتهم ، كأن يقل الدخول المالي لهم ويقل عدد أهل العهد ، وبذلك تصبح تلك القلة مرتبطة بذلك العهد الذي عقد من قبل . لذلك حاول العرب أن يعاملوهم بقدر الطاقة لأن ما عرضوه ليس في صالحهم مستقبلاً ، ولا يتفق مع تقلب أحوالهم ولكن دنيّت خلق نوعاً من الغموض عمل على النيل من عدالة العرض المقدم لأهل الرها . كما وأنه فسّر « والله أعلم أي ذلك كان » ، تفسيراً غامضاً ، وحاول أن يجعل الاختلاف بين أهل الرها في أمر قبول شروط الصلح . والواقع أن : « فاختلف عليه في هذا الموضع ، والله أعلم أي ذلك كان » إنما كان اختلاف الفقهاء والرواة العرب عن نوع الفتح وبالتالي نوع الأحكام المتبعة(١) .

(١) نفس المصدر ص ٢٤ .

بينما علّق فاغان على ترجمته لـ « على غير الصغار منهم » محاولاً أن يربط بين استخدام هذا النص بسورة التوبة آية ٢٩ ، وبأنه يفهم أن شروط أهل الرها هي استثناء الصغار من أداء الجزية . وهذا ما لم يجيء به النص ، ولم يسبق للعرب أن جبوا الجزية عن الصغار . بل كانت تلك كلة معاذ كما وانه لا علاقة لها مع الآية الكريمة (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صٰغِرُون) ، ومن الأمر المفروغ منه هو أن يدفع الصغار من أهل العهد الخراج على أملاكهم في الوقت الذي هم مُعْفَون فيه من الجزية إلى حين بلوغهم السن التي تستوجب عليه (١) . هــــذا وإن كان هناك طلب لاستثناء الصغار من الضرائب ، فلا بُدّ وأن يكون ذلك على أملاك هؤلاء . وهذا دهاء من أثرياء الأنباط .

وفي نفس الوقت فقد أورد دنّيت بعض التراجم للنصوص لا تتفق مع معناها الأصلي ، وهو بأن أهل الرها لم يقبلوا عرض الصلح على قدر الطاقة ، لأن هناك فئة أخرى من الأغنياء عارضت ذلك .. وهذا ما لم يقدمه النص .. بل يرجع مضمون تضارب النص إلى الفقهاء العرب ، في عصر يبعد عن وقت الفتح . وهذا ما جعلهم يترددون في الحكم ، إذ قال قائل : قبلوا الصلح على قدر الطاقه ... وقال آخر : أنكروا ذلك ... كما وأنه تبع فاغان في شرحه « والله أعلم أي ذلك كان » والمقصود بهذه العبارة اختلاف الفقهاء في أمر الصلح على شيء مسمى أو على قدر الطاقة (٢) .

بينما يحاول لوكيفارد أن يجعل صلح قدر الطاقة في هذه الحالة كأنه من مستلزمات الفتح عنوة ، وهذا ما لم يحدث في فتح الرها (٣) . والواضح من

(١) سورة التوبة آية ٢٩ — وفاغان ص ٦٣ .
(٢) دنيت ص ٤٤ .
(٣) لوكيفارد ص ٨٠ .

الروايات التاريخية أن المتعاهدين لهم حق الخيار بين قدر الطاقة وبين على شيء مسمى . وهذا ما حدث في ثغور شمال سورية . أما لماذا فضّل أهل الرها أن يكون الصلح على شيء يسمونه : وأن يتمساك العرب بقدر الطاقة ، فان ذلك يرجع إلى أن العرب يرجون صالح أهل الرها بسبب موقفهم الثغري ، أما أهل الرها فقد كانوا يخشون أن ينسحب المسلمون وقت هجوم الروم . ولذلك فان الصلح على شيء مسمى إنما هو أنسب الحلول لهم ، فالرها كانت مركزاً تجارياً ، وهذا إنما كان تحايلاً منهم لعدم دفع التزامات قدر الطاقة . ويتهربون بذلك من دفع الخراج الذي كانوا يؤدونه للروم .

وقد اتبع العرب أثناء حركة الفتح وقبل موقعة اليرموك ، وقبل أن تخضع البلاد خضوعاً تاماً ، اتبعوا سياسة « على شيء مسمى » ، لأنهم لم يكونوا في ذلك الوقت في مركز يسمح لهم يبسط حمايتهم على البلاد والسير بها نحو الاستقرار . لأنهم كانوا خلال حرب أحكامها مؤقتة ومرهونة بانتهاء الفتح . لذلك كانت اتفاقاتهم الأولى بسيطة وتنبع من التزامهم بسنن الرسول الكريم تجاه معاملته لأهل خيبر وتبوك وغيرها من مدن شمال الجزيرة العربية التي صالحت على شيء مسمى ، وكانت المعاهدات الأولى للفتح معاهدات مؤقتة . وقد أوضحت لنا كتب الفتوح مثل هـــذه المعاهدات مع أهل العواصم والثغور ومع المدن التي افتتحت تحت ظروف خاصة . وقد وافق العرب أهل تلك المناطق على شروطهم هذه ، إذ كانوا يتوقعون عودة الروم . ومثل هذه المعاهدات المؤقتة يمكن أن تسمى بلغة عصرنا بالهدنة المشروطة . ونجد أن أبا عبيدة قد وافق على مثل هذه المعاهدات بعد الفتح الأول لدمشق ، وإنه أعاد لأهل حمص وغيرها هذا الشيء المسمى الذي حصل عليه نتيجة الصلح ، وذلك عندما اضطر للانسحاب نحو اليرموك في انتظار وصول الروم واستعداداً للمعركة الحاسمة . وكان هذا هو الأساس المتبع إلى أن قرر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية الأسس والأحكام الخراجية .

ويوضح هذا بأن السياسة الجديدة للخراج لم تكن بفرض السلب والغنيمة ، بل قُررت لتخدم الصالح العام . كما وإن العرب لم يكونوا يبغون في فتحهم الأسلاب والغنائم ، بل يهدفون استقراراً ونشر كلمة الله في تلك المناطق . لذلك كانت أحكامهم تخدم سياسة بقاء واستقرار .

وقد حاول هؤلاء المستشرقون وغيرهم ، إضفاء صفة الشرعية على آرائهم الزائفة ومحاولة تغطية وتبرير وسائل تهرب أهل الرها في أداء التزاماتهم ، مفسرين ذلك بأن العرب كانوا يودون إجبار هؤلاء على دفع ضرائب فادحة واستغلالهم ، بينما العكس هو الأصح .

والأكيد : فان عدم وضوح الروايات التي تناولت صلح الرها وعما إذا كان ذلك على شيء مسمى أو على قدر الطاقة ، جعل الأمر معلقاً غير واضح (١) لذلك لا نعجب لتعليق لوكيفارد الغريب ، إذ قال : وللحديث الدقيق فانه يبدو في الإمكان التصور بأن معاهدة صلح طبقاً لشروط في دفع الجزية والخراج ، ليست محددة الالتزامات والبنود ، بينما أحوال التملك قد تركت على شكلها السابق (٢) . ويتفق هذا التعليق مع أحكام الصلح حسب الطاقة ، وليس مع صلح مشروط في التزاماته . بينما نجد عقد صلح أهل الرها الذي عاهدوا عليه العرب هو : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عياض ابن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها أنّي أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم إذا أدوا الحق الذي عليهم ، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالنا . شهد الله وملائكته والمسلمون (٣) » .

---

(١) فتوح البلدان : ج ١ ص ١٧٩ للبلاذري .

(٢) لوكيفارد : ص ٧٩ .

(٣) بلاذري ص ١٧٩ . ابن حجر : التهذيب ، مجلد ٧ صفحات ١٩٩ ــ ٢٠٤ .

وهذا العقد استخدمه لوكيفارد لشرح آرائه غير الواضحة ، محاولاً التدليل به على صحة تعليقه لنصوص كتاب الخراج ، وذلك حتى يمكنه أن يوفق بين رأيه هذا وبين آراء بعض الفقهاء الذين يرون بأن المبدأ المستخدم مع أهل العهد إنما يخضع لقدر الطاقة ، وليس على أسس دفع خراج ثابت ومعين . وهذه الأحكام إنما كانت ترجع إلى أيام الفتح المبكر فقط ، وهي في نظرهم لا تضر بأهل العهد ولا تجحف بهم(١) وهناك من الروايات الخراجية التي تتفق مع ذلك ، منها الرواية التي تناولت نصيحة عتبة بن أبي رباح لهشام ابن عبد الملك ، يوصيه فيها بمعاملة أهل الذمة بالعدل وبألا يحملهم فوق طاقتهم . فوعده الخليفة بأن الخراج سيفرض على حسب طاقتهم(٢) .

وقد عومل أهل مصر نفس معاملة أهل الذمة في سورية وفلسطين ، وأورد ابن عبد الحكم عهد عمرو بن العاص لأهل مصر ؛ وهذا العهد أكّد الأسس التي اتبعت في الجباية وبأنها كانت تتم طبقاً لمبدأ قدر الطاقة ، بينما كانت جالية الرأس من الناحية النظرية ، قد فرضت على أساس القدر المسمى(٣) ورغم أن كتب الخراج والفتوح قد وضعت أسس جباية الخراج فانها كذلك قدمت العديد من الروايات عن مبدأ قدر الطاقة ، والقدر المسمى ، بينما تؤكد الوثائق البردية الخراجية بأن الجباية كانت في جميع مراحلها على قدر الطاقة ، ليس هذا بالنسبة لخراج الأرض ، بل بالنسبة لجزية الرأس كذلك ، وقد أكدت كتب الخراج والفتوح تمسك أبي عبيدة بمبدأ قدر الطاقة في الخراج(٤) . وقد اتفقت تلك الوثائق مع روايات ابن عبد الحكم في جوهر الجباية وطريقتها ، اتفاقاً تاماً . وهذا الاتفاق يبين بأن الخراج

---

(١) محاضرات الأبرار ، ج ـ ١ صفحة ٢٦٥ .
(٢) أبو عبيد : صفحة ٤٠ .
(٣) أبو يوسف : صفحات ٣٧ ـ ٣٩ ـ ٨٥ ـ ٨٦ وروايتي يحيى بن آدم رقم ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٤) اغايندس ، ص ٤٠٧ . ابن عبد الحكم ، للصدر والموضع نفسه .

كان يجبى عموماً على قدر الطاقة بصرف النظر عما إذا كانت كتب الخراج والفتوح قد ذكرت روايات تختلف بالأساس عن هذا المبدأ . ونجد بأن معظم روايات أبي يوسف تتفق مع هذا الرأي (١) كما أكدت روايات يحيى ابن آدم نفس المبدأ وبصفة خاصة في الروايتين ٢٤٠ — ٢٤١ .

ونحب أن نرد على هؤلاء المستشرقين بأن قدر الطاقة ليس هي بالحد الأقصى لامكانية استنزاف أهل الذمة وبالحصول على أعلى مردود خراجي منهم ، أي كما يقولون الفائض الذي يسمونه عفو ـ فضل والذي يقدر على دافع الخراج بأقصى حد ممكن ، بل هي هنا الطاقة ، وهي المقدار الذى يزيد عن حاجات أهل الخراج طبقاً لقدرتهم المالية وظروف إنتاجهم . ونحن لو اعتمدنا على الوثائق البردية وروايات ابن عبد الحكم فقط لتبين لنا زيف أحكام هؤلاء المستشرقين ، الذين حاولوا استغلال التضارب النظري لأحكام الفقه الخراجي ، متجاهلين واقع الحال وممارسة الجباية نفسها ، التي لم تخرج عن عدالة التشريع الخراجي نفسه .

وفي نفس الوقت الذي نجد فيه كتب الخراج تدعو إلى اتخاذ مبدأ قدر الطاقة في الجباية والرأفة والتسامح في معاملة أهل الذمة وعدم الإضرار بهم ، نجد أمثلة عديدة من الوثائق البردية تؤكد ذلك وتمنح أهل الذمة حق الشكوى والاعتراض على قرار الجبـــاية لدى الحاكم نفسه كما وان العديد من البرديات تنصح عمال الخراج باتباع العدل في الجباية وتهدد بانزال شديد العقاب بهم إن أخطأوا في تقديراتهم (٢) . وعلى هذا الأساس فان قدر

---

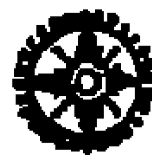
(١) نفس المصادر ونفس الموضع . ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٣ . أبو جعفر النحاس : الناسخ ص ١٥٠ .

(٢) كتب الخراج ... وخطابات قرة بن شريك لعامل الكورة في مجموعة المتحف البريطاني .

الطاقة ليست بالأحكام الخراجية التي تغصب أهل الذمة أموالهم كما يقول هؤلاء المستشرقون .

ولم يبق إلا أن نناقش تطور معنى « عفو » كاصطلاح ضرائبي . ومن المؤكد أنه ليس هناك ارتباط بين رواية ابن عباس : « إنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو » أي الفضل » وبين الآية الكريمة « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فمضمون كلمة عفو هنا يختلف بشكل واضح عن المضمون الخراجي[1] . ومما لا شك فيه أن جماعات الفقهاء قد اجتهد كل منهم في تفسير مضمون الكلمة بما يتفق واجتهادهم . غير أن تلك الكلمة قد استخدمت بعد ذلك بمفهومها العام المعبر عن شهامة وتسامح في الخلق والمعاملة ، إلى جانب استعمالها الخاص في أدب الزهد والتصوف .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار



(١) سورة الأعراف الآية ١٩٩ ، الطبري .. التفسير . مجلد ٩ صفحة ٩٧ .

التعريف والنقد

عبد الرحمن الأوزاعي

شيخ الإسلام وإمام أهل الشام (١)

كتاب ألفه الشيخ طه الولي وأخرجه إخراجاً حسناً ، في عبارة عربية أصيلة ، وترتيب وتبويب وفهارس تسهل معها المراجعة . والكتاب يقع في

---

(١) قد يكون من الإساءة إلى مكانة صاحب المكانة أن يحصر فضله في نطاق ضيّق . فيقال : « في الأوزاعي انه « شيخ بيروت » أو « إمام لبنان » ـ على ما قاله بعضهم ـ على حين كان الأوزاعي إمام الشام كله ، داخله وساحله ، بل قد كانت له شهرة طبقت البلاد الإسلامية في يومها حتى بلغت الأندلس .
وتحضرني في هذه المناسبة نكتة كانت بين الأمير شكيب أرسلان ، والأستاذ الكرد علي رحمهما الله . وهما من كانا في العلم والأدب والتاريخ . والأمير شكيب هو الذي طبع كتاب « محاسن المساعي ، في مناقب أبي عمرو الأوزاعي » وهو الكتاب الذي أخطأ كاتب هذه السطور إذ نسبه إلى الأمير شكيب . وكان أول من نبه على هذا السهو المحقق الثقة الشيخ محمد أحمد دهمان ثم نبه إلى هذا الخطأ الشيخ راغب الطباخ . ثم استدرك ذلك أخيراً المؤلف الشيخ طه الولي .
أما النكتة . فهي : كان الأمير في زيارة الأستاذ . فحمل الأستاذ القهوة بيده يقدمها للأمير فقال له الأمير : « عفواً خلّ عنك هذا يا أستاذ . فقال الأستاذ : لي الفخر أن أقدم القهوة بيدي لأكبر كاتب درزي . فأجابه الأمير وأنا أفخر بان أتناول القهوة من يد أكبر كاتب كردي في العربية . فكانت غمزة ونكتة ضحك لها الأمير والأستاذ .

وينسحب على هذا تسمية شهداء العرب بـ « شهداء لبنان » و « شهداء سورية » على حين كان استشهادهم من أجل قضية أسمى من الإقليمية الضيقة . و « قدر الشهادة قدر الشهيد » .

مئتين وعشرين صفحة . اشتملت على كثير من شؤون الامام : موطنه ، ومنشأه ودراسته ، وتدريسه ، وبعض آرائه وحكمه وأقواله ، وما وقع له في حياته . وألحق ذلك برسوم تمثل ما يتعلق بالأوزاعي من مشاهد ، وجوامع ومساجد ، وتكيات وزوايا ، ومن كتابات ونقوش وحفريات ومن معاهد علمية ، ومؤسسات خيرية . ما كان منها من قبل ، وما انشيء منها من بعد ، باسمه وعلى اسمه في جواره بقرية حنتوس ـ التي أصبح يطلق عليها محلة الأوزاعي ـ وفي مدينة بيروت نفسها . وفي الكتاب من المعلومات التاريخية القيمة عن بيروت وبعض أحوالها ، وترجمة بعض رجالاتها ما لا يستغني عنه من يؤرخ للعرب وللاسلام ، وبخاصة للبنان .

والإمام الأوزاعي لم يكن في الشام ـ في عصره ـ أعلم منه ، قيل انه أجاب في سبعين ألف مسألة . ويرى الأستاذ المؤلف ان في الاجابة عن سبعين ألف مسألة ـ مسألة فيها نظر ـ وإذا كنا نشاركه في رأيه هذا بعض المشاركة ، فلا نشاركه في ما ذهب اليه من أنه (ليس كثير الاندفاع وراء القول : « ان للأوزاعي مذهباً فقهياً مستقلاً ») ، فالنقول التاريخية التي نقلها الأستاذ عن كبار المؤرخين وثقاتهم لا يدفعها ـ في رأينا ـ شك منقطع عن الدليل ، قائم على مجرد الرأي .

نعم ! ليس هذا النفي ـ في رأينا ـ نقولها ثانية ـ بكاف لانكار مذهب عمل به برهة من الزمن . ففي كتاب المقدسي : (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) « وللأوزاعي مجلس بجامع دمشق كان العمل فيه على مذهب أصحاب الحديث » . وفي كتاب : (مدارس دمشق للاربلي) . « وفي الجامع الأموي حلقتان وهما : حلقة الأوزاعي وحلقة المحراب » وفي تنبيه الطالب للنعيمي : (للحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي) ومعلوم أن كثيرين كانوا يجمعون بين مذهبين فيأخذون عنها ويعملون بها . وفي شذرات الذهب في حوادث

سنة ٣٤٧ « ففيها توفي القاضي أبو الحسن بن حزام وهو آخر من كانت له حلقة بجامع دمشق يدرس فيها مذهب الأوزاعي » .

كما كان له مسجد على باب توما بدمشق ملاصق للسور على يمين الخارج يسمى بـ « مسجد الإمام الأوزاعي التابعي المدفون ببيروت رحمه الله وعلى بابه سقاية » .

هذا إلى أن ما دار بينه وبين الشافعي من جدال وحوار يدل على أنه كان لهذا الإمام رأي واجتهاد ، يدخلانه في مصاف أصحاب المذاهب .

ولا يضيره ان اندرس مذهبه ، فقد اندرس كثير من المذاهب ، وانقرض العاملون بها . والمؤلف نفسه يقول نقلاً عن الأستاذ الكرد علي . « وهناك مذاهب جماعية ، لا تقل عن غيرها شأناً ، كمذهب الظاهري والأوزاعي والطبري ، ضعفت شهرتها إذ لم تجد لها من يعضدها من الملوك ، ولا من يهتم بها من الخاصة أو العامة ، كما وقع لمذاهب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة : أوسع مذاهب أهل السنة انتشاراً » .

وسواء أصح له مذهب ، وهو القول المعوّل عليه الذي قال به الثقات ، أو لم يصح ، فالرجل كان أمة وحده ، علم راسخ ، وقول صريح ، ودفاع عن الحق ، واستمساك بالسنة .

ومن حكمه وهو ما استشهد به المؤلف في كتابه :

« اصبر نفسك على السنة . وقف حيث وقف القوم . وقل بما قالوا . وكفّ عمّا كفّوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح . فانه يسعك مما وسعه . ولا يستقيم الإيمان إلاّ بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل . »

وليس غريباً أن لا يروى للأوزاعي شيء من الشعر ـ وإن كثر قائلوه من الفقهاء ـ وقد عقد الأستاذ الفصول الطوال في هذا الموضوع ـ ولكن

الغريب أن لا يكون للأوزاعي حظ من الشعر حتى في ما قيل فيه . وصف الأمير شكيب ما قيل من شعر في الأوزاعي . فقال : « بأنه من الشعر النازل الذي لا يليق بمثل الإمام الأوزاعي ، وفيه لحن وغلط وهو في آخر طبقة من شعر الفقهاء ، فلذلك طويناه كله واكتفينا بالمطالع لا غير » .

على أن ما نشره المؤلف الولي بعد ذلك من شعر النابلسي والكستي والانسي في الأوزاعي لم يكن من الشعر في النمط العالي . حتى ولا هو من عيار شعر هؤلاء المتأخرين الذين كانوا في عصرهم ممن يُقرأ شعرهم . وقد وقع فيه من اللحن والخطأ المطبعي وغيره ، ما يدل على سوء حظ الأوزاعي من الشعر .

ونقل المؤلف ما قاله عبد الحميد ابن أبي العشرين الدمشقي المعروف بأبي سعيد البيروتي ـ وكان مختصاً بالأوزاعي يكتب ويروي عنه ـ قال : « وما مات الأوزاعي حتى جلس وحده ، وسمع شتمه باذنه . يعني أنه اعتزل الناس وصبر على أذاهم » . ويعقب الشيخ الولي على هذا فيقول : « وخليق بمن انتهى بمثل هذه النهاية أن لا يجد من الشعراء في أيامه من يلتفت إليه » وهو تعليل وجيه ، غير أن الأستاذ المؤلف لم يذكر لنا السبب الذي حمل الناس على اعتزاله وانصرافهم عنه .

وقد جاء في هذا الكتاب ذكر للسنطية أو السمطية « بالميم على رواية الكتاب » . والسنطية بالصاد والنون على رواية الأب لويس الشيخو .

ويقول المؤلف : « والسنطية كلة مبهمة المصدر والمعنى . وقد حاول كثيرون من المعنيين بتاريخ بيروت أن يرجعوا فيها إلى أصل تاريخي أو لغوي وان كانوا حتى الآن ما يزالون يضربون فيها رجماً بالغيب » انتهى كلام المؤلف .

نقول : ونحن لا نرى أن الكلمة مبهمة المصدر ولا غريبة المعنى « فالسنطية » بالسين والنون كما هي واردة في بعض المصادر التاريخية وكما تلفظها الخاصة

والعامة في بيروت اليوم » منسوبة إلى السنط . وهو شجر معروف عند العرب ، هو الاكاسيا ، فان لم يكنه ، فهو أشبه شيء به . وصفه الإمام الأعظم أبو حنيفة فقال : « والسنط أجود حطب استوقد به الناس . يزعمون أنه أكثره نارا ، وأقله رماداً » .

واللفظ صحيح والمعنى واضح لا يحتاج إلى جعله لفظاً أجنبيا .

الرواية التي زعمها بعضهم ونفاها الشيخ الولي صراحة :

ومن الأخطاء التي كان حقيقاً بالمؤلف أن يشير إليها : قول ابن عراق : « إن مجدل المعوش قرب جزين بلبنان » أما انها بلبنان فنعم ، وأما انها قرب جزين فلا ، وكان على ابن عراق وقد أقام بمجدل المعوش ست سنوات أن يعرف ذلك ، ومجدل المعوش أو (المعوج) قرية من أعمال الجرد ، وكانت من قبل قرية إسلامية لجأ إليها أحد بطاركة الموارنة . وهي اليوم قرية مارونية (١) .

ونخالف الأستاذ في ما ذهب إليه « من أن دفن الاوزاعي في قرية حنتوس كان من إيحاء بعض أهل النصارى في لبنان الذين عرفوا يده عليهم » . فهذا بعيد عن واقع الحال ، لا يقول به من عرف تاريخ لبنان في تلك الأيام .

(١) في تاريخ الأزمنة للبطرك الدويهي ما يأتي : « وفي سنة ١٠١٨ هـ = ١٦٠٩ م اضطر البطرك يوحنا بن مخلوف الهدناني ، من كثرة المظالم التي كانت صايرة على الكرسي أن يتوجه إلى ناحية الشوف ليكون تحت حماية الأمير فخر الدين . فقبله بكل كرامة . وصدف أن قبل ذلك الزمان وقعت الفتنة بين المسلمين : سكان قرية مجدل المعوش . وكثرت القتلى من الجانبين حتى اتفقوا على بيع القرية والخروج منها . فاشتراها منهم الأمير علي ابن الأمير فخر الدين باثني عشر ألف ودفعها (أي القرية) للنصارى . فنزل البطرك فيها وعمّر فيها كنيسة وداراً » ا . هـ .

ولقد أكثر المؤلف من ذكر الأمير شكيب أرسلان ، وأنصفه كل الإنصاف ، ووضعه في الموضع الذي تستحقه مكانته العلمية والأدبية والسياسية . إلا أنه شك في صحة سجل النسب الارسلاني الذي نشره الأمير في حاشية كتاب : « محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي » . واتهم الأمير : بأنه كان سخياً في حسن ظنه بصدق السجل . وهذا موضوع حري بالدراسة والتمحيص ، ذلك أن الأمير رجل معروف بالصدق وقد نشر سجله وهو واثق بصحته .

وبعد ، فالشكر للشيخ طه على وضعه هذا الكتاب مشاركة وتعزيزاً للذين عملوا ولا يزالون يعملون على نشر فضائل هـذا الإمام ، والتذكير بمنزلته الدينية والعلمية .

عارف النكدي



عشر سنوات في الدبلوماسية

في صميم الأحداث العربية والدولية

وضعه الدكتور نجيب الأرمنازي

السفير السوري السابق

من مميزات هذا الكتاب ـ الذي يقع في ثلاث مئة صفحة ، وهو الجزء الأول من هذه السنوات العشر ـ أنه يضع لك الأحداث العربية جملة ، ثم يتناول بالتفصيل والإسهاب قضية فلسطين : نكبة اليوم . يبسطها أمام عينيك ماثلة بوثائقها الرسمية الناطقة ، وبتصريحات رجالات السياسة المنافقة ، بحيث تقرأ تاريخها جلية واضحة ، بخفاياها وأسرارها . فاذا « بفعلة اليوم بعد

وحلة أمس » . حيل يهودية ، وأساليب مكيافالية ، تلفها دعايات ماكرة ، وسياسة فاجرة ، تقوم على بذل المال ، وخدمة الاستعمار ، والنكث بكل عهد ، والتحلل من كل وعد . وحدة في صفوف هؤلاء القوم : اليهود ، تجعل كلمتهم متفقة ، ومطاليبهم محققة ، يقابلها في صفوفنا نحن العرب : سياسة ساذجة ، تبلغ أحياناً حد البله ، والركون إلى وعود طالما تنكر لها ولكثير من أمثالها كبار أصحابها .

هذه أمور مؤلمة ، ولكنها حقائق مبكية ، تقرأها والألم يحز في نفسك ان بقي لك بعد هذه النكبات نفس ، والدمع يملأ عينك إن بقي لك بعد هذه الحادثات دمع .

يقول الدكتور الأرمنازي في الفصل الرابع بعنوان : المشكلة الفلسطينية[١] خلال حربين : « استقرت الدعوة الصهيونية في بريطانية في الحرب العالمية الأولى . وكانت تساندها عناصرها المنبثة في الولايات المتحدة وسائر الأرجاء الأوروبية ، برغم اشتباك بعضها ببعض في ساحات القتال . وقد عقدت آمالها حيناً من الزمن على ألمانية الامبراطورية . وفي بعض الأحيان على النمسة حتى روسية القيصرية ، ولكنها وجدت في آخر الأمر ، أن بريطانية العظمى هي مرتعها الخصيب ، فآوت إليه ، ونمت في ظله ، وقد استعان أصحابها بنواح كثيرة للتأثير على البريطانيين ، وفي مقدمتها رغبة التسلط والاستعمار ، التي تملأ جوانحهم . وذلك باقامة محمية بريطانية في فلسطين ، تكون أداة من أدواتهم السياسية ، فضلاً عن استثمار الأسباب العاطفية والدينية وغيرها .

(١) النسبة إلى « فلسطين » ـ « فلسطي » وهو ما لا يخفى على المؤلف ، غير أنه استعمل اللغة المشهورة .

وكان ويزمن : داهيتهم مبشراً بهذه الدعوة ، وقد وجد في منشستر وفي جريدتها الحرة « الغارديان » أكبر عون له على خططه . وزاد في ذلك خبرته الكيمائية التي وضعها في خدمة السلاح البريطاني أثناء الحرب . فكان العلم في جملة وسائله واتساع صلاته ، وارتفعت منزلته فكان يقابل الرؤساء والوزراء والحكام وملوك الأموال ـ يتحدث وهو روسي النشأ ، انكليزي التبعة بلسان شعب لم يتكوّن ، فيُصغى إليه ، وتفتح له الأبواب المغلقة ، فيمثل أدواره ببراعة منقطعة النظير . فطوراً يلتمس مواضع الضعف الإنساني فيداهن ويتملق ، وطوراً يستعطف فيذرف دموعه ، ويبالغ في إظهار عنائه ليجتلب الرحمة ، وطوراً يواجه خصومه بشدة وعنف ويستأسد عليهم ، ولا سيما إذا آنس منهم ضعفاً ، فاذا بهذا المستكين ، الذرِق اللسان ، يتهم ويؤنب ويدعو إلى القسوة التي لا بد منها . ولا تفوته الحكمة والتصدر ومقاومة التطرف . وهو يعرف كيف يستثمر الظروف ، ويخفي حماسته وحرصه وتهالكه ، حتى أدرك بجماعته ما أدرك ، وذلّل من العقبات ما ذلّل ، دعاه الذين كانوا يعلنون معارضتهم له ، ليكون أول رئيس ، قائلين : أين نجد مثله (١) ؟ .

(١) أخبرني الأمير بهجة الشهابي رحمه الله وقد أقام برهة بفلسطين عقيب الحرب العالمية الأولى ـ وأظنه قال ـ هذا إذا لم تخني الذاكرة في اسم الرجل ـ إن ويزمن عاش أول أمره في غرفة متواضعة ، وأنه كان يجري على نفسه خمسة جنيهات في الشهر ...

فأين هذا منا نحن الذين كنا إذا جمعنا بعض المال ـ بعد جهد وعناء ـ صرفه من تسلمه على تفنه وملاذه . وليس بالبعيد اليوم الذي خودع فيه موفد سوري ، وآخر لبناني ، خدعتهما امرأتان يهوديتان فتسلمت كل منهما وثائق صاحبها وسلاحه .

وإنك إذا حملت قنديل «ديوجاس» تفتش عن العربي يفعل لقومه ، ما فعله هذا الصهيوني لقومه ، لم تجده » .

وغرر في هذا الكتاب بالوثائق والتصريحات التي أشرنا إليها في مبدأ هذا الحديث وهو ما يجب على كل عربي ـ ولا سيما المشتغلين بالسياسة ـ أن يطلع عليها ، ويتدبر ما فيها ، فيعرف مكامن الضعف فينا ، وسر القوة في عدونا ، وكيف وصل هذا العدو إلى ما وصل إليه بالاخلاص لمبدأه ، وبالبذل لقضيته ، وبالتحايل والمكايدة . وقومه لا يعرفون لهم صديقاً إلا مصلحتهم . ونحن على ضعفنا ، لا نزال على سياسة عربية عتيقة ، تقوم على الإخلاص والوفاء ، لقوم لا يعرفون الإخلاص ولا الوفاء ، إذا ربطنا مقدراتنا بجماعة لا ننفك عنها ، ولا نختلف معها ، مهما آذتنا وأوذينا في سبيلها ، ومهما تنكرت لنا وتاجرت بمصالحنا ، وقد عُرف هذا عنا حتى عالن به بعض رجال السياسة في الغرب من غير غمغمة ولا مواربة . وهي سياسة مضحكة خرقاء ، انصرم عهدها ، وانقضى يومها . وهذه المبادئ على سموها ورفعتها إذا هي صلحت أمس ، ونحن أقوياء ، فلا تصلح اليوم ونحن ضعفاء . وقد يكون من البلاء ، أن نمارس سياسة الإخلاص والوفاء مع الأعداء ، وأن نتنكر لها ما بيننا فلا نتسامح ولا يخلص بعضنا لبعض الآخر ، وبذلك يصبح ما نفعله ضعفاً وذلاً ، لا اخلاصاً ووفاء .

ويقول الأستاذ الأرمنازي :

وكانت فظائع اليهود ، بحيث قالت التيمس في عددها الصادر في ٣٦/١٠/١٩٤٧ ربما تجيز قوانين الحروب المنبثقة منذ القدم أن ينعم المتصرون بخيرات المغلوبين على أمرهم ، غير أن ليس من السهل ابدا التسامح بتصرفات بعض اليهود الذين ينتهكون الحرمات الإسلامية ويهزأون بها ، ويدنسون

م (١٤)

المساجد ويحرقون الكتب المقدسة ، ويقلدون المؤذنين تفكهة للنساء اللواتي كنّ بصحبتهم .

ومع هذا أغضت السياسة الاستعمارية عن أفاعيلهم وفظائعهم . حتى جعل تريغفي لي نفسه آلة طيعة بيدهم ، وخادماً ذليلاً لهم . كان من أشد خصوم العرب ويفخر بمساندة إسرائيل ، ولا يكتم ما يشعر به من حماسة وغبطة من انضمام إسرائيل إلى الأمم المتحدة . حتى إنه كتب في مقدمة تقريره الرابع للجمعية العامة : « إن من حوادث التاريخ الباهرة ، التي لم تتحقق في نهاية ثلاثين عاماً ، بل في مدى ألفي سنة من تتابع آلام ومرارة ونضال » .

ويعقب الدكتور الأرمنازي فيقول :

« وعجيب أن رجلاً لعب مثل هذا الدور ، وتجاوز الحدود التي يلزمه بها منصبه مبالغاً في النكاية بالعرب ، تمنحه الحكومة السورية وسام أمية عندما مر بربوعها سنة ١٩٥١ مكافأة على إخلاصه وخدماته ! ... » .

أكرر القول : انها مذكرات من حقها أن تقرأ ، وأن يسبر غورها ، ومن لم يشأ أن يقرأها سياسة ، فليقرأها أدباً . فقد كتبها أديب ضليع ، ما أحسب أن في المذكرات السياسية كثيراً من أمثالها ، في حوكها وأسلوبها .

وقد وقع للأستاذ بعض هفوات قد تكون من سبق القلم إذ ليس من عادته أن يقع في مثلها والعصمة لله .

ع . ط



كتاب :

دعائم الإسلام ، وذكر الحلال والحرام ، والقضاء في الأحكام ،
عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام
للقاضي الأجل أبي حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون
التميمي المغربي قدس الله روحه
تحقيق : آصف بن علي أصغر فيضي ، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

يَعرض لنا هذا الكتاب ـ كما قال فيه بعض واصفيه ـ نظريةَ الإمامة ، والعبادات الإسلامية من وجهة النظر الفاطمي ، فقد كان مؤلفه قاضي الدولة الفاطمية بمصر في وقت ظهورها . ويبحث الجزء الثاني من الكتاب في المعاملات على مقتضى المذهب الفاطمي . (قال) : والمسلم سنيّاً كان أم شيعياً ـ واجبه أن يقرأ هذا الكتاب ليعرف فكرة الإمامة عنـــد الفاطميين من مصادرها الأولى ، ويعرف واجب اتباع آداب الأئمة ، ويعرف وجوه الاتفاق ـ أو الاختلاف ـ بين المذهب الفاطمي ، وبين غيره من المذاهب الإسلامية .

يبلغ الجزءان الأول والثاني أكثر من ألف صفحة

وقد جاء في مقدمة الأستاذ المحقق أن كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المتوفّى سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٤ م) أقوم مصدر لدراسة القانون عند الفاطميين ، وهو مقسم إلى جزءين : الأول يبحث في العبادات وهي (١) الإيمان من وجهة نظر الفاطميين (ب) الطهارة (ج) الصلاة ، ويشتمل أيضاً على الجنائز (د) الزكاة (هـ) الصوم (و) الحج (ز) الجهاد . وهذه هي دعائم الإسلام السبع عند الشيعة الفاطميين . وهذا الجزء في ثمانية كتب ، وحديثه عن

الصلاة والجنائز متناثرة في فصوله المختلفة . ويغلب على معالجته للموضوعات الصبغة الدينية والكلامية ، كما نجد بها مسائل تشريعية .

أما الجزء الثاني فهو يبحث في المعاملات ، ويشتمل على خمسة وعشرين كتاباً ، وقد عدها بأسمائها وأرقامها من كتاب البيوع إلى كتاب آداب القضاة .

والجزء الأول قيّم المباحث في علم الكلام ، كما يتضح ذلك من الكتاب الأول الذي يعدّ من أقدم النصوص في عقائد الفاطميين ، فهو يبدأ بتعريف الإيمان ، والفرق بين الإسلام والإيمان ، ثم يتحدث عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة ، وواجب كل مؤمن أن يتبع الأئمة في معتقداتهم وأوامرهم ، ورأي الإسماعيلية في الولاية لا ينصب على حب الأئمة من أهل البيت فقط ، بل على الخضوع التام لأوامرهم .

وبجانب ما نراه في الكتاب الأول من الجزء الأول من الدعائم ، نرى في الكتاب الثاني الحديث عن وصية علي بن أبي طالب . وبكتاب الوصايا أهم الآراء المنسوبة إلى علي نفسه في توثيق عقيدة الولاية ، فكتاب الإيمان . وكتاب وصاية علي من أقدم المصادر الأساسية لبحث هذه العقيدة من عقائد الفاطميين .

والكتب الستة الأخرى التي يشتمل عليها هذا الجزء من الكتاب ، تتبع نهج الكتب الفقهية المعروفة ، مع إضافة الحديث عن الطهارة التي هي من خصائص فقه الشيعة .

ثم ذكر الأستاذ المحقق المصادر المطبوعة التي تستقى منها ترجمة المؤلف المطبوعة في بعض المجلات الكبرى الغربية ، وفي دائرة المعارف الإسلامية ، وفي مقدمة كتاب المحقق « قانون الوصايا عند الإسماعيلية » طبع في اكسفورد سنة ١٩٣٣ م (من ص ١ إلى ص ٢٨) وذكر غيرها من المصادر وهي مسمّاة بأعلامها وأرقامها ، (قال) : وتوفي بالقاهرة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ (٢٧ مارس سنة ٩٧٤ م) وصلى عليه الإمام المعز لدين الله .

وجاء في هذه المقدمة ما نصّه : ويعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسماعيلية المستعلية بسيدنا قاضي القضاة وداعي الدعاة النعمان بن محمـــد ، وقد يختصر المؤرخون فيقولون « القاضي النعمان » تمييزاً له عن صاحب المذهب الحنفي ، ويطلق عليه ابن خلكان ومؤلفو الشيعة الاثني عشرية « أبا حنيفة الشيعي » . خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية التسع سنوات الأخيرة من حكمه ، ثم ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة الثاني للفاطميين ، وفي عهد الخليفة الثالث المنصور بالله عين قاضياً للمنصورية . ووصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع ، إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة .

ثم وصف المحققُ هذا المؤلّف بأنه وقف نفسه على الدراسات التشريعية والفلسفية ، وعلى تأليف هذه الكتب العديدة المتنوعة التي كتبها ، وقد وضع أسس القانون الفاطمي ، وينظر إليه بحق على أنه المشرع الأكبر للفاطميين ، ويقول رواة الفاطميين إنه لم يؤلف شيئاً دون الرجوع إلى أئمة عصره ، ويعتبر أقوم كتبه ـ « كتاب دعائم الإسلام » ـ أنه من عمـل المعز نفسه ، وليس من عمل قاضيه الأكبر ، ولهذا كان هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطمية كما يتضح ذلك من رسالة كتبهـا الحاكم بأمر الله إلى داعيه باليمن ، بل لا يزال هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند ، وعليه المعوّل في أحوالهم الشخصية . ثم ذكر مختصرات في الفقه أُخذت عن دعائم الإسلام ، وأن أبناء المؤلف اختصوا أيضاً بما كان يتمتع به أبوهم من نفوذ ، فقد تولى كل من ولديه علي والحسين مرتبة قاضي القضاة ، ووضعا كتباً في الشريعة. وختم المحقق هذه الترجمة بقوله : وعلى الجملة فقد كان النعمان مؤسس أسرة محترمة من القضاة الممتازين ، كما كان مؤلفاً كثير الإنتاج ، ينسب إليه

أربعة وأربعون كتاباً ، منها ثمانية عشر يحتفظ بها إلى الآن ، وأربعة يرجح وجودها ، واثنان وعشرون فقدت ولم نعثر لها على أثر . اهـ .

(نشر النصّ)

تحت هذا العنوان ذكر المحقق أنه طبع هذا النص ونشره على ثمان نسخ خطية ، نسختان قيمتان جدّاً ، قال : وأقدم نسخ كتاب دعائم الإسلام التي عثرنا عليها ترجع إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ولا نجد خلافاً في مادة بين نسخه المختلفة ، وقد أدرج في الكتاب كلمات لا يمكن أن تكون من عند المؤلف ، وقد عجب أن لا يجد من هذا الكتاب نسخة واحدة في مكتبات مصر ، إذ الموجود في دار الكتب المصرية هي صورة فوتوغرافية عن النسخة الخطية التي تحتفظ بها مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن قال : وهناك نسخة أخرى خطية بمكتبة صديقي الدكتور محمد كامل حسين الذي تخصص منذ سنوات عديدة في دراسة الأدب الفاطمي ، ونشر في ذلك عدة كتب وأبحاث . وبعد أن سمّى بعض البلدان الخالية منه ، والبعض الآخر النادر وجوده فيها ، قال : ومهما يكن من شيء فان وجود النسخ في الهند طبيعي جداً . فمن المرجح أن هنالك حوالي ثلاثمائة نسخة كاملة ، ثم وصف النسخ التي اعتمد عليها في طبع الكتاب ، وهي النسخ الثمان المتقدمة وختم المقدمة بشكر عدد من الأماثل الذين عاونوه باعداد هذا الكتاب للطبع .

من محاسن هذا الكتاب (واسمه الوجز : دعائم الإسلام للقاضي النعمان ابن محمد) ضبط الآيات الكريمة بالشكل ، والعناية بالأحاديث الشريفة ، وهو ينقلها عن أئمة البيت ، عليهم الرضوان ، ولكنه لا يذكر سندها إليهم ، ولا أسماء الكتب التي خرّجتها عنهم ، وأما روايته عن أهل السنة ــ المبرَّ

عنهم بالعامة عندهم - ففيها خطأ وتحامل ، مثال ذلك : (ذكر الأذان والإقامة) فقد جاء في قوله : وروينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : كان الأذان بحيّ على خير العمل على عهد رسول الله ﷺ وبه أمروا في أيام أبي بكر وصدر من أيام عمر ، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة ، فقيل له في ذلك ، فقال إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه . (قال) : وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد (ص) (والعامة) تروي مثل هذا ، وهم بأجمعهم إلى اليوم مصرّون على اتباع عمر في هذا ، وترك اتباع رسول الله ﷺ ، واحتجوا بقول عمر هذا ، وظاهر هذا القول يغني عن الاحتجاج على قائله ، وإنما أمر الله بالأخذ عن رسوله ﷺ إلى قوله : (أفكان عمر عند هؤلاء الرعاع أعلم بمصالح الدين والمسلمين أم الله ورسوله ؟ يقول أهل السنة : بل الله تعالى ورسوله أعلم وأحكم . ولكن حديث الأذان في الصحيحين والسنن ؛ ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي محذورة : وإن كان صلاة الصبح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم . وفي حديث بلال أنه كان يؤذن للصبح فيقول : حيّ على خير العمل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل مكانها الصلاة خير من النوم ، وترك : حيّ على خير العمل ، قلت : الدعوة إلى خير العمل ، أعم وأشمل ، ولكنّ الصلاة خير من النوم ، نصّ في المطلوب .

محمد بهجة البيطار



تفسير أرجوزة أبي نواس

في تقريظ الفضل بن الربيع
وزير الرشيد والأمين

صنعة : أبي الفتح عثمان بن جني

تحقيق : الأستاذ محمد بهجة الأثري

كلما قلبت صفحات التراث العربي ، هالتني هذه التحقيقات التي وقف لها هؤلاء العلماء . وقمد إليها هذا النفر الذي عمرت به أرض سورية الخصيبة ، وازدهت به على سائر أرضين العرب ...

إذ الواقع أن سورية بما تمخضت عنه من أعلام العلماء ، قد كان لها في أنطار العروبة ، ما عجزت عنه سائرها ، وما تطلعت إليه حواضرها على تعاقب العصور ، وطيِّ الأزمان ، حتى غدت بفضل علاّمتها الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، خير مُنْجِبَةٍ للتراث ، وخير ولاّدة لهؤلاء الأبناء الذين يشرقون في الأرض ، ويغربون ، ابتغاء البحث ، وحسبة لله والوطن والعرب ...

ولقد كان بوديّي أن يكون أبناء العروبة جميعاً ، كأبناء سورية : صبراً وجلداً وبحثاً ، إلا أن الواقع يسير ببعض الذين يريدون البحث في جانب الاستكانة ، ويسير بالبعض الأخر على اجترار الذكرى ، ومعاودة الحنين ، والترحم على الماضي البعيد .. وإن كان بودي أيضاً ، أن يجرب بعض هؤلاء الأبناء ، لعلّ في بعضهم الخير لتراث العرب ، وفي بعضهم الثاني ما يتطلعون إليه ، ولكن تقف أمامهم عقبات السفر ، والضرب في الأرض دون زاد أو راحلة . . . ! !

وليعذرني القارئ في هذه المقدمة التي استوقفتني أكثر من مرة ، وشدّتني إليها ليلاً ونهاراً ، حتى نازعتني نفسي بيطلانها أو محوها ، وعرض الكتاب خلواً منها ، ولكن أنّى لي ، وقد يحزّ نفسي ألاّ أكون مثل هؤلاء الذين يسافرون إلى هنا أو هناك ، لمقابلة نسخة بأخرى ، أو تحقيق كتاب بالمدينة ، أو مراجعة أثرٍ في دمشق ، أو العكوف في مكتبتها الفذة أياماً وأياما ،

قلت هذا لنفسي ، وما أمرّ الحديث إليها ، وأنا أطالع كلام الأستاذ الأثري : « اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة واحدة من ثلاث نسخ عرفت منه حتى الآن في فهارس المكتبات العامة في العالم ، هي : نسخة « المدينة المنورة » : أما النسختان الأخريان ، فهما في « المتحف البريطاني » بلندن : ثان ٧٧٦٤ ، وثالث ٥٩ .

وقد ظفرت بالأولى ، وتعذر عليّ الظفر بالأخريين .. ظفرت بها في « مكتبة عارف حكمة » خلال إقامتي القصيرة في « المدينة المنورة » .

وقد حبب إليّ أن أرى الأمانة العلمية في اعتراف الأستاذ الأثري ، وجهده المبذول الذي هداه إلى البحث ، حتى هُدي إلى هذه النسخة فبادر إلى نسخها بخط يده .. ولو كان هناك سبيل إلى التيسير ما عانى المحقق شيئاً ، أو تعب هذا التعب الذي يقدره كل من عاناه ...

ويكفي للدلالة على هذا الجهد أن المطالع لهذه « الأرجوزة » يرى أن الأستاذ بهجة الأثري قد فسَّرَ : « ما أهمل ابن جني تفسيره ، أو جمجم في كشف غامضه ، أو أوجز عبارته ، فأخلّ بمراده ، ورقّم الآيات ، وخرّج الأحاديث ، وتقصّى الشواهد الشعرية شاهداً شاهداً ، وذكر مصادر رواياتها ، ونسب ما لم ينسبه ابن جني إلى قائله ، وأتم الأشطار ، وترجم لكل من ذكر فيه من أعلام ، ودلل على مراجعها ، وفسَّرَ ما لا بدّ

من تفسيره من غريب هذه الشواهد وغيرها من الأمثال التي وردت في هذا الكتاب ، ونبّه على ما وقع لبعض الملقين من المعاصرين على ديوان أبي نواس من تخليط في شرح هذه الأرجوزة ، دفعا للاغترار به ، وتوهم صحته ، ووضعاً للصواب في موضعه » .

والكتاب بعد هذا يشتمل على مقدمة المحقق ، والأرجوزة النواسية ، وترجمة وافية للفضل بن الربيع ، وأخرى للنواسي ، وثالثة لابن جني ، ثم شرح الأرجوزة ، ثم ثبت التصويبات ، والفهارس ، غير بعض المسائل المتفرقة ، والآيات ، والأحاديث ، والأمثال ، والقصائد ، والأيام ، والحروب ، والأشعار ، والأعلام ...

ويوم أن يُكتَبَ لي ، أن أطالع هذا الكتاب ، كما أردت ، لا أدّخر وسعاً ، كما يقولون ، في الشدّ على يدي المحقق الفاضل ، والإشادة به ، وإن كنت الآن أجلّ عمله في التراث ، وأرضى بصنعته في كتب التحقيق .



أبو طالب زيان

احتفالات الموالد النبوية

في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية

كتاب في (٤٨) صفحة بقلم الدكتور محسن جمال الدين

أستاذ الأدب الأندلسي في كلية الآداب ـ جامعة بغداد

من مطبوعات مطبعة دار البصري ـ بغداد لعام ١٩٦٧

هذا كتيب صغير ، قليل عدد الصفحات ، كبير العنوان ، ولكنه ، رغم صغر حجمه ، يبحث في موضوع خاص يلفت النظر ، ويدل على أن واضعه قد تعب في سبيل جمع الأشعار التي قيلت في موضوع الموالد النبوية وحدها ،

فقد استقى المؤلف ، كما يتضح من مقدمة الكتاب هذه الأشعار من الأمداح النبوية التي نظمها الشعراء في النبي محمد ﷺ من مثل محمد بن جابر الهواري الأندلسي ولسان الدين بن الخطيب وابن دراج القسطلي ومحي الدين بن عربي وغيرهم ، كما اختار الشاعر بعض الأشعار التي قيلت في هذا الموضوع في المهجر من أمريكا الجنوبية ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء المهجريين : الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وأبو الفضل الوليد ، ولا بد هنا من التساؤل عن الدافع إلى جمع أشعار هذين القطرين ، الأندلسي ، وأمريكا الجنوبية في كتاب واحد على تباعد العصرين واختلاف الزمنين والمكانين وكنا نرجح لو جعل لكل قطر منها دراسة خاصة .

على أن هـذا الكتيب على صغره يسد فراغاً في دراسة الشعر العربي من هذه الناحية ـ الاحتفلات النبوية ـ وهو أمر هام جداً خاصة وأن المؤلف قد وعد في أن يعمل على إيفاء هذا الموضوع حقَّهُ من التفصيل والتبسط والشرح استكمالاً للفائدة التي ترجى من مثل هذه البحوث .



أحمد الجندي

أشعار أبي الشيص الخزاعي

كتاب يقع في / ١٥١ / صفحة من القطع المتوسط

جمعه وحققه عبد الله الجبوري وهو من مطبوعات

مطبعة البيان ـ بغداد لعام ١٩٦٧

الأستاذ عبد الله الجبوري أمين مكتبة الأوقاف العامة في بغداد نشاط معروف في جمع أشعار الشعراء الذين لم تجمع دواوينهم في كتاب واحد ، والذين ظلت أشعارهم متنـــاثرة في الكتب القديمة ، ومن هؤلاء الشعراء

أبو الشيص الخزاعي الذي نال نصيباً كبيراً من الشهرة والسمعة الفنية وقد وضعه القدماء إلى جانب مسلم بن الوليد ودعبل وأبي نواس ، وهو وإن لم يكن في مستوى هؤلاء إلا أنه شاعر ، وشاعر كبير في بعض شعره .

والأستاذ الجبوري في تنقيبه عن هذا الشاعر وتقصيه أخباره ومنظوماته قد خدم الأدب العربي خدمة جلّى ، ولكن الملاحظ أن السرعة قد أثرت في إخراج الكتاب مما أدى إلى وجود بعض الأخطاء المتفرقة ، والتي كان يمكن تجنبها بيسر وسهولة . فكلمة (منهوءة) التي وردت في الصفحة (٣١) هي مهنوءة من هنأ الإبل : طلاها بالهناء وهو القطران . وفي حاشية الصفحة (٤٣) تكرار للسطر السادس ، والأبيات التي وردت تحت رقم (٢٤) من الصفحة (٥٨) هي من البحر الطويل لا من البحر الكامل ، كما أن هنالك أخطاء عروضية أخرى يراها القارئ في المطالع . ولم يذكر المحقق بحر الأبيات الواردة تحت رقم (٦٠) وهي من السريع وهناك ألفاظ لم تتيسر لنا قراءتها مثل كلمة (يغي) الواردة في البيت الثالث من الأبيات رقم (٤٣) وكلمة (اصبت) الواردة في البيت الأول من الأبيات رقم (٥٤) و (كمول) الواردة في البيت الرابع من هذه الأبيات أيضاً .

ونقطة هامة لا بد من ذكرها وهي أن مجموعة أشعار أبي الشيص هذه لم تذكر فيها أشعار أخرى للشاعر ، كالأبيات التي وردت في كتاب « قطب السرور في وصف الأنبذة والخمور » المخطوط للرقيق النديم والذي نقوم بتحقيقه بتكليف من مجمع اللغة العربية بدمشق ، ومنها الأبيات التي مطلعها :

وكميتٍ أرّقها وهج الشمس   وصيفٌ يغلي بهـــا وشتاءُ

والأبيات الأخرى ومطلعها :

عاطني كأسَ سلوةٍ   عـــن أذان المؤذّنِ

أما إضافة القصيدة الدعدية إلى أبي الشيص فليس له سند مقنع تاريخي لأن أكثر المؤرخين ينسبون القصيدة إلى دوقلة المنبجي ، أو إلى العكوك أو إلى شعراء آخرين والذين ينسبونها إلى أبي الشيص قلة قليلة ، والرأي الصحيح في نظرنا أن هذه القصيدة لا يعرف قائلها ونرجح أن تكون لأحد أولئك الرواة الذين كانوا ينظمون الشعر وينحلونه النـــاس عن سوء قصد أو حسن نية .

على أن هذه الأخطاء الهينة لا تمنع من القول بأن عمل الأستاذ الجبوري عمل كبير وجريء فليس من السهل أبداً أن يعمل الأديب على إيجاد ديوان من الشعر لم يوجد من قبل ، يجمعه من بطون الكتب وخبايا المخطوطات ويتحمل في ذلك جهداً لا يتحمله إلا من أخلص لفنه ولغته .



أ . ج .

قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر

الدكتورة عائشة عبد الرحمن

« بنت الشاطىء »

الجزءان الأول والثاني كتاب من القطع المتوسط من مطبوعات
معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة
لعام ١٩٦٦ – ١٩٦٧

هذا كتاب يحمل طابعاً فنياً استأثر من مؤلفته بجهد كبير وعمل مستمر طويل لأنه بني على دراسةٍ عميقةٍ ، واستخلاص نتيجة علمية فنية من هذه الدراسة ، ففي الكتاب فهم وتجديد وتأسيس ؛ إن كان لهـــذه الألفاظ الثلاثة القدرة على تقدير الجهد الأدبي النافع الذي رأيناه بين دفتي الكتاب .

والغاية من هذا المؤلف القيم ، كما جاء في المقدمة : (تحرير الدرس الأدبي من بعض قيم ومقاييس خاطئة) . والذي قصدت إليه المؤلفة من بحثها : (هو استخلاص جديد من القيم غابت عمن أرّخوا لأدبنا ونقدوه) .

والفكرة ، كما أشارت المقدمة إليها ، (جديدة بالنسبة إلى ما لا نزال نردده من أحكامهم وموازينهم ـ أي المؤرخين القدامى ـ وإن تكن في الواقع ، مستندة إلى ما يقدمه لنا تراثنا) .

وعدد صفحات الكتاب ٣١٩ صفحة تبدأ بالاهداء إلى الأستاذ العالم المرحوم أمين الخولي ثم بفهرس للجزءين الأول والثاني .

أما موضوعات الكتاب فتبدأ بعنوان : أدبنا والحياة في العصر الجاهلي ، وتنتهي في نهاية فهرس الجزء الثاني بعنوان : الأدب المعاصر وقضية الالتزام . فالبحث كما نرى مرتكز على جلاء الغموض عن بعض القيم الأدبية ، وإخضاع هذه القيم إلى البحث العلمي ، كل ذلك في محاولة جريئة واعية مفكرة .

أ . ج .



الشاعرة العربية المعاصرة

كتاب يقع في /١٣٣/ صفحة من القطع المتوسط
وضعته الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة
لعام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣

هذا كتاب اختار موضوعه مجلس معهد الدراسات العربية العالية لدى جامعة الدول العربية ، والذي يبدو أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن حملت عليه حملاً ولقد قدمت المؤلفة كتابها للقراء مستهلة بالاعتذار الذي اعترفت فيه بالقصور ، وعبرت عن سبب قصورها بقولها « بعضه يرجع إلى قصر الوقت ، وبعضه يرجع إلى ما لا يزال يعوزنا من مادة البحث » .

وقد وقفت بحثها على الشاعرات في الأقطار الثلاثة « العراق والشام ومصر » دون الأقطار الأخرى واعتذرت عن ذلك بقولها « ووجه العذر في هذا الاقتصار ، أن ليس في المكتبة العربية أي ديوان مطبوع لغير شاعرات هذه الأقطار » أي الأقطار الثلاثة آنفة الذكر .

والذي نراه ، أن هذا العذر ، على وجاهته ، لا يقف عذراً بالمعنى الكامل ، عن طيّ ذكر الأقطار العربية الأخرى والاكتفاء بجزء من العالم الأدبي في دنيا العرب ، وكنا نرجح ، التريث في نشر الكتاب إلى أن يستكمل مادته ويستتم عناصره ، وإذا كانت المكتبة العربية خالية من الدواوين المطبوعة لغير شاعرات الأقطار الثلاثة ، فانه كان من الممكن الاتصال بالشاعرات ودراسة شعرهن في ما تستطيع المؤلفة الحصول عليه من هذا الشعر عن طريق المقابلة والمراسلة .

وما يقال في هذا السبب يقال في السبب الآخر ، وهو ضيق الوقت ، فقد كان بالإمكان أيضاً إرجاء إصدار الكتاب ريثما تتمكن المؤلفة من التغلب على هذا العائق الهام ، على أنّ الذي يطمئننا إلى مستقبل البحث عند المؤلفة الفاضلة أنها اعتبرت الكتاب « مرحلة تمهيدية لدراسة أدق تناولاً وأعمق تخصصاً » وهو ما نتمناه ونرجوه .

ويشتمل الكتاب ، على اختصاره ، على بحوث ذات أهمية كبيرة بدءاً بالبحث الأول عن : « الأدبية العربية في تراثنا وتاريخنا » . وانتهاء بـ « شاعرة العصر وحركة التجديد » ولا شك في أن هذه الدراسة تشتمل على نواحي هامة في دراسة الشعر النسوي الذي لم يلق ، فيما سبق ، الاهتمام الكافي من دارسي الشعر العربي .

أ . ج .

✻✻✻

أبو العلاء المعري

كتاب من القطع الصغير يقع في / ٢٥٣ / صفحة
تأليف الدكتورة « بنت الشاطىء » ويحمل الرقم ٣٨
في سلسلة كتب (أعلام العرب) طبع المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر لعام ١٩٦٥

تنبئنا الدكتورة « بنت الشاطىء » عن جدوى هذه الدراسة التي وضعتها عن أبي العلاء بقولها : إنها أطالت صحبة هذا الأديب الفيلسوف في تراثه وإنها تخصصت في تحقيقه ودراسته .

وتعبر الكاتبة بايجاز عن طريقة بحثها هذا فتقول « وقد حرصت أشد الحرص على أن أترك له ـ أي لأبي العلاء ـ مهمة الحديث عن نفسه منذ وعى إلى أن رحل عن الدنيا » وكأن هذا البحث شكلٌ من المذكرات لحياة رجل كبير ترك أكبر الأثر في الأدب العالمي .

يشتمل الكتاب على سبعة فصول هي ، وفق ما جاء في الفهرس : قبل المولد ، رحلة الحياة الأولى ، في مفترق الطريق ، ثم رحلة الحياة الثانية (معركة المجاهدة) ، ثم نهاية المطاف .

والكتاب كما يبدو قاصر على وصف حياة أبي العلاء فنحن لا نجد في صفحاته بحثاً يتعلق بشاعرية الرجل كما لم نعثر للمؤلفة على رأي خاص بهذا الشعر الذي اختلف فيه الأدباء والنقاد تقديراً وتصنيفاً ، فالكتـــاب : قصة حياة ذات أثر في عدد من وجوه المعرفة والفن . ولا بد لقارىء الكتاب من أن يتذكر في هذا المكان « ذكرى أبي العلاء » الكتاب الذي تناول شيخ المعرة ، للدكتور طه حسين ، ومن نافلة القول أن الدكتور طه حسين قد فتح الطريق الجديدة لدراسة هذا الشاعر الأديب .

على أن كتاب الدكتورة بنت الشاطىء يعطينا ، من غير شك ، صورة واضحة عن شخصية أبي العلاء الفذة . ويرسم لنا هذه الشخصية بخطوط جلية مشرقة . كل ذلك بأسلوب بارع أخاذ .

أ . ج



عقبة بن نافع الفهري

تأليف : محمود شيت خطّاب

عدد صفحاته ٨٠

طبع بمطبعة العاني ببغداد ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري القرشي . ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وقيل غير ذلك . وقد نشأ عقبة في بيئة إسلامية خالصة ذات طابع عسكري بحت ، فحمل سلاحه مجاهداً في الفتح الإسلامي ، وبرز في ساحات القتال متحملاً قسطه الأوفى من الجهاد باندفاع وتجرد وإقدام .

شهد عقبة فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وبعثه عمرو على رأس جيش من العرب المسلمين إلى زَوِيلَة فافتتحها صلحاً ، وصار ما بين برقة وزويلة سلماً للمسلمين ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة . وفي هذه السنة بعثه عمرو إلى النوبة ، فلقي المسلمون من النوبة قتالاً شديداً . ثم سار عقبة مع عبد الله بن أبي سرح من برقة إلى طرابلس الغرب ، وشهد عقبة فتوحات ابن أبي سرح في افريقية وأبلى في جهاده مع ابن أبي سرح أعظم بلاء .

ثم غزا عقبة الروم في البحر بأهل مصر . ثم مضى عقبة لإنجاز فتح بلاد فزّان حتى أتى على آخرها ونشر الإسلام في ربوعها ، ثم أقدم عقبة على التغلغل في الصحراء بقوات قليلة خفيفة وحقق هدفه في الفتح الصحراوي بسهولة .

ثم سار عقبة بجيشه إلى المغرب ففتح كل حصونها وقلاعها ، واحتل تلمسان وطنجة وغيرها ، ثم استشهد سنة ثلاث وستين للهجرة في معركة تهوذة .

هذا موجز لسيرة ذلك البطل العظيم قد عرضها المصنف الفاضل عرضاً تاريخياً وعسكرياً ، فأبان فيه مزاياه الخلقية والعسكرية والإنسانية .

وقد عزا المؤلف كل خبر إلى مصدره فذكر المصادر مع أرقام الأجزاء والصفحات ، كما عرّف كثيراً من البلدان والقبائل التي وردت في نص الرسالة ، وعلق بعض التعليقات القيمة ، ونشر بعض المصورات الجغرافية ليهتدي الباحث إلى ضالته المنشودة بسهولة .

وذكر المؤلف في نهاية رسالته المراجع التي رجع إليها ، وختم بحثه بوضع فهارس للأعلام ، والأماكن ، والتعابير العسكرية ، والموضوعات ، فجزاه الله كل خير وقواه على متابعة ما ينشره من أبحاث قيمة .

عمر رضا كحالة



أعلام الجزائر

الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي

جمع : محمد الطاهر فضلاء

عدد صفحاته ٢٢٥

طبع بمطبعة البعث بقسنطينة ـ الجزائر (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

ولد محمد البشير الابراهيمي ، ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم ، قرب بلدة رأس الوادي بالجزائر ، فتلقى فيها دروسه الأولى عن أبيه وعمه ، وبذلك نشأ نشأة عربية إسلامية وطنية ، وارتحل إلى الشرق سنة ١٩١١ م ، وأخذ عن عبد العزيز الوزير أحد أساتذة الجامعة الزيتونية ومحمود الشنقيطي اللغوي ، وحمدان الونيني القسنطيني .

واتصل بالنهضة الحديثة بواسطة الجرائد والمجلات والنشرات مما كان له الأثر الأكبر في تكوين شخصيته ، واتخذ مدرسة عبد الرحمن الكواكبي

وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده مبدأ له في الإصلاح الديني والاجتماعي كما اتخذ مدرسة عرابي ومصطفى كامل مبدأ له في الوطنية .

وانتقل من المدينة إلى دمشق ، ومنها عاد سنة ١٩٢١ إلى الجزائر ، واتصل فور رجوعه بعبد الحميد بن باديس وباخوانه ، فعمل معهم . وفي سنة ١٩٣١ م تأسست جمعية العلماء فكان أحد أعضائها البارزين ، وأسند إليه العمل بعمالة وهران ، ولقي الابراهيمي من المستعمرين كل كيد وعنت ، فلم يزدد إلا صلابة وقوة وثباتاً . وخلف في رئاسة جمعية العلماء المسلمين ، رئيسها المرحوم عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٤٠ م .

وفي الحرب العالمية الثانية ، اعتقل ونفي إلى جنوب الجزائر ، إلى معتقل آفلو الرهيب ، وبقي فيه أكثر من ثلاث سنوات ، ثم أفرج عنه ، وزج ثانية في السجن العسكري عقب حوادث ٨ أيار ١٩٤٥ م ، وعذب فيه مما أورثه أمراضاً مزمنة عاني منها حتى آخر حياته .

وبعد خروجه من السجن استأنف عمله بكل جد ونشاط ، فعمل على فتح المدارس التي كانت مغلقة ، وأخذ يقوم بجولات في أنحاء القطر الجزائري ، يذكي فيه الروح الوطنية ، ويؤسس المدارس والنوادي والمساجد .

ثم اتخذ الابراهيمي سنة ١٩٥٢ م ، القاهرة مركزاً ، ولما اندلعت الثورة الجزائرية ، قام يدعو الشعوب والدول العربية إلى مؤازرتها ومدها بالمال والسلاح ، ثم انتدبته الثورة للقيام بمهات لدى الدول العربية والإسلامية فقام بها أحسن قيام .

وانتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعد أن كان عضواً مراسلاً له قبل رحلته هذه ، كما انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي العراقي ببغداد .

ثم عاد بعد استقلال الجزائر ، وتوفي بها في ٢٠ أيار ١٩٦٥ م . وشيعه الشعب الجزائري بالإجلال والتكبير .

وأما الكتاب الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد جمع ما تفرق من مجموع ما قيل في الفقيد وما كتب عنه ، وما ارتجل على أقلام وألسنة الأدباء والخطباء والشعراء ، مما يميط اللثام عن جهاد هذا الشيخ الجليل سواء أكان ذلك في الحقل العلمي أو الوطني . تغمده الله برحمته وغفرانه ، وأثابه أجزل ثواب على ما قدم من خدمات جلى للعرب والإسلام .

ع . ك .



الأمثال البغدادية المقارنة

تأليف : عبد الرحمن التكريتي

الجزء الأول (ا ـ ب) ـ عدد صفحاته ٣٥٧

طبع بمطبعة العاني ببغداد (١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م)

إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومِثله كما تقول شَبَهه وشِبْهُه لأن الأصل فيه التشبيه ، ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلاً ، وهي تنبع من أفراد الشعب نفسه وتعبر عن عقلية العامة ، ولذلك تجد كثيراً منها غير مصقول ، وقد ينبع المثل من طبقة راقية فيكون راقياً مصقولاً .

وتتألف مجموعة هذه الأمثال التي وضعها المؤلف الفاضل في كتابه من مصدرين أساسين : الأول ما جمعه بنفسه كما سمعه من أفواه الناس ، لا سيما الشيوخ ، وكبار السن من الرجال والنساء . والمصدر الثاني المصادر التي تناولت ذكر شيء من الأمثال ، وقد عني المؤلف بجمعها عناية خاصة ، فأحرز منها مجموعة تكاد تكون كاملة ، وفيها المخطوط والمطبوع ، وقارن ما فيها بما لدى المؤلف .

ثم عرف المؤلف المثل ، وذكر نشوء الأمثال ، وأنواعها ، وتدوين الأمثال العامية ، وماكتب قديماً عنها ، وما كتب عن الأمثال البغدادية قديماً وحديثاً ، وما صدر حديثاً من كتب الأمثال العامية في سائر الأقطار العربية ، والمؤلفات الحديثة في الأمثال العامية التي لم تطبع .

وقد رتب هذا الجزء على حروف المعجم ، وذيل مادته بتعاليق كثيرة تكشف اللثام عن غامضها وتفسير مبهمها ، وذكر المصادر التي أخذ عنها ، كما جعل رموزاً أو مختصرات لكثير من الكلمات التي يرد ذكرها ، مما ساعد الباحثين والطالبين واستحق شكرهم ، متمنين للمؤلف العميد كل نجاح وتقدير .

ع . ك .



أسرار الحرب العالمية الثانية

في سيرة فون رونشتد

تأليف : كونتربلو منتريت

ترجمة : محمود شيت خطاب

عدد صفحاته ٣٣٦

من منشورات دار الحياة بيروت ١٩٦٦

ولد كريد فون رونشتد في ١٢ كانون الثاني ١٨٧٥ م في اسكيرس ليبن بألمانيا ، وانتسب في عام ١٨٩٠ م إلى الكلية العسكرية في ليختر فيلد ، ثم التحق بالكلية العسكرية في هانوفر ، وتخرج بها برتبة ملازم ثان ، واستمر في تسنم الرتب العسكرية حتى بلغ رتبة مشير .

وكان رونشتد غير حزبي ، وكان متفرغاً للقضايا العسكريه ، وكان شخصية رصينة ، تقول الحق ، وتظهر وجهة نظرها بصراحة حتى لهتلر نفسه .

وكانت فيه مزايا إنسانية رفيعة ينـــدر وجودها في كثير من القادة العسكريين على اختلاف مللهم ونحلهم . وتوفي رونشتد في هانوفر سنة ١٩٤٨ م .

وأما موضوعات الكتاب فهي : عائلته وأيامه الأولى ، نهاية الجيش القديم ، في الجيش الجديد ، الحرب العالمية الثانية ، حرب الصاعقة في الغرب ، النصر في فرنسا ، الحرب في روسيا ، العود إلى الغرب ، المخاوف من الغزو ، الجهد الضاع ، عام الغزو ، كفاح الدروع ، السهم الأخير ، والمصير المحتوم .

وصدر هذا الكتاب باللغة الألمانية عام ١٩٥٣ م ، وسرعان ما ترجم إلى أكثر اللغات الحية ، نظراً لأهمية معلوماته وجدّتها من جهة ، ولشهرة مؤلفه من جهة أخرى .

وقد ترجمه اللواء الفاضل محمود شيت خطاب عن اللغة الانكليزية ، وقد عاونه في ذلك العميـــد منير فهمي الجراح والأستاذ عبد الرحمن الملاح ، مما ساعد على خروج هذه الترجمة قريبة من الكمال .

وبالختام نشكر اللواء الفاضل ومعاونيه على ما بذلوا من جهود بنقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية ، فأضافوا إلى المكتبة العربية مؤلفاً مفيداً عن الحرب العالمية الثانية ، متمنين لهم كل توفيق ونجاح .

ع . ك .



عدن وجنوب اليمن

في ملوك العرب

تأليف : هارولد ف . يعقوب

ترجمة : أحمد المضواحي

الجزء الأول : عدد صفحاته ٢٠١

طبع بمطبعة العلم بدمشق (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م)

كان مؤلف هذا الكتاب على اتصال وثيق بالبلاد العربية لمدة سنوات باعتباره المساعد السياسي الأول للمندوب السامي البريطاني في عدن ، ثم باعتباره المعتمد السياسي في محميات جنوب شبه جزيرة العرب (جمهورية

ا

جنوب اليمن الشعبية) ثم كان المؤلف أثنـــاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) مستشاراً رئيسياً للشئون السياسية في جنوب غرب شبه جزيرة العرب ، لكل من المندوبين الساميين في مصر على التوالي .

بدأ المؤلف بذكر قيام الدولة التركية بعد سقوط بغداد ، ومركز الحجاز ومكة والمدينة في كل العصور الإسلامية ، والمحاولات التركية لإخضاع اليمن ، ثم الاتصال البريطاني المبكر باليمن الذي بدأ في مطلع القرن السابع عشر الميلاد ، وانتهى بالاستيلاء على عدن في عام ١٨٣٩ م . وقد ذكر بجمل الأساليب السياسية البريطانية وتغلغل بريطانيا في المناطق التي بالداخل ، بعد أن أصبحت عدن قاعدة للانطلاق . وأشار إلى الهبات والمرتبات والرشاوى التي كانت تقدمها بريطانيا للشيوخ والسلاطين .

ويتألف الجزء الأول من الفصول الآتية : قيام الأتراك ، اتصالنا المبكر باليمن بلغ الدرجة القصوى بالاستيلاء على عدن عام ١٨٣٩ م ، حكم هينس مدة خمسة عشر عاماً ، سياسة بريطانيا مع العرب في الداخل ، الأتراك في اليمن ، الاستيلاء البريطاني على الضالع الواقعة إلى الشمال من عدن ، المداولات المستحكمة بين الأتراك وإمام صنعاء قبل عام ١٩١١ م ، معاهدة مايو الإمامية ـ التركية عام ١٩١١ م ، والحرب التركية الإيطالية عام ١٩١١ — ١٩١٢ ، وهبوط الأتراك وصمود العرب .

وقد تحرى المترجم نقل المعاني التي كانت تحملها عبارات الأصل ، بدون تصرف ، وقد آثر ذلك على جودة الأسلوب . كما علق بعض التعليقات المفيدة على نص المؤلف ، وألحق فهرساً موجزاً للموضوعات والصور ، فقدم بذلك خدمة جلى لتاريخ العرب والإسلام فجزاه الله كل خير .

ع . ك .

«الاشتقاق»

للدكتور فؤاد ضيا ترزي

عدد صفحاته ٣٩٠ ، من القطع المتوسط
طبع في مطبعة دار الكتب ببيروت عام ١٩٦٧ ونشر عام ١٩٦٨

حدد المؤلف في الباب الأول البيئة العربية وأثرها في الاشتقاق الذي هو وليد حاجة تقررها الظروف الزمانية والمكانية ، فلغة الضاد اختصت بأوزان لا مثيل لها ، ثم إن طبيعة الشمال التي ابتلعت لهجتها لغة سبأ وحمير الجنوبية ، إنما كانت لها هذه الأفضلية لأن صيغة القرآن الكريم قد التزمت تلك اللهجة ... ثم ذكر المؤلف أثر الفتح العربي للقسم الأوسط من جناح الدولة العربية ، والنهضة العلمية لمدينتي البصرة والكوفة ، ثم تعرض لهذه اللغة المولدة ، التي حملت الكثير من الأخطاء ، وللنظرية التي تقول بأن اللغة هي وحي من عند الله وللنظرية القائلة بأنها تواضع واصطلاح ، وتعرض إلى حركة تدوين اللغة والنحو في القرنين الأول والثاني ، وإلى ظهور المصطلحات البيانية مع نشوء العلوم وتطور الحياة اللذين استلزما وضع المصطلحات الطبية والفلسفية والفلكية والرياضية ، ثم تعرض الباب الأول إلى ظهور الاشتقاق الجديد من الألفاظ الأعجمية ...

وذكر المؤلف في الباب الثاني أصل الاشتقاق ، فاستعرض فيه النظرية البصرية التي رمز لها بما يلي : المصدر ← (الفعل + المشتقات) ، ثم النظرية الكوفية التي رمز لها بما يلي : الفعل ← (المصدر + المشتقات) ثم فضل المؤلف الثانية إلا أنه استدرك فاعترف بأن العرب لم تشتق من الفعل وحسب بل تعدت ذلك إلى الاسم والحرف أيضاً ، فقال : أصل الاشتقاق ليس واحداً ... وبعد ذلك ينتقل الدكتور ترزي إلى ذكر نظرية

الجذور التي أدخلها الخليل بن أحمد إلى العربية ، نقلاً عن أصلها الهندي ، ويذكر نظرتيها اللتين تقول أولاهما بأن الجذر الثنائي أصل لمعظم الألفاظ ، وتقول ثانيتهما بأن الجذر الثلاثي هو الأصل ، ثم يسترسل في تبيان أقوال اللغويين المحدثين كالشدياق وزيدان والكرملي ومرمرجي والعلايلي ، ويقارن بينها ببصيرة العالم الواثق من نفسه والثائر على التقاليد فيقول بأنه لا يجوز إخراج اللغة من حيز التلقائية إلى حيز الافتعال والتصنع ، إذ أن هذا لا يستسيغه العقل والمنطق ، فالإنسان قد يجوز لنفسه ارتجال كلمة ثلاثية مثلاً ... إلا أنه يقرر في النهاية بأن النظرة الثلاثية هي السائدة اليوم ، وأن طبيعة الأشياء لا تنفي إمكان وضع ألفاظ رباعيـــة وخماسية في اللغة وضعاً أصيلاً ...

أما الباب الثالث من الكتاب فقد ضمّنه المؤلف طرق الاشتقاق وأحكامه ، فابتدأ ببحث الزيادة على اللفظ المجرد ، فتبنى فكرة حصرها بأحرف سألتمونيها ، ثم عدد أسباب هذه الزيادة بما يلي : للمعنى ، وللإسكان ، وللمد ، والعوض ، والتكثير ، والإلحاق ، ثم يستدرك فيقول بأن الزيادة قد تكون من أصل الوضع مثل افتقر .

وقد خصص المؤلف الفصل الثاني من هذا الباب ، لموضوع اشتقاق الأسماء من الأفعال ، ثم من الأسماء ، وخصص الفصل الثالث لاشتقاق الأفعال ، ثم أفرد الفصل الرابع للاشتقاق غير المطرد .

وبحث المؤلف في الباب الرابع القلب والإبدال والنحت وصلتها بالاشتقاق .

وبالختام نشكر الأستاذ المؤلف على ما بذل من جهد متمنين له كل تقدم ونجاح .



وجيه جبر

آراء وأنباء

تعيين أعضاء عاملين جدد

مرسوم رقم (٧٥٣)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ تاريخ ١٩٦١

وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن احداث وزارة التعليم العالي

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تمّ فيها انتخاب الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً .

يرســـم ما يلي

١ — يعين الأستاذ وجيه السمان عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ — ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين

مرسوم رقم (٧٥٤)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم (٣١) لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي .

وعلى المرسوم رقم ١١٢ تاريخ ١٩٦٨/١/١٣ المتضمن تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية

وعلى المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٣

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية بتاريخ ١٩٦٨/٢/١٥ التي تم فيها انتخاب الدكتور عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً .

يرسم ما يلي

١ — يعين الدكتور عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق

٢ — ينشر هذا المرسوم في الجريدة الرسمية .

دمشق في ١٣٨٨/١/٨ و ١٩٦٨/٤/٦

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

رئيس مجلس الوزراء
الدكتور يوسف زعين



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعويفهـــا]

تبذل مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها في المغرب العربي ، المكتب الدائم للتعريب ، التابع لجامعة الدول العربية ، جهوداً قيمة في خدمة العربية وإعلاء لشأنها ، وفي تشجيع دعاتها على دعم موقف العلماء منها . ومن بحوث المجلة الطريفة ، ما ينشره الأديب البحاثة الأستاذ عبد الحق فاضل ، وهي أبحاث لغوية ممتعة ، تدل على حس لغوي مرهف ، وعاطفة عربية متأججة . وفي البحث الأخير الذي قرأناه في العدد الرابع من المجلة ، طلع علينا الأستاذ عبد الحق فاضل ، بنماذج مما أخذ يطلق عليه اسم « التأثيل اللغوي [1] » ، وهو ، يبتغي من ورائها ، خط نهج قد يصل السالك فيه إلى القول بأن « العربية أقدم اللغات أو أمها » .

لقد وقفت طويلاً أمام تلك النماذج ، مأخوذاً بالومضات المشرقة التي بدت لي من خلالها ، وكلها تحمل من تستهويهم أبحاث نشوء اللغات وتكونها ، على الدراسة والتبحر في مجاهل التاريخ القـــديم سعياً وراء المعرفة والحقيقة أو بعضها .

---

(١) يرى الأستاذ الفاضل ، استعمال كلمة [التأثيل] مقابل كلمة Etymology الإنكليزية ، بمعنى ردّ الكلمات إلى أصولها المباشرة ، وهو يرتأي استعمال لفظة [الترسيس] أيضاً بمعنى إرجاع الكلمات العربية أو الأعجمية إلى [رسّها] أي إلى بدايتها الأولى ويقترح أن تقابل هذه اللفظة كلمة Radixtion في الإنكليزية ـ انظر مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس . الرباط آب ١٩٦٧ .

لقد أحببت أن أسجل ، تعقيباً على بحث الأستاذ الفاضل ، ظاهرة كنت وقعت عليها ، خلال دراساتي في المعجم العربي ، وأثارت في نفسي كثيراً من التساؤل ، دون أن أجد فيما عندي من معرفة ، ما يشفي غلة أو يقنع طالب حقيقة . واليوم ، وفي ضوء البحث المذكور ، تجدد في نفسي التساؤل عن علاقة حرف (الباء) أو كلمة (أب) بالماء . ولعل فيما سأنقله من المعجم العربي دعم من قريب أو من بعيد لرأي الأستاذ عبد الحق فاضل في إحدى نظراته التي يقول فيها :

[إذا وجدت كلمة (آب) في معجم عربي فلن يخطر لك أن معناها (الماء) ، لأنها بهذا المعنى من اختصاص المعجم الفارسي . أما في المعجم العربي فمناها : (الاقنوم الأول ... و ...) ولكن أنا لن أتردد في إدراج كلمة (آب) بمعنى الماء في المعجم التأثيلي المأمول .

نلاحظ قبل كل شيء هذا الشبه بين كلمتي (آب) و (ماء) ، فهما كلمة واحدة في الأثل ، تكونت إحداهما من الأخرى بقلب وإبدال ، مثل : عنزة ومعزاة ... ولست أريد أن أقول أن (الآب) متطورة من (الماء) لأن العكس هو الصحيح في الواقع . أما الجـــذر الاثلي لكلتيهما فهو صوت (الهواء) !] .

ثم يتابع الأستاذ عبد الحق فاضل بحثه عن مصدر كلمة (الهواء) وكيف وجدها الإنسان العربي الأول من صوت هبوب الهواء ، وكيف انقلبت (الواو) في لفظة (الهواء) فأصبحت (الهباء) ، ثم كيف تطورت هذه الكلمة فصارت (الهباب) ، وهذه تطورت فصارت (الأباب) ، وأطلقوها على (السراب) ومن ثم على (الماء) . وأخيراً كيف صاغ العرب من

(الأباب) كلمة (العباب) لمعظم الماء ، ثم ينتهي إلى القول : [والذي نراه أنهم خففوا (الاباب) بعد ذلك فنطقوها (آب) وخصوها بالماء دون غيره ، فانقطعت صلتها بالهواء والسراب . ومن ثم نقلها المهاجرون منهم إلى إيران مع بقية مفردات لغتهم التي لا يزال الكثير من آثارها واضحاً في اللغة الفارسية ، مما اندثر بعضه في اللغة العربية الأم نفسها بعد ذلك ، ... ولكنها قبل اندثارها أنحيت للعرب كلمة (ماء) بعد أن أبدلت باؤها ميماً فصارت (آم) ثم قلبوها فصارت (ماء) ...] .

قد يكون هذا الكلام صحيحاً كله أو في بعضه ، غير أني لا أكاد أشك في أن حرف (الباء) جذر أصيل في العربية ويدل على (الماء) ، وقد أغنى العربية بمفردات كثيرة ، يدخل الماء عنصراً في مدلولها وجوداً أو عدماً وذلك على سبيل الحقيقة غالباً ، ومن قبيل المجاز أحياناً ، وها هو باب (الباء) في المعجم العربي يحتوي على مفردات كثيرة أهمها التالية :

أ ب ب . الأُبَابُ : الماء والسَّراب .

والأُباب : مُعْظَمَ السَّيل ، والمَوْج ، كالعُباب .

أ ث ب الميْثَبُ : الجدول أو النهر الصغير ، وزعم نفر أنه في شعر كُثيِّر : اسم لماء .

أ د ب أدبُ البحر ، كثرةُ مائه .

أ ر ب إرابُ مثلثة : ماء لبني رياح بن يَرْبوع ، والذي في المعجم أنّه ماء من مياهِ البادية .

أ ز ب إزاب بالكسر : ماء لبني العَنْبر .

وأزَبَ الماء ، مثل وَزَب : جرى ، قيل ومنه الميْزاب ،

أي المرزاب ، وهو المَثْعَبُ الذي يَبُول الماء ، وفي التَّرْشيح : هو ما يسيل منه الماء من موْضعٍ عالٍ ، ومنه ميزاب الكعبة ، وهو مَصَبُّ ماء المطر (أو هو فارسيٌّ معرَّب) قاله الجواليقيّ ، وجمعه المآزيب، والميازيب ، ويقال : المرزاب بتقديم الراء على الزاي.

وإبلٌ آزِبَةٌ : تعاف الماء وترفع رأسها .

أ ل ب ألبَتْ السماءُ تألِبُ وهي ألُوب : دام مَطرُها .

والألْبُ : العطشُ ، يقال ألَب الرَّجلُ ألْباً إذا حام حول الماء ولم يقدر أن يصلَ إليه .

أ و ب الأَوْبُ : السحاب ، والأَوْبُ : ورودُ الماء ليلاً ، يقال أُبْتُ الماءَ وتأوَّبْتُه ، إذا وردته ليلاً . والآيِبَةُ : أن ترد الإبل الماءَ كلَّ ليلةٍ . والتَيَبْتُ الماء ، من باب الافتعال مثل أُبْتُه وتأوَّبْتُه : وردْتُه ليلاً .

ومآبَةُ البئر ، مثل مَبَاءَتِها : حيث يجتمع إليه الماء فيها .

أ هـ ب أُهَبُ : موضع من بلاد بني أسد ، لا يكاد يوجد فيه ماء .

أ ي ب الأَيَّابُ : السَّقَّاء .

ب ي ب البِيبُ ، مجرى الماء إلى الحوض ، وحكى ابن جنّي فيه البِيبَةَ ، والبِيبَةُ ، المَثْعَبُ الذي ينصب منه الماء إذا فُرِّغَ من الدَّلو في الحوْض . والبيب : كُوَّة الحُوض ، وهو مسيل الماء ، وهي : الصُّنْبُور والثَّعْلَبُ والأُسْلُوب .

والبَيَّابُ : السَّاقي الذي يطوف بالمـــاء ، كما يُسمّيه أهل البصرة في أسواقهم .

ت ر ب تُرَبَة : ماء في غربي سَلْمَى ، وواد من أودية اليمن .

وثَرْبان : أرض فيها مياهٌ كثيرة . ويَثْرَبُ : ماءٌ في بلاد بني سعد بالشُّودَة .

ت ع ب أتعبَ إناءه وقدحَه : ملأه فهو مُتْعَب ، يقال أتعب العَتاد وهَاته ، أي املإ القَدَح الكبير ، وبنو فلان يشربون الماء المُتْعَب أي المُعْتَصر من الثَّرَى .

ث أ ب الأَثْأب : شجر ينبت في بطون الأودية بالبادية ، كأنه على شاطئ نهر وهو بعيد من الماء .

ث و ب ثَوِبٌ : رَكِيَّةٌ أي بئر لمُحَارب .

ث ع ب ثَعَب الماءَ والدَّمَ ونحوَهما يَثْعُبه ثَعْباً : فَجَرَه فانْثَعَب ، كما يَنْثَعِبُ الدَّم من الأنف ، ومنه اشتقَّ مَثْعَب المطر ، وانثعب المطر : سال .

وماء ثَعْبٌ وثَعَب وأُثْعُوب وأُثْعُبان : سائل ، وكذلك الدَّمُ . والثَّعْبُ : مسيل الوادي .

والمَثْعَبُ : واحد مثاعب الحِياض ، ومنه مثاعب المدينة : أي مَسَايِلُ مائها .

وفي الأساس ، تقول : أقبلَتْ أعناقُ السَّيْل الرَّاعب ، فأَصْلِحُوا خراطيم المثاعب ، وسالت الثَّعْبَان ، كما سال الثُّعْبان ، وهو السَّيْل .

ويقال : يجري ثعابيب ، كسعابيب ، أي يجري منه ماءٌ صافٍ والثُّعْبان : ماءٌ ، وقيل هو : الثَّعْبُ .

والثَّعْلب : مَخْرَجُ الماء إلى الحوض ، أو هو مَخْرَجُ الماء من جَرِين التمر . أو هو ثقب الجرين الذي يسيل منه ماء المطر .

ث غ ب الثَّغْبُ : أكثر ما بَقِيَ من الماء في بطن الوادي ، وقيل هو بقيَّةُ الماء العَذْب في الأرض ، وقيل هو أُخدودٌ تحتفِرُه المسايل من عَلٍ ، وقيل هو المطمئِن من المواضع في أعلى الجبل يستنقعُ فيه ماء المطر .

ومن المجاز : تَثَغَّبَتْ لثَتُهُ بالدَّم : سالت .

والثَّغَبُ : ذَوْبُ الجَمَد ، والجمع ثُغْبان ، والثُّغْبان : مجاري الماء .

وقيل : الثَّغَبُ : الغَدِير .

ث ق ب ثَقَبَتْ الناقة : غَزُر لَبَنُها ، فهي ثَقيب وثاقب ، ونُوقٌ ثُقُبٌ وثُقَيْبٌ : ماء .

ث ل ب الثَّلبوت : اسم وادٍ فيه مياه كثيرة . وقيل : مياهٌ لربيعة بن قُرَيط بظَهْر نَمَلَى .

ث و ب مَثابُ الحوْض وثُبَتُه : وسطُه الذي يَثُوب إليه الماء إذا استفرغ ، والثُّبَةُ ، ما اجتمع إليه الماء في الوادي أو الحوض .

ومثابُ البئر : وسطها ومثابَتُها ، مبلغ جُمُوم مائها ، ومثابُ البئر : مقام السَّاقي من عُرُوشها على فم البئر .

وبئرٌ لها ثائبٌ ، أي ماءٌ يعود بعد النَّزْح . يقال ثاب البئر ، وثاب الماء ، إذا بلغ إلى حاله الأول بعد ما يُسْتَقَى .

والثائب من البحر ، ماؤُه الفائض بعد الجَزْر ، تقول العرب : الكلأُ بموضع كذا مثلُ ثائب البحر ، يعنُون أنَّه غَضٌّ طريٌّ ، كأنه ماء البحر إذا فاض بعد ما جَزَر .

ث ي ب بئر ثَيِّب : أي يثوب الماء فيها ، ويقال بئر ذات ثَيِّبٍ وغيث ، إذا استقى منها عاد مكانه ماء آخر .

ج ب ب الجُبُّ : البئر ، أو البئر الكثيرة الماء البعيدة القَعْر ، أو هي لا تكون جُبّاً حتى تكون مما وجد لا مما حَفَرَه الناس ، وقيل : الجُبّ : البئر غير البعيدة . والجُبّ والجُبَّة والأجْبَاب وجُبيب وجُبْجُب والجُباجيَّة : أسماء مياه عند العرب .

والتجْبيب : إرواء الجَبُوب .

والجَبُوب : الأرض عامةً ، سُمّيت جَبُوبا لأنها تُجَبُّ أي تحفر ، أو تَجُبُّ من يدفن فيها أي تقطعُه ، ومنه قيل : جَبَّانة للأرض التي يُدفن بها الموتى .

والجَبَاب والجُبَاب : القحط الشديد .

والجَبْجَبَة : أتان الضَّحْل وهي صخرة الماء .

وماء جبجاب وجُبَاجب : كثير .

ج د ب الجدْب المحل ونقيض الخِصب ، يقال عام جَدُوب وأرض جَدُوب ، وأجدبت السَّنَة : صار فيها جَدْبٌ وقلّ ماؤها .

ج ذ ب يقال : جذب من الماء نفساً أو نفسين ، إذا كرع الماء .

ج ر ب الجَرْباء : الأرض المَحْلة المقحُوطة : لا ماء ولا شيء فيها .

والجِيرْبة : الماء في البئر ، أو هي جِلْدَة توضع في الجدول ليتحدَّر عليها الماء .

والجِيراب من البئر جوفها من أعلاها إلى أسفلها .

وجُراب ، ماء بمكة ، وجَرْجَبَ الإناءَ : أتى على ما فيه من ماء .

وجَرْدب الإناء : أفنى ما فيه ، والجِيرداب : وسط البحر (معرّب)

وجَرْعَب الماء : شربه شُرباً جيداً .

– يتبع –

عدنان الخطيب



مدى كلمة الصابئين

تعقيب على تعليق

قرأنا في عدد تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٧ من هذه المجلة الغراء ، تعليق الأستاذ محمد عزة دروزة على مدى كلة « الصابئين » الواردة في نظرات الدكتور عدنان الخطيب في المعجم الوسيط ، في عدد رمضان ١٣٨٦ ـ يناير ١٩٦٧ من هذه المجلة ، فرأينا أن نعقب عليه بما يلي :

ان كلمة « الصابئين أو الصابئة » سريانية محرفة ، أصلها ܨܒܥܝܐ أو ܨܒܘܥܐ صابوعي أو صابوعا ، أما كلمة « الصبّة » فهي الأخرى سريانية ، أصلها ܨܘܒܥܐ صُوبعَا (١) .

وكلمة « الصابئين » تعني الصابغين . وكلمة « المانديين » تعني المعمدانيين ، وكلتاهما نسبتان إلى ماريوحنا الصابغ أو المعمدان ، وهو سيدنا يحيى بن زكريا كما يعرفه المسلمون . وأما كلمة « الصبّة » فتعني الصبغة أي العماد .

كانت السريانية لغتهم الأم ، وما زالت هي لغتهم الطقسية . ولهم خط خاص مستخرج من الخط السرياني (٢) . ذكر العلامة ابن العبري عن أبي الحسن

---

(١) لقد استحالت العين في هذه الكلمات همزة وفقاً للهجة السريانية العامية الدارجة في ما بين النهرين السفلى وفي شمالي العراق . فيقولون مثلاً أينَا (العين) بدلاً من عَينَا ، أرأا (الأرض) بدلاً من أرعَا ، وأبَّا (العُشْب) بدلاً من عُبَّا ، وهذا ما جرى أيضاً للعين في لفظة « المعمداني » ܡܥܡܕܢܝܐ فصارت « المامدية » وهو اسم آخر للصابئين .

(٢) اللهجات الارامية وآدابها ، بحث تاريخي للمستشرق الفرنسي الأب شابو (عن مجلة الحكمة ـ القدس ، السنة الرابعة ١٩٣٠ العدد السادس) .

ثابت بن قرّة بن مروان الصابئ الحراني نزيل بغداد في أيام الخليفة المعتضد والمتوفى سنة ٢٨٨ هـ (٩٠٠م) ، أن له بالسريانية نحو ستة عشر كتابا ، منها كتاب في ما يتعلق بمذهب الصابئة في الرسوم والفروض والسنن وتكفين الموتى ودفنهم وفي الطهارة والنجاسة وما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح وفي أوقات العبادات وترتيب القراءة في الصلاة (١) .

قال ياقوت الحموي « ان حران كانت منازل الصابئة » (٢) . بيد أن أبا الريحان البيروني في كتابه « الآثار الباقية » يقول : « وقد قيل أن هؤلاء الحرانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية » وقال : « انهم تسموا بالصابئة في الدولة العباسية في سنة ٢٨٨ هـ ليعدّوا في جملة من يؤخذ منهم ويرعى له الذمة » . وأكد أن الصابئة الحقيقيين أصلهم يهود « تخلفوا ببابل ... ومالوا إلى شرائع المجوس ، فصبوا إلى دين بختنصر فذهبوا مذهباً ممتزجاً من المجوسية واليهودية كالسامرة بالشام . وقد يوجد أكثرهم بواسط وسواد العراق بناحية جعفر والجامدة ونهري الصلة منتمين إلى أنوش بن شيت ومخالفين الحرانية عائبين مذاهبهم لا يوافقونهم إلا في أشياء قليلة حتى أنهم يتوجهون في الصلاة إلى جهـــة القطب الشمالي والحرانية إلى الجنوبي (٣) » .

(١) تاريخ الزمان أو المدني بالسريانية لابن العبري ص ١٦٨ ومختصر الدول بالعربية له ص ٢٦٥ ــ ٢٦٦ .

(٢) معجم البلدان مج ٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ .

(٣) أساقفة مدينة حران للبطريرك أفرام الأول برصوم في المجلة البطريركية ــ القدس السنة الأولى ٢٣٣ العدد التاسع .

أما ديانة هؤلاء « الصابئين » فهي الوثنية . ولذلك فان لفظة الصابئ هي مرادفة للفظة الوثني والآرامي (١) . وعند ابن العبري ، « ان الفرس والكلدانيين واليونانيين والقبط والترك والهنود وأهل الصين ، كانوا جميعاً صابئة يعبدون الأصنام تمثلاً للجواهر العلوية والأشخاص الفلكية (٢) » . « وان قسطنطينوس ابن هيلاني قام بدين المسيح ورفض دين الصابئة » (٣) . وفي تحقيقه عن الصابئة الذين في عهده قال : « والذي تحققنا من مذهب الصابئة ، ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها وقبلتهم القطب الشمالي ، لزموا فضائل النفس الأربع » . وبعد أن ذكر الفروض عليهم من الصلوات والأصوام ، قال « انهم يدعون الكواكب ، وقرابينهم كثيرة لا يأكلون منها بل يحرقونها ، ولا يأكلون الباقلّى والثوم وبعضهم اللوبياء والقنّبيط والكرنب والعدس . وأقوالهم قريبة من أقوال الحكماء ومقالاتهم في التوحيد على غاية من التقانة ، ويزعمون أن نفس الفاسق تعذّب تسعة آلاف دور ثم تصير إلى رحمة الله تعالى (٤) .

أما البيروني فقال عن الصابئة الحرانية « ومن آثارهم القبـــة التي فوق المحراب عند المقصورة في جامع دمشق وكان مصلاهم أيام كان اليونانيون والروم على دينهم ، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس ... مثل هيكل بعلبك

(١) القاموس السرياني – العربي « دليل الراغبين إلى لغة الآراميين » للمطران أوجين منّا ص ١١ و ٤٨٨ .

(٢) مختصر الدول ص ٤ و ٩٤ – ٩٦ .

(٣) فيه ص ١٠٨ .

(٤) فيه ص ٢٦٦

تجتمع عليه كلمة الأمة إن شاء الله ، وبه المستعان ، وفسره الأستاذ عبد الصاحب بقوله : أي تجتمع كلمة الأمة على آراء وأقوال ابن تيمية !! فتأمل اهـ .

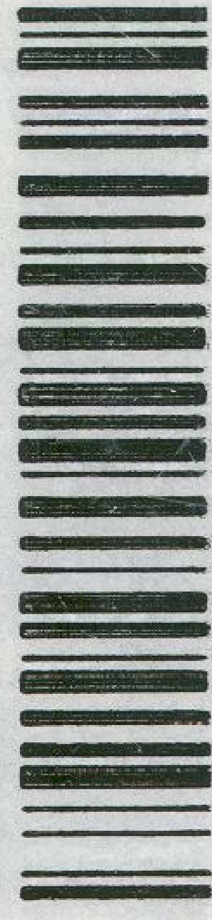
وإني لأعجب من هذا الذهول أو الإغفال لما أثرته في المناظرة بين الإمامين من نهج البلاغة وغيره من عقيدة الإمام علي عليه السلام ، في الخلافة ، وفي الحروب الأولى التي وقعت في الصدر الأول ، وفي تحذير الإمام علي من تكفير المحاربين ، وما نقلناه عنه هو قول أهل السنة ، وهو الذي يجب أن تجتمع عليـــه الكلمة ، وأما الطعن واللعن فهو مذهب القائلين بعصمته ، والمخالفين لطريقته ، وقد أغفل (الأعلام) هذا ، ولم يقل تجتمع كلمة الأمة على كلام الإمام علي ، وهو ظاهر ما صرح به ابن تيمية ودعونا إليه ، لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب مستقل في (شرح حديث النزول) طبع بمصر (سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٨ م ص ٢٣٠) . وقد حقق فيه أن هذا النزول صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة ، كحماد بن زيد ، وإسحق بن راهويه ، بأنه تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء .

(قلت) : الكتاب كله يؤيد هذا المعنى ، ويبعد عن شيخ الإسلام ضلالة تشبيه الله بخلقه ، ويهدينا إلى النزول إلى سماء الدنيا بلا انتقال .

واكتفينا بالاقتصار عليه ، هدانا الله تعالى إلى الصواب ، بمنه وكرمه .

محمد بهجة البيطار




Bibliotheca Alexandrina
06552708
